

سلسلة رسائل لعالمية لموصى بطبعها  
" ٢ "



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي  
مكة المكرمة

## الدولة العثمانية والخزوه الفكري

حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م

دكتور

خلف بن دبلان بن خضر الوديناني  
الأستاذ المساعد في التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة أم القرى

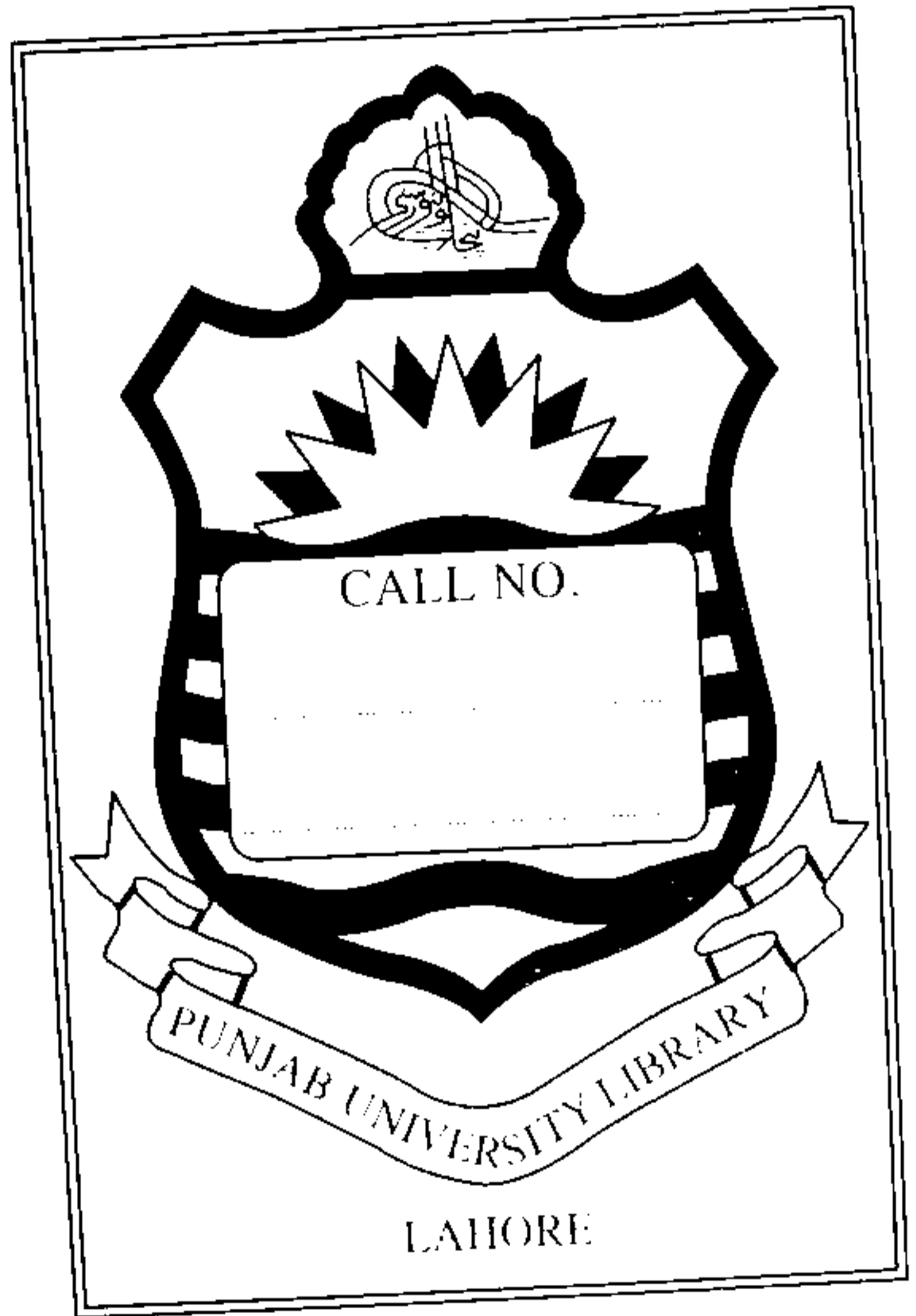
مكة المكرمة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

# ذخیرہ پروفیسر محمد اقبال مجددی

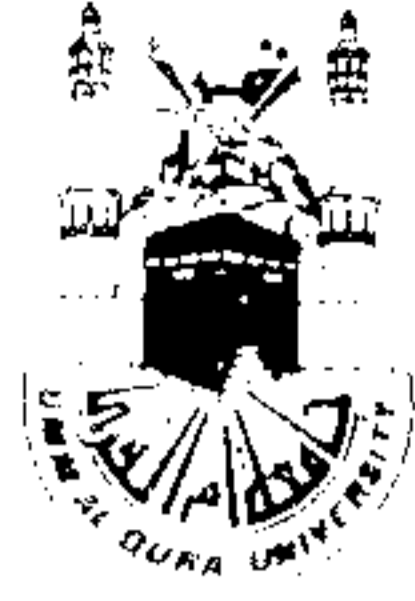
جولائی 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو

ہدیہ کیا گیا۔



سلسلة الرسائل العلمية لمؤسسى الطبعة

٢



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي  
مكة المكرمة

# الدولة العثمانية والخزوة الفخريّة

حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م



دكتور

خلف بن دبلان بن خضر الوديعاني

الأستاذ المساعد في التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م





هذا العمل هو رسالة دكتوراة في « الدولة العثمانية والغزو  
الفكري حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م » .

من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم : التاريخ . أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق



بسم الله الرحمن الرحيم

### تقديم الموضوع

الحمد لله الذي هدانا الى الاسلام ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .  
وأكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام ديناً ، وأرسل رسلاً  
بأهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وجاهد في الله حنيفاً مهتدياً .  
حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .  
اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .  
وبعد :

فإنه بعد حصولي على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في جامعة  
الحدیث ، أخذت أستعرض أحداث التاريخ الإسلامي وتطوراته وتأثيراته في  
موضوع منها يكون مناسباً لدراسته في مرحلة الدكتوراه ، ومن ثم  
الدراسة رأيت أن تاريخ العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث  
الأكبر منه داخل في تاريخ الدولة العثمانية ، ومن ثم أصبح اختيار  
تاريخنا العربي والإسلامي في العصر الحديث مرتبطاً أساساً بتاريخ الدولة  
ومن هذا المنطلق وقع اختياري لموضوع جوهرى يمس حياتنا وواقعنا  
جذوره ظهرت ونشأت خلال فترة تاريخ العصر الحديث ، للعالم الإسلامي والعربي  
وذلك لمعرفة أسبابه ونشأته وتطوره ونتائجه . هذا الموضوع يحمل عنوان ( الدولة  
العثمانية والغزو الفكري ) حتى عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م . وقد جاء المحققون في  
الموضوع لأمر منها :

أولاً : لاحظ كثير من الباحثين الذين تناولوا الغزو الفكري في الإسلام في  
كان عرضة للغزو الفكري في كل عصوره التاريخية ، وخاصة في العصر الحديث  
ولكن فاتهم أن يلاحظوا أن العالم الإسلامي كان غازياً في عصور قوة الدولة  
الإسلامية . فالدولة العثمانية كانت متقدمة فكرياً وسياسياً في عصرها الأول . ذلك



العصر الذي طبقت فيه النظم الاسلامية تطبيقا شاملا ، ولكنها كانت غير ذلك في عصرها الثاني .

ثانيا : أهمية تناول الغزو الفكري من الجانب التاريخي وبالأسلوب التاريخي التطبيقي في العصر الحديث تناولا ينفرد به قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية وقسم التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى لاعداد تخصصات مباشرة ودقيقة للموضوعات التي استحدثت عند تطوير مناهج قسم التاريخ ، ومنها الغزو الفكري .

فموضوع الدولة العثمانية والغزو الفكري من الموضوعات المهمة والجديدة التي لم يتعرض لها أي باحث على المستوى العلمي الدقيق ، ونتيجة لذلك استعنت بالله وسألته التوفيق ، وعزمت على دراسة هذا الموضوع وجمع شتات مادته من الموارد العلمية ذات الصلة بالموضوع .

أما الصعوبات التي واجهتني ، فلاشك أن أي باحث - مهما بلغت درجته العلمية - لا بد أن تقابله بعض الصعوبات والمتاهات التي تظهر له أثناء جمع المادة . ولكن بالعزيمة والاصرار يستطيع الباحث بتوفيق من الله تعالى أن يجتاز كل الصعوبات ، إلا أن الباحث لا يخلو من الخوف والقلق وهذا ما حدث لي ، وخاصة لصعوبة هذا الموضوع ، حيث بدأت رحلتي العلمية الشاقة للبحث عن مادة هذا الموضوع . بدراسة تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى خلع السلطان عبد الحميد الثاني دراسة مستفيضة وقفت من خلالها على أحوال الدولة في عصر قوتها حتى دانت لها أوربا ، وجشت أمامها على ركبتيها ، بل وهددت روما حتى كادت تفتحها وتنشر الاسلام فيها ، فاهتزت لهذا الحدث أركان أوربا ، وخافت روما من السقوط . ونتيجة لذلك انكشبت الحركة الصليبية خوفا من المسلمين . خاصة بعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية التي كانت مركزها ومعبرها الوحيد الى داخل الأراضي الاسلامية ، فوقفت الصليبية تدافع عن نفسها مذهولة ، بعد أن

كانت تهدد العالم الاسلامي وتقيم الأحلاف عقب الأحلاف ، لتنتقل بحروبها الصليبية من جديد الى البلاد الاسلامية ولكن الله خذلها ورد كيدها . لهذا لا بد أن أبرز هذه الأحداث التاريخية المشرقة ، التي قام بها العثمانيون فاتحين نحو الغرب للجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في أوروبا حتى حققوا تلك الانتصارات ، وبناء دولتهم على الأسس الاسلامية . فتمكنت بفضل الله من فهم أعدائها نصارى أوروبا ، وأوقفت خطر الحملات الصليبية التي كانت تهدد العالم الاسلامي . وحولت مركزهم ومنطلق حملاتهم الى عاصمة اسلامية ومنطلق الدعوة الاسلامية في أوروبا . لذلك تقدمت الجيوش الاسلامية في فتوحاتها في عصر سليمان الأول ( القانوني ) حتى بلغت أقصى اتساعها فشملت مناطق عظمى في القسطنطينية الثلاث آسيا وأوروبا ثم افريقيا ، وبالتالي غدت الدولة العثمانية دولة اسلامية عظمى امتدت أراضيها في قارات ثلاث فانتشرت مع ذلك الدعوة الاسلامية وزاد عدد شعوبها . إلا أن هذا التحرك الإسلامي العظيم أزعج الدول الأوروبية والشعوب النصرانية فأخذت تخطط للنيل من هذه الدولة ومحاربة الاسلام والحد من انتشاره وكان منفذها الوحيد لتحقيق أهدافها وغاياتها هو عين التوحيد التي الفكرية وإيهاام قادة الدولة بأنها في حاجة الى تطوير نظمها ، وقد تحقق ذلك بعد موت السلطان سليمان الأول ، فحل بالدولة الخذل الذي لم يستطع الاستمرار سلاطينها وعلمائها وقادة جيشها التغلب عليه خاصة بعد أن سرت بين قديريه حياة الترف والانغماس في الملذات وعدم الالتفات الى ادارة الدولة وتطويرها . فقد كانت الثروة التي جمعها سلاطين آل عثمان في عصرها الأول من الثروة العديدة والغنائم الكثيرة ، وما تلا ذلك من الاستقرار الداخلي وزيادة موارد الدولة هي التي أفسدت نظام الدولة وسلاطينها وجيشها ، ونظرا لضعف السلاطين خلال العصر العثماني الثاني للدولة العثمانية وتساهلهم في الحفاظ على ممتلكات وحدود الدولة ووحدها التي حصلت عليها في عصرها الأول مما هيا الجور للعناصر

المعادية لأن تعمل في السر والعلانية لغزو الدولة العثمانية فكريا وعسكريا .  
فكثرت الإرساليات الأجنبية والبعثات التنصيرية وخاصة إلى بلاد الشام .  
وتداخلت الأحزاب السرية من صهيونية وماسونية حتى أغرقت البلاد من شرقها  
إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها محاولة تغيير المفاهيم الإسلامية . ومما يؤسف له أن  
قادة الدولة أهملوا الداء حتى عم واستشرى شره . وما علموا أن الإسلام صالح  
لكل زمان مكان . فلم يبحثوا في إيجاد نظم تمشى مع الشريعة الإسلامية . بل  
استبدلوا بالشريعة القوانين الوضعية التي وضعها لهم أعداء الإسلام . فأضاعوا  
الإسلام فضاعوا . وتدخلت الدول الأجنبية في شئون الدولة الداخلية والخارجية .  
ونصبت على الامتيازات والحقوق التي رسخت أقدامها في البلاد الإسلامية .  
وظهر أعداء الإسلام بمظهر دعاة الإصلاح . فكانت الفرصة سانحة لهم لعمل  
ما يريدون عمله بتوجيه عالمي من زعماء الصهيونية والماسونية والعلمانية العالمية .  
وجاءت جمعية الاتحاد والترقي التي يقودها أذبال الماسونية والعلمانية وتسلطوا على  
السلطة حتى استطاعوا خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م  
فأنهوا بذلك الدولة التي أصبحت لقمة سائغة للاستعمار .

وخلال تلك الفترة ظهر في شبه الجزيرة العربية الزعيم القائد الإمام محمد بن  
سعود . فأيد الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .  
وظهرت في شبه الجزيرة العربية دولة التوحيد . الدولة السعودية . فكان الأعداء  
لهذا بالمرصاد . فقاموا بتفتيت تلك الدولة الإسلامية الرائدة أكثر من مرة ونعتوها  
باللقاب حتى يظهروها بالمظهر الخارج عن الإسلام . ولكن الله ينصر من ينصره .  
فقد هبأ هذه الدولة قائدا حكيما لم تنطل عليه الحيل والأقويل هو الملك عبدالعزيز  
الذي خشى أن تطأ أقدام الكفرة الأراضي المقدسة في الحرمين الشريفين . فسار في  
عملية فدائية حتى وحد شبه الجزيرة العربية . وأبعد عنها شبح الاستعمار . وعمل

على توحيد الأمة العربية والإسلامية وأعاد للعالم الإسلامي مكانته وشخصيته البارزة . كما طبق الشريعة الإسلامية كأساس للحكم والادارة .

ولجمع مادة هذا البحث كان لزاما علي أن أقوم برحلة علمية أقدم فيها خلالها على مادة هذا الموضوع من مظانها الأصلية في المكتبات العامة والخاصة ومراكز البحوث والوثائق في داخل المملكة وخارجها.

لهذا فررت السفر أولا الى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية لدراسة الوثائق والمخطوطات هناك وبعد عناء وجددت في الأرشيف العثماني الثاني أرفقت لمجلس الوزراء في اسطنبول Baskkanklik Osmani Arxiv بعض الوثائق والمخطوطات العثمانية الهامة منها مايتعلق بالأمر التالي:

- ١- وثائق المشروعية الأولى التي صدرت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٢٩٤هـ.
  - ٢- معاهدة سان ستيفانو سنة ١٢٧٨هـ.
  - ٣- معاهدة برلين سنة ١٢٧٨هـ.
  - ٤- وثائق المشروعية الثانية التي صدرت في نهاية عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ.
- إضافة الى بعض المخطوطات والكتب النادرة التي أشرت اليها في باب أبوابه .

ثم عرجت في طريق عودتي على سوريا ثم الأردن ثم العراق في الرحلة الثانية للرحلة . فالقاهرة حيث حصلت منها على مجموعتي من المذكرات التي أعانتني في الدراسة وبددت الخوف والقلق والاضطراب . ثم عدم الحصول على المادة العلمية ، ولكن ما أنساني عفا عن ذلك . ثم واصلت السير الى لندن ، وعثوري على بعض الوثائق المهمة في أرشيف المكتبة البريطانية العام Public Record Office - هذه الوثائق أشرت اليها في الفروع

الفكري وغطت مادته العلمية في كثير من الجوانب المهمة فأغنتني عن بعض المراجع لولا الاستئناس بها ، لأن بريطانيا تتجسس على فرنسا وروسيا، فنقلت نشاط ونفوذ هذه الدول وما كانت تجنده لغرض بسط نفوذها على بلاد الشام وما عملي عليها لتنفيذه ، وهو ماتعرضنا له في متن الرسالة .

فكل تلك الوثائق والمعاهدات والمصادر والمراجع التي سنذكرها في قائمة ثبت المراجع في آخر هذا البحث حصلت عليها من تلك البلاد ، وقد فتحت هذه المادة العلمية أمامي مجال البحث والاستقصاء ودراسة ماتوافر لي من مادة علمية ، فوقفت أمامها ساعات طويلة أقرأها وأحللها وأستنبط الحقائق منها بكل تجرد وبكل حذر واضعاً أمامي أن تلك الأمور احدى مهام المؤرخ الفاحص الباحث عن الحقيقة المجردة ، وأخذت بعد جمع المادة الكتابة في الموضوع حسب الخطة الموضوعية له .

وتحتوي خطة الرسالة على مقدمة ، وخمسة فصول تعالج نقاط البحث .

فالمقدمة : تتحدث عن طبيعة الدولة الإسلامية العثمانية وفتوحاتها في آسيا الصغرى وشرق وجنوب أوروبا تدفعها الى ذلك روح الجهاد الإسلامي لفتح المدن البيزنطية ونشر الاسلام، لذلك كان استمرار الجهاد أحد أهداف قادة الدولة ، وهذا ما تحقق في الفصل الأول حيث بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وتماسكها بفضل من الله وتوفيقه ثم باعتمادها على تطبيق النظم الإسلامية . وقد عرف المؤرخون هذه الفترة بعصر عظمة الدولة ، أو عصر السلاطين العشرة الأوائل . وكان من ركائز هذه القوة هو صلاح العناصر الثلاثة السلطان والشيخ والجندي واعتمادهم على الإسلام قلباً وقالباً مما جعل الدولة قوية ، وهذا مما جعل السلطان محمد الفاتح يتطلع بنظره لفتح القسطنطينية مركز ومعبى الصليبية الى الأراضي الإسلامية لمحاربة الإسلام . وقد استطاع محمد الفاتح فتح القسطنطينية فثار

غضب الصليبية ، ولم تهدأ إلا عندما دبرت إغتياله بواسطة طبيبه اليهودي الذي اعتنق الإسلام لأجل هدف القضاء على هذا السلطان المجاهد .

أما الفصل الثاني فقد جاء الحديث فيه عن الوسائل التي أدت إلى تسرب الخلل إلى السلاطين وهينة العلماء وإلى الجيش المحارب ( الإنكشارية ) في عصر الدولة العثمانية الثاني ، مما أدى إلى التوقف والركود بعد أن بلغت الدولة ذروتها رفيعا من النصر والاتساع ، وبسطت نفوذها في ثلاث قارات ، كما أدى إلى انكماش الدولة وتدهورها منذ نهاية السلطان سليمان الأول حيث تعاقبت الهزائم على جيش الدولة في ميادين حربية عديدة مما أعقبه عقد المعاهدات الواضحة تلو الأخرى ، والتي عجلت في ضعف الدولة ، ففقدت الدولة بعض ممتلكاتها في جنوب أوروبا ، وذلك لضعف السلاطين وانغماسهم في حياة الترف والتفكير الضيق ، وحمالة القادة ، وعدم استطاعتهم حل المشكلات بحكمة ودراية من أجل إصلاح الدولة إلى بر الأمان وتخليصها من هذه الأزمات ، ولعدم دراسة وضع الدولة ووضع طرق العلاج لها في الحال . ولكن استمرار الدولة على هذا الوضع جعلها عرضة للغزو الفكري الأوروبي بسبب عوامل تناولها الفصل الثالث ، وهي تطلعت إلى عوامل الغزو الفكري في التاريخ الأوروبي الحديث والمتمثلة في العلمانية والثورة والحركة الدستورية ، فقد تسربت هذه الأفكار والأطماع عن طريق السفراء الفرنسية إلى ممالك الدولة العثمانية في أوروبا ، مما أفقدها بلاد اليونان ، ثم المشرق والحركة الدستورية التي اضطرت بأفكارها دول البلقان : الصرب واليونان والبنغال والبغدان والجزيرة السود ، طلبا للاستقلال ، فأخذت في الثورة ، فخرجت من تحت يديها عن الدولة العثمانية ، وكانت تساندها روسيا حتى نالت استقلالها في سنة ١٨٧٨ م .

وفي الفصل الرابع تعرضت الخطة لمظاهر الغزو الفكري ، الذي أخذ يتفاقم منذ الحرب الروسية التركية المسماة بحرب القرم ( ١٢٦٩ - ١٢٧٢ هـ ) /

١٨٥٣ - ١٨٥٥م) وما انتهت اليه وهو عقد معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ /  
 ١٨٥٦م ، تحت اشراف فرنسا وبريطانيا وهي دول معادية للاسلام ، ونتيجة  
 لابرام هذه المعاهدة وقعت الدولة العثمانية في منزلق الاصلاح ، ثم ألحقت خط  
 كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م بالخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ،  
 وتبعه إنشاء المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية ، هذا الحدث هو بداية انهيار العمل  
 بالتشريع الإسلامي ، حيث أخذ الغزو يتفاقم حتى خلع السلطان عبدالحميد الثاني  
 بواسطة حزب الاتحاد والترقي وبالتعاون مع الصهيونية والماسونية ، وتم نفيه الى  
 سلانيك في سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م بعد أن أعيت أوروبا الحلول العسكرية بسبب  
 القوة والتماسك اللذين أكسبهما الإسلام للدولة العثمانية.

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بتقييم جديدة لدعوة التوحيد  
 والأصلاح بعد أن هيا الله لها دعاة صدق ، قاموا بصد الموجات والتيارات الملحدة  
 المرافدة الى شبه الجزيرة العربية وقاوموها بقوة ايمانهم واسلامهم وعقيدتهم بمحاربة  
 أعداء الإسلام ، فجاهدوا في سبيل الله لنشرها في البلاد المفتوحة . وبالرغم  
 من الأزمات التي تعرضوا لها فانها لم تزدهم الا ثباتا على دعوتهم السلفية التي  
 استمرت على مر عصور الدولة السعودية وسوف تظل كذلك الى أن يرث الله  
 الأرض ومن عليها .

وأخيرا اختتمت الفصول بالخاتمة والنتائج التي توصلت اليها خلال هذا

البحث

أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت بتقديم اضافة جديدة للعلم  
 وطلابه اسهاما مني في دراسة جزء من عالمنا الاسلامي ، اسهام المتواضع لخدمة  
 وطنه الوفي الغالي .

وفي هذه المناسبة لايفوتني أن أنوه بجهود المشرف السابق الأستاذ الدكتور  
 محمد عبداللطيف البحر اوي ، الذي أشرف على هذه الرسالة مايقارب السنة ،

وقد أعطاني من وقته الكثير في سبيل مناقشة كثير من المواضيع حتى استقر الرأي الأخير على اختيار هذا الموضوع . ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أدعو له بطول العمر والبقاء وأن يجزيه الله عنا خير الجزاء . ولاستغفرت له حول الإشراف على سعادة الأستاذ الدكتور ابراهيم صغيرون الذي لم ينال جهدا في متابعة الأبحاث وتقديم النصح حتى استقال . ومن ثم حول الإشراف إلى أستاذنا الأستاذ الدكتور عبداللطيف عبدا لله بن دهيش .

وختاما أرى من واجبي في هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ من قام بمساعدتي في اجتياز هذه المراحل لإخراج هذا البحث إلى حيز الوجود فأخص بالذكر جامعة أم القرى ، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي . وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ومكتبته المركزية . وكذلك القائمين على الأرشيف العثماني في اسطنبول ، والأرشيف المركزي السجلات البريطانية العامة Public Record Office وإلى كل من ساعدني في المساعدة .

وأخص أستاذي المشرف سعادة الأستاذ الدكتور عبداللطيف عبدا لله بن دهيش الذي قدم لي كل دعم وخصني بعلمه الغزير وتوجيهاته السليمة وأعطاني من وقته وجهده الكثير غير مقتصر على المكان والزمان . فقد فتح لي داره رغم مشاغله الكثيرة . وعلى حساب راحته الشخصية وكانت ملاحظاته القيمة خير معين لإخراج هذه الرسالة . وإليه الشكر وتقديري بالجميل والعرفان ، جزاه الله عنا خير الجزاء .

كما أقدم شكري إلى الأفاضل من أعضاء مجلس إشرافنا الذين راجوا من الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى ويوفقنا لخدمة هذا الوطن الغالي الذي نكن له كل حب وتقدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وهو الهادي إلى سواء السبيل .





## المقدمة : طبيعة الدولة العثمانية

- أ - نشأة الدولة
- ب - الجهاد والفتح ونشر الاسلام



تؤكد المصادر التاريخية أن أول من فكر في فتح الأناضول هم السلاجقة . ففي سنة ٤٠٦ هـ الموافق ١٠١٥ م جرد سلجوق أوغلو أول حملة على الأناضول . تعرف فيها على مدى قوة الامبراطورية البيزنطية . وفي هذه الحملة هزم سلجوق الجيش البيزنطي في باسينلر ( Pasinler ) قرب مدينة أرض الروم . وأمر القائد العام لباريد ( Liparit ) ، فأرسل الامبراطور البيزنطي فدية إلى الخاقان الأتراك أرطغرل بك السلجوقي من أجل اطلاق سراح القائد البيزنطي المذكور . ثم أمر أرطغرل أعاد الفدية وواعد باطلاق سراح لباريد مقابل إعادة فتح الأناضول . وأغلق في القسطنطينية لإقامة الشعائر الإسلامية للمسلمين المقيمين هناك . ثم استجاب الامبراطور البيزنطي لمطالب أرطغرل بك ، وأمر بإعادة فتح الأناضول المذكور . وأصبحت تقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم أرطغرل بك في خطبة الخليفة العباسي في الخطبة (١) .

وتلا ذلك قيام ملوك السلاجقة وأمراء الأتراك بترتيب التوسيع في فتح الأناضول سنويا على وجه التقريب للتقدم في فتوحاتهم نحو الغرب الأناضول . والحدود الإسلامية ضد الامبراطورية البيزنطية . حتى كانت الممرات الأناضولية انتصر فيها المسلمون عام ٤٦٤ هـ الموافق ١٠٧١ م . على يدهم فتحوا المخرج المحتشدين قرب بحيرة وان ( Van ) شرقي تركيا والتي يعرفها المسلمون

(١) يلماز أوزتوب : تاريخ الدولة العثمانية . ترجمة عثمان محمود سليمان . دار النشر : دار الفکر للطباعة والنشر .

مشورات مؤسسة فيصل للتعمير : ١٩٨٨ ، ج ١ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) يلماز أوزتوب : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

باسم معركة ( ملازكرد )<sup>(١)</sup> حيث هزم فيها جيش بيزنطة وأسس إمبراطورها رومانوس الرابع ( Romanos Diogenes ) ، واكتسب الزعيم التركي المسلم ألب أرسلان في هذه المعركة شهرة واسعة عمت كافة أرجاء العالم الإسلامي.

وعلى إثر ذلك استطاعت القبائل التركمانية المسلمة تثبيت أقدامها في بلاد آسيا الصغرى ، فنزلت في شرق ووسط منطقة الأناضول ، وكان من ضمن تلك القبائل التي دخلت الأناضول وسكنته قبيلة ( قابي ) وهم أسلاف العثمانيين<sup>(٢)</sup> .

وعندما ظهر المغول من الأقصى الشرقي لآسيا بزعامة جنكيزخان ومعه نحو خمسين ألف مقاتل في حوالي عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م أخذوا يتقدمون نحو الغرب ، فاحتلوا في طريقهم عددا من الممالك الإسلامية ، وأذاقوا أهلها ويلات الدمار

---

(١) ملازكرد : إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي التي أسفر عنها تحول منطقة الأناضول إلى أراضي إسلامية يعيش عليها شعب مسلم . كما تعد هذه الواقعة أيضا المنطلق الأول لتأسيس الدولة الإسلامية في آسيا الصغرى وبلاد الروم الصليبية . كما يمكن النظر إليها كذلك على أنها كانت الحادثة التي هيأت الأسباب لولادة الدولة العثمانية .

- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .

- رييدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، ( الناشر دار الفكر العربي ) ، ص ٥١ .

(٢) علي حسون : العثمانيون والروس ، ( الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتبة الإسلامية ،

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ) ، ص ١٧ .

بيل رسوان : جهود العثمانيون لاقتاد الأندلس واستردادها ، ( رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة أم

القرى ، تحت الطبع ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) ، ص ٨ .

والقتل والنهب ، فقتلوا الأبرياء ، ونهبوا ودمروا المدن والمزارع <sup>(١)</sup> .  
لهذه الأسباب هاجر سليمان شاه أحد ملوك تركستان وجد آل عثمان  
من وطنه ماهان تحت ضغط المغول ، فاتجه غربا نحو آسيا الصغرى بقبيلته العظيمة  
( القايي ) البالغ عدد محاربيها ألفي فارس . الى الأناضول في أوائل القرن السابع  
الهجري ، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي . فاقام بمدينة أخلاط <sup>(٢)</sup> ، فلما  
انتشر التتر واقتربوا من المدينة هاجروا منها الى أذربيجان <sup>(٣)</sup> ، فهناك تقابل مع  
المغول ، فانتصر عليهم وغنم منهم غنائم كثيرة <sup>(٤)</sup> . ثم عاد سليمان شاه واجهنا الى  
وطنه الأصلي عن طريق حلب ولما وصل في طريقه الى نهر الفرات ، وأمام قلعة  
جعبر حاول مع أولاده عبور النهر فغلب عليهم الماء فسقط سليمان بالنهر وغرق  
في الحال وكان ذلك في سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م . فأخبره الذين معه

- 
- (١) - ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ( الطبعة الأولى . مطبعة دار  
الأوقاف : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ) . ص ٣٤ .
- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . ( الطبعة الأولى . مصر . مطبع  
الأميرية . ببولاق : ١٣١٢هـ ) . ج ١ . ص ٤٨٣ .
- (٢) أخلاط : بلدة في شرق تركيا الحالية بالقرب من بحيرة وان في هضبة أرمينيا .
- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ( الطبعة الأولى . دار  
الشروق : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ) . ص ١٧-١٨ .
- (٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ترجمة : عبدالقادر أفندي الدسا . ( بيروت . مطبعة  
جريدة بيروت . ١٣٠٨هـ ) ج ١ . ص ٣٢ .
- ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٣٤ .
- (٤) السيد أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ( القاهرة . الناشر : مؤسسة الخولي وشركاه  
للنشر والتوزيع . ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ) ج ٢ . ص ١١٠ .

ودفنوه حول قلعة جعبر<sup>(١)</sup> ، وكان لسليمان أربعة أولاد وهم سنقورزنگي ، وكون طوغدي ، وأرطغرل ، وكوندوز اختلفوا بعد وفاة والدهم ، فمنهم من اختار متابعة السير الى بلاده<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من فضل البقاء مع أرطغرل بن سليمان شاه الذي اختار السير الى الأناضول مع أربع مائة أسرة من قومه يقدرون بحوالي أربع مائة وأربعين فارسا ، ونزلوا في طريقهم ( بسمره لو وباسين ) وضربوا بها خيامهم<sup>(٣)</sup> .

ولما لم تكن تلك المناطق أو الجهات غير صالحة وموافقة لسكناهم أرسل أرطغرل ولده صاروباتي بك<sup>(٤)</sup> ، الى سلطان قونية علاء الدين السلجوقي يطلب منه الحماية ، ويستسمحه أن يقطعه أو يمنحه هو وعشيرته بعض الأراضي الخصبة ، فأقطعه السلطان أراضي كان بها مايلزمهم من الدفء شتاء والمراعي

(١) اسماعيل سوهك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

أحمد حمودت باشا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢ .

ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .

أحمد ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ( الموصل ) ، طبع مطبع جامعة الموصل ، مطبعة الجمعة ، ص ١١ .

(٢) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) اسماعيل سوهك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٤) أو سوجي ، وقد توفي وهو عند في الطريق الى أبيه .

- ابراهيم بك حليم : النخبة الخليفة في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ .

- أحمد ربي دحلان : الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

135475

لمواشيهم صيفا في منطقة قريبة من أنقرة<sup>(١)</sup> .

وبينما هم يسيرون في الأناضول نحو جيشين مشتبكين يقتتلان قتالا عنيفا دون أن يعلموا شيئا عن هويتهما ، وكان أحد الجيشين قليل العدد وسير متكافئ مع الآخر ، فما لبثوا أن تدافعوا إلى نجدة الجيش الضعيف بالذبح النخوة ونصرة الضعيف الملهوف<sup>(٢)</sup> ، وتبين فيما بعد أنه جيش الأتراك الذين أسسهم السلطان قونية إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست سنة ٤٨٥هـ / ٩٦٠م فعهد إليها من قبل آل سلجوق الروم سنة ٤٨٥هـ / ٩٦٠م فعهد إليها من قبل الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى<sup>(٣)</sup> ، على حين كان الجيش الآخر يتولى الدفاع عن الأجزاء الشرقية منها ، وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان بيزنطيا<sup>(٤)</sup> .

كما يذكر صاحب كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية العثمانية في أواخر القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي وجود فرقة من المغول كانت تحارب عساكر السلطان علاء الدين في الأناضول وأرطغرل في تحركاته نحو غرب آسيا الصغرى فهجم بفرسانه على الجيش التركي فهزموهم شر هزيمة ، وربما يعني ذلك أنه كان على معرفة تامة بخصائص الجيش التركي.

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الأحرار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .  
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .  
اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .  
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احمد حنفي ، دار الفنون ، دار الفنون ، ص ١١٥ .  
ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ١١٥ .  
(٣) لما سقطت دولة السلجوقيين تجرأت أملاكهم في بلاد الأناضول التي كانت تابعة لهم صاروخان - ايدى - تكة - الحميد - القرمات - وكوريات - وأسسوا فيها دولتهم التي ضمت فيما بعد إلى الدولة العثمانية .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، حاشية رقم (٧) ص ١١٥ .  
(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ .



ولذلك نراه ينقض لنجدته ضد المغول (١).

ومما يؤكد ذلك ، الرواية التي أوردها يلماز أوزتونا والتي نوردها هنا باختصار حيث أشار الى هذه الحادثة بقوله " ان أرطغرل من مواليد سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م وبذلك يكون عمره بحلول سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ، ٤٠ سنة وهي سن النضج . وقد كانت منطقة أذربيجان في تلك الفترة ميدانا فسيحا لإحدى أكبر الحروب في القرون الوسطى ، حيث تقابل جيشان لأخوين سنين على المذهب الحنفي ، عندها اجتاز السلطان جلال الدين سلطان الترك الشرقيين ، والآخر سلطان خرم - شاهي ، الذي طرده المغول من أراضي أجداده في تركستان التي هي حدود سلطنة تركيا ، ودخل الأناضول التابعة للسلطان علاء الدين ، وأخذ يتقدم فيها غير مبال بنصيحة السلطان علاء الدين ، والتقى بجيش علاء الدين الأول قرب أذربيجان حيث انكسر وترك أراضي الدولة التركية وابتعد عنها " (٢)

ومن هنا تبدأ قصة كيفية اتصال أرطغرل بن سليمان شاه بخدمة علاء الدين .

ويظهر أن علاء الدين الأول كان في حاجة الى عدد كبير من المحاربين للانضمام الى الجيش الأناضولي ، ولذلك انضم اليه عدد كبير منهم ، وكان من بين هؤلاء الملبيين لهذه الدعوة أرطغرل بن سليمان شاه وعشيرته قايي ، حيث

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ .

(٢) تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٨٦ .

شاركوه في حرب ياصي جمن Yassi Chamen وهي حرب مهمة في التاريخ التركي<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن هؤلاء المؤرخين استقوا معلوماتهم من الحوليات العثمانية القديمة إلا أنهم لا يزالون في خلاف عميق حول قيمة هذه الروايات التاريخية ففريق منهم اعتبر هذه الحوليات حقائق ثابتة دونت بمعرفة رواة معاصرين لأحداثها . أما الفريق الآخر فقد ألقى عليها ظلالا كثيفة من التشكك فيها<sup>(٢)</sup> . وعلى أي حال فقد اتفق المؤرخون جميعا على أن أرطغرل قد أسدى خدمات جليلة للسلطان علاء الدين ، تلبية لدعوته أو الانضمام إلى جنائمه مصادفة لنصرة الضعيف في حربه مع المغول أو البيزنطيين .

فقد استحق بعدها أن يكافئه علاء الدين على نجده ومساعدته له بمناطق البطولي . فأقطعه عدة أقاليم<sup>(٣)</sup> تقع بجبتي طومانجج Toumandji واسكشهر<sup>(٤)</sup> ذلك سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م<sup>(٥)</sup> . في محاذاة بلاد الروم غربى بلاد

(١) يلصرا اورتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٨٦ .

(٢) عبدالعزيز محمد الشاوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية متحررة عليه . ( القاهرة . مطبعة جامعة القاهرة : ١٩٨٠ ) . ج ١ . ص ٣٣ .

(٣) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية . ص ١١٥ .

زاد عبدالعزيز الشاوي : أن البقعة تشمل المحدثات الشرقية من جبال طوروس

Ermeni يقضي فيها أفراد القبيلة فصل الصيف وسهول سكود Boegud ( في غرب

الشتاء ) الدولة العثمانية دولة إسلامية متحررة عليها . . ج ١ . ص ٣٤ . حاشية رقم (١) .

(٤) أسكى شهر : أي المدينة القديمة . وهي مدينة تقع في جهة الغرب لأشقرة .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ١٨ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حائق الأخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٤٨٤ .

السلاجقة<sup>(١)</sup> أو بمعنى آخر على الحدود البيزنطية ليتمكن من صيانة الحدود وتوسيعها نحو الغرب، فمنح السلطان السلجوقي أرطغرل غازي لقب أمير بني جوبان أي الأمير الأكبر للقطاع الشمالي من الحدود البيزنطية، وهكذا استوطن أرطغرل بك وعشيرة قابي في القسم الشمالي - الغربي من الأناضول وذلك في حدود عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١م. على أرجح الأقوال.

وتقدر مساحة هذه الاقطاعية بحوالي ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ كم ٢ .

وهكذا تم وضع حجر أساس الدولة العثمانية في سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م<sup>(٢)</sup>. وصار السلطان السلجوقي لا يعتمد في حروبه مع جيرانه الا عليه وعلى رجاله، وكان عقب كل انتصار يقطعه أراضي جديدة ويمنحه أمراة جزيلة، ثم لقب هو وقبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما في مقدمة الجيوش، ولتمام النصر على يديه<sup>(٣)</sup>. وفي الوقت نفسه ظهر لقب "أوج بك" أي محافظ الحدود، وكان منح هذا اللقب يتمشى من التفاليد التي درجت عليها دول السلاجقة وهو منح أي رئيس من رؤساء العشائر يعظم أمر، ويلحق به عدد من العشائر الصغيرة لقب محافظ الحدود<sup>(٤)</sup>. وهذا مما أتاح لأرطغرل فترة سلام طويلة استطاع خلالها أن

---

(١) على حسين: تاريخ الدولة العثمانية (الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٤٠٣هـ).

ص ١٥

أحمد عبدالرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٨٦-٨٧.

(٣) محمد فريد بك: الدولة العلية العثمانية، ص ١١٥.

(٤) عبدالعزيز الشاوي: الدولة العثمانية دولة مفرى عليها، ج ١، ص ٣٤.

أحمد عبدالرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ٣٦.

ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ص ١٢.

يوطد حكم العشيرة على الأراضي التي أوكل اليه أن يحكمها<sup>(١)</sup> .  
 غير أن أرطغرل بن سليمان شاه كان ذا طموحات واسعة ، فهو لم يقتنع  
 بالمنطقة التي أقطعها له السلطان علاء الدين الأول ، ولم يقتنع أيضا باللقب الذي  
 منح له ، ولا ولن يقتنع بمهمة المحافظ على الحدود فقط ، بل شرع في تحقيق  
 طموحاته وهي القيام بالفتح الإسلامي ، ومواصلة نشر الاسلام في الأجزاء الغربية  
 من آسيا الصغرى والتابعة للامبراطورية البيزنطية وذلك لأن تلك المناطق كانت  
 تعاني الأمرين من الهجمات الصليبية المعادية للاسلام من جانب الإمارات المسيحية  
 هناك . وبتوفيق من الله ونصره نجح أرطغرل في تحركاته فضم للمنطقة التي كان  
 يحكمها أسكي شهر<sup>(٢)</sup> مناطق جديدة هي المناطق المسماة آنذاك سلطانية  
 أو صبراجق من ولاية قونية .

وقد تعددت فيما بعد الحروب بين السلطان علاء الدين والمغول الذين  
 استولوا على قلعة كوتاهية ، فقام السلطان بتفويض أمر محافظة هذه القلعة المذكورة  
 الى أرطغرل ، فاستردها بعد حروب شديدة وقتال عنيف مع المغول ، وبعد هذه  
 المعركة علا وسما نجم أرطغرل عند السلطان علاء الدين ، ولم يزل في خدمة  
 السلطان وطاعته مما جعل السلطان يزداد به اعجابا حتى توفي أرطغرل سنة  
 ١٢٨١هـ / ١٢٨١م بمنطقة سكود<sup>(٣)</sup> التي اتخذها مقرا له فدفن فيها<sup>(٤)</sup> .

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٦ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتوحى عليها ، ص ٣٥ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

(٤) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤ .

ولما بلغ السلطان علاء الدين خبر وفاته حزن حزنا شديدا ، وعين مكانه في الحال أكبر أولاده وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه<sup>(١)</sup> ، مؤسس الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> ، والذي اليه تنسب الدولة والأمة فسميتا باسمه<sup>(٣)</sup> ، ولكي يصبح قائدا مستقلا على منطقة الحدود السلجوقية فقد اقتضت التقاليد الحدودية أن يحرز عثمان نصرا كبيرا على المسيحيين يؤهله لأن يتلقى لقب البكوية من السلطان السلجوقي ، وفي سبيل ذلك سارع عثمان وسار بقواته غربا وحقق انتصارات كبيرة على البيزنطيين فاستولى على قلعة قره فيون<sup>(٤)</sup> وحسبنا رآه علاء الدين في حزمه وجهاده مقتنيا سيرة والده في الفتح والجهاد مده بالأموال والإمدادات وحفه بالرعاية السلطانية حيث أرسل إليه تعظيما لشأنه وكفاءته الحربية شارحات السلاجقة وعلمي الراية البيضاء والخلعة والطلب<sup>(٥)</sup> ، وكتابتا تركي العبارة معلنا فيه استقلال عثمان ، ثم أقطعه كل ما فتحه من الأراضي وكل ما سيفتحه من أراض جديدة وكان ذلك عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م . ولما ضرب الطلب بين يدي الأمير عثمان بك نهض قائما على قدميه تعظيما للسلطان علاء الدين .

(١) شاه . معناه ملك . ولكن اذا جاءت بعد الاسم يصبح معناه السيد .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١١٥ . حاشية رقم (١) .

(٢) اسمعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٤٨٤ .

(٣) عبدالعزیز التساوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتوى عليها . ج ١ . ص ٤٠ .

(٤) Halil Inalcik : The Otoman Empire , p. 55.

(٥) اسمعيل سرهك : المصدر السابق . ج ١ . ص ٤٨٤ .

Halil Inalcik : op.cit., p. 55.

وقد جرت هذه العادة بأن يقوم السلطان عند سماعه الطبلية تعظيماً وتذكيراً حتى أمر السلطان محمود الثاني في سلطنته بإبطال هذه العادة<sup>(١)</sup>، ولقبه السلطان علاء الدين بلقب بك، وسمح له بأن يضرب السكة باسمه ويذكر اسمه على المنابر بعد اسم السلطان<sup>(٢)</sup> في خطبة الجمعة. وهذا العمل من علاء الدين يعتبر بمثابة اظهار شرعية امارة عثمان على الحدود الإسلامية المسيحية<sup>(٣)</sup>.

فصار عثمان بهذه الامتيازات يملك صلاحية السلطان ولا ينقصه منه إلا اللقب<sup>(٤)</sup>. ونظراً لانتصاراته العسكرية الباهرة على البيزنطيين فيما بعد فقد منحته السلطان علاء الدين لقب "عثمان الغازي حضر تكرر مرزبان عالي جاهد عثمان باشا" أي "حضره عثمان الغازي، حارس الحدود، العالي الجاه، عثمان باشا"<sup>(٥)</sup>. ولا شك أن هذه الانتصارات كان لها في الواقع أعظم الأثر الذي ينعكس على عثمان يظهر على مسرح الأضواء التاريخية<sup>(٦)</sup>.

وبينما كان شأن العثمانيين يسير في الصعود والارتقاء، إذ انقلبوا من التار سنة ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م بمجموعه على سلطنة فونيه، وفي هذه الفترة

(١) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دول البحر، ج ١، ص ٤٨٤.

Halil Inalcik : op.cit. ,p.55.

(٢) اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٤.

(٣) Halil Inalcik :op.cit. , p. 55.

(٤) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية، ص ١١٨.

(٥) عبدالعزير التندوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مقننة عليها، ج ١، ص ٢٩.

(٦) Halil Inalcik : op. cit. p.55.

سلطانها الأمير علاء الدين آخر ملوك السلجوقيين<sup>(١)</sup> فانقرضت السلطنة السلجوقية ولم يكن للسلطان ذرية فاجتمع وزراء الدولة وأعيانها وقرروا بالاجماع أنه لا يليق للسلطنة سوى عثمان الغازي ليحفظ للاسلام عزته<sup>(٢)</sup> . فعرضوا عليه هذا الأمر فأجاب طلبهم<sup>(٣)</sup> . ويذكر أحمد جودت باشا في تاريخه أن الدولة السلجوقية انقرضت عام ٦٩٩ هـ حيث قَامَ أمراؤها وولاياتها بالاستقلال . الا أن عثمان استطاع أن يؤلف قلوبهم عليه . فخطب له باسمه في يكي شهر التابعة له<sup>(٤)</sup> .

فانفتح المجال أمام عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه . فقام بالاستئثار بمعظم المقاطعات والأراضي التي كانت تحت حكم السلطان علاء الدين<sup>(٥)</sup> . فأعلن قيام إمارته<sup>(٦)</sup> ولقب نفسه (بادشاه آل عثمان) . معلنا بذلك ولادة امارة بني

- 
- (١) عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفرى عليها . ج ١ . ص ٣٩ - ٤٠ .  
(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .  
محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية . ص ١١٨ .  
عبدالعزير الشاوي : المصدر السابق . ج ١ . ص ٣٩ - ٤٠ .  
(٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٣٤ .  
(٤) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ج ١ . ص ٣٧ .  
(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١١٨ .  
زياد أبوغنيمة : جواب مضية في تاريخ العثمانيين الأتراك ( الطبعة الثانية . عمان . دار الفرقان للنشر والتوزيع : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) . ص ١٩ .  
(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق . ص ٤٨٥ .  
اورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته واحداث عهده . ( الطبعة الأولى . الكويت . دار الوثائق . ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ) . ص ١٦ .

عثمان ، وجعل مقر حكمه يكي شهر<sup>(١)</sup> ، فقام بتحسينها وتحصينها<sup>(٢)</sup> ، ثم اتخذ الراية البيضاء ( راية السلاجقة ) واضعاً عليها الشارات التي لا تزال حتى اليوم تشكل العلم التركي المؤلف من الهلال والنجمة<sup>(٣)</sup> . ولهذا اعتبر استقلال الدولة أو نشوءها من نهاية انقراض الدولة السلجوقية سنة ٦٩٩ هـ / ٢٨ / ٩ / ١٢٩٩ م<sup>(٤)</sup> . وهكذا يعتبر عثمان بن أرطغرل بن سلسطان شاه المؤسس الأول للدولة العثمانية<sup>(٥)</sup> .

وعندما أعلن السلطان عثمان استقلال دولته في سنة ٦٩٩ هـ أتاه غلبان وأعيان وأمراء الدولة السلجوقية التي انهارت فانضموا اليه بدافع الجهاد من أجل لوائه<sup>(٦)</sup> ، لتصبح هذه الدولة المتنفس الوحيد للحماس الديني لدى الأتراك . كل راغب في الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام ، فاجتذبت هذه الإمبراطورية من المتحمسين لنصرة الدين الإسلامي ضد المسيحية .

- 
- (١) يكي شهر : تلفظ الكاف هنا نونا فهي اذن : يبي شهر ومعناها البلد الحديث ويكاد يكون اليوم Yenisenir وتقع الى الشمال الشرقي من بروسه .
  - (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ ، حاشية رقم (٤) .
  - (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨ .
  - (٤) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥ .
  - (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .
  - (٦) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واجتهادات جهده ، ص ١٨٠ .
  - (٧) زياد أبو غيمة : جواب مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ١٨ - ١٩ .
  - (٨) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .



وهذا ما يؤكد أن الدولة العثمانية كانت اسلامية المنطلق والهدف (١) ، فكان الغزو والجهاد عاملين مهمين في تأسيس وتطوير هذه الدولة العثمانية الفتية .

فالمجتمع في امارات الحدود قد صاغه اطار فكري خاص أشبعه بفكرة الجهاد المستمر والفتح الدائم في سبيل إعلاء كلمة الله حتى تشمل العالم بأسره (٢) . فقد كان التركمان الرحل القادمون الى الأناضول القلب النابض في المقاطعات الحدودية العثمانية . هؤلاء التركمان جاهدوا بتلهف في سبيل النصر أو الشهادة . وقد تربوا تربية اسلامية ملينة بالقيم الروحية المبنية على حب الجهاد والعمل على نشر الاسلام في البلاد المسيحية وصد الغارات الصليبية المعادية للاسلام والأمة الإسلامية (٣) .

ويتجلى هذا الاتجاه الديني في سياسة العثمانيين وتشجيعهم الجهاد لنشر الإسلام .

ولقد كان السلطان عثمان بعيد النظر . حيث وجه فتوحاته نحو الغرب الى بيزنطة المتهالكة باعتبار أن كل فتح يناله منهم سيزيد من قوته . وفي الوقت نفسه تخشى التصادم مع جيرانه أمراء الأناضول المحيطين به . وخصوصا

(١) زياد أبو عيمة : جواب مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك . ص ١٩-٢١ .

(٢) ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية . ( الاسكندرية . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية : ١٩٨١ ) . ص ٧٨-٧٩ .

(٣) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٨٨ .

امارة القرمان القوية (١) ، نظرا لأن تلك البلاد وصل اليها الإسلام ، وقد بدأت فتوحاته الفعلية في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي ، حين حل الانهيار النهائي بدولة السلاجقة مما أدى الى استيلاء عثمان بك على قلعتي اسكيشهر وقرجه حصار . وفي اسكيشهر بنى مسجدا وعين الموظفين لإعادة شعائر الإسلام وتطبيق الشريعة (٢) ، ثم أخذ يفتح مناطق جديدة ، فزحف على أزميد ثم أزنك ، فلما لم يتمكن من فتحها عاد الى عاصمته (٣) ، ودارج الى توطيد سلطته على أساس العدالة ، ثم سأل أن سير الجيوش للفتوح حتى أصبحت على مرمرى البصر من بروسه ونيقية وهما أهم المدن البيزنطية في غرب الأناضول ، ومن بكري شهر التي أصبحت عاصمة لبلادها ، فقاد بوزورج فيها قاعدة الانطلاق نحو بروسه ثم الى القسطنطينية ، فسر عواقبه الجيوش في شهر أرسل عثمان حملاته ضد المدن البيزنطية المجاورة لاستكمال التوسيع على كثير من الحصون قبل أن تتحرك جيوش الدولة البيزنطية للقاء الجيوش وبعد أن دحر الجيش البيزنطي لم يجرؤ البيزنطيون على الخروج من أسكيشهر الى أزنك (٤) ، وذلك لأن الأراضي التي يسيطر عليها عثمان من أسكيشهر الى السهول المجاورة لنيقية وبروسه أصبحت بها إمارته والتي تعتبر من أهمها في المنطقة .

ونتيجة لذلك شعرت بيزنطة بتهديد تلك القوة الزاهية ، فبدأت بتوسيع الجيش البيزنطي تركيز اهتمامه وقوته في الجانب البحري ليمنع وهجوم القسطنطينية من أراضي الأوربية . في حين أن عثمان كان يخشى أن يتوالى الفتح الإسلامي

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١١٧

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٧

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٧

اغلاق البيزنطيين طريق البحر ، وخاصة لتفوق بيزنطة البحري ، في الوقت الذي لا تملك فيه الدولة العثمانية أسطولاً بحرياً ، أو بمعنى آخر انحصار عثمان في منطقة محدودة ، وربما سيؤدي هذا الانحصار الى ترك أتباعه له للبحث عن أراض جديدة . فبدأ عثمان بالفتح في المناطق البيزنطية المجاورة ، فهاجم نيقية وهزم الجيش البيزنطي في بافيون (١) .

وقبيل أن يعزم السلطان على فتح بروسه ، أقام قلعتين بجوارها وعلى مسافة ربع ساعة ، وعين على هاتين القلعتين ابنه الغازي أورخان (٢) ليتمكن من حصار المدينة (٣) ، فأرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة أمور : الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . فأسلم بعضهم وانضم اليه ، وقبل البعض دفع الجزية ، أما بعضهم الآخر فقد استعان على السلطان بالتار (٤) ، ودلبروا منهم النجدة ، فلبوا لهم ذلك واجتمعوا لحرب السلطان عثمان ، لكن السلطان لم يعبا بهم ، فأرسل لهم جيشاً جراراً بقيادة ابنه أورخان ، وبعد صدام عنيف بين القوتين استطاع الأخير تشتيت شمل التار ومن استنجد بهم ، ثم عاد صرعاً لمحصنة مدينة بروسه سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م (٥) .

(١) زبيدي عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٩ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .

(٤) يبدو أن هذه الواقعة تمحض عنها اتفاق بين أوربا الصليبية والمغول ظهرت نتائجه في موقعة أنقره بين

تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول كما سيأتي .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

ومما ساعد أيضا في فتح بروسه بسهولة هجوم أورخان على حصن اودنوس الواقع على قمة جبل أولب (١) ، فدخله عنوة ، وبعد ذلك دخل مدينة بروسه بعد فتح كافة ماحولها من الحصون والقلاع ونشر الاسلام بها ، وقد دام هذا الحصار مدة من الزمن ، حتى أرسل امبراطور القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب ، فانسحب منها ودخلها أورخان دخول الفاتحين من غير حرب ولا قتال ، وأسلم حاكمها ( افرينوس ) وأعطى لقب بك ، وحصار افرينوس بك من مشاهير وقاد المسلمين فأسندت اليه قيادة المعارك فيما بعد (٢) .

لقد توج السلطان عثمان فتوحاته بفتح مدينة بروسه سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م (٣) .

وعقب ذلك الفتح بلغ أورخان مرض والده فهيرول مسرعاً اليه ليلا

يلت السلطان عثمان أن توفي في سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م (٤) ، فدفن في

مدينة بروسه العاصمة الجديدة للدولة العثمانية بعد أن أوصى بنقل عثمان إلى

---

(١) أولب : اسمه بالتركية ( اناطولي طاغ ) أو ( كشييش طاغ ) وطاق بالتركية معناه الجبل أو

كتب داغ لأن الأتراك يلفظون الطاء بين ( الطاء والضاد والذال ) وكشييش : العنقا فهيرول معناه القسيس ويسمى هذا الجبل اليوم أولوطاغ ( Uludag ) أي الجبل الكبير .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٠ حاشية رقم (١) .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

- عبداللطيف عبدالله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ( الطبعة الأولى : ١٩٥٧م ) دار النشر : مطبعة النهضة الحديثة : ١٤٠٩هـ ) ، ص ٢٨ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .

- عبداللطيف عبدالله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ، ص ٢٨ .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

هناك (١) ويعتبر السلطان عثمان من الرواد الذين أرسوا قواعد دولة اسلامية مترامية الأطراف . وبدأ السير في طريق النصر . حتى قبض الله لأبنائه وأحفاده أن ينتهجوا خطواته (٢) .

وهكذا حاولنا أن نورد القرائن في كيفية نشأة الدولة العثمانية منذ هجرتها الأولى حتى استقرارها في الأناضول . كما تبين أن تأسيس امارة آل عثمان إنما تم بعد موت ملك قونية السلطان علاء الدين آخر ملوك السلاجقة شهيدا وذلك في عام ٦٩٩ هـ / ٢٨ / ٩ / ١٢٩٩ م على يد التتار .

ولاحظنا ما صاحب نشأة الدولة في صراعها مع الروم وقوتها التي تحركها روح الجهاد الإسلامي لنشر الاسلام . وسحق من يقف أمامهم من الروم حتى تم فتح أهم المدن البيزنطية في آسيا الصغرى ونشر الاسلام بها .

وبما أن عثمان كان شخصية محبوبة وجذابة فقد اتصف بالتسامح . فعندما أرسل الى الروم بخيرهم بين الاسلام والجزية والحرب اختار قسم منهم الدخول في الاسلام طوعا . والقسم الثاني اختار دفع الجزية دليلا على أنه دخل طاعة السلطان الاسمية . أما القسم الثالث فقد امتنع ورفع راية العصيان والرغبة في القتال فرأيناو ينهزم بسهولة . وقد حسن اسلام من دخل فيه من رجال الروم كما أسندت الى بعضهم قيادة الجيش كما مر معنا وكما سيأتي .

(١) عبدالعزير الشدوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفرى عليها . ج ١ . ص ٤٣ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٣٨ .

## ب - الجهاد والفتح ونشر الإسلام :

عقب وفاة السلطان عثمان بن أرطغرل اوصى بالملك من بعده لابنه أورخان ثاني اولاده ، لشجاعته واقدامه في الحرب ، ولم يوص به لابنه الكبير علاء الدين ، لئله الى الورع والعزلة ، ومن حسن حظ هذه الدولة عدم معارضة علاء الدين في هذه الوصية ، بل أقدم علي قبولها وتنفيذها مقدما الصالح العام على الخاص ، واكتفى بوزارة المملكة ( الصدارة العظمى ) التي قلدها له أخوه أورخان (١) ، بالرغم من الحجاج أورخان عليه بأن يقاسمه السلطة فيما بينهما ، فلم يقبل علاء الدين احتراماً لمشيئة ورغبة والده (٢) ، فأصبح علاء الدين مختصاً بتدبير الأمور الداخلية ، واشتغل في إعداد زبائن الأنظمة والقوانين وبناء الجيش للدولة ، كما تفرغ أورخان للفتوحات وتوسيع الجهاد على كل البلدان المجاورة اليه (٣) ، فالدولة العثمانية منذ تأسيسها دولة اسلامية في المنطلق والراية والهدف (٤)

ويتضح هذا جلياً من وصية عثمان لابنه أورخان عند وفاته والتي جاء فيها : " اعلم يا بني أن نشر الإسلام ، وهداية الناس اليه ، والجهاد في سبيله

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٢

(٢) حسين ليب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ( القاهرة ، مطبعة الواعظ ) ص ١٠١

ج ١ ، ص ٩

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٢

أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٣٨

(٤) زياد أبو عزيمة : جوامع مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٢١

المسلمين وأموالهم أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنه" (١) . ثم قال : " يا بني اني أنتقل الى جوار ربي وأنا فخور بأنك ستكون عادلا في الرعية مجاهدا في سبيل الله لنشر دين الاسلام " . وقال أيضا : " أوصيك بعلماء الأمة ، آدم رعايتهم وأكثر تبجيلهم وانزل على مشورتهم فإبنيهم لا يأمرؤن الا بخير .. يا بني إياك أن تفعل ما لا يرضي الله عز وجل . وإذا صعب أمر فاسأل علماء الشريعة فإبنيهم سيدلونك على الخير ، واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله ، وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله ، وأنا لسنا طلاب جاه ولا دنيا " .

وفي هذه الوصية حث عثمان الأبناء والمسئولين على الجهاد في سبيل الله حيث قال : " وصيتي الأولى لأبنائي ، ولجميع الأعراء على أن لا يتركوا الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ، ونشر دين الاسلام الجليل ورفع راية الإسلام عاليا في ربوع العالمين ، واني أقول لكم : اني أدعو الله عز وجل أن يحرم من شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، كل واحد فيكم يتعد عن طريق الاسلام، ويظلم الناس ، ويترك الجهاد" (٢) .

بعد هذه الوصايا التي صاحبت تكوين هذه الدولة والتي تدل على الحث على الجهاد في سبيل الله والعدل بين الرعية ، استلم السلطان أورخان عن والده دولة ليس لها قوانين ولا عملة أو حدود واضحة يحيط بها جيران أقوى منها (٤) .

(١) زياد أبوغنمية : جواب مضية في تاريخ العثمانيين الأتراك . ص ٢١ .  
- كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية . ( مطبعة أحمد حسان : ١٣٢٧ هـ ) ج ١ . ص ١٠ .

(٢) زياد أبوغنمية : المصدر السابق . ص ٢١-٢٣ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٣٨ .

الا أن التزامه بوصية والده بمواصلة الجهاد بعد فتح بروسه جعله يفكر في نقل تحت السلطنة اليها ، فأصبحت عاصمة الدولة الجديدة للعثمانيين ، والتي صارت من ضمن العواصم التي انتقل العثمانيون اليها عبر تاريخهم<sup>(١)</sup> ، بعد أن كانت عاصمتهم ولمدة خمس وثلاثين سنة في مدينة يني شهر<sup>(٢)</sup> . ومن بروسه انطلقت الجيوش العثمانية لفتح مناطق جديدة ونشر الإسلام بها وتحويلها الى مناطق اسلامية<sup>(٣)</sup> . ذلك لأن الدولة العثمانية دولة قامت على الجهاد في سبيل الله ، فبدأت تفرأ ، ثم تحولت الى سلطنة بدأت تكتسب خصائصاً ، ثم تحولت الى سرعة لتتحول الى دولة اسلامية شعارها الجهاد في سبيل الله ، وفتحها في سبيل الله ، واضحا منذ بدء قيامها دولة متفرغة لتأييد سلطة الإسلام وقرينة ذلك من الدفاع عنه ، لتأكيد الشعور العثماني بأنهم أمة تذكروا أنفسهم أنهم مسلمون ، وللدفاع عن الإسلام ، وأن نشر الإسلام هو الهدف الأساسي لسلاطين بني عثمان ، وما ان استقرت قواعد الدولة ببناء النظم الجديدة المستمدة من التزامها الاسلامي حتى التفت أورخان الى الفتوحات<sup>(٤)</sup> ، فزحفتم جيوشهم الى بلاد الروم

- 
- (١) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفرقة عليها ، ج ١ ، ص ٤٢ .  
(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .  
(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨ .  
(٤) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، (المنطقة الأولى) منشورات المكتبة الدولية ، الرياض ، ومكتبة الخائفين ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٣٤ .  
(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .



من بلاد آسيا الصغرى وبلاد الروم ، ففي سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م انطلقت الجيوش العثمانية بقيادة الغازي عبدالرحمن واتجهت الى أزميد التي آل الحكم فيها الى ابنه حاكمها ، وكانت هذه المدينة تتلقى الامدادات المالية والعسكرية من القسطنطينية ، ولما حاصر الغازي عبدالرحمن قلعة ايدوس كاتبته البنت سرا (١) وقامت بارشاده الى الطرق السهلة لفتح القلعة المسماة ايدوس ، وتم فتح القلعة بسببها (٢) ، وقام الغازي عبدالرحمن بجمع الغنائم وارسال البنت مع الغنائم الى السلطان أورخان الذي عقد نكاحها على الغازي عبدالرحمن لكونها خدمت واعانت الدولة .

ومازال السلطان يتقدم في فتوحاته حتى حضر بنفسه في سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م وحاصر مدينة نيقوميديا ( أزميد الحالية ) وأرسل قرة على والغازي عبدالرحمن وقورا الب لفتح قيون حصار ، وفي أثناء الحرب أصيب قلايود حاكم قيون حصار برصاصة سقط على اثرها ميتا من سور القلعة ، فاستولت الجنود العثمانية على القلعة المذكورة ، وخلال ذلك أيضا سلمت بلاقونية حاكمة أزميد المدينة الى السلطان أورخان ، فأركبها مع جنودها ومن يريد من أهل المدينة السفن ، وأرسل الكل الى القسطنطينية وذلك بناء على رغبته (٣) .

وبهذا العمل جذب اليه قلوب الأهالي لمعاملته لهم باللين والرفق ولم يعارض الأهالي الذين رغبوا في اقامة شعائرهم الدينية وأذن كذلك لمن أراد أن يهاجر

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٢٤ .

(٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٣٨ .

(٣) اسماعيل سرهك : المصدر السابق . ج ١ . ص ٤٨٩ .

ابراهيم بك حليم : المصدر السابق . ص ١٢٤ .

بأخذ كافة منقولاته وبيع عقاراته مع تمام الحرية في اجراءاته<sup>(١)</sup> . وبهذا الفتح صارت حدود الدولة قريبة من خليج القسطنطينية<sup>(٢)</sup> ، ولم يبق من مدن الروم المهمة في آسيا سوى مدينة نيقية ( أزيك الحالية ) فحاصرها السلطان وحبس الحصار عليها وعلى أهلها حتى تم فتحها فدخلها بعد سنتين من الحصار وذلك في سنة ١٣٢٩هـ / ١٣٢٩م فسقط بسقوطها نفوذ الروم<sup>(٣)</sup> .

وخلال هذه المعارك غنم العثمانيون غنائم كثيرة ، وكان اسير الطور القسطنطينية قد اجتهد من أجل خلاصها<sup>(٤)</sup> حيث سار بجيشه لاسير حاكمها فالتقى بالجيش العثماني في بلكانون<sup>(٥)</sup> ، وكانت النتيجة انتصار الأتراك الذين هزموا الجيش البيزنطي حتى اسكدار<sup>(٦)</sup> الواقعة في اسيا<sup>(٧)</sup> على التساطع الأتراك لمضيق القسطنطينية . وقد كانت هذه المدينة من المدن المقدسة لدى المسيحيين ومن أهم مدن تلك الجهات ولذلك اتخذها السلطان أورخان مركزاً لجمع قواته<sup>(٨)</sup> .

ونتيجة للانتصارات الكبيرة للقوات العثمانية فقد تخلت بيزنطية عن الجهود الخاصة بتنظيم المقاومة العسكرية في الأناضول ، أو تزويد حاكمها بقوات

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤

(٢) اسمعيل سرهنك : حقائق الاحبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٤٨٩

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٤

(٤) اسمعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩

(٥) بلكانون ، هذا المكان يدعى الآن " مانتبه "

انظر : أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته وانجازاته

(٦) اسكدار : هي إحدى المناطق الآسيوية لمدينة القسطنطينية

انظر : أورخان محمد علي : المصدر السابق ، ص ١٦-١٧

(٧) أورخان محمد علي : المصدر السابق نفسه ، ص ١٦-١٧

(٨) اسمعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩

لها من المدن هناك ضد الدولة العثمانية ، وهذا ما جعل دولة السلطان أورخان من أقوى الإمارات التركمانية حتى تم اعتبارها زعيمة الجهاد الإسلامي ضد المسيحيين<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٠م توفي الوزير علاء الدين بن أورخان ، وحل مكانه الأمير سليمان بن أورخان وزيراً للدولة ، وفتح مدينة أزنك المقدسة<sup>(٢)</sup> ، وتلى ذلك بأن استولى أورخان على ماتبقى من البلاد البيزنطية الواقعة شمال غربي الأناضول دون صعوبة<sup>(٣)</sup> ، ومنها بلاد مدرني وكمليك .

وخلال تلك المعارك أرسل قيصر الروم جملة من الهدايا للسلطان أورخان طالباً منه عقد الصلح بين الطرفين ، وإيقاف المعارك ، وبعد المفاوضات عقدت الهدنة بين الطرفين ولمدة عشرين سنة في عام ٧٣٢هـ / ١٢٣٠م<sup>(٤)</sup> .

وعلى الرغم من تلك الهدنة فإن السلطان أورخان كان يطمح لنشر الإسلام في مناطق أوسع ، ولذلك قام في عام ٧٣٦هـ / ١٢٣٦م بفتح إمارة قره سي<sup>(٥)</sup> ، وضمها إلى دولته وذلك لوقوع الخلاف بين ولدي أميرها<sup>(٦)</sup> .

الجنلان بك بعد موته .

- 
- (١) أحمد عبدالمرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٥ - ٤٦ .  
(٢) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .  
(٣) أحمد عبدالمرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٥ .  
(٤) اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .  
(٥) قره سي : إمارة صغيرة تقع غرب الأناضول جنوب بحر مرمره وإلى الشرق من بحر إيجه .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ ، حاشية رقم (١) .  
(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .  
- اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .  
- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦ .

وهي أول مملكة اسلامية من الأناضول<sup>(١)</sup> ، تعزز بها مركزه وحركة الفتح الاسلامي على شواطئ بحر مرمرة كما سهل فتحها للعثمانيين الوصول الى قلعة الدردنيل في شبه جزيرة غاليبولي فأصبح العبور الى شرق أوروبا ميسورا حين تسبح أول فرصة له<sup>(٢)</sup> .

وما ينبغي ملاحظته أن سلاطين بني عثمان الأول لم يشنوا الحرب تلو الحرب من أجل الانتصارات المتوالية والتوسع المستمر ، بل كانت حروبهم من أجل الفتح ونشر الاسلام وبناء حضارة اسلامية عالية ، فما ان ينتهوا عن فتح مدينة أو منطقة حتى يسارعوا الى تنظيمها ونشر الاسلام والعمل بالعدل والامانة والمساواة بها ، بحيث تكون الأراضي الجديدة جزءا لا يتجزأ من الدولة من حيث مقوماتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها من الجوانب المختلفة . وعلى هذا المنوال جعلوا من آسيا الصغرى قوة فريدة في نظامها السياسي . بعد أن كانت مناطق تعيش فيها طوائف متفرقة ، وبهذا العمل جسدوا الوحدة في آسيا الصغرى وشرق أوروبا فترة طويلة من الزمن<sup>(٣)</sup> وكان هذا العمل هو الأساس الأولى على صهر عناصر السكان في وحدة واحدة ، وذلك من أجل تأسيس الدولة وجعل السكان يعملون يدا واحدة من أجل البناء والتطوير والتقدم . أسس اسلامية قيمة<sup>(٤)</sup> .

وتلت فتح قره سي فترة عشرين سنة انقضت من غير حروب وتقترب

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٦ .

(٣) حسين ليب : الأتراك العثمانيون ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧ .

(٥) حسين ليب : الأتراك العثمانيون ، ج ١ ، ص ١٤ .

وقد استفاد أورخان من فترة الهدنة ، فعمل على الاصلاح الداخلي ، وذلك بسن الأنظمة ونشر الاسلام والسلام في ربوع البلاد<sup>(١)</sup> عن طريق بناء المساجد والمدارس وتخصيص الأوقاف للصرف على المنشآت والمرافق العامة وهذا ما شهد بعظمة عصر السلطان أورخان وحبه للخير والاحسان والنظام<sup>(٢)</sup> .

وفي سنة ١٣٤٥هـ / ١٧٤٦م جددت الدولة المعاهدة السلمية مع قيصر الروم ، فزاد ذلك من جو الصفاء والمودة بين الدولتين<sup>(٣)</sup> ، وارتبط السلطان أورخان برباط الصداقة والود مع الامبراطور اندرونيكوس ومن أتى بعده<sup>(٤)</sup> ، ولم يترك السلطان أورخان أن وراء تلك الهدنة مخططا من جانب قيصر الروم ، وأن عقده لتلك الهدنة هو من أجل تدعيم موقفه وتقوية صفوفه ، وهذا ما حدث فعلا . كما قاد قيصر الروم يعقد تلك الهدنة حتى أخذ يعمل في الخفاء من أجل تدعيم مركزه وبناء قوته . وكان يبطن العداء الشديد للدولة العثمانية وسلطانها ويتحين الفرص للإيقاع بالدولة العثمانية ، لكن لم يجرء على إعلان ذلك إلا بعد عشر سنوات من عقده تلك المعاهدة ، وذلك بعيد أن اتخذ القيصر مع البنادقة الذين كانوا يهاجمون أطراف الدولة العثمانية من الجهة البحرية<sup>(٥)</sup> ، فلقد كانت الحروب التي نشبت بين الجمهوريتين البحريتين البندقية والجنوية وشهداها البحر الأبيض

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ .

(٣) حسين لبيب : المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٤) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٥) حسين لبيب : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤-١٥ .

(٥) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

المتوسط سببا مباشرا لتجديد العداوة بين قوى أورخان وصهره كانتكوزين، والتي أدت الى استقرار العثمانيين في شرق أوربا، لأن الجنويين كانوا يملكون الضاحية الأوربية للقسطنطينية وهي المعروفة بغلطة، فكان البوسفور إحدى الجهات التي شهدت اشتباكهم مع أعدائهم البنادقة في القتال، وكان أورخان يكره البنادقة لأن أساطيلهم عبثت بأملأه الواقعة على البحار، كما احتقروا المفاوضات معه كأمير ولكنهم كانوا حلفاء لصهره المذكور، فأرسل أورخان جنودا مساعدا إلى غلطة لتعزيد الجنويين ونصرتهم على البنادقة العدو المشترك. وفي الوقت نفسه مد أورخان يد المساعدة إلى يوحنا بولوجوز في الحروب الأهلية التي نشبت بينه وبين صهره الامبراطور<sup>(١)</sup> للمطالبة بأحقية عرش القسطنطينية. ففي وسط هذه الاضطرابات، تمكن السلطان أورخان من إرسال ابنه ابنه سليمان بالاستعداد والعبور لبلاد الروماني، فتقدم من بلاد الروماني حتى وصل إلى مدينة جناف قلعة بالساحل الغربي من مضيق الدردنيل، ثم عقد هناك مجلسا مع أشهر قيادات القبائل التي كانت تسيطر على عبارات (اكلارك) للعبور بها، وبعد انشائها عبروا بها إلى القسطنطينية من ساحل روم ايلي. واستولى سليمان بن أورخان على قلعة جناف في سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م وذلك في سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م<sup>(٢)</sup> وتسمى أيضا حصن الروماني في الوقت الذي كان فيه كونتاكوزينوس مشغولا بصراعاته مع جنود أورخان بولوجوز. ولهذا السبب لم يستطع التصدي للقوات العثمانية في تلك المهمة<sup>(٣)</sup>. ويعتبر هذا العبور بداية للتاريخ البحري للأتراك العثمانيين.

(١) حسين ليب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج ١، ص ١٥٠.

(٢) اسماعيل سرهك: حقائق الأخير عن دول البحار، ج ١، ص ٤٩٠.

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ٤٧.

ففي تلك الأثناء ظهرت بعض الاضطرابات والمنازعات بين أعضاء العائلة الامبراطورية في القسطنطينية ، بعد وفاة اندرنيكوس الثالث امبراطور دولة الروم في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . فكان الوارث لعرش الدولة هو يوانيس يوحنا باليولوجوس<sup>(١)</sup> وكان حديث السن عند ذلك قام ناظر قصر الامبراطور المدعو كانتاكوزينوس<sup>(٢)</sup> وآخرون يطلبون الاستنثار بالملك ، فطلب انتاكوزينوس من السلطان أورخان المساعدة وزوجه بابنته تيودورا لتقوية أواصر المساعدة ، وعلى ذلك أرسل السلطان أورخان قوة من جيوشه عدة مرات لمساعدته ونجدته حتى تمكن من السيطرة على منافسيه والفوز بعرش القسطنطينية<sup>(٣)</sup> متحديا في ذلك قوى الغرب<sup>(٤)</sup> .

(١) يوانيس بولوجوس : هو يوحنا الخامس امبراطور بيزنطة من سنة ١٣٤١ - ١٣٩٠ م . وكان ابن تسع سنين حينما توفي والده الامبراطور اندرونيكوس الثالث ، فحصل صراع على السلطة ففاز من جراء ذلك رئيس وزراء والده يوحنا كانتاكوزين وبالرغم من زواج بولوجوس من ابنة رئيس وزراء والده كانتاكوزين المذكور ، الا أنه كان يعمل ضده لاجباره على التنازل عن وصاية العرش ، فطلب مساعدة الغرب بعد فتح غاليبولي من قبل العثمانيين ، واعترف بروما وتعهد بنهاء الخلاف بين البيزنطيين واللاتين ، مقابل وعود البابوية بحملة صليبية لدعمه ، ولكن بقي ذلك حبرا على ورق ، وحينما حاول تحصين القسطنطينية ، معه العثمانيون وهددود ، وتوفي سنة ١٣٩١ م .  
- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) كانتاكوزينوس . هو يوحنا كانتاكوزينوس من السلالات الاستقرائية البيزنطية . كان له دور بارز في قيادة الامبراطورية ، فاز من بين المتنافسين على وصاية العرش الامبراطوري البيزنطي ، وذلك بمساعدة العثمانيين بعد وفاة الامبراطور اندرونيكوس الثالث .

- علي حسون : المصدر السابق ، ص ١٩ ، حاشية رقم (١) .

(٣) إسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٩ .

(٤) علي حسون : المصدر السابق ، ص ٩١ .

من أجل ذلك قام الروم بعقد حلف صليبي مع المجر والصرب والبلغار والافلاق والبيغان في سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م لقتال سليمان لفتوحاته في أوروبا أولا وتدخله في أحوال الدولة الرومية ثانيا ، فاستعد سليمان لهذا الحلف الصليبي المتحد وانقض عليهم بجنوده من جبال البلقان وأوقع بجمعهم الهزيمة . ثم قصد جهة بلاد البلغار لتسكين ثورتها واضطرابها (١) .

وفي خلال ذلك حصلت أيضا منافسات كبيرة بين ملوك الصرب والمجر والبلغار والافلاق والبيغان أدت الى منازعات عديدة (٢) ، ذلك لأن ملوك الصرب ( دوشان ) جمع قبائل الصقالبة تحت سلطانه ، وسار بهم الى بلاد البلغار فاستولى عليها وزحف على مدينة القسطنطينية ، فأرسل امبراطور الصرب بالقسطنطينية (٣) وفدا الى السلطان أورخان يطلب منه الاغاثة والاعانة لرد ملكه

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩٠ .

ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٩ .

(٢) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٣) كانت مدينة رومه وما استولت عليه من الأقاليم التسعة مشكلة بهيئة جمهورية من جناب الامبراطور

سنة ٢٩ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير ( اكتافيوس Octavius ) حكومة امبراطورية دائمة

على نفسه لقب ( أوغسطس ) أي السامي القدر . واستمرت هذه المملكة الى سنة ٤٧٦م

قسمها الامبراطور ( طيودوس ) بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقدها في القسطنطينية

فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه أركاديوس Arcadius وكان مقدها في القسطنطينية

عاصمتها مدينة رومه وأقام عليها ابنه الثاني ( انوريوس Anurios ) وكان مقدها في القسطنطينية

سنة ٤٧٦م بسبب اغارة المنبربرين عليها ، واستمرت الشرقية الى أن فتحها العثمانيون بحملة

١٤٥٣هـ-١٤٥٣م

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ حاشية رقم (١) .



فأمدده السلطان وأرسل له جيشا عظيما بقيادة ابنه سليمان باشا لصد غارة ملك الصرب<sup>(١)</sup> فسار حتى عسكر تحت أسوار القسطنطينية وسكن ذلك الاضطراب<sup>(٢)</sup> بموت ملك الصرب قبل وصوله الى القسطنطينية وبذلك تخلصت القسطنطينية من شره<sup>(٣)</sup>.

ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تأكدوا من ضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال ، فأخذ السلطان أورخان سرا تجهيز واعداد الكتائب لاجتياز البحر واحتلال بعض نقاطه المهمة على شاطئه الأوربي لتكون مركزا لانطلاق أعمال العثمانيين نحو أوروبا ، حتى اذا حانت الفرصة انقضوا حصار القسطنطينية بريا وبحرا ودخلوها فاتحين غامحين<sup>(٤)</sup>.

يظهر من هذا خطة أورخان في اتباع سياسة دقيقة مع بيزنطة تسندها القوة العسكرية . ولا تميل الى البدء بالاعتداء ، والمعروفة بسياسة النفاذ الى البحار المفتوحة والوصول الى المضائق<sup>(٥)</sup>.

ففي سنة ١٣٥٧/٥٧٥٩م سنحت الفرصة فاجتاز سليمان باشا أكبر اولاد السلطان أورخان وولي عهده وصدر مملكته مضيق الدردنيل ومعه أربعون من أشجع جنوده تحت أستار الظلام حتى وصلوا الى الضفة الأخرى ، فقضوا على ما كان بها من القوارب ، وعادوا بها الى معسكرهم ، فانتقل الجيش العثماني الى الضفة أوروبا وكان عدده ثلاثين ألفا ، واحتل ميناء ( ترنب ) وساعدهم الله بأن

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ص ٤٩٠ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٥) يلماز أوزتوب : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٤ .

أصاب مدن تراقيا زلزال شديد أسقط جزءاً من أسوار غاليبولي<sup>(١)</sup> فدخلها العثمانيون بدون قتال<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م فاحتج الامبراطور البيزنطي على ذلك دون جدوى، فكان رد السلطان أورخان ان العناية الالهية قد فتحت أبواب المدينة أمام قواته<sup>(٣)</sup>. وما لبثت غاليبولي أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوروبا.

وحين انفرد باليولوس ( حنا الخامس ) بحكمه بيزنطيه قام باقرار فتح أورخان في أوروبا، وذلك مقابل تسهيل وصول المئون الغذائية وغيرها إلى القسطنطينية<sup>(٤)</sup>. وفي هذا العام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م تم فتح عدة مدن منها إسطنبول ( رودستو )<sup>(٥)</sup> وغيرها من المدن وأصبحت الدولة العثمانية ذات مكانة دولية تهابها وتحسب لها ألف حساب جميع الدول الأوربية رغم عهدتها الخديويي. وبينما كان الروم يطلبون من العثمانيين أن يعيدوا لهم شانه الأوربي مقابل ما يريدون من المال، كانت عساكر السلطان مهتمة بالفتوحات المترامية.

- 
- (١) كليوبولي : تم اكتسب هذه المدينة أهمية عظمى وقبوعها على صفة بوغدر ، ماضيها في التاريخ القديم هو الممر الوحيد بين بحر اوريا و بحر مرمرة . وهي تعد عن مدينة أدرنة ثمانية وأربعين كيلومترًا شمالاً وتقع في اخر مصيق النردليل في الجانب الأوربي .
- (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٢٦ .
- (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٢٦ .
- (٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٤٧ .
- (٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٤٧ .
- (٦) أسلا : تقع في شمال مصيق النردليل في الجانب الأوربي .
- (٦) رودستو : Rodosto ويسميه الأتراك تكررطخ أو ككورطخ وتقع على بحر مرمرة من الجانب الغربي .

- محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٢٧ . حاشية رقم (١) و (٢) .

أراضي الروم التي كانت منشغلة بالمنازعات الداخلية<sup>(١)</sup> ، فكانت هذه المنازعات فرصة لتقوية مركز السلطان أورخان في أوربا لأن كل فريق من المتحاربين كان يطلب ود المسلمين ليستعين بهم على الفريق الآخر<sup>(٢)</sup> .

ثم أرسل أورخان أعدادا كبيرة من التركمان الى تراقيا لتدعيم مركز الدولة العثمانية هناك<sup>(٣)</sup> . وبينما كان سليمان يقود الجيوش لتحقيق النصر على أعداء الاسلام وافاه الأجل المحتوم فعين لقيادة الجيش أخوه مراد الأول مكانه<sup>(٤)</sup> . ولما بلغ هذا الخبر والده أسف عليه أسفا شديدا ولم يلبث الا قليلا حتى توفي من كدره<sup>(٥)</sup> .

وهكذا توفي السلطان أورخان بعد أن أتم خلال حكمه إقامة أهم النظم المدنية والعسكرية ، وخفق الهلال راية الدولة على القارة الأوربية ، فمنذ أول يوم نبت فيه العثمانيون أقدامهم على الأرض الأوربية وأعداؤهم يحاولون عبثا زحزحتهم عنها دون جدوى<sup>(٦)</sup> . فانطلقت من غاليبولي قاعدتهم في أوربا الحملات الأولى التي كان من نتائجها فتح كامل لشبه جزيرة البلقان على يد خلفائه<sup>(٧)</sup> .

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٤٩٠-٤٩١ .

ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٣٩ .

(٢) حسين ليب : تاريخ الأتراك العثمانيين . ج ١ . ص ١٧ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٤٧ .

(٤) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ج ١ . ص ٣٨ .

(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق . ج ١ . ص ٤٩١ .

- ابراهيم بك حليم : المصدر السابق . ص ٣٩ .

(٦) حسين ليب : المصدر السابق . ص ١٧ .

(٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٤٧-٤٨ .

وإذا كان السلطان عثمان هو مؤسس دولة آل عثمان ، فإن السلطان أورخان يعتبر المؤسس الحقيقي لأركان هذه الدولة على أساس مقومات الدولة الحقيقية ، فقد حمل لقب سلطان وقام بسك أول عملة عثمانية <sup>(١)</sup> .

وعندما تربع السلطان مراد الأول على كرسي الحكم اتبع خطوات والده في الجهاد والفتوحات الإسلامية <sup>(٢)</sup> ، وبينما هو مهتم ببناء أمور دولته الداخلية إذ بأولاد القرمان <sup>(٣)</sup> المتأخمين لدولته يتحدون مع الحكام المسيحيين ضد السلطان مراد الأول <sup>(٤)</sup> . ذلك لأن سلطان هذا الاقليم علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك إلى السلطان مراد الأول بعد وفاة والده فآثار هزيمة هولاك الأمر بالمستقلين وحرصهم على قتال العثمانيين ليمالك عسرح مجدهم وليؤثروا بحالة تقدمهم <sup>(٥)</sup> ، فهجم هذا الحلف على بروسه عاصمة الدولة العثمانية من الأيمن فاستعد السلطان لقتالهم وهزمهم ، ثم استولى على قلعة أنقرة في سنة ١٣٠٢م ، ١٣٦٠م <sup>(٦)</sup> أهم مدنها ومقر سلطنة القرمان ، فلما رأى القرمان أن القوت العثمانية سارعوا إلى إبرام الصلح مع السلطان ليحفظوا ما في أيديهم من الأملاك <sup>(٧)</sup> . وفي تلك اللحظة سار البنادقة فارتدوا بأسطولهم نحو جزيرة رودس

(١) Halil Inalcik , The Ottoman Empire , p.56 .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق أخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩١ .

(٣) أمراء شبه ملوك الطوائف بالأناضول الذين استقلوا بماراتهم عقب سقوط دولة السلطنة قونية .

Halil Inalcik , Op.cit., p. 56 . -

(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١ .

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩ .

(٦) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٧) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

سفينة انقسمت الى فرقتين ، تقدمت احدهما الى غاليبولي ، والثانية دخلت جون المعارض كل منهما تحمل مائة ألف جندي والتحق بهذا العدد بعض من أهالي الصرب قوة اضافية لطرده العثمانيين من أوربا ، ثم تقدمت هذه القوات وهجمت على العثمانيين الموجودين في الروملي ، فتصدى لهم الجيش العثماني بكل ثبات فأجلاهم عند الهجوم الأولى فارتدوا على أعقابهم يجرون أذيال الهزيمة والعار .

ولم يكن للعثمانيين في ذلك الحين قوة بحرية ماعدا بعض الزوارق التي يستعملونها داخل بحر مرمرة ، ولكن السلطان رأى في سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م زيادة عدد تلك الزوارق لتساعد الجيش في نقل مهامه البحرية . وعلى أثر ذلك عيّن جيشه الى روملي (١) ، وفتح جملة من البلاد والقلاع (٢) .

وفي سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م فتحت مدينة أدرنة (٣) . وعين عليها شاهين بك لاله (٤) ، سلمها قائدها الرومي لما داخله اليأس في استخلاصها .

وقد نقل السلطان مراد الأول عاصمته من بروسه الى أدرنة لأهمية موقعها الاستراتيجي لوقوعها على ملتقى ثلاثة أنهار ، فأصبحت عاصمة للدولة حتى تم فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح الثاني سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م (٥)

(١) الروملي : المصطلح الجديد ( مقدونيا ، وراقيا ) .

أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٨ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩١ .

(٣) أدرنة : اسمها بالرومية ( أدرينا بوليس ) نسبة للامبراطور أدرينان الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات أوجبت طلاق اسمه عليها وتوفي الامبراطور سنة ١٣٨ م .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩ ، حاشية رقم (١) .

(٤) لاله شاهين : (أي مربي السلطان ، وهو مربي السلطان في صغره) .

- ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٨ .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٩-١٣٠ .

اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .

وأصبحت أدرنة مركز الروملي وعاصمة للدولة بعد بروسه وتحولت من مدينة  
بيزنطية الى مدينة اسلامية (١) .

وفي سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م عين السلطان مراد الأول القائد أورنوس بك  
على سواحل الروملي الجنوبية (٢) وأناط به مهمة فتح كوملجنة (٣) ووردار  
وماجاورها من البلاد (٤) .

وفي سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م فتح القائد العثماني شاهين باشا فيلبه (٥)  
عاصمة الروملي الشرقية ، وما حولها ، وفتح القائد العثماني أورنوس بك جهات  
سيروز ومناسر وبهشتنه وموشنه وماحولها أيضا (٦) ، وصارت أعمال هذه  
الجهات الأربع وتوابعها ولاية واحدة عين عليها أورنوس بك حاكما لها (٧)  
وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من الجهة الأوربية بأعمال  
آل عثمان ، وأصبحت الدولة العثمانية بهذا الفتح مجاورة لأمارات الروملي

(١) يلماز أوزتوب : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليفة في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤١ .

(٣) كوملجنة : وتسمى (Komotini) وتقع في الجنوب الغربي من أدرنة وعلى بعد ١٠٠ ميل

بحرايجه ، وتقع واردار Vardar الى غرب كوملجنة وعلى نهر يعرشف بهذا الاسم .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ حاشية رقم (٢) .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ص ٤٩١ .

(٥) فيلبه : اسمها بالروميه فيلبو بولس أي مدينة فيليب نسبة لمؤسسها فيليب ، والله اعلم .

وتقع Philippolis الى الجنوب الشرقي من صوفيا وأدرنة .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، حاشية رقم (١) .

(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ ، ٤٩١ .

أورخان محمد علي - السلطان عبدالمحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٧ .

(٧) ابراهيم بك حليم : المرجع السابق ، ص ٤١ .

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .

## والبلغار وألبانيا المستقلة (١)

ونتيجة لذلك اضطرب المسيحيون الصليبيون المتأخون للدولة العلية العثمانية وطلبوا من البابا ( أوربانوس ) (٢) الخامس أن يدعو ملوك أوروبا الغربيين ليساعدوهم على حرب العثمانيين المسلمين واخراجهم من أوروبا خوفاً من امتداد الفتوح الإسلامية ونشر الإسلام الى ما وراء جبال البلقان ، اذ لو اجتازوها بدون معارضة أو مقاومة فلن يقوى أحد بعد ذلك على إيقاف وصد تيار فتوحاتهم ، ويخشى بعدها على ممالك أوروبا من العثمانيين (٣) الذين سيتقدمون للاستيلاء عليها ونشر الإسلام فيها ، وهذا ما كان يزعجهم ويقلق بالهم . وقد استجاب البابا فدعا المسيحيين الأوربيين الى حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين (٤) وحرص القوى الصليبية على محاربتهم محاربة دينية حفظاً للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية (٥)

(١) سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م تم اتفاق الدول المسيحية على اخراج

العثمانيين من الأقاليم الأوربية بناء على دعوة البابا التي استجاب اليها كل من

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ .

(٢) أوربانوس : يلفظ بالفرنسية Urbain واسمه الأصلي قبل أن يكون باب هو كيود دد كرىموار

Guillaume de Grimoare وهو فرنسي المولد ولد في سنة ١٣١٠م ومات في سنة ١٣٧٠م

استجاب بابا في سنة ١٣٦٢م .

— محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ حاشية رقم (٣) .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

عبد اللطيف عبد الله بن دهبس : قيام الدولة العثمانية ، ص ٣١ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

ملوك المجر وبوسنه والصر ب مع أمير الفلاخ ( الافلاق )<sup>(١)</sup> .  
ولكن ( أوروک ) الخامس ، الذي عين ملكا على الصرب لم ينتظر وصول  
المدد اليه من أوربا واكتفى بما قدمه له أمراء البوسنة والافلاخ<sup>(٢)</sup> من مساعدات  
وبعدد كبير من فرسان المجر ، وسار بهم لمهاجمة مدينة ( أدرنه ) عاصمة الدولة  
العثمانية ، منتهزا فرصة انشغال السلطان مراد بمحاصرة مدينة ( بيچا )<sup>(٣)</sup> بينما  
بالقرب من مدينة بورسه بأسيا الصغرى . ولما علم السلطان بأمرهم استعد لهم  
وقابلهم على شاطئ نهر ( ماريتزا )<sup>(٤)</sup> فجأة في ليلة مظلمة وكان معه قوة  
عظيمة ، فاندش العدو وداخله الفرع ودار قتال عنيف بين القوتين انتهى بالانتصار  
القوات الصليبية الذين ولوا على أدبارهم وملاً الرعب قلوبهم (٥) .  
وتمكن العثمانيون بذلك النصر من ضم جنوب جبال البلقان الى بلادهم  
وتعد هذه المعركة من المعارك المهمة في تاريخ المسلمين العثمانيين ، إذ ارسى

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الخلمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٩١

يلماز أوزتوت : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٢) البوسنة : إحدى جمهوريات الاتحاد اليوگسلافي الآن وعاصمتها سراييفو ، والكرامة  
المسلمين .

أما الافلاخ : فكان يسميها الأتراك ( افلاق ) فهي إمارة من الإمارات الداغوب الصربية ، كانت  
العثمانية من سنة ١٢٩٥ م واستقلت سنة ١٨٥٦ م وأخذت تبع مولداليا ، سنة ١٨٧٨ م ، وانضمت  
مع الدولة الرومانية الحاضرة .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، حاشية رقم (١) .

(٣) بيچا ( Bija ) : تقع الى الجنوب من بحر مرمره وبالقرب من مصيف الأوردو .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، حاشية رقم (١) .

(٤) نهر ماريتسا : Maritza , Marica يقع من غرب المعريه ونهر البوسنة في المجر .

محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، حاشية رقم (٣) .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠-١٣١ .

، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٢ .



الحملة الصليبية النجاح في اخراج المسلمين من أوروبا لواصلوا زحفهم باتجاه المشرق الى آسيا الصغرى ولتكررت مأساة الحملة الصليبية الأولى<sup>(١)</sup> ، اذ أن فكرة احتلال بيت المقدس كانت ولا تزال قائمة باستمرار في أذهان زعماء أوروبا<sup>(٢)</sup> ، ولأن هذه الحملة الصليبية تعد الأولى التي نفذت ضد الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> ، بعد الحملة الثامنة التي أسر فيها لويس التاسع في المنصورة وانتهت بالفشل والهزيمة للصليبيين ، وقد بذل لويس وهو ملك فرنسا فدية كبيرة للمسلمين حتى فك من الأسر<sup>(٤)</sup> .

بعد ذلك عاد السلطان مراد الى مقر سلطته لتنظيم ما فتحه من الأقاليم متبعاً في ذلك سياسة أسلافه ليستريح من عناء الفتح ، وليعيد ترتيب جيوشه ويوطد أركان بلاده<sup>(٥)</sup> .

فعظم شأن الدولة العثمانية وخافها خصومها خصوصاً الضعفاء منهم ، فأرسلت جمهورية ( راجوزه )<sup>(٦)</sup> في عام ١٣٦٥هـ / ١٣٦٥م رسلاً عقدوا مع

- 
- (١) احتلت أنطاكية والرها وبيت المقدس حتى تم تخليصه على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣م .  
(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٢ .  
(٣) يلندر اورتون : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٩٨ .  
أورحان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٧ .  
(٤) علي محمد جريشه وآخرون : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ١٩ .  
(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١ .  
(٦) راجوز : Raguse هي الآن بلدة يوكوسلافية وتسمى اليوم دوبرفنيك Dubrounik وتقع على شاطئ البحر الأدرياتيكي ، وكانت هذه المدينة من سنة ١٤٠٣م - ١٨٠٩م عاصمة جمهورية أرستقراطية وقد أترت تراءاً كبيراً من تجارتها مع الدولة العثمانية ، وهي شبه جزيرة مبنية على شاطئ البحر  
محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، حاشية رقم (٣) .

السلطان مراد الأول معاهدة تجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة دوكا من ذهب ، وهذه المعاهدة هي أولى المعاهدات التي عقدت بين العثمانيين والدول المسيحية (١) .

وفي سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م عين خير الدين باشا الصدر الأعظم لحفظ الجهات الغربية للروملي وأخذ بلاد من يتعدى أو يتحرش بالحدود العثمانية ، ففتح قواله وما حولها ثم عاد بجيشه .

وفي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ذهب السلطان والصدر الأعظم خير الدين باشا الى بروسه لإقامة بعض الاصلاحات الداخلية وتفقد أحوالها ، وأد علمان الصرب لازار الذي خلف ملك الصرب اودوك بعد وفاته يتحرش بقوات الدولة العثمانية (٢) . فقد اتحد مع سيسمات أمير البلغار على حرب الدولة العثمانية (٣) نحو ما لحق بهم من العار في الحملة الصليبية الأولى وطرد الدولة من البلاد . وعندما بلغ السلطان هذا الأمر غضب منه . وذهب بنفسه لاحتلالها . وفي سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م اليه . فهرب لازار الى الجبال . فدعاها الى الحرب . وقال : سوف يستولى على بلاده تأديبا له ، فلم يستطع مقابلته . فاستولى على نيش (٤) . فطلب منه لازار الأمان وعاهده بأن لا يتعرض لمصالحك الدولة العثمانية أخرى . فقبل السلطان منه عهده . وسحب جيشه عائدا الى بروسه مع القليل من الجيش العثماني كان غير راغب في الانسحاب . بل كان قادرا على الانتصار على

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٣١ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٢ .

(٤) نيش : مدينة في شرقي يوغسلافيا قرب الحدود البلغارية .

على حسون . تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٢ . حاشية رقم (٤) .

بلاد الصرب بسهولة<sup>(١)</sup> . وقيل احتل صوفيا<sup>(٢)</sup> وسلانيك<sup>(٣)</sup> لهذه الأمور أبرم الصلح بين الطرفين على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار ، وعلى أن يدفع ملكا الصرب والبلغار الجزية سنويا<sup>(٤)</sup> ، فدفعها صاغرين خوفا من تصفية أملاكهما .

وفي سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م سلم حاكم سلستره المدينة الى السلطان مراد ، ومن ذلك التاريخ حتى سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م كان السلطان مهتما بسن التنظيمات والإصلاحات الداخلية في المناطق المفتوحة ليكمل بذلك بناء دولته<sup>(٥)</sup> فبدأ يفكر في توثيق العلاقات مع جيرانه حتى يكون له حلفاء من بين من بقى مسقطاً بامارتته من أمراء آسيا الصغرى ، فقام بزواج ولده "بايزيد" من بنت أمير كرمان<sup>(٦)</sup> ، وجعلها للسلطان بمدينة كوتاهية<sup>(٧)</sup> . مهرا لابنته كما هي عادة الأتراك<sup>(٨)</sup> ، وذلك لتقوية عرى الصداقة بهذه الروابط الأسرية وكسب

(١) - إبراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٤٢-٤٣ .

(٢) - محمد فريد بك : معجم بلغاريا اليوم .

(٣) - سلانيك : مدينة في اليونان تقع اليوم على الخليج المسمى باسمها . كانت بؤرة الحركات المعادية للدولة العثمانية .

- علي حسمون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٢ حاشي رقم (١-٢) .

(٤) - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٣٢ .

وإبراهيم بك حليم : المصدر السابق . ص ٤٣ .

(٥) - إبراهيم بك حليم : المصدر السابق . ص ٤٣ .

(٦) - كرمان : تقع هذه البلاد في غرب الأناضول ما بين اسكي شهر شمالا وأفيون قره حصارى جنوبا .

- محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٢ حاشية رقم (١) .

(٧) - كوتاهية : تقع الى الشرق من اليبصر وغرب اسكي شهر .

- محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٣ حاشية رقم (٢) .

(٨) - محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٣ .

- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٤٨-٤٩ .

هذه المناطق بجانبها ، وتبادل المحبة والمودة بين الدولة العثمانية وهذه المناطق  
الإسلامية المستقلة .

إلا أن أولاد كرمان كانوا لا يزالون يتحرشون بالحدود العثمانية من جهة  
قونية ، فأرسل السلطان إلى حسين بن حميد سفيرا من عنده للمفاوضة معه في  
بيع<sup>(١)</sup> أمانة حميد<sup>(٢)</sup> ، من حاكمها المذكور ، وبذلك أدمج في أملاكه أربعاً من  
دول التركمان ، سلطانوني ، قره سي ، كرميان ، حميد .

وما لبث ابنه بايزيد أن اكتسح ماتبقى من الإمارات التركمانية فضم إلى  
دولته أراضي سلاجقة قونية المسلمة<sup>(٣)</sup> .

أما الصليبيون فمضوا فشل حملتهم الأولى وهم ينظرون إلى الدولة ويخططون  
للخلاص منها ، ففي عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧ م قرر السلاف تكوين حملة لطرد  
العثمانيين من أوروبا ، فتزعمت الصرب والبوسنة وبلغاريا هذه الحملة العنيفة  
لتنفيذ هذه المؤامرة ، وانضمت إليها ألبانيا وولاشيا والمجر وبولندا ، وانضم  
انشغلت أوروبا الغربية بشئونها الخاصة ، ولم تشترك في هذه الحملة الصليبية الثانية  
فحينئذ قام الحلفاء بحشد قواتهم التي هاجموا بها قوات الدولة العثمانية في البر والبحر  
فأبادوا ثلاثة أرباعها<sup>(٤)</sup> ، إلا أن السلطان مراد الأول أرسل في سنة ٧٩٠هـ  
أرغمت ملك بلغاريا سيسمان ، الذي كان يتأهب للانضمام إلى الأزار من أعدائهم .

(١) إبراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣ .

(٢) الحميد : إقليم يقع جنوب الأناضول غرب كرمان وشرق منتشا وشمال تكش

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٣ . حاشية رقم (٣) .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٩ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٩-٥٠ .

الصر ب . فاحتلت الجيوش العثمانية ترنوه<sup>(١)</sup> وشومله<sup>(٢)</sup> ، واضطر سيسمان الى الفرار والاحتماء في مدينة نيكوبلي<sup>(٣)</sup> ، وأعاد شمل وشتات مابقي من عسكره لحرب الدولة العثمانية . وخرج من نيكوبلي (نيكوبوليس) وهاجم الجيوش العثمانية الاسلامية هجوم اليانس ، فانهزم هزيمة نكراء ووقع أسيرا بعد حصاره في نيكوبلي . فضم السلطان مراد نصف بلاده الى الدولة ، وعفى عنه ولم يقتله بل عينه حاكما مستقلا على النصف الباقي من بلاده ، مراعيًا مقامه السابق وتم ذلك في سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م<sup>(٤)</sup> . وبذلك أصبح نهر الدانوب حد الدولة العثمانية الشمالي<sup>(٥)</sup> .

لقد كان للانتشار السريع للمسلمين في أوروبا الممثل في الدولة العثمانية أثره البالغ في بث الفرع والرعب في قلوب الحكام الصليبيين الذين قرروا أن يجسروا قواتهم وينسيروا بها في حملة صليبية ثالثة ، وكان منعقدا على هذه الحملة أمثال المسيحيين في طرد المسلمين من أوروبا<sup>(٦)</sup> .

فتزعج هذا الحلف ملك الصرب لازار أيضا الذي لم يعتبر بانسحاب حليفه ملك بلغاريا وما جرى له ، بل نراه يجمع قواته ويتحدى السلطان مراد الأول ،

(١) ترنوه : هي تورنوفو Turnovo وتقع في الجانب الشرقي من بلغاريا .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٤ حاشية (٤) .

(٢) شومله : Shumen وتقع شمال تورنوفو .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٤ . حاشية رقم (٥) .

(٣) نيكوبلي : اسمها بالرومية نيكوبوليس ، ومعناها مدينة النصر . أسسها الامبراطور الروماني

تراخيوس المتوفى سنة ١١٧ بعد المسيح عقب انتصاره على أعدائه .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٥ . حاشية رقم (١) .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٩ .

(٦) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٨ .

ويسعى لهذا الأمر في سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م لدى حكام وملوك المجر وبولونية والبوسنة وألبانيا وغيرها من سائر الحكومات المسيحية المجاورة لتكوين الحملة الصليبية الثالثة ضد العثمانيين المسلمين وطردهم من أوروبا فجمعوا جيشا من تلك الأقوام بلغ نحو المائتي ألف (١) ، فلم يمكنه السلطان مراد من ذلك بل جند السير في طلبه حتى لحق به في سهل ( قوصود ) (٢) سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م ، فاجتاز نضرا بهرا على هذا الخلف الصليبي بعد قتال شديد شاب من هولاء الولدان ، ودافع خلاله الصربيون وأحزابهم دفاعا جعل الحرب بين الفريقين سهجلا تقاتلت فيها الرؤوس وزهقت فيها النفوس (٣) وقد استبسل العثمانيون حتى وقعت الموقعة فيه على الأعداء وأسر من جيش العدو كثيرون ، وقتل ملك الصرب رئيس العصاة (٤) ، بعد أن جرح وأسر . وبهذه الواقعة فقدت الصرب استقلالها ، فقدت البلغار والروملي والأناضول ( آسيا الصغرى ) استقلالها من قبل العثمانيين ، ولكن أعقب هذا النصر أسف شديد ، وذلك أنه حينما أضاءت المصباح مراد الأول يمر بين القتلى والجرحى ليتعرف على رجاله منهم بعد أن قتلوا

(١) إبراهيم بك حليم ، التحفة الخيمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٥

، اسماعيل سرهك ، حقائق الأخير عن دول المجر ، ج ١ ، ص ٤٩٢

(٢) فوس : معده كبير أو واسع أود : معده السهل ويسمى هذا السهل بأرض المجر

Polje ، ومركزه بلدة ترستيد ، وتقع في جنوب يوكوسلاف بين المجرية والروس

— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٥ - ١٣٦

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٥

(٤) إبراهيم بك حليم : المرجع السابق ، ص ٤٥

، اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٢

(٥) اسماعيل سرهك ، المصدر السابق ، ص ٤٩٢

محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ١٣٥

على حمون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩

صربي جريح من بين القتلى اسمه ( ميلون بلوفتش ) وأظهر حركة يري منها أن مراده تقبيل قدمي السلطان بعد أن أعلن اسلامه واذا به قد أسرع باخراج خنجر كان معه، وطعن به السلطان مراد الأول طعنة كانت القاضية على السلطان في الحال<sup>(١)</sup> فسقط القاتل قتيلاً تحت السيوف الانكشارية، وكانت وفاته سنة ١٣٨٩هـ/١٧٩٢م ودفن في بروسه<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن عثمان أوجد جنسا، وأورخان بنى دولة، الا أن مراد الأول هو الذي أرسى قواعد الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup>.

وبوفاة السلطان مراد الأول بويغ ابنه السلطان بايزيد الأول في ميدان حرب قوصوه، يوم وفاة والده ١٣٨٩هـ/١٧٩٢م فخطى خطى والده وسيرته في الفتح والجهاد<sup>(٤)</sup> كما هو ديدن سلاطين الدولة منذ تكوينها.

وقد استهل بايزيد حكمه بالقضاء على الارستقراطية الصربية، وحل القضية القومية الصربية، ثم تقدم بالجيوش العثمانية، داخل بلاد الصرب، فعرض عليه ستيفن بن لازار ملك الصرب الصلح، فقبل ذلك ووافق عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٤٩٣.

ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ٤٥.

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٣٥.

عبداللطيف عبدالله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية، ص ٣٦.

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٩.

عبداللطيف عبدالله بن دهيش، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص ٥٠.

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧.

وعين حاكما على الصرب وتزوج السلطان من أخته<sup>(١)</sup> ، المسماة مليحة<sup>(٢)</sup> ، وترك له استقلال حكم بلاده على أنظمتهم وقوانينهم بشرط دفع الجزية للدولة ، وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش العثمانية وقت الحاجة<sup>(٣)</sup> ، وأن يقوم بنفسه بقيادة هؤلاء الجنود<sup>(٤)</sup> ، وقد اتبع السلطان بايزيد هذه السياسة وهي الاكتفاء بدخول منطقة الصرب تحت طاعته<sup>(٥)</sup> وذلك ليهدىء بال الصربين ، لأن الصربيين قوم يحبون الاستقلال<sup>(٦)</sup> ، وخاصة أنهم قبلوا دفع الجزية فتم معاملتهم معاملة أهل الذمة .

ومن منطقة الصرب سار بايزيد الأول الى ولاشيا فدخلها سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م وقد وافق أميرها على دفع الجزية والولاء للسلطان العثماني<sup>(٧)</sup> .

ولما ساد الأمن في أوروبا في منتصف سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م انصرف بايزيد الأول هذه الفرصة وسار بنفسه الى قلعة الأشهر بأسييا الصغرى الواقعة عند الأناضول عند الأفرنج ( فيلادلفيا )<sup>(٨)</sup> ففتحها فكانت آخر مدينة مهممة يقفها الأناضول .

- 
- (١) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٥٧ .  
(٢) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن دول البحر . ج ١ . ص ١٣٧ .  
(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٣٧ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٠ .  
اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق . ص ٤٩٥ .  
(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٥١ .  
(٥) اسماعيل سرهنگ : المصدر السابق . ج ١ . ص ٤٩٥ .  
(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٧ .  
(٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٥١ .  
(٨) فيلادلفيا : تقع غرب الأناضول الى الشرق من مدينة أرمير .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٣٧ . حاشية رقم (١) .



بآسيا الصغرى (١) .

عند ذلك هابه أمير ( آيدين ) (٢) ، فترك له أملاكه وغادرها ليعيش في إحدى المدن الخارجة عن النفوذ العثماني ، ثم تلا ذلك قيام كل من أميري منتشا (٣) وصاروخان (٤) بترك ولايتهما واحتمانهما بأمير ( قسطموني ) (٥) كما قام حالكم بلاد القرمان الأمير علاء الدين بالتنازل للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمن له ما تبقى من أملاكه (٦) .

وبعد هذه الفتوحات العثمانية بآسيا الصغرى عاود السلطان بايزيد الأول حرب أوروبا فبدأ بحصار القسطنطينية ، وبعد أن ضيق عليها الخناق وترك حولها جيشاً ليتولى مهمة حصارها ، انتقل لغزو أمير الفلاخ ( الفلاق ) دوك مانيس ،

(١) - محمد كليل سرهدك حقائق الأخبار عن دول البحر ، ص ٤٩٥ .

(٢) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧ - حاشية رقم (٢) .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .

(٣) - آيدين : تقع في جنوب غرب تركيا جنوب فيلادلفيا .

(٤) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧ . حاشية رقم (٢) .

(٥) - منتشا : جنوب آيدين على بحر الخيخ .

(٦) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٨ . حاشية رقم (١) .

(٧) - صر و حان : شمال أرمير على بحر الخيخ .

(٨) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٨ . حاشية رقم (٢) .

(٩) - قسطموني : في شمال الأناضول على بعد نحو مائة كم عن البحر الأسود .

(١٠) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٨ . حاشية رقم (٣) .

(١١) - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧-١٣٨ .

فقهر أميرها وأخذ منه الجزية<sup>(١)</sup> ، شريطة الاعتراف بالسيادة العثمانية مع بقاء بلاده يحكمها بما ألفوه من قوانين وكان ذلك في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م<sup>(٢)</sup> .

واستغل علاء الدين أمير القرمات انشغال السلطان بحرب أمير الفلاح وقام باسترداد ماتنازل عنه للدولة سابقا ، فهاجم مدينة أنقرة ، واستطاع أن يهزم أميرها تيمور طاش وأن يأسره<sup>(٣)</sup> .

فلما علم السلطان بالخبر قاد بنفسه الجيش الى بلاد الأناضول مسرعا في طلب علاء الدين فتقابل الجيشان في مكان يسمى ( آق جاي ) فانهمز علاء الدين أمام السلطان بايزيد وأسره مع ابنه محمد علي ، وضم بلاده الى دولته ، وكل ماتبقى له من أملاك<sup>(٤)</sup> ، فتعجب الناس من سرعة وصوله لبعده المسافة فلقبوه ( يلدزم ) أي الصاعقة<sup>(٥)</sup> ، بسبب سرعة حركته .

ثم واصل السلطان بايزيد فتوحاته ففتح امارات سيواس وتوقات<sup>(٦)</sup> ، وكان آخر أمرانها برهان الدين<sup>(٧)</sup> . ولم يبق في الأناضول من بقايا أطلال دولة السلاجقة إلا إمارة قسطنطيني<sup>(٨)</sup> ، وكانت خارجة عن أملاك

- 
- (١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٠ .
- (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٣٩ .
- (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٩ .
- علي حسون : المرجع السابق . ص ٢٠ .
- (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٩ .
- (٥) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٤٧ .
- (٦) سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا .
- محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٩ حاشية رقم (٤) .
- (٧) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٣٩ .
- (٨) علي حسون : المرجع السابق . ص ٢٠ .

الدولة العثمانية وحاكمها اسمه بايزيد أيضا ، وقد احتوى ببلاده كثير من أولاد  
الأمراء الذين ضم السلطان بلادهم ، فأرسل السلطان اليه يطلب منه تسليم أولاد  
أمير آيدين وصاروخان ، فامتنع عن ذلك ، فسار اليه السلطان بنفسه وتم ضم  
مدن سامسون<sup>(١)</sup> وقيصريه<sup>(٢)</sup> وجنابك وعثمانجق<sup>(٣)</sup> فلجأ بايزيد صاحب  
قسطنوني الى تيمورلنك سلطان المغول<sup>(٤)</sup> ، وبذلك انقضت جميع الامارات  
السلجوقية القائمة بالاناضول وصار العلم العثماني يخفق فوق صروحها<sup>(٥)</sup> .  
وقد أخطأ بايزيد الأول حين أدخل سياسة جديدة لفرض سيطرته المباشرة  
على هذه المناطق التي قام بضمها في آسيا الصغرى ، وذلك عندما طرد أسرها

(١) مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل البحر الأسود.

- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ٢٠ حاشية (٥).

(٢) مدينة في الأناضول وهي عقدة مواصلات برية .

- علي حسون : المرجع السابق . ص ٢٠ حاشية رقم (٦).

(٣) تقع الى الجنوب الغربي من سامسون .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٢٠ حاشية رقم (١).

(٤) أي تيمور الأعرج : ولد سنة ١٣٢٦ ميلادية تقريبا ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بجنكيزخان

التتري من جهة النساء وخلف عمه سيف الدين في اماره كيش سنة ١٣٦٠ واخذ في الاستيلاء على

ماحوله من الامارات والقبائل ثم استولى على بلاد خوارزم وكشغر وبلاد ايران ومنها سار الى جنوب

الروسية واحتل اقليم آزاق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب ( دهلي ) وضم معظم بلاد الهند

ومنها عاد الى الغرب . فاحتل بلاد الشام ومدينة بغداد التي خربها عن آخرها وقبل أن ينظم هذه

التحركات العديدة قصد بلاد الصين في جيش يجلب عن الحصر بعد أن حارب السلطان بايزيد العثماني.

وأخذه أسيرا فعاجلته الموت قبل أن يصل الصين في اقليم خوقند في ١٧ شعبان ٨٠٧ هـ ( ١٨ فبراير

سنة ١٤٠٥ م ) وموته تفرقت مملكته بين ولده شامرخ وأحفاده وأولاد أحفاده.

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٠ . حاشية رقم (٢) .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٩-١٤٠ .

الحاكمة وأخضعها لسلطته المباشرة ( ذلك لأن هذه السياسة لقيت مقاومة شديدة في الدولة العثمانية خاصة ، وفي البلدان التي تم الاستيلاء عليها عامة ، وكانت هذه المقاومة موجهة ضد التسرع في ضم البلاد التي تم الاستيلاء عليها حيث اعتبرت هذه السياسة خروجاً على القاعدة العثمانية .

وقد كانت هذه السياسة من أهم العوامل التي أدت إلى نكبة أنقرة وعودة الأسرة الحاكمة في القرماني على أثرها ، مما يدل على أن آل عثمان لم يحكموا قبضتهم على الدولة القرمانية إلا بعد فتح القسطنطينية (١) .

وعاد بايزيد بعد ذلك لمتابعة حروبه في أوروبا ، واستكمال فرض الحصار الذي كان قد فرضه على القسطنطينية ، ومع استمرار الحصار قام باستكمال فتح بلاد البلغار وضمها إلى أملاك الدولة ، فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية خاصة بعد مقتل حاكمها سيسمان ، وإسلام ابنه الذي عين حاكماً للمدينة سمسون (٢) في سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م (٣) .

ولتدعيم مركزه في تلك المناطق قام بايزيد بتزويد سلستريا ونيكوبوليس ودين وقلاع أخرى من قلاع الدانوب بحاميات قوية ، بعد تحصينها . وعلى أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين للإسلام تعززت مكانة السكان المسلمين على طول الحدود الشمالية للدولة ، وزاد نتيجة لذلك هجرة عدد من مسلمي الأناضول إلى البلقان (٤) ، مما ساعد على انتشار الإسلام في مناطق البلقان كلها .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) سمسون : مدينة تركية في شمال شرق البلاد على البحر الأسود .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٠ حاشية رقم (٣) .

(٣) محمد فرد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٣ .

وهذا يدل على قوة الدولة في نشر الاسلام في أوروبا . وهذا ما حققه العثمانيون على طول جهادهم المستمر داخل القارة الأوروبية .

وقد أعقب ذلك قيام بايزيد الأول بتشديد الحصار على القسطنطينية وطلب من امبراطورها أن يعين قاضيا في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين ، فقبل الامبراطور ذلك الشرط بايجاد محكمة اسلامية ، وبناء مسجد وتخصيص سبعمائة منزل داخل المدينة للجالية الاسلامية ، كما تنازل لبايزيد عن نصف غلطة التي وضعت فيها حامية عثمانية قوامها ستمائة جندي ، ثم زادت الجزية التي كانت الامبراطورية البيزنطية تدفعها للسلطان ، وزيد على ذلك فرض رسوم على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة تدفع لخزينة الدولة العثمانية وأخذت من تلك الساعة المآذن تنقل الأذان من العاصمة البيزنطية (القسطنطينية)<sup>(١)</sup> .

وكان من نتائج هذه الانتصارات العثمانية أن قامت دول أوروبية بتحريض من البابا بونيفاسيوس التاسع واتفقت على شن حرب صليبية رابعة اشتركت فيها حوالي خمسة عشر دولة أوروبية كان من بينها دول انكلترا وفرنسا والمجر<sup>(٢)</sup> . وكان المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية الجديدة وزعيمها هو ملك المجر سجمند الذي سمع ما حل ببلاد البلغار ، فداخله الخوف على فقد مملكته اذ صار متاحها في عدة نقاط للدولة العثمانية ، فدعا حكام أوروبا من المسيحيين مستنجدا بهم وساعده في ذلك البابا ، الذي أعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية<sup>(٣)</sup> .

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٣ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته وأحداث عهده ، ص ١٨ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه فارس ومير البعلبكي ( الطبعة السادسة ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٧٤م ) ، ص ٤١٩ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٠-١٤١ .

فشكلت في مجموعها جيشا صليبيا اشتركت فيه كل دول أوروبا الغربية، وكذلك دول المواجهة التي تواجه مناطق السيطرة العثمانية<sup>(١)</sup>.  
وتفصيل ذلك أن دوک ( بورغونيا )<sup>(٢)</sup> أجاب دعوة البابا، وأرسل ابنه الكونت دي نيفر<sup>(٣)</sup>، ومعه ستة آلاف محارب أغلبهم من نبلاء فرنسا وكان من بين هؤلاء المحاربين أقارب ملك فرنسا نفسه كما انضم اليهم حين مسيرتهم إلى بلاد المجر بافاريا<sup>(٤)</sup> وولاشيا وبلغاريا مجموعة من الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية من الذين خلعوا ولاءهم للعثمانيين<sup>(٥)</sup>. كما وفد عليهم أشخاص من النمسا ( استيريا ) وشواليه<sup>(٦)</sup> فرسان القديس حنا الأورشليمي وكثير من

- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٥٣ .  
(٢) بورغويا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا شبه مستقلة لم يكن ملوك فرنسا عليها إلا التبعية وحق طلب الجود للحرب عند الضرورة حتى توفي أهم امرائها شارل الخمس في سنة ١٤٧٧ م من غير عقب وضمت إلى فرنسا من ذلك التاريخ . واسمها بوركوي Bourgoigne  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٤١ حاشية رقم (١).  
(٣) بيفر Denevers مركز ولاية بيفر وتقع جانب نهر لوار وتبعد ٢٣٢ كم إلى الجنوب الشرقي من باريس .  
- محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٤١ حاشية رقم (٢) .  
(٤) مملكة مستقلة بألمانيا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة مويخ أو ( مونيخ ) كما يسميها الألمان وهي داخلية الآن ضمن الدولة الألمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١ م . تغلب تغلب الروسية على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملوكها . وهي الآن جزء من جمهورية ألمانيا الاتحادية .  
- محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٤١ . حاشية رقم (٣) .  
(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٥٤ .  
(٦) شواليد : هم طائفة الرهبان الذين ذهبوا إلى فلسطين في القرن الحادي عشر الميلادي أثناء الحروب الصليبية التي أثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القديس الشريف خدمة حجاج القساري . ولما استولى السلطان صلاح الدين الأيوبي على مدينة أورشليم سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م انتقلت (=)

الألمان<sup>(١)</sup> . وتوافد أيضا الصليبيون الى بودا من الانجليز واسكتلنده وبولنده وبوهيميا والنمسا وايطاليا وسويسرا ، وكذلك من بلدان جنوبي شرقي أوربا ، وعبر الحلفاء أراضي الصرب التي حافظ أميرها اسطفن (استيفين) بن لازار على ولائه للعثمانيين، مما دعا هذا الحلف الصليبي الى تخريب أراضيه<sup>(٢)</sup> ، وأخيرا وصلت قوات الحلفاء الى نيكوبوليس ، عن طريق نهر الدانوب لمحاصرتها<sup>(٣)</sup> ، إلا أن الصاعقة أو البرق السلطان بايزيد كما يسميه معاصريه ، لقوة بأسه ، عاد مسرعا من آسيا الصغرى<sup>(٤)</sup> وكان محاصرا للقسطنطينية فتخلى عن حصارها وعاد لمواجهة هذا التحالف الصليبي<sup>(٥)</sup> ، وبصحبه مائتا ألف مقاتل ، كان من ضمنهم أهل الصرب تحت قيادة أميرها اسطفن بن لازار المذكور وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لولاء السلطان العثماني ، جاءوا جميعا لقتال هؤلاء الصليبيين ، فدارت معركة بين القوتين انتهت بانتصار العثمانيين انتصارا باهرا ألحق بالحلف الصليبي هزيمة نكراء وذلك في ٢٣ من ذي القعدة سنة ٧٩٨ هـ

(=) هذه الطائفة الى عكا ، ثم الى جزيرة رودوس واتخذتها مركزا لمحاربة المسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكبهم وأسر من بها. ولما فتح السلطان سليمان القانوني هذه الجزيرة سنة ٩٢٩ هـ : ١٥٢٢ م رحلت هذه الطغمة الى جزيرة مالطة التي أعطاها لهم الامبراطور شارلكان فاحتلوها الى أن احتلها بونابرت سنة ١٧٩٨ أثناء قدومه الى مصر فانقرضت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤١ حاشية رقم (٥).

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

- أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .

الموافق ٢٧ من سبتمبر سنة ١٣٩٦ م<sup>(١)</sup> .

وكان هدف هذه الحملة الصليبية الرابعة هو هزيمة الدولة العثمانية في أوروبا ومحاولة الوصول الى البقاع المسيحية المقدسة في بيت المقدس بفلسطين<sup>(١)</sup> . ومعنى ذلك أن الروح او الفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر منذ عهد طويل تعود الى الظهور مرة أخرى<sup>(٢)</sup> .

وبمعنى آخر ان الحملات الصليبية على المسلمين لازالت الشغل الشاغل في ذلك الوقت للصليبيين بهدف الوصول الى بيت المقدس وهذا ما تحقق لهم الأبعد . الحرب العالمية الأولى ، مروراً بالمسألة الشرقية في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي .

وفي هذه المعركة الحاسمة أحرز بايزيد الأول قمة مجده ، فأرسل سجن برلمان المعركة الى قاضي بروسه بأنباء النصر ، وأعلن أنه سيفتح إيطاليا وأن حوضها سيتناول طعامه على مذبح كنيسة القديس بطرس .

كما بعث من أدرنه برسائل الى كبار حكام الشرق الاسلامي يزوجه التبريد بشرى انتصاره في نيكوبوليس ، واتخذ لنفسه لقب ( سلطان الروم ) كإعلان على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على شبه جزيرة الأناضول كلها<sup>(٣)</sup> .

وأرسل السلطان بايزيد الى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة يطلب منه أن يخلع عليه أو يمنحه لقب " سلطان الروم " كي يضيف على سلطانه التي يتمتع بها هو وأجداده من قبل الطابع الشرعي الرسمي فتزداد هيئته لدى الخلق الاسلامي والمسيحي .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٤ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٩ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٤ .



ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق ، حامى الخليفة ، الا أن وافق على طلب السلطان ، اذ كان يرى فيه حليفه الأوحد ضد الخطر المغولي الذي كان يهدد العالم الاسلامي بأكمله <sup>(١)</sup> فخلع عليه الخليفة لقب ( سلطان أقاليم الروم) <sup>(٢)</sup> .

عاد السلطان بايزيد الأول بعد ذلك لمواصلة حصاره للقسطنطينية فشد عليها الحصار ، ولولا غارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لتمكن السلطان هذه المرة من فتحها <sup>(٣)</sup> ، لنقض صاحبها العهد حين تعاهد أو تحالف مع ملك الصرب والمجر وفرنسا لحرب الدولة قبيل الحلف الصليبي الرابع <sup>(٤)</sup> .

ولكن استفحال أمر تيمورلنك الأعرج سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م جعل السلطان يترك حصار القسطنطينية ويكتفى بالصلح مع ملكها مانويل <sup>(٥)</sup> ، بعد حصار دام ست سنوات أشرفت فيها على السقوط <sup>(٦)</sup> .

وكان تيمورلنك قد سار الى بلاد الاسلام بآسيا الوسطى لسلبها من أيدي ملوكها حتى وصل إلى بغداد والعراق ، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلاير خشية من بطشه ، وكذلك هرب حاكم اذربيجان قره يوسف والتجأ بعائلتيهما الى السلطان بايزيد ، فأرسل تيمورلنك سفيرا الى السلطان بايزيد الأول ليطلب

- 
- (١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤٢٠ .
  - (٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩ .
  - (٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٤ .
  - (٤) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .
  - (٥) ابراهيم بك حليم : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
  - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
  - (٦) احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٥ .

تسليمهما ، ولكن السلطان رفض هذا الطلب واستهجنه ، وعاد السفير الى تيمورلنك (١) .

وكما لجأ أمراء العراق وأذربيجان الى السلطان بايزيد فقد لجأ من قبل الى تيمورلنك بعض أمراء آسيا الصغرى وكان آخرهم بايزيد أمير قسطنطيني كما سبق أن ذكره ، وفي كلا الجانبين كان اللاجنون يخرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر ، وربما لم تجد هذه التحريضات أذانا صاغية من تيمورلنك ، الا أنه خشي من تحركات الدولة العثمانية ضده وضربه من الخلف ، في الوقت الذي كان يفكر فيه بغزو الهند لتوسيع رقعة ملكه ، وقد أدرك بايزيد هو الآخر حتمية الصراع مع تيمورلنك ، ولهذا السبب سعى الى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الامارات التي قامت على انقاض دولة السلاجقة (٢) كما مر بنا .

وقد أشيع أن الصليبيين عمدوا هذه المرة إلى تخريض المغول على هجمتهم العالم الإسلامي من جهة الشرق وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قسطنطينية وأمراء وحكام المغول عن طريق السياسة والمفاوضة (٣) . ومعنى آخر أن الصليبيين زوجوا بناتهم وأهدوا بعض الجوارى الحسن للعامل في قسطنطينية وحكام المغول لاستمالة قلوبهم وتحريكهم لغزو الدولة العثمانية واشغبتهم من الخلف حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا وهم يواصلون الهجمة على الدولة من الغرب حتى يستطيعوا ابعاد العثمانيين عن أوروبا كلياً .

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الخلمية في تاريخ الدولة العلية . ص ٤٩

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٤٦

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ص ٥٧

على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٣

(٣) على حسون : المرجع السابق . ص ٢١

يزحفون الى آسيا للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين ، وقد نيل الى هذا الرأي لأنه من أهم أسباب غارة المغول على الدولة الاسلامية ، اضافة الى ماسبق من اطماع المغول منذ موجاتهم الأولى ، وقد تكون هذه الحملة استمرارا للغارات والهجرات المغولية التي قامت في وسط آسيا السابقة .

ومهما تكن المبررات ، فقد أعد تيمورلنك العدة فأغار بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى ، وفتح مدينة سيواس بأرمينا وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد ، وقطع رأسه . حينئذ اضطرب السلطان بايزيد فجمع الجيش وسار به لمحاربة هذا المغولي ، فتقابل الجيشان في سهل أنقرة ، فاقتل الجيشان قتالا عنيفا أظهر السلطان خلاله من الشجاعة ما أبهر العقول وأدهش الأذهان من قبيل شروق الشمس حتى المغيب ، ولكن نتيجة لضعف جيشه وفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامهم الى جيوش تيمورلنك لوجود أمرانهم الأصليين وأبنائهم وكبار رجائهم في صفوف المغول ، فلم يبق مع السلطان سوى عشرة آلاف جندي انشكاري ، وبعض العساكر الصربية الذين أثبتوا ولاءهم للدولة في الحملة الصليبية الرابعة .

ولم يتنه ذلك النقص فقد استمر في الحرب والقتال حتى سقط آخر النهار أسيرا في أيدي المغول ومعه ابنه موسى<sup>(١)</sup>

لكن على حسن يذكّر أن جيوش النصاري التي كانت تحت قيادة بايزيد لم تدخل المعركة الا وهي مكرهة ولعلهم كانوا يعلمون مدى التحالف القائم بين صليبي أوروبا والمغول والذي أبرم بين الطرفين ، فقد سعى هؤلاء قبل تقدمهم نحو العالم الإسلامي أن يكون هجومهم

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٦ .

والتتار معا ، مع العلم أن التتار في ذلك الوقت كانوا قد دخلوا الاسلام ، الا أن الصليبيين استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة وما كان عليه تيمورلنك من التشيع ، فأقنعوه بوسائلهم الخاصة - كما سبق - بغزو العثمانيين من المشرق وقدومهم من المغرب في آن واحد <sup>(١)</sup> .

وقد أسر أيضا ابنه مصطفى الذي أرسله تيمورلنك الى سمرقند ، وقد أطلق سراحه بعد عدة سنوات <sup>(٢)</sup> ، وهرب أولاده سليمان ومحمد وعيسى ، وكانت هذه الواقعة في ١٩ من ذي القعدة سنة ٨٠٤هـ / ٢٠ من يوليو سنة ١٤٠٢م <sup>(٣)</sup> . ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره بايزيد بل أكرم مشواه . وفي رواية أنه أهانه <sup>(٤)</sup> . بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات <sup>(٥)</sup> ، ولكن السلطان مات بعد سنة من أسره أي سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م <sup>(٦)</sup> . وكانت هذه الهزيمة هي سبب موته كمشهدا وشهر في الأسر ، وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن أباه في مقابر مسلاطين عثمان في بروسه ، وهذا دليل على احترام تيمورلنك للسلطان بايزيد الثاني <sup>(٧)</sup> . وقد أخذ تيمورلنك بعد ذلك في الاستيلاء على الأناضول وعمد إلى ضم الامارات القديمة من أجل تفتيت وتقسيم الدولة العثمانية <sup>(٨)</sup> ، وألا يقوم لها بعد اليوم .

- 
- (١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٣ .
  - (٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١١٨ .
  - (٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٤٦ .
  - (٤) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ . ص ١٩٦ .
  - (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٤٦ .
  - (٦) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته واحداث عهده . ص ١٨ .
  - (٧) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ج ١ . ص ٢٩٦ .
  - (٨) أورخان محمد علي : المرجع السابق . ص ١٨ .

ويذكر المؤرخ أحمد جودت باشا : أنه قد تهيأ لبازيد الأول ما كان مطمح  
أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ،  
وهو فتح القسطنطينية ، لكن من سوء طالعها استولت عليه أهواء النفس في أمره  
فتهاقت على ما لا يتفق من الإسراف والتبذير والميل مع هوى النفس والاسترسال  
في اللهو والخلاعة . وغير ذلك من دواعي التأخر ، اغتتمها تيمورلنك لصالحه  
فوقع له ما وقع ، ففرحت دول أوربا بما وقع للسلطان بايزيد ، فأرسل ملك فرنسا  
تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة ، فأجابه تيمورلنك على التهنئة <sup>(١)</sup> .

وعلى أثر موقعة أنقرة اكتسح تيمورلنك آسيا الصغرى ، واستولى على  
نيقية وبروسه وغيرهما من المدن الساحلية <sup>(٢)</sup> ، وكان تيمورلنك يريد تمزيق  
وحدة الدولة العثمانية ، وتفريق كلمتهم وألا يقوم لهم بعد تلك المعركة أي  
قائمة . كما أنه كان يحرص بعضهم على قتال بعض <sup>(٣)</sup> ، لهذا دب الخلاف بين  
أبناء بايزيد فكل منهم يريد أخذ مكان والده ليحكم الدولة <sup>(٤)</sup> .

وكادت الدولة أن تفلت منهم بسبب هذه الخلافات حول السلطنة وهذا  
ما سمي بفترة فاصلة في التاريخ العثماني ، " أي منفصلة عن محورها الأصلي " <sup>(٥)</sup> .  
وقد دام هذا الخلاف حوالي إحدى عشرة سنة من ٨٠٥-٨١٦هـ /  
١٤٠٢-١٤١٣م حتى استطاع السلطان محمد الأول ابن السلطان بايزيد الأول  
أن يتولى زمام السلطنة بعد إسقاط اخوته ، وأن يجمع الكلمة في يده ، وأن يوحد

(١) تاريخ جودت ج ١ ، ص ٤٠ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٩ .

(٣) امعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٤) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٥) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٠ .

الدولة العثمانية من جديد ، وينفرد بسلطتها <sup>(١)</sup> ولذلك تعتبر معركة أنقرة من أكبر الكوارث التي أحرقت الدولة العثمانية عن فتوحاتها الجهادية في أوروبا حوالي نصف قرن <sup>(٢)</sup> . وان كارثة كهذه لو وقعت على أية دولة لمحتها عن آخرها ، إلا أن الأساس الذي قامت عليه الدولة العثمانية كان متينا فاستقر أمرها بتغلب السلطان محمد الأول الملقب بـ ( جلبي ) على اخوته فتهيأت له بذلك أسباب الاستقلال بالملك كما مر بنا . فرفع شأن الدولة العلية . وعادت في زمن قليل الى سابق عجزها ومجدها ووحدها . ثم توفي في سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م <sup>(٣)</sup> .

ويعود ذلك الى التوفيق الكبير من الله الذي صادف السلطان محمد جلبي لتوحيد ملكه . لذلك اعتبر هو المؤسس الثاني للدولة العثمانية بعهد كرامته أنقرة <sup>(٤)</sup> .

ثم تقلد الملك من بعده ابنه السلطان مراد الثاني الذي قوى أركان الدولة ووسع نطاق المملكة بما يزيد على ما كانت عليه . ولما توفي رحمه الله في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م تولى مكانه ابنه محمد الثاني ( الفاتح ) <sup>(٥)</sup> ، كما سيأتي ذكره .

- 
- (١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني . حياته وأحداث عهده . ص ١١١ .  
(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١١١ .  
(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ج ١ . ص ٤٠ .  
(٤) يلماز أوزتونا : المصدر السابق . ص ١١٦ .  
(٥) أحمد جودت باشا : المصدر السابق . ص ٤٠ .



## الفصل الأول : الدولة في عصرها الأول

- (أ) تطبيق النظم الاسلامية ، فضل الإسلام في قوة الدولة وتماسكها والحصانة الفكرية .
- (ب) الانكشارية والتربية الاسلامية .
- (ج) انتشار الإسلام في أوروبا في عصر عظمة الدولة ، فتابع القسطنطينية وتهديد روما .





ان العصر العثماني الأول هو عصر قوة الدولة ، ذلك العصر الذي طبقت فيه النظم الاسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بأهل الذمة<sup>(١)</sup> ، ففي ظرف مائة عام تبلورت شخصية الدولة ومعالم قوتها ، وعظم أمرها وشاع صيتها ، وصارت دولة عظيمة تهابها أوربا ، بعد أن كانت قبل ذلك امارة صغيرة ، وهذا يعود في المقام الأول الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية ونظمها ، والتمسك بوصية الغازي عثمان بك مؤسس الدولة العثمانية ، عند وفاته حيث أوصى ابنه وولي عهده أورخان بوصايا ثلاث أوجزها فيما يلي :

أولا : تمسك في كل أمورك بالشريعة الغراء وشاور في المهمات أهل الرأي والدهاء .

ثانيا : اعط كل ذي حق حقه من التكريم والإنعام من الخواص والعوام ، الأسيما العلماء الأعلام الذين هم ركائز دين الاسلام لتكون مظهرا لما قيل " خير الناس من ينفع الناس " .

ثالثا : وبما أنك خليفتي من بعدي فتنبه لما هو أعظم من أركان هذا المقام وهو التعظيم " لأوامر الله ، والشفقة على خلق الله " واطلب الأعمال الخيرية من اعلاء كلمة الله ، والغزو لوجه الله .

وقد عمل أورخان بهذه الوصية وسلك بنوه مسلكه القويم<sup>(٢)</sup> ، وأبناؤهم لأحدهم : يابني لا يغرنك المال والجاه من مخافة الله ، واحرص على الدين والسير سر انتصارنا<sup>(٣)</sup> ، فانتهجوا جادة العدل وتطبيق الشرع من غير افراط ولا تفريط .

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة دار العلوم

عبدالعزيز ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشر ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ص ٢١١-٢١٢ .

(٢) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٣٨-٣٩ .

(٣) زياد أبوغيممة : جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٣٨ .

فعدلوا بين رعاياهم ، فوصلت دولتهم بهذه السياسة الاسلامية الحكيمة الى قمة مجدها (١) .

و حين جلس السلطان أورخان على سرير الحكم نقل عاصمته الى مدينة بروسة بعد أن كانت في يكي شهر (٢) .

فورث أورخان عن والده عثمان دولة ليس لها قوانين أو عملة وكذلك ليس لها حدود واضحة (٣) ، لهذا التفت السلطان الى التنظيمات الضرورية ، وسن القوانين والأنظمة بمساعدة رجال حكومته وعلى رأسهم علاء الدين بن عثمان وقره خليل ، فكان أول شيء بدأه أن ضرب السكة العثمانية (٤) . ولما رأى جيوشه لانظام لها ينعت بالاستقرار قام بانشاء طائفة بني جرى " الانكشارية " التي سنتناول الحديث عنها باسهاب في الفقرة التالية ، كما نظر الى أراضي البلاد المفتوحة فقسمها الى قسمين خاص وتيمار (٥) ، فكانت الإيرادات من الأراضي الخاصة للخزينة السلطانية والأمراء والأعيان في الحكومة (٦) .

وقد اكتسب العلماء نفوذا كبيرا بسبب طبيعة مراكزهم الدينية والتعليمية والقضائية . وكان المفتي هو رأس العلماء والذي سمي مؤخرًا شيخ الاسلام ، ويعتبر في المرتبة الثانية في الدولة بعد السلطان . فالدولة تطبق النظم الاسلامية .

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت باشا ، ص ٣٩ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٠ .

(٤) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٥) تعريف الخاص : إيراداتها للخزينة السلطانية ولأمراء العائلة المالكة ولأعيان الحكومة .

تعريف التيمار : هي الحقول التي يتصرف فيها أربابها بالحرث والزرع ويعطون ما عليها من العشور الشرعية ، وما يخصها من خراج للدولة .

— اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٦) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

وتستقي تشريعاتها من دستور المسلمين وهو الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة<sup>(١)</sup> .

وفي ضوء هذه السياسة الإسلامية انطلق العثمانيون في جميع حروبهم الهجومية والدفاعية ، فاعتبروا نشر دين الله وهداية الناس في الأرض من أهم الواجبات المقدسة ، كما حرصوا على القيام بهذا الواجب على حسب ما أقره التشريع الإسلامي<sup>(٢)</sup> .

فعندما قام السلطان عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة بفتح البلاد المسيحية جعل نصب عينيه تطبيق النظم الإسلامية كما كانت تطبق في عصرها الإسلامي الأول ، فأرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بـ

ثلاثة أمور :

– الإسلام – أو دفع الجزية – أو الحرب .

متبعاً في ذلك المنهج الإسلامي وسائر أعلى حسب الخطوات التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم ومن بعدهم من الحكام ، فقبل من أعلن إسلامه ، وأخذ الجزية ممن قبل الانضمام إلى الإسلام الإسلامية من المسيحيين ، وحارب من أعلن الحرب على الإسلام أو الخروج على طاعة المسلمين<sup>(٣)</sup> .

وقد كان الهدف من تلك الحروب الجهادية هو إخضاع عالم الكفر والحرب ( وليس تدميره ، لهذا أقام العثمانيون دولتهم على أساس توحيد المسلمين الإسلامية والبلقان المسيحية تحت حكمهم ، كما ظهرت في الوقت نفسه

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وخصائرتهم ، (المدارة : دار الفکر للطباعة والنشر ، ١٣٠٨ هـ ، ص ٢٠٦) .

(٢) زياد أبو غميمة : جواب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٧٦ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨-١٢٠ .

للكنيسة الارثوذكسية وملايين المسيحيين الأورثوذكس . فقد ضمن الاسلام حياة وممتلكات المسيحيين واليهود في مقابل استسلامهم ودفع الخراج ، وسمح لهؤلاء بحرية ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بكل فئة منهم .

ومع وجود العثمانيين في مجتمع الحدود واختلاطهم مع غير المسلمين طبقوا مبادئ الاسلام بأقصى درجة من التسامح ، وخاصة خلال السنوات الأولى من تاريخ الدولة العثمانية حيث اتبعوا سياسة استهدفت تحقيق النهج الإسلامي في معاملة أهل الديانات الأخرى لكسب ثقة المسيحيين وغيرهم وذلك قبل اللجوء الى الحرب<sup>(١)</sup> .

هذا التسامح اتضح من التزام السلاطين بالشرعية ، حيال الديانات الأخرى وخاصة فيما يتعلق بأهل الذمة ، حيث عاش الرعايا المسيحيون واليهود في أمن وسلام<sup>(٢)</sup> ، جنبا الى جنب داخل الدولة .

ومن أمثلة ذلك أن ارطغرل عهد الى ابنه عثمان مؤسس الدولة بولاية القضاء في مدينة قره جه حصار بعد أن تم فتحها سنة ٦٨٤هـ الموافق ١٢٨٥م . فحكم عثمان لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي ، فأبدى هذا البيزنطي استغرابه ، وسأل عثمان . كيف تحكم لصالحني وأنا لست من أهل دينك أو ملتك؟ فأجابه عثمان قائلا : بل كيف لا أحكم لك ، والذي نعبده يقول لنا : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "<sup>(٣)</sup> ، فكان تطبيق الشريعة الاسلامية سببا في اسلام هذا الرجل<sup>(٤)</sup> .

ولقد طبق العثمانيون المبادئ الشرعية في حماية الفلاحة باعتبارها احدى

(١) ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية . ص ٧٩-٨٠ .

(٢) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا . ص ٥١ .

(٣) سورة النساء : الآية (٥٨) .

(٤) زياد أبوغيمه : جواب مصبنة في تاريخ العثمانيين الأتراك . ص ٧٥-٧٦ .

مصادر الدخل الضريبي ، أو الموارد الاقتصادية للدولة ، لذلك اتخذت دولة الكفالة الإسلامية موقف التسامح لتشجيع الفلاحين فشكل الخراج أو الجزية جزءا كبيرا من إيرادات الدولة<sup>(١)</sup> . كما أن الوارد من العشور والرسوم التي كانت تجبي لخزينة الدولة تعتبر مشروعة و متمشية مع نظام الشريعة ، وهذه العشور هي ما كان يفضله العلماء ويحثون على اقتصار السلاطين عليه<sup>(٢)</sup> .

وكان نظام الملل قد صنف هؤلاء الرعايا تصنيفا لا يقوم على أساس الجنس أو القومية أو اللغة ، بل على أساس المذهب الديني الذي يدينون به . لذلك أصبح لكل ملة رئيس ديني يمارس الحكم الذاتي في المسائل الدينية ويقوم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بأهل ملته كالارث والزواج والطلاق والتبني . كما سمح هذا النظام لكل ملة باستخدام لغتها في السنة التي فتحت فيها القسطنطينية وممارسة عقيدتها ، وتطور نظمها الثقافية ، وجمع الضرائب ودفع ما يخصها الى بيت مال الدولة .

وكان من بين النظم السائدة في الدولة العثمانية النظم الخاصة بالأقليات من رعايا الدول الأوروبية ، وعلى الخصوص التجار الأجانب المتمسكين بالقسطنطينية، فلقد وضعت الدولة نظاما خاصا بهم يعرف بـ " نظام الامتيازات " وعاشت كل مجموعة من هؤلاء طبقا لما نص عليه في المعاهدات الرسمية التي أبرمتها الدولة مع حكام الدول التي تنتمي اليها هذه المجموعة<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) - ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية . ص ٨٠ .  
 - بيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واستردادها . ص ١٠٠ .
- (٢) هاملتون جب : المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى ( القاهرة : المطبعة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م ) ج ٣ ، ص ١٣ .
- (٣) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي . ( بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م ) ص ٦٠-٦١ .

وراعى العثمانيون العدالة في القضاء بين المسلمين والمسيحيين الى درجة أن صدرت فتوى قيل فيها بأنه اذا قتل ألف من المسلمين مسيحيا واحدا مخلصا للسلطان دون حق يجب قتلهم .

ولكي يسهل السلطان للمسيحيين قبول الحكم الاسلامي الجديد سمح لهم باستمرار كنائسهم الأرثوذكسية والاعريقية<sup>(١)</sup> .

وهذا نموذج من النماذج الأخرى الكثيرة حول تطبيق الدولة للنظم الاسلامية في معاملة الذميين كما عاملهم الدين الحنيف .

رأى السلطان سليم الأول عدد أهل الكتاب من النصارى واليهود في الدولة قد زاد على بضعة ملايين وأن هذا العدد يزداد عاما بعد عام ، ففكر في طريقة للخلاص منهم فخيرهم بين اعتناق الاسلام ، أو الطرد من أراضي الدولة العثمانية ، ولكن عندما وصل هذا الخبر الى مسامع شيخ الاسلام على أفندي انبرى للسلطان معترضاً على هذا الاجراء الذي يتنافى وطبيعة الاسلام وما كان عليه السلف الصالح ، فقال للسلطان سليم : ليس لنا على هؤلاء النصارى واليهود الا الجزية فماداموا يؤدونها فقد عصموا من دمائهم وأعراضهم وعبادتهم فيما يعتقدون ، فلا يحق لك أن ترعجهم في دينهم ، ولا يحق لك أن تخرجهم من ديارهم ، فأعلن السلطان سليم رضوخه لحكم الاسلام<sup>(٢)</sup> ، وهذا دليل على تمسك العثمانيين بالنظم الاسلامية وتطبيقها ، حتى تمتع أصحاب الديانات الأخرى غير الاسلامية بكامل حريتهم في معتقداتهم وعباداتهم<sup>(٣)</sup> .

ومعنى ذلك أن الدولة العثمانية دولة قامت على الشريعة الاسلامية

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ( الرياض ، منشورات الفاخرية ) ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٢) زياد أبوغنيمة : جوانب مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٧٦ .

(٣) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامي : ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب ارسلان ( الطبعة

الرابعة ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م ) ، ص ٢٠٨-٢١٠ .

فاتسمت بها تنظيماتها وتشريعاتها ، وأصبحت سمة واضحة في جميع أمور الدولة وتصرفاتها . وكان المفتي أو شيخ الاسلام تخضع لنفوذ الهيئات القضائية أو الهيئات ذات الطابع الديني ، وكان السلاطين حريصين كلما حز بهم أمر أو أقدموا على مشروع حطير<sup>(١)</sup> على الاستعانة بالمفتي حتى يصدر فتواه وبخاصة في الحروب التي تخوضها الدولة دفاعا أو هجوما أو لعقد الصلح .

وكانت الدولة تهتم اهتماما بالغا بشيخ الاسلام والعلماء لنشر التعنة الروحية بين أفراد القوات المسلحة ، واثارة روح الجهاد وصولا الى تسخير الجنود روحيا ومعنويا لخوض المعارك في سبيل نشر الاسلام<sup>(٢)</sup> .

وقد تجلى هذا الأمر في حرص الدولة :

أولا : على تطبيق مبادئ الشريعة الاسلامية تطبيقا صادقا وهذا ما كانت

تؤكد في شتى المناسبات معلنة أنها تلتزم التزاما دقيقا بمبادئ الشرع .

ونذكر هنا نموذجا على سبيل المثال لا الحصر وهو أنها حين أصدرت قانون

نامه الذي أكمله السلطان سليمان القانوني ، توجت هذا القانون بجملة معبرة

وردت في صدره هذه الجملة هي : " قانوننا مي سلطاني كي شريعي شريف

موافقاني محرر اولوب " أي " القانون نامه السلطاني الذي يتفق مع الشريعة

الشريفة " .

ثانيا : المحافظة على التقاليد الاسلامية ، وعلى سبيل المثال أن السلطات

العثمانية لم تكن تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان ، ولذلك لم يجوز أن

(١) ريباد أبوغيمية : جواب مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك . ص ٧٦

محمد جميل بيهم : العرب والترك في الصراخ بين الشرق والغرب . ص ١٢٤

١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م . ص ١٢٤ .

(٢) عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مصنفة عليها . ( القاهرة : الناشر مكتبة

الانجلو المصرية . ١٩٨٠ م ) . ج ١ . ص ٥٤ .



مهما كان مركزه ، مسلما كان أو غير مسلم ، أن يأكل أو يشرب في مكان عام أثناء النهار طوال هذا الشهر المبارك ، وإذا أقدم على ذلك فإنه يعاقب شرعا ويشهر به أمام الناس وفي الشوارع العامة (١) .

من هنا أتى تاريخ العثمانيين في عصرهم الأول تجربة فريدة معتمدا على تطبيق النظم الاسلامية في مطلع العصر الحديث ، وفي دولة مركز الثقل فيها القسطنطينية سيدة البلقان . وقد عرفت أوروبا أن المسلمين قوة ثابتة الدعائم في أوروبا خلافا لمحاولات الحصار العربي للقسطنطينية في العصور السابقة وعلى مختلف العصور .

الا أنه يجب أن نشير الى دور الاسلام كأهم عامل من عوامل المقاومة ضد الاستعمار الأوربي ، وخلال عصور الاستعمار الطويلة كان للاسلام الفضل الأكبر في تحطيم مشروعات الاستعمار بالنسبة للسكان المسلمين في المستقرات وظلت الشخصية الاسلامية سليمة على الرغم من محاولات الاستعمار المتعددة لهدم هذه الشخصية ، والاسلام هو الذي أعطى للدولة القوة الخارقة وذلك التماسك الذي حير الأوربيين على مدى تاريخها الطويل ، وليس أدل على قوة الدولة العثمانية وتماسكها من أن الغزو الفكري الأوربي تأخرت نتائجه حتى بدء عصر السلطان عبدالمجيد بن محمود الثاني ، حيث أصبحت الدولة عارية بعد أن قضى السلطان محمود الثاني على الانكشارية (٢) .

وهذا هو سر عظمة السلاطين الأول الذين وضعوا بناءها على أساس مكين عندما تمسكوا بمبادئ دينهم ومحافظتهم على تعاليم الشريعة السمحاء فكان

(١) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ج ١ . ص ٥١ .

(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية بالأزمة ( مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦هـ ) ص ٨٠-٨٢ .

المسلمون يطيعون السلطان وليس لبعضهم على البعض الآخر فضل  
الإبالتقوى<sup>(١)</sup> .

لذلك لم يعرف التاريخ دولة صمدت للزمن ومحتته كدولة آل عثمان في  
القرون الثلاثة ، القرن العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر الهجري الموافق  
للقرن السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر الميلادي ، فقد فرضت  
وحدة شبه عامة للعالم الإسلامي ، أرهبت أوروبا وهزتها ، ثم قامت بتحرير شعوب  
إسلامية كانت قد سقطت في أيدي الصليبيين ، فحررت تونس والجزائر وأجزاء  
من المغرب و ليبيا ، وأنقذت أجزاء من المشرق من اكتساح صليبي بدأ يستولى  
على البحار ويطوف العالم الإسلامي<sup>(٢)</sup> ، فاستطاعت الدولة أن توقف هذا  
الزحف وتصد هذا المد عن المشرق العربي .

---

(١) حسين ليب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ٩

(٢) هيئة التحرير : مجلة الدعوة السعودية ( العدد ٥٧٠ ، ٢٥ شوال ١٣٩٦هـ ) ، ص ٤ .

## ب - الانكشارية نموذج فريد للتربية الاسلامية :

كان العثمانيون عند قدومهم الى آسيا الصغرى لا يزالون على البداوة يجاهدون تحت راية أميرهم ، ويقتسمون الغنائم فيما بينهم ، فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى شئونهم ، فلم يكونوا جنودا منتظمة بل كانوا يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم .

فلما وضع عثمان أساس الدولة العثمانية على أنقاض دولة السلاجقة في آسيا الصغرى ، أصبح العثمانيون في حاجة الى من يحارب معهم لبناء دولة اسلامية كبرى تدافع عن الاسلام ، فكان يأتيهم المتطوعون ينضمون اليهم رغبة في الفتح والجهاد ونشر الاسلام ، ولا يحاربون الا على ظهور الخيل ، وكانوا يسمون أولئك المحاربين ( اكينجي ) ، وكانوا يتدربون على الحركات العسكرية تدريباً حسناً ، واشتهروا على الخصوص بانتظامهم في الصفوف ، فاذا مشوا كانت أفراسهم صفا واحداً . وكان عثمان اذا عزم على الحرب بعث المنادين الى القرى والبلاد لإعلان عزمه ودعوة من يريد الإشتراك في الجهاد<sup>(١)</sup> .

وعندما ورث السلطان أورخان السلطنة عن والده كما سبق ذكره كان لزاماً عليه مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ، فقد رأى أن جيوشه المؤلفة من الفرسان التركمان ، والمتطوعين من الرعية للحرب ليس لهم نظام دائم ولا معرفة بقوانين الضبط والربط ، وبذلك فانهم يشعرون بأنهم ليسوا محكومين لأحد<sup>(٢)</sup> . فكان السلطان أورخان يعتمد في حربه التي يشنها ضد البيزنطيين على

(١) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ( مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء الثاني ، السنة السابعة عشرة

١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م ) ص ٤٥٧ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

المرابطين في الحدود ( مجاهدي النفير ) والذين كان يطلق عليهم بالتركية ( Akincilar ) أي المندفعون ، ويسمون أيضا أهل النفرة (١) وهم الذين يستجيبون لنداء الجهاد تجسيدا لقوله تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ (٢)

فهو أيضا لم يمتلك جيشا نظاميا وانما كان لديه منات من فرسان عشيرته ومن المجاهدين ومن أمراء الروم وعساكرهم الذين دخلوا الاسلام اثر الفتوحات العثمانية . وحينما كان يريد اعدادا اكثر مما لديه يطلق النفير ( حي على الجهاد ) فتوافد عليه جموع المجاهدين من كل صوب (٣) فاذا وضعت الحرب أوزارها عاد المجاهدون من حيث أتوا لانتظار دعوة أخرى للجهاد (٤) . وكانت هذه الطريقة غير مجدية لأنها تضيع كثيرا من فرص الفوز وذلك لأنه عندما يعلن النفير العام كان جمع الأفراد يستغرق فترة طويلة من الزمن مما يمكن العدو من تعزيز مواقعه فتفوت بذلك فرص الفوز على قوات العدو (٥) . كذلك فان هذه الطريقة تجعل أفراد المحاربين أكثر ارتباطا بقبائلهم مما يؤدي الى انفصام عرى الوحدة العثمانية داخل قوات الدولة التي تسعى الدولة جاهدة لتحقيقها . كما أن بعض

(١) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية . ج ١ . ص ١٢ .

زياد أبوغيممة : جواب مضية في تاريخ العثمانيين الأتراك . ص ١٤٤ .

حسين ليب : تاريخ الأتراك العثمانيين . ج ١ . ص ١٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية (٤١) .

(٣) زياد أبوغيممة : المرجع السابق . ص ١٤٥ .

- حسين ليب : المرجع السابق . ج ١ . ص ١٠ .

- أحمد رشيد : خريطة في ورسملي تاريخي عثماني . ج ١ . ص ١٤-١٥ .

(٤) زياد أبوغيممة : المصدر السابق . ص ١٤٥ .

- حسين ليب : المصدر السابق . ج ١ . ص ١٠ .

- كامل باشا : المصدر السابق . ج ١ . ص ١٢ .

(٥) كامل باشا : المصدر السابق . ص ١٢ .

كان حريصا على جمع المال . ولذلك خشي السلطان أن مثل تلك الأمور قد تصرف قواد المحاربين عن الهدف المنشود ألا وهو الجهاد في سبيل الله <sup>(١)</sup> . خاصة وأن حملات البيزنطيين قد زاد تهديدها للدولة العلية . فوجد أورخان صعوبة في تجميع المحاربين في الوقت المناسب ، ففكر في طريقة جديدة لتجميع قوة لقتال البيزنطيين الذين اخذ خطرهم يتصاعد يوما بعد آخر . فاستشار اخاه علاء الدين وزير الدولة وبعض قوادها الآخرين ، فاشاروا عليه وخاصة علاء الدين وقائده قرة خليل بفكرة ايجاد جيش نظامي دائم يكون مستعدا استعدادا كاملا لخوض المعارك ضد أعداء الدولة وأعداء الاسلام ، ويكون موجودا في حالة الحرب والسلام على حد سواء <sup>(٢)</sup> . على أن يخصص لكل فرد من أفراد ذلك الجيش راتب معين في اليوم وقدره ليرة عثمانية واحدة مقابل هذا التفرغ <sup>(٣)</sup> لأنه ليس من العقل التجاء السلطان الى جيش غير متفرغ ولا منظم ، بعد أن رأى فساد ذلك الاتجاه في الدولة البيزطية وأيضا ليس من المقبول أن يجاهد العثمانيون بقوات غير منظمة <sup>(٤)</sup> .

وبما أن الغزو والجهاد لازال قائما في بلاد الروم ومتابعا ، فقد أشار على

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٢٢-١٢٣ .

- كامل باشا : المصدر السابق . ص ١٢ .

(٢) زياد أبو عيمة : المصدر السابق . ص ١٤٥-١٤٦ .

- كامل باشا : المصدر السابق . ص ١٢ .

(٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه . ج ١ . ص ١٢ .

(٤) محمد عبداللطيف البحرأوي : في خصائص تاريخ العثمانيين وحصارتهم ( مجلة الدارة . ع ٤ . ص

١٣ م . ١٤٠٦ هـ ) ص ٢٠٤ .

السلطان رجال حكومته بأخذ خمس الأسرى<sup>(١)</sup> ، وفصلهم عن كل ما يذكروهم بجنسهم وأصلهم ، فيربون تربية اسلامية ، بحيث لا يعرفون أبا الا السلطان ولا عملا الا الجهاد في سبيل الله ، ولعدم وجود أقارب لهم يضمن السلطان عدم تحزبهم أو عصيانهم عليه ، فأعجب السلطان بهذه الفكرة والرأي وأمر بانفاذه في الحال<sup>(٢)</sup> ، فأسند هذا العمل الى قرّة خليل .

والحقيقة أن العثمانيين يومئذ كانوا يواصلون جهادهم في فتح البلاد الواقعة في أملاك الامبراطورية البيزنطية وأكثر أهلها من المسيحيين ، فدخل في حوزتهم الألوف من غلمان النصارى الذين قتل أبائهم نتيجة تلك الحروب فأصبحوا لانصير لهم ولا مرجع لآمالهم ، ولذلك ارتأى السلطان أن يربي أولئك الغلمان تربية اسلامية<sup>(٣)</sup> .

وعلى اثر ذلك نشأ هؤلاء الأطفال نشأة اسلامية لأنهم تربوا في بيئة اسلامية بعيدا عن الوسط المسيحي ، فأثر ذلك في ميولهم وعقليتهم نتيجة ما لهذا الدين الجديد من أمور انسانية عظيمة<sup>(٤)</sup> ، فاذا صاروا الى حالة حميدة من التربية والانتظام أدخلتهم الدولة في سلك الجيش الجديد<sup>(٥)</sup> فلا يخشى منهم الاعداء .

(١) أحمد زين دحلان : الفتوحات الاسلامية .. ( القاهرة . مؤسسة الحلبي وشركاه ناشرون . ١٣٨٧هـ ) ، ج ١ ، ص ١١٧ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤١٤ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) هيئة التحرير : تاريخ الجند ( مجلة الهلال ، ج ٨ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩ ) ، ص ٤٥٨ .

كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه ، ص ١٣ .

(٤) محمد عبداللطيف البحراري : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضريتهم ( القاهرة ، دار الفكر العربي ) ، ص ١٣ .

(٥) أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ج ١ ، ص ١١٧ .

- احمد رشيد : خريطة لي ورسملي تاريخي عثماني ، ج ١ ، ص ١٤-١٥ .

لأنهم لا يعرفون عصبية غير الدولة ، ولا عملا غير الجندية ، ولا دينا غير الاسلام<sup>(١)</sup> .

وقد ارتبطت هذه القوة منذ بداية نشأتها بهيئة العلماء في الدولة العثمانية ، وذلك حينما عهد السلطان أورخان الى حاجي بكتاشي أشهر علماء عصره وأكثرهم سلطة دينية في الدولة برعاية هؤلاء الجند ، ووضع أصول تربيتهم تربية إسلامية صحيحة ، فقام الشيخ بكتاشي بوضع مناهج لتعليمهم وتدريبهم على أسس إسلامية سليمة<sup>(٢)</sup> .

إذا فهم نخبة موظفين يقيمون في ثكناتهم على الدوام ، وهم في غاية الطاعة والانقياد ، مع ما هم عليه من الشجاعة والثبات في المعارك للجهاد في سبيل الله واعلاء كلمته<sup>(٣)</sup> .

وقد شجع السلطان أورخان تحويل الرعايا المسيحيين الى رعايا عثمانيين مسلمين ، ولم يتبع في ذلك الوقت العنف والاكراه<sup>(٤)</sup> ، بل اتبع الترغيب

(١) محمد عبداللطيف البحراري: المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراري : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

أحمد زيني دحلان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ .

أحمد رشيد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤-١٥ .

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٣٩ .

Stanford J. Shaw, Ezelkural Shaw: Osmanli Imperatorlugu ve modern, Turkiy, p. 15.

(٤) يذكر كارل بروكلمان : أن الدولة أكرهت النصارى الذين اختيروا لتأليف الجيش الجديد

الانكشاري على الدخول في الدين الاسلامي . وهكذا افتتحت الدولة هذه الحملة بأن انتزعت ألف

غلام بصراني من بيوت آبائهم وأكرهتهم على رفض معتقدتهم . بيد أن تطلع هؤلاء الى استقبال باهر

جعلتهم يتعلقون بشخص السلطان ويخلصون له . والواقع أن القوة الجديدة الانكشارية نظمت

تنظيما دينيا .

والتهذيب ، وكانت الوظائف عامة وخاصة الدينية والعسكرية منها في ذلك الوقت تقتصر على المسلمين <sup>(١)</sup> ، حتى صار النصارى يطلبون من تلقاء أنفسهم ادخال اولادهم ضمن الانكشارية <sup>(٢)</sup> .

وكان أهم مصادر الانكشارية هي : أسرى الحرب نتيجة الجهاد على حدود العالم المسيحي . ثم ما كانت تقدمه العائلات المسيحية طواعية من أبنائهم وليس صحيحا أن هؤلاء الغلمان كانوا يقدمون كجزية أو ضريبة كما يدعي البعض <sup>(٣)</sup> ، ولا توجد وثيقة واحدة تشير او تؤيد هذا القول ، بل ان هذه الأسرى نفسها كانت تتنافس في تقديم أبنائهم لاعتجابهم بالانكشارية . ونظام الانكشارية كنوع آخر من الفروسية ، فاق فروسية أوروبا في العصر الوسيط . وطبعاً ان تفتح أبواب وظائف الدولة أمام أبنائهم . اضافة الى نظام أهل الذمة الذي مكنت الدولة كجزء من نظمها الإسلامية قد أبهرت أوروبا في وقت انعدمت فيه الفروسية الدينية في أوروبا ذاتها أو كادت ، بل إن اقبال الأسر المسيحية على ذلك دفع الدولة الى أن تشترط أن يكون الغلام هو الابن الخامس أو العاشر في الأسرة .

(=) وقد يهج على موالد كثير من المؤرخين الأوربيين وأخذ عنهم بعض المؤرخين المسلمين في الرواية . وهذا نحن بدورنا نطلب الدليل على هذه القربة ، لأننا خالفهم هذا الرواية تماماً . وطلب النصارى أنفسهم انضمام الى الانكشارية .

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضرتهم . مجلة الدراسات الإسلامية ، ص ١٣ . ٢٠٤ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

(٣) هي حسيماً ادعاء البعض ضريبة ادمية فرضتها الدولة على رعاياها المسيحيين . انظر الكيسمة الارثوذكسية الشرقية القائمة في اسطنبول ، وكذا تجميع الامم والديانات في الاسلام وتحويلهم الى الدين الاسلامي وتنظيم لهم دراسات علمية ، مديسة وعسكرية لتجعل منهم في النهاية أدوات اسلامية للحرب والحكم في خدمة الاسلام .

- عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مشرقة عليها ، ج ١ ، ص ١٢٠ .



الواحدة<sup>(١)</sup> . وكانت عقيدتهم التنادي الى السلاح نحو الجهاد في سبيل الله تعالى . وكان الانكشاريون كتلة واحدة تشعر بواجبها الإسلامي العظيم وبالمهمة التي أعدوا من أجلها ، السيف سلاحهم متى ما احتاجوا اليه ، ودعوة الحق شعارهم ، والرحمة والشفقة تملأ قلوبهم ، ذلك لأن الإسلام دينهم وعقيدتهم والسلطان أبوهم وقاندهم . كانوا مثقفين متدينين بدين الإسلام ، وقبل خوض المعركة كانوا يستعدون للشهادة فيتطهرون ويصلون لربهم ويطلبون سجادهم في صلاتهم خشوعاً لبارئهم بنفوس مفعمة بالإيمان صافية كلها رحمة وعدل<sup>(٢)</sup> . وعلى العموم كانت أسرة آل عثمان أكبر عائلة عرفها التاريخ الحديث شادت صرح دولتهم ، ودافعت عن الإسلام دفاعاً مشهوراً ، وزادت رقعته ، كما عملت على نشر الإسلام في معظم الأجزاء الأوربية<sup>(٣)</sup> .

ثم إن دخول الأتراك الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، وقيامهم بدور المجاهد الأول في سبيل الله أمام الامبراطورية البيزنطية أكسب هذه الدولة العثمانية أصالة وحصانة فكرية في الإسلام ، ومكانة عالية في النفوس ، فكانت هذه الدولة تملك قوة روحية كبيرة أصيلة نابعة من القيم والعقيدة الإسلامية الصافية تستطيع أن تعتمد عليها من وقت لآخر لاعادة تنظيم نفسها والوقوف على أقدامها كلما تعرضت لنكسة شديدة ، ومعنى ذلك أن الإسلام وحضارته الراقية

---

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضرتهم . مجلة الدارة . ع ٤ .

س ١٣ . ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٢) عبدالعزيز سليمان بوار : الشعوب الإسلامية ( بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

١٩٧٣ ) ص ٤٨-٤٩ .

(٣) عبدالعزيز سليمان بوار : المرجع السابق . ص ٦٣-٦٤ .

في جميع المجالات طور الفكر التركي العثماني ، وثناه حضاريا ، وهما هي الخلافة  
واقطلع من جذوره البداوة والتعصب ، وغرس فيه روح التنظيم والجهاد والبطولة  
هذا الأساس سارت السياسات العليا العثمانية لتكون نبراسا للظلم والفساد  
بها ويهتدي بنورها حفاظا على تماسك البناء الاسلامي للبرية والامة الاسلامية  
تعارها الدفاع عن الإسلام (١) في أي موقع وعلى أي اتجاه . وعلى هذا الأساس  
نقام السلطان أورخان بن عثمان ووزراؤه هذا الجيش الذي رافق تكوير الدولة  
فكان أداة في انتصاراتها بتوفيق من الله وعونه إلى جانب الجهاد في انتصارات  
الدولة ، حتى فشلت مهمته في الدور الثاني من عصر الدولة

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٤٤

## ج - انتشار الإسلام في أوروبا في عصر عظمة الدولة : فتح القسطنطينية وتهديد

روما :

قبل أن ندخل في تفاصيل فتح القسطنطينية فلا بد من أن نستعرض بإيجاز سلطنة السلطان مراد الثاني الذي استلم العرش سنة ٨٢٤هـ الموافق ١٤٢١م ، كمدخل لحكم السلطان محمد الثاني ، وخصوصا أنه أشركه في الحكم وهو لم يبلغ سن الرشد وقد زاده هذا العمل حنكة سياسية وخبرة بالحروب الصليبية كما سيأتي . وقد افتتح السلطان مراد الثاني أعماله بإعادة العاصمة الى أدرنه ، وعقد مصالحة مع أمير القرمات ، وهدنة مع ملك المجر لمدة خمس سنوات ، حتى يتفرغ الى إعادة الولايات التي شقت عصا الطاعة بعد وصول تيمورلنك اليها ، فاسترد ولايات قسطنوني ، وآيدين ، وصاروخان ، ومنتشا ، وغيرها من الامارات التي استولى عليها تيمورلنك بعد وقبل موقعة أنقرة من السلطان بايزيد الأول ، كما أن السلطان مراد الثاني استرد بلاد القرمات في سنة ٨٣١هـ الموافقة لسنة ١٤٢٨م ، وذلك بعد وفاة أميرها من غير عقب ، فأوصى بالملك من بعده للسلطان مراد الثاني<sup>(١)</sup> . وتفرغ السلطان بعد ذلك لاستعادة ما استقل من بلاد أوروبا وخاصة دول البلقان<sup>(٢)</sup> . فاتجه نحو أوروبا ، فحارب ملك المجر ، وفتح مدينة كولباز الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الأيمن ، حتى يكون هذا النهر فاصلا بين أملاك المجر والدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> . وفي سنة ٨٣٢هـ الموافقة لسنة

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٣-١٥٤ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٣-١٥٤ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٣ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ .

١٤٣٠م ، أعاد السلطان فتح سلانيك وعزم على فتح ما بقي من بلاد الصرب والبانيا ( الارنوط ) والفلاخ فأخضع بلاد البانيا ، ثم الفلاخ في سنة ٨٣٥هـ الموافقة لسنة ١٤٣٣م ، التي سلم أميرها بسيادة الدولة هلعاً من الحرب ، ولكنه مالبت أن تار مع أمير الصرب لتحريض ملك المجر لهما لمحاربة الدولة ، فحاربتهمسا الدولة وفتحت سمندرية<sup>(١)</sup> بسبب عصيان أمير الصرب ، وحاصرت مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب ، ولم تتمكن من فتحها<sup>(٢)</sup> .

ثم واصل السلطان مراد الثاني الغارة على ترنسلفانيا ، فحاصر مدينة (هرمان ستاد)<sup>(٣)</sup> التابعة لملك المجر وكان حاكم هذه الأقاليم ( هونياد ) القائد المجري الشهير وقائد عموم جيوش المجر ، فأتى هذا القائد مسرعاً ، للدفاع عنها ، فاستطاع الانتصار على العثمانيين ، والزمهم الرجوع الى خلف نهر الدانوب ، وخلال هذه المعارك قتل قائد القوة العثمانية شهاب الدين باشا ، فحث القائد المجري جيشه على السير لتخليص بلاد الصرب ، فتغلب على السلطان مراد الثاني الذي تصدى له في مدينة نيش<sup>(٤)</sup> فأصبحت أملاك العثمانيين في خطر ، لهذا عرض السلطان مراد الصلح<sup>(٥)</sup> ، وبمقتضاه استرجعت الصرب استقلالها بعودة

(١) معاهد القديس اندريا مدينة واقعة على نهر الدانوب ( الطوبة ) بعد ٤٥ كيلو متراً عن بلغراد عاصمة الصرب .

- على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ ، حاشية رقم (١) .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٣) تقع هذه المدينة هرمستاد ( Harmannstat ) في رومانيا الى الشمال الغربي من بخارست . - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٦ ، حاشية رقم (٢) .

(٤) ويقال لها نيشا مدينة في جنوب الصرب ، واقعة على الطريق الموصل الى سسبون ، وسلاينث ، وهي بلدة يوغوسلافية .

- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ، حاشية رقم (٢) .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٦-١٥٧ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٠٢-٥٠٣ .

سندرية ، وضمت المجر و لاشيا ، كما تنازل السلطان لهم عن الأفلاق فاتفق الفريقان على إيقاف الحرب لمدة عشر سنوات ، وتم التوقيع على هذه المعاهدة في سنة ٨٤٨ هـ الموافقة لسنة ١٤٤٤ م<sup>(١)</sup> .

عقب ذلك توفي علاء الدين ابن السلطان مراد الثاني ، فحزن عليه السلطان وسئم الحياة ، فتنازل لابنه محمد الثاني البالغ من العمر آنذاك أربع عشرة سنة ، وذهب الى مغنيسيا بايدين في آسيا الصغرى ليتفرغ للعبادة والخلوة وذلك<sup>(٢)</sup> .

وحيثما تنازل مراد الثاني عن الحكم لابنه محمد الثاني ، قام المسيحيون بقتل الصليح<sup>(٣)</sup> ، ونظموا حملة صليبية خامسة للقضاء على الدولة العثمانية ، نشبت فيها عدة دول أوربية<sup>(٤)</sup> .

(١) إسماعيل سرهنتك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٧ .

أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٤ .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٦ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

إسماعيل سرهنتك : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٤ .

أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥ .

يوسف اصناف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، (الطبعة الثالثة ، دمشق ، البصائر ،

١٤٠٥ هـ) ، ص ٥٤ .

(٣) يوسف اصناف : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

إسماعيل سرهنتك : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ .

(٤) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته وأحداث عهده (الطبعة الأولى ، الكويت ،

دار الوثائق ، ١٤٠٧ هـ) ص ١٩ .

ذلك أن ملوك النصارى تنادوا لاعداد هذه الحملة وفعلا تم اعدادها في سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م ، وتوجهت تلك الجموع بعد ذلك نحو اراضي البلقان ، فاجتازوها ، وهجموا على الحماميات العثمانية ، وهناك انزلوا بها عمودا من العذاب ، ثم واصلوا تقدمهم الى البحر الأسود واستولوا على وارنا (١) ، فعقد السلطان من عزلة له صد الحملة فأحرز التصار حاسما على جيوش الصليبيين البوسنة والصرب اللتين اعترفتا من جديد بالسيادة العثمانية خوفا من العاقبة القسري إلى الكاثوليكية فيما لو انتصر هو بباد زعيم الحلف الصليبي (٢) ، والتقليدي للدولة العثمانية .

ثم عاد السلطان مراد الثاني بعد ذلك إلى خلوتته من جديد ، وأمر ببناء بها طويلا ، بل انه عندما شاهد تمرد الجيش الانكشاري وثورتهم على مراد محمد الثاني لصغر سنه شن هجوما كبيرا عليهم حتى استطاع احمد ثورتهم سنة ٩٥٢هـ الموافق ١٤٤٥م .

وخوفا من رجوعهم إلى الثورات مرة أخرى اشغلهم بحرب المروم حتى استسلم أهلها وقبلوا دفع الجزية (٣) . وخشية من تكرار الثورات ، واشتداد

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٦٤ .

يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان . ص ٥٤ .

على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٦ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٤٠٥ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية . ص ٥٨ .

على حسون : المصدر السابق . ص ٢٦ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٩٤ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٦٤ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٥٨ .

الدولة العثمانية فانه استمر في ادارة شئون دولته لمدة ست سنوات ، تمكن خلالها من ايقاع هزيمة بهونيات (١) ، عندما اراد هونيات الغارة على بلاد الصرب ليثار لنفسه ويعيد ما فقدته من الشرق الأدنى اصطدم بالجيش العثماني في وادي قوصوه في معركة حاسمة انتصر فيها السلطان مراد الثاني نصرا عظيما وذلك في سنة ٨٥٢هـ الموافق ١٤٤٨ م . وكأنه أعاد بذلك انتصارات سلفه مراد الأول من قبل على ملك الصرب سنة ٧٩٢هـ الموافق ١٣٨٩ م ، وفي هذا الموقع بالذات .

بعد هذه المعركة بثلاث سنوات وبالتحديد في ٥ من محرم سنة ٨٥٥هـ الموافق ٧ من فبراير سنة ١٤٥١م توفي السلطان مراد الثاني في أدرنه ، ونقل جثمانه الى بروسه . حيث دفن هناك فتولى من بعده ابنه السلطان محمد الثاني (٢) وما ان تولى السلطان محمد الثاني مقاليد السلطة في الدولة العثمانية حتى سارع الى تأمين حدود دولته من ناحية نهر الدانوب ، كما ألزم الامبراطور البيزنطي قسطنطين دفع الجزية ، ولم يبق آنذاك من ممتلكات الدولة البيزنطية الا القسطنطينية وضواحيها (٣) .

ومن أجل ذلك شرع السلطان محمد الثاني البالغ من العمر عند توليه السلطة تسعة عشر عاما في الاستعداد لإتمام فتح ما بقي من بلاد البلقان والقسطنطينية ن حتى يحقق بذلك الحلم الكبير والأمنية العظيمة التي طالما تمنّاها

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني . ص ٦٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية . ص ١٥٩ .

اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٥٠٥ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٣ .

أسلافه<sup>(١)</sup> خاصة وأن والده قد شرع من قبل في حصار القسطنطينية ، لكنه لم يتمكن من فتحها ، لتحالف أوروبا والثورات في آسيا الصغرى كما هو بنا<sup>(٢)</sup> ، فأخذ السلطان محمد الفاتح ينفذ وصية والده مراد الثاني في التحضير لفتح القسطنطينية<sup>(٣)</sup> ، حيث سبق لأسلافه العثمانيين عدة محاولات لفتحها لشعورهم أنها العاصمة الطبيعية لدولتهم<sup>(٤)</sup> ، والقاعدة التي يجب أن تنطلق منها الفتوحات الإسلامية لتشمل كامل القارة الأوروبية .

وقد أدرك السلطان محمد الثاني أن نجاحه في فتح هذه المدينة يتطلب أن يتفرغ تفرغاً كاملاً لهذه المهمة ، فعهد إلى توثيق علاقاته مع القوم المجاورة ، وتحميد الخلافات معهم ، حتى لا تشغله عن هدفه العظيم ، كما أنه استغل القوم المسيحية المجاورة للدولة العثمانية ترغيباً في عقد اتفاقيات الصلح ، كما انتهز يونانيس كومنيوس الرابع امبراطور طرابزون الكاثوليكي والموارثيون في صربيا وملك الصرب جورج برانكوفيش ، وأمراء وحكام الأقاليم ، ورومانيا وغيرها من الإمارات الأوروبية الأخرى مناسبة تسلمه السلطان مؤامراتهم فتسابقوا إلى إرسال الوفود إليه للتهنئة وتقديم الهدايا إليه ، وعلى أثر ذلك عقدت معاهدات جديدة ، كما سارع بعضهم إلى تجديد المعاهدات القديمة التي كانت بينهم وبين السلطان مراد الثاني .

وقد أظهر محمد الثاني في هذه المناسبة مرونة فائقة ليضمن بذلك

(١) يلماز أوزتورن : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦١ .

(٢) عبدالسلام عبدالعزیز فهمي : فتح القسطنطينية ، ( دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٩م ) ، ص ٣٦ .

والنشر ، ١٩٦٩م ) ، ص ٣٦ .

(٣) علي حمون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٥ .

محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥ .



وتوقفهم عن تقديم أي مساعدة عندما يقرر توجيه ضربته الفاصلة نحو القسطنطينية ، إلا أنه فوجيء في هذا الوقت بعصيان أمير سلطنة القرمانيين السلجوقية ، فسارع السلطان محمد الثاني إلى اتخاذ هذه الفتنة بعقد الصلح معه . وبينما كان السلطان في طريقه إلى بروسه تواترت إليه الأخبار بإعلان عصيان أمراء منتشيا ، وكرميان ، ضد الدولة العثمانية فأرسل قواته إلى تلك المناطق وتم اخماد هذه الثورة المسلحة (١) .

إن مثل هذه الثورات قد أغرت الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر ، فتميز هذه الفرصة لإبعاد الخطر عن القسطنطينية ، فبعث إلى السلطان محمد الثاني يهدده بأنه سيمد يد العون إلى الأمير أورخان (٢) لمنازعتة على عرش السلطنة (٣) إذا لم يخصص له بعض المخصصات المالية ، فغضب السلطان غضباً شديداً ، وكان هذا أحد الأسباب القوية حول دفع السلطان لاتخاذ القرار اللازم لتفتح القسطنطينية (٤) ، إضافة إلى ذلك أهمية موقع القسطنطينية لدولته ، نظراً لوقعتها الجغرافية عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق البوسفور والدرديل اللذين يصلان البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود بواسطة بحر

(١) زيد أبو عزيمة : السلطان اعاهد محمد الفاتح ، فتح القسطنطينية ( الطبعة الثانية ، عمان ، دار

التحريات للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٩-٣٢ .

(٢) أورخان هذا هو حميد سليمان بن السلطان بييريد الأول الذي لجأ إلى القسطنطينية أثناء الصراع على السلطة عقب موقعة أنقرة .

- ابراهيم بك حليم : التحفة الخليفة في تاريخ الدولة العلية ، ص ٦٤ .

(٣) زيد أبو عزيمة ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

- احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٥-٦٦ .

(٤) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

مرمره ، ولا يزيد عرض ذلك الممر المائي عن كيلو متر (١) ، فهو ممر تكثر الاتساعات  
البحري والبري بين القارتين أوروبا وآسيا وطريق هام للملاحة العالمية (٢) .  
ولكن الدوافع الحقيقية والكامنة وراء محاولة هذا الممر الاتساع في  
دوافع إسلامية بحثة حافرها بشاره الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) .  
لذلك كان سلاطين الدولة العثمانية موجهين أنظارهم إلى سلاطين  
وقد ورد في الحديث الشريف ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن  
حنبل حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ومحمد بن عيسى بن عبد الله بن  
أبي شيبة قال - حدثنا زيد بن الحباب ، قال حدثني أبو يزيد بن المنصور  
حدثني عبد الله بن بشار الخثعمي عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم  
لتفتح القسطنطينية وتضعه الأمير أميرها - رابع الخوارزمي - في  
فدثناني مسلمان بن عبد الملك فدثناني فماتت في سنة ١٤٥٣ هـ في  
أورد السيوطي في الجامع الصغير وعزاها إلى الإهداء الخليفة عبد  
والحاكم في المستدرك ، ورواه بالصححة بشر البجلي في  
السته ، ولما كانت أحوال القسطنطينية الناجمة في ذلك الوقت من  
الناحية الاقتصادية والدينية للاختلاف المذهبي حول توجهها إلى  
ثم ان بقاه القسطنطينية في أسدي عرقهم من غير المسلمين .

(١) اصبح نقطة في هذا الممر المائي عند اسطبول حيث يقسم القسطنطينية إلى قسمين .

- بلدي اوزنور ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ .

(٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٤) أحمد بن حنبل : مسند الامام أحمد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ص ١٠١ .

(٥) محمد المدعو عبدالرؤوف المدوي ، فصل التدبير في تاريخ احمد بن المنصور بالله عليه السلام .

المعرفة للطباعة ، ١٣٩١ هـ ، ١٩٧٢ م ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٦) اسماعيل سرهك ، حقائق الاحبار عن دول المعمرين ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

من شأنه تهديد المواصلات ما بين أملاكهم الأوربية والآسيوية ، ففتحها وضمها للدولة العثمانية كفيل بتشديد قبضة العثمانيين على الأراضي التي يحكمونها ، ويخضع عليهم المهابة من الدول المسيحية<sup>(١)</sup> ، ولينال السلطان محمد الثاني وجيشه الشرف النبوي ليكونوا هم المعنيين بهذا الحديث .

وقبل الشروع في هذا الفتح فكر السلطان في تحصين بوغاز مضيق اسطنبول حتى يضمن قطع مدد أهل طرابزون وغيرهم من المسيحيين من مد يد المساعدة إلى أهل القسطنطينية<sup>(٢)</sup> . ومن أجل ذلك شيد السلطان محمد الفاتح على الشاطئ الأوربي من البوسفور قلعة روملي حصار أو " بوغاز كسن حصارى"<sup>(٣)</sup> ، وتقع على بعد سبعة كيلومترات من أسوار القسطنطينية ، مقابل القلعة التي بناها السلطان بايزيد الأول ، وفي أضيق نقطة منه حتى يتيسر له اغلاق هذا المضيق عند اللزوم<sup>(٤)</sup> .

ربما علم قسطنطين بذلك وهو البادئ بالتحرش والتهديد بإطلاق أورخان المذكور أرسل الرسل يتضرع ليصرف السلطان عن بناء هذه القلعة التي أزعجته فعرض عليه الوفاء دفع الجزية التي يقررها ، لكن السلطان رفض هذا الاغراء وقال : " لما كنت صغيرا كنتم تظلمون المسلمين ، وكنتم لاترجمونهم . ووالدى

- 
- (١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٥ .  
(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦١ .  
(٣) أي القلعة قطعة السور .  
- بلماز اوزتون : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣١ .  
(٤) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٧٨ .  
. محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٦١ .  
. علي حسون : المرجع السابق ، ص ٢٣ .  
. أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٦ .  
. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٢٨ .

حلف بأن يبني قلعة على ساحل الروم عندما كان في غزوة وارنه ، وأنا الآن أفقد  
وصية والدي لفتح القسطنطينية ، كما أنني أبني هذه القلعة في أرضي وخارج  
أرضكم ، وليس لكم الحق في التدخل ، ارجعوا الى امبراطوركم وقولوا له :  
السلطان الحاضر ليس كمثله سلفه ، بل مصمم ومقدم على الفتح ، والآن نسمح  
لكم بالرجوع لإبلاغه ، أما المرة الثانية سأسلخ جلد من أتاني حيا<sup>(١)</sup> .  
وبعد ثلاثة أشهر من العمل أكمل السلطان بناء القلعة في شكل مثلث  
سمك جدارها عشرون قدما ، وفي كل زاوية منها برج ضخمة مغطى بالرصاص  
سمكه اثنان وثلاثون قدما<sup>(٢)</sup> . ثم قام السلطان بتفقد القلعة التي بناها ، وتهيأ  
بالجيش والمعدات الحربية<sup>(٣)</sup> ، فعين فيروز آغا قائدا للقلعة الجديدة ، وحضر إليه  
أربعمئة جندي من خيرة جنود الإنشكارية<sup>(٤)</sup> . ثم أصدر أوامره بالألا يسمح لأحد  
سفينة أجنبية بعبور المضيق إلا بعد خضوعها للتفتيش الدقيق ، مع أخذ الرهائن  
المحددة لذلك ، وان حاولت المرور بالقوة يطلق عليها النار<sup>(٥)</sup> . ويعني هذا  
العثمانيين استطاعوا إحكام سيطرتهم على مدخل البوسفور ومن شاطئ القسطنطينية  
والأوربي ، كما ضمنوا منع وصول أية امدادات الى القسطنطينية ، وان كان  
مملكة طرابزون النصرانية<sup>(٦)</sup> ، فأصبح العثمانيون من هاتين القلعتين يسيطران

(١) كامل بات : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، ج ١ ، ص ٧٨

(٢) عبدالسلام عبدالعزير فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٣٨ .

زيد ابوعزيمة : السلطان الخمد محمد الفاتح ، فتح القسطنطينية ، ص ٢١

(٣) كامل بات : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٩ .

(٤) عبدالسلام عبدالعزير فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٥) كامل بات : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

عبدالسلام عبدالعزير فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٦) زيد ابوعزيمة : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

سيطرة كاملة على الطرق الشمالية التي تؤدي الى مدينة القسطنطينية<sup>(١)</sup>. وبهذه الخطة المحكمة يعد السلطان محمد الثاني بحق مؤسس نظام المضائق والقدرة على التحكم فيها في العصور الحديثة ، وبعد أن اطمأن السلطان محمد الثاني على سلامة خطته الحربية لفتح القسطنطينية عاد الى أدرنه وذلك في أوائل عام ١٤٥٢م<sup>(٢)</sup> . فحول مدينة أدرنه الى مصانع هائلة للأسلحة ، وجعلها مركزا لتصنيع جيوشه القادمة من كل أقطار دولته ، وعجزنا كثيرا للمعدات الحربية والآلات النارية والمدافع التي تحتاجها تلك الحرب<sup>(٣)</sup> .

وبالاضافة ادراك قسطنطين نوايا السلطان محمد الثاني ، لفتح مدينته ، استعد سكانها للهجوم ، فأمر باغلاق أبوابها<sup>(٤)</sup> ، ثم بعث الى جميع ملوك الغرب وأمرانه بالتحضير للهجوم والتخليع على أعدائه ومساعدته ، كما بعث الى البابا نقولا الخامس لطلب المساعدة ، وفي الوقت نفسه يحذره وينذره اذا سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين ، فاستجابوا له ، بعد ذلك لا محالة على إيطاليا نفسها<sup>(٥)</sup> .

لذلك كثرت البعثات التي أرسلتها القسطنطينية إلى أوروبا تطلب الثبوت والتأييد ، وكان هناك بعض المصاعب التي عرقلت نجاح هذه البعثات ، وأسفرت الاختلاف المذهبي ، والتعصب الديني بين الكنيستين الشرقية الأرثوذكسية واللاتينية الكاثوليكية ، ويعني ذلك أن النزاع كان على أشده بين بيزنطة ورومة .

(١) محمد علي حيدر ، مبعوثات فتح القسطنطينية ، ص ٦٠ .

(٢) محمد علي حيدر ، تاريخ الثورة العتمانية ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) محمد مصطفى حيدر ، المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١ .

(٤) محمد علي حيدر ، تاريخ سياسي دولته عليه عتمانية ، ج ١ ، ص ٧٩ .

(٥) محمد علي حيدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٦) أحمد عبد الرحمن ، مرجع سابق ، في أصول التاريخ العتماني ، ص ٦٦ .

(٧) عبد السلام عبدالعزير فهمي ، فتح القسطنطينية ، ص ٣٧ .

(٨) أحمد عبدالرحمن مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

ولقد بذلت مساع دبلوماسية أوربية هائلة للتوفيق بين الشرقين العظيمين، والذين  
 الروماني، رغبة في اتحاد قوتهم أمام المسلمين العثمانيين،  
 وقد كانت النتيجة الحتمية لهذا قلعة الروماني،  
 القسطنطينية هدمية، ومن ثم الاعتماد على عثمانية،  
 يعني الحرب رخصيا على الأمبراطور قسطنطين،  
 علم، الجهات المتصارفة، كما أن الأمبراطور البيزنطي،  
 غير كذا، أي أن بقاءه، فلا يبقى من المسلمين،  
 ونشر الإسلام فيها، والقسطنطينية،  
 أبواب المدينة، والقسطنطينية،  
 الأمبراطورية، عندنا المسلمين المسلمة،  
 وأخرج معه جيشه، في ذلك،  
 لكنه عندما وصل إلى هناك،  
 التي استغرقت ثلاثة أيام،  
 باستكمال دراماته، من موقعا القسطنطينية،  
 السلطان استعدادا، واكتسب خطيته،  
 مواقع تجمعات جيشه، حول أسوار القسطنطينية،

بدأ السلطان محمد الفاتح حركته بصوب القسطنطينية

- (١) محمد مصطفى سموت، فتح القسطنطينية، ص ٦٥-٦٦
- (٢) عبدالسلام عبدالعزير فهمي، فتح القسطنطينية، ص ٦٦-٦٧
- محمد مصطفى سموت، المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦
- (٣) عبدالسلام عبدالعزير فهمي، المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧
- العماد سيوفك، حقائق الأندلس، ص ٦٦-٦٧
- (٤) محمد مصطفى سموت، المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧
- عبدالسلام عبدالعزير فهمي، المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧

للقسطنطينية بقصد اضعافها حتى فقدت المدينة كل اتصال بالبلاد المجاورة لها ، فكانت عليها أن تعتمد فقط على المون والذخائر والرجال الموجودة بداخلها (١) .

وظهر الجيش أمام أسوار القسطنطينية في غرة ربيع الثاني سنة ٨٥٧هـ الموافق للخامس من شهر ابريل سنة ١٤٥٣م ، ويرافقه العلماء الذين يدعون له بالنصر منظمين تنظيماً رائعاً ، وبدأت الفرق بجانب الفرق في أعلاها وطولها ومدافعها المكونة من اربع عشرة بطارية واثنين وستين مدفعاً ، ونصب السلطان محمد الثاني خيمته على الشاطئ الأيسر ، محيطاً بالخنادق ، أمام الباب المشهور بباب القديس رومانوس فسقطت المدافع البعيدة المدى على ذلك الباب (٢) لذلك سور القسطنطينية ، وكان المدفع الكبير يطلق ثمانى طلقات في اليوم ، لأن تعبته تأخذ ساعتين من الوقت (٣) ، ثم اتجه السلطان نحو القبلة وصلى ركعتين ، وصلى معه الجيش كله وبدأ من ذلك الوقت الحصار الفعلي للقسطنطينية (٤) .

وقد أعد السلطان في فترة الاستعداد أسطولاً عظيماً في مدينة غاليبولي التي هي قاعدة العثمانيين البحرية في أوربا ، وكان مكوناً من ثلاثمائة وخمسين سفينة ، فأمر بعبوره الى البوسفور ، حيث ألقى مراسيه هناك في بشكطاش ، وانضمت إليه بعض السفن العثمانية من البحر الأسود ، فأضاف منظره الى منظر الجيوش المحاصرة روعة وقوة بحرية للقوى البرية (٥) .

وهذا أول أسطول عثماني متكامل بالمعنى الصحيح ، وقد كان ظهوره

(١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٤ .

(٢) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٧٤-٧٥ .

(٣) كامل باشا : تاريخ سياسي لدولة عليّه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

- عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٦ .

(٥) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

مصدر دعر لسكان المدينة المحاصرة<sup>(١)</sup> حيث كانت مهمته تنحصر في منع وصول التموين الغذائي والحربي عن طريق البحر إلى المدينة ، ومهاجمة السفن التي تحرس السلسلة المعلقة على القرن الذهبي ، ومحاولة الاقتحام على هذا القرن الذهبي ، والقضاء على السفن الراسية فيه ، والتعاون مع الجيش البري في حصار مدينة القسطنطينية<sup>(٢)</sup> ، فحوصرت القسطنطينية من جميع الجهات مانعاً ناهية القربى الذهبي الذي كانت تحميه السلسلة والأسطول البيزنطي الموجود في الميناء عن خلفها<sup>(٣)</sup> .

وفي الوقت نفسه قام الأسطول العثماني بمحاولة تخطيم السلسلة الواقعة في مدخل القرن الذهبي لعبوره إلى ميناء القسطنطينية ، ولكن السفن الإيطالية والإيطالية التي كانت تحرس هذا الموقع صبت قذائفها على السفن العثمانية فصدها عن محاولاتها<sup>(٤)</sup> ، كما لم تنجح المحاولة العثمانية في صد هجومها على نصراية كانت تحمل مؤن وبضائع وسلاحاً للقوات المحاصرة حيث ظهر في ذلك في بحر مرمره ، فاستطاعت بذلك الإفلات من قبضة السفن العثمانية ، وذلك إلى أن هذه السفن متقدمة في الصنع أكثر من سفن المسلمين ، ولكن في عهد محمد الثاني لم تكن عزيمته أمام تلك العقبات ، وهذه من أبرز الصفات التي يفتخر بها العثمانيون ، إذ أن العقبات و المصاعب لم تزدهم إلا تصميمًا جديدًا على التمسك

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٧٦ .

(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٤٨ .

- محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٤) كامل باشا : تاريخ سياسي دولته عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٣ .

عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٦ .

(٥) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٣٦ .



في طريقة جديدة لادخال سفنه الى داخل القرن الذهبي لاتمام الحصار برا وبحرا .  
 بعدما فشلت المحاولات في تحطيم السلسلة ، ولاحق في بال السلطان فكرة  
 بتدبيره وبارعة ، تتلخص في نقل السفن عن طريق البر لمسافة ميلين من بحر  
 القزوين ( في بشكطاش ) حتى مياه القرن الذهبي ، ومن خلف مستعمرة غلطة  
 الجنوبية ، ولم تكن المنطقة سهلا بل كانت وهادا وتلالا ، فأمر السلطان بتعبيد  
 الطريق وتحويلها - ثم أمر بفرشها بالواح الخشب التي دهنت بالزيت والشحم  
 لسهولة التزلق في المراكب عليها ، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة في  
 اتجاه واحدة الى داخل الخليج وتغطية لذلك العمل عن أعين العدو ظلت المدفعية  
 تفتق الأتربة طوال ذلك اليوم من المرتفعات خلف أسوار غلطة ، فتقع هذه  
 السفن في القرن الذهبي في عملية قورينية حتى اندفعت هذه السفن بسرعة الى  
 داخل القرن حيث يتوفر لها الحماية البرية الواجبة ، ومن مظاهر هذا الاعجاز ان هذه  
 السفن لم تكن في ليل واحدة دون ان يشعر بها العدو الا في

الوقت الذي تم فيه العمليّة الهيارا معنويًا للبيزنطيين ، فقد أصبحوا يرون  
 في ١٥٧٠ م في المرافئ ٢٦ و ٢٧ و ١٤٥٣ م على منظر الخليج وهو يمتدح بقطع  
 كالمسار العثماني ، وهذا ما عير عنه المؤرخ البيزنطي الأمير دوكانس حيث قال :  
 " هذا اليوم والاصحاح من قبل يمثل هذا الشيء الخارق ، محمد الثاني يحول الأرض الى  
 بحر ، ونحوه من فوق قديم الجبال بدلا من الأمواج ، لقد فوق محمد الثاني بهذا

١٤٠٠ - محمد فريد بك - تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٣

١٤٠١ - محمد فريد بك - تاريخ الدولة العثمانية ، ج ٢ ، ص ٥٦

١٤٠٢ - محمد فريد بك - تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٦

١٤٠٣ - محمد فريد بك - تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢

١٤٠٤ - محمد فريد بك - تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣٥

## العمل لاسكندر الأكبر <sup>(١)</sup>

فانتشرت بين أهل القسطنطينية مقولته «أيامنا تقربوا من أيامهم»

القسطنطينية عندما ترى سفنا تمر على اليابسة <sup>(٢)</sup>

وفي يوم ١٨/٦/٨٥٧ هـ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٥٣٤م أمر السلطان

الفاطحي جنوده بالحمية قبل الهجوم، تطهيرا لقلوبهم وتقوية أمرهم

وفقا لأمره المرسوم من محمد مراد في أواخر القرن الأخير، حينما

أحدثته ابتداء من عصره، ومظاهر التراجع التي لم تنته حتى

واقعه أكثر فترات تناقصه التي بدأها بالهجوم على الأناضول

ثم أمر بدفعه بالبحر، فاستولى على جزيرة رودس، ثم

عذرو النقطة هي أنم التخلي عن رودس، فاستولى على

بغية

ثم زار السلطان كل أقاليمه بجماعة أسيادهم، فاستولى على

ويقوى فيهم الثقة بالناس والاعتماد على الله، فاستولى على

وتوعد كل من عداه نفسه بخالفه الأوامر، أو الإطاعة، فاستولى

عن المعركة بالقتل، وحاصر الجنويين المقيمين في غاجلة ليلا من

أي مساعدة للمدينة المحاصرة <sup>(٣)</sup>

عند ذلك أعلن السلطان في جيوشه بالاستعداد للهجوم على

جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ الموافق ٢٩ من مايو سنة ١٥٣٤م

(١) يلماز ارتتوب: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ص ١٣٥

(٢) عبد السلام عبدالعزير فهمي: فتح القسطنطينية، ص ١٠٠

(٣) على حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ص ١٣٤

(٤) عبد السلام عبدالعزير فهمي: المرجع السابق، ص ٧٧

باعثاً فيهم الحماس ووعدهم في تمام النصر باقطاعهم الأراضي وبذل العطايا والمكافآت، وفي الليلة التي سبقت اليوم المحدد للهجوم، أشعل الجنود العثمانيون الأنوار أمام خيامهم للاحتفال بالنصر المحقق، وظلوا طوال هذه الليلة يهلمون ويكبرون حتى لاح الفجر، فأدى السلطان صلاة الصبح، وامتطى جواده، وتقدم إلى الصف الأمامي، فأصدر أوامره بالهجوم<sup>(١)</sup> فتقدمت الجيوش وحصرت أسوار المدينة، ووضعوا عليها السلام، وأخذوا يتسلقون داخل المدينة، فدخلوا ورفعوا العلم العثماني<sup>(٢)</sup>.

وعندما رأى السلطان محمد الثاني العلم يرفرف فوق أسوار المدينة ترجل عن حصانه وخر ساجدا على الأرض للرحمن، حامدا وشاكرا لله سبحانه وتعالى على هذا النصر وتحقيق نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنذ تلك اللحظة قال محمد الثاني شرف " الفاتح " <sup>(٣)</sup>.

لذلك اندفع المهاجمون المسلمون من كل صوب نحو الأسوار المثلومة للإجهاز على البقية الباقية من المدافعين البيزنطيين<sup>(٤)</sup>، الذين تخلوا عن قسطنطين وانهمزوا يبحثون عن طريق النجاة، فلما رأى الامبراطور قسطنطين هذه الحالة التي حلت بجنده ترجل عن فرسه وسل سيفه، وهجم على الجنود العثمانيين

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٦٤ .

. كامل سات . تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية . ج ١ . ص ٨٥ .

(٢) برنارد لويس اسطنبول . ص ٢٢ .

(٣) يلماز أوتون . تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ١٣٩ .

. على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٤٠ .

(٤) برنارد لويس : المرجع السابق . ص ٢٢ .

فقاتل حتى مات في ساحة المعركة<sup>(١)</sup> ، فدخل العثمانيون وفتحت لهم جميع المنافذ والأبواب بعد فرار حاميتها وحماتها<sup>(٢)</sup> .

وهكذا انتهى فتح القسطنطينية ، فوقف الجيش بنظام الصفوف أمام أياصوفيا في انتظار السلطان ، ولم تكن صلاة الظهر قد حانت بعد ، فلم يعتقد الجيش على أحد من عشرات ألوف البشر المجتمعين في أياصوفيا ولم يمسهم بأذى سوء ، ملتزمين بوصاية سلطانهم ، ولكنهم في انتظاره ، ليتلقوا أوامره بشأن هذا الموقف . فدخل السلطان محمد الفاتح المدينة وقت الظهر ، واتجه إلى أياصوفيا فخوراً بأنه أصبح الفاتح للقسطنطينية ، فقال بذلك شرف الفتح العظيم ، كما أن أصبح بذلك سلطان الروم ، وكان الأهالي في القسطنطينية يستقبلونه بالتصفيق . أما الجيش فاستقبله بالتهليل والتكبير . وعند وصوله إلى أياصوفيا أمر الرهبان بإخلائها<sup>(٣)</sup> ، ثم قام بتفقدتها ، وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة إعلاناً بفتحها . ثم دعا جامعاً للمسلمين<sup>(٤)</sup> ، ثم صلى هو وجيشه الظهر . وفي الوقت نفسه أمر بفتحها عن جثة الامبراطور ، وأحضرها إلى الرهبان وأمر بدفنه<sup>(٥)</sup> .

وبعد تمام الفتح على هذه الصورة ، أعلن في كافة الجهات بأن لا يجرى إقامة شعائر المسيحيين ، بل إنه يضمن لهم حرية شعائرهم وحفظ أديانهم وأملاكهم ، فلما رأى المسيحيون هذا التسامح عاد من هاجر إلى القسطنطينية

(١) كامل بات : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانيه ، ج ١ ، ص ٨٦ .

، برنارد لويس : استنبول ، ص ٢٢ .

(٢) كامل بات : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

، عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٨٣ .

(٣) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦٥ .

، برنارد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٥) يلماز أورتونا : المصدر السابق ، ص ١٤١ .

فأعطاهم نصف الكناس ، وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين . ثم جمع رجالات دينهم لينتخبوا بطريقا لهم ، فاختاروا جورج سكولاريوس ، واعتمد السلطان هذا الانتخاب ، ثم جعله رئيسا لطائفة الأرثوذكس ، واحتفل بشيئته كما كان يفعل البطارقة أيام الروم المسيحيين ، وأعطاه حرسا ، ومنحه حق القضاء بالقضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها ، في مقابل دفع الجزية والخراج (١) ، ثم قام بزيادة حلقة بعد خمسة أيام ، وأمر بتأمين أهلها على أموالهم وحياتهم على أن تدفع الجزية ، وهكذا تم فتح القسطنطينية (٢) ، فسر العاهة الإسلامي سرورا ما حدث بهذا الفتح ، وانبرت القاهرة أياما طويلة بأقامة الأفراح والاحتفالات بمرور خمسة السنين ، فأرسل السلطان المملوكي في مصر وسلطان افند الجنوية رسالة شكر مناهون عابدين سفراء خاصين لتهنئة السلطان محمد الفاتح ، واختير هذا الخبر أكبر أحداث في التاريخ العثماني ، فقد سجل هذا الفتح وبشر العاهة العثماني بصورة قطعية بأن الدولة العثمانية ستأثر في طريق الدولة العظمى .

كانت أوروبا قد أصيبت نبالا بسقوط القسطنطينية في يد المسلمين بصدمة كبيرة ، فالتفت المسيحيين الشعوب بالدعر والفرع ، وتجمهروا لهم خطر المسلمين وبعدهم لأوروبا المسيحية ، وأخذ بعضهم يستنفر بعضا على ترك الخلافات وفتح الأيدي معاداة بين الأمراء والملوك ، فانبعث فيهم النزعة الصليبية ضد المسلمين مرة ثانية ، وماركنت البابوية زعيمة المسيحية لتتصرف إلى اليأس . أو

(١) حاشية رقم ١٦٥ في تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٦٥

Halil Inlik : The Ottoman Empire, p. 51.

سيرة السلطان محمد الفاتح ، ترجمة حسن إبراهيم حسن واحرون ، النسخة

الثانية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م . ص ١٧٠ .

(٢) علي مصطفى ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٠ .

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٩٢ .

السيد عبد السلام ، حاشية عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٥١١-٥١٢ .

تخلد الى السكون ، مهما كانت كارهة للأرثوذكس ، فهي لا تسمح بقتلها  
المسلمين على الامبراطورية البيزنطية ، وفي الوقت نفسه تحث على اعتناء العثمانيين  
على البلاد المجاورة لها والتي تتبع النفوذ البابوي الديني ، ومن هذا قولها في  
الصلبية في محاولة انتزاع الأراضي المقدسة من المسلمين الى مسيحيين  
يستهدف منه انقاذ أوروبا الكاثوليكية من يد الدولة العثمانية المساعية  
فيكون البابا " نيقولا الخامس " أحد الناس تأثراً بشأ مسيحيين  
فوجد في توحيد هذه البلاد الأبطالية وتأييدها على قتال العثمانيين  
عقد في روما ، أعلنت فيه الدول المشتركة تزمها على التعاون  
الإسلامي المشترك ، وكاد الحلف الصليبي الذي أودى بالبابا انطونيو  
أثر الصدمة التي أصابته عندما علم بشأ مسيحيين القسطنطينية في  
فقدت كندا في سنة 1859 الواقعة لسنة 1859  
لذا حاول البابا " بيوس الثاني " الذي تولى القيادة بعدة  
أوتي من مقدرة خطابية ومهارة سياسية بتأييد الحكمة الصليبية  
توحيد أوروبا ضد العثمانيين ، فتركزت جهودها في مختلف هيئات  
أنه حاول أن يفتح العثمانيين باعتناق الدين المسيحي ولم يفلح  
تعبيرية ، بل اكتفى بإرسال خطاب الى السلطان محمد الرابع  
المسيحية كما عضدها من قبل قسطنطين و كلوفيس ،  
باعتناق المسيحية مخلصاً ، ولم يكن معقولاً لحاج تهديد  
الأولى ، عند ذلك لجأ الى خطته الثانية : وهي التهديد

(١) محمد مصطفى صفوت ، فتح القسطنطينية ، ص 138-139

(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي ، فتح القسطنطينية ، ص 39

(٣) زيد أبو غيمة : السلطان الجاهد محمد الفاتح ، فتح القسطنطينية ، ص 138-139

القوة عن طريق اقناع الدول المسيحية بتكوين حملة صليبية جديدة ضد الدولة العثمانية لنصرة المسيحية (١) .

لكن الدول الأوروبية والجمهوريات الإيطالية ، ما كانت لتقوم بتنفيذ مثل هذا المشروع ، على الرغم من الخطر الذي يهدد معظم أقطارها ، مع أن فكرة القيام بحملة صليبية مازالت حية ، فقد وعدت الدول الأوروبية بالاستعداد لتحقيق فكرة البابا ، وعندما جاء وقت الجدل اعتذرت لتابعها الداخلية (٢) . وما كانت أوروبا التي ذهبت وحدثها تستطيع الوقوف أمام الدولة العثمانية ، ففي القسطنطينية والبوسفور والدردينيل وضع العثمانيون أقدامهم في موقع استراتيجي مهم من العالم ، جعل تقدم روسيا أو نمو النمسا من ناحية الشرق أمرا مستحيلا ، كما سيطروا أيضا بذلك على معظم الطرق البرية والبحرية المهمة بين الشرق والغرب (٣) .

لهذا اعتبرت أوروبا هذا الفتح العثماني فاصلا في مصير الدولة البيزنطية ، وفي مصير عاصمتها القسطنطينية ، وتثبيت أقدام الدولة العثمانية كارثة لا يضاهيها كارثة ، في ذلك الجزء من العالم . فولدت في تلك اللحظة المسألة الشرقية التي شغلت أوروبا في ذلك الوقت ، ولا تزال تشغلها . كيف تستطيع أوروبا وقف تقدم الإسلام ونشره في الأقطار الأوروبية ؟ .

وما كانت أوروبا ستجد لهذا السؤال جوابا نهائيا (٤) ، لقوة المسلمين الجهادية الضاربة المتمثلة في الدولة العثمانية التي أجبرت أوروبا عندما وقفت عاجزة عن انقاذ القسطنطينية على أن تجثو على ركبتيها ، فازدادت حيرتها عندما

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية . ص ١٣٩ .

(٢) عبد السلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية . ص ١٣٩ .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق . ص ٩٤-٩٥ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق . ص ١٤٢ .

شهر الفاتح سيفه لمواصلة الجهاد نحوها . على الرغم من استيانتها وثورتها العارمة .  
ومؤامرات باباواتها وأمرانها وقيامهم بتشكيل حلف صليبي جديد . لصعد الدولة  
عن استمرار الفتح في أوروبا ونشر الإسلام بها ، والذي كان هدفاً للدولة منذ  
تكوينها (١) .

وفي سنة ٨٥٩هـ الموافق ١٤٥٤م أعاد السلطان الكبري الفتح بلاد الصرب  
ومر من جنوبها إلى شمالها دون أن يلقى أي معارضة . حتى وصل إلى مدينة بلغراد  
عاصمة بلاد الصرب . الواقعة على نهر الدانوب . فحاصرها من جهة البر والبحر  
، وكان هونيد القائد المجري قد دخلها قبل الحصار ودافع عنها دفاعاً شديداً حتى  
ينس السلطان من فتحها . فرفع الحصار عنها في سنة ٨٥٩هـ الموافق ١٤٥٤م  
١٤٥٥م . إلا أن العثمانيين استطاعوا إصابة هونيد بجراح بالغة ماتت بسببها  
وارتح المسلمون من شره لقوته وشدة بأسه .

ولما علم السلطان بموته أرسل محمود باشا الصدر الأعظم لإخماد فتنة  
الصرب . فتم فتحها في سنة ٨٦٥هـ ١٤٦٠م .  
وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد المورة في سنة ٨٦٥هـ الموافقة لسنة ١٤٦٠م  
ثم بلاد اليونان . فحول السلطان أنظاره إلى آسيا الصغرى لفتح مانتشيا التي  
فسار بجيشه وهاجم ميناء أما ستريس . وكان مركزاً مهماً لتجارة الشرق الأوسط  
ولكون سكانها تجاراً فإنه لا يهتمهم إلا المحافظة على أموالهم . فقد اقتصدوا  
المدينة ودخلها العثمانيون بدون حرب . ثم قصد محمد الفاتح مدينة بلغراد  
ودخلها بدون مقاومة . وقبض على ملكها وأولاده . وأرسلهم إلى

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٦٥

يلمار اوزتوب : تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ١٤٩

Habl Inalick : The Ottoman Empire, p. 56 .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٦٦-١٦٨



ثم ضم بلاد الفلاخ الى الدولة .

وفي سنة ٨٦٦ هـ الموافقة لسنة ١٤٦٢ م حارب السلطان بلاد البوسنة التي لامتناعها عن دفع الخراج ، فتدخل ملك المجر لانقاذ البوسنة من العثمانيين ، وكان هذا التدخل من أسباب ضم البوسنة الى الدولة كباقي ولايات الدولة ، وقد دخل أكثر شبابها تطوعا في الجيش الانشكاري ، واسلم أغلب سكانها<sup>(١)</sup>

وعندما أراد السلطان فتح بلاد البغدان في سنة ٨٧٩ هـ الموافقة لسنة ١٤٧٥ م ، أرسل جيشا الى هناك ، وبعد حرب عنيفة قتل فيها الكثير من الجيشين المتحاربين ، عادت الجيوش العثمانية بدون فتح هذا الاقليم<sup>(٢)</sup> ، حينئذ عزم السلطان على فتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين في القتال لمحاربة بلاد البغدان ، فأرسل اليها عمارة بحرية ، فاستطاعت جيوش الدولة فتحها ، ثم وصلت العمارة البحرية سيرها ففتحت اق كرمان ، ثم واصلت طريقها لفتح بلاد البغداد ، وبينما كان السلطان يسير بالجيش مجتازا به نهر الدانوب ، اذ تقهقر أمامه جيش البغدان لعدم استطاعته الحرب في البر ، فتبعه الجيش العثماني حتى توغّل خلفه في غابة كثيفة يجهل مفاوزها ، عندئذ انقض عليه الجيش الرخالي ، وهزم الجيش العثماني<sup>(٣)</sup>

ثم أراد السلطان بعد ذلك الى فتح بلاد البنادقة في سنة ٨٨١ هـ الموافقة

(١) البوسنة : تشكل البوسنة وفرنسك اليوم احدى مقاطعات يوغسلافيا التي يتوكل فيها المسلمون .

(٢) - علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤١ ، حاشية رقم (٢)

(٣) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٩-١٧٠ .

(٤) محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ١٧٣

، علي حسون ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٥) محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ١٧٣-١٧٤

لسنة ١٤٧٧م ، فخاف البنادقة على مدينتهم ، وأبرموا الصلح معه تاركين له مدينة كرويا<sup>(١)</sup> ثم مدينة أشقودره<sup>(٢)</sup> ، وبعض القلاع الأخرى في المنطقة . وفي سنة ٨٨٤هـ الموافقة لسنة ١٤٨٠م ، استطاعت الدولة فتح بعض الجزر اليونانية ، ثم واحتل الجيش العثماني مسيره لفتح اوترانت<sup>(٣)</sup> بإيطاليا التي عزه السلطان على فتحها مهما تكن الظروف ، وأقسم بأن يربط قوسه في تربية القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا لفتح مدينته اوترانت من القديس بطرس<sup>(٤)</sup> الموافق أغسطس / ١٤٨٠م . فاهتمت إيطاليا في الوقت الذي أرسل فيه السلطان عمارة بحرية أخرى لفتح جزيرة رودس<sup>(٥)</sup> التي كان يرأسها لرهينة القديس حنا الأرثوذكسي ، وكان رئيسها بيير الهرنساوي الأصلي ، وهذه الجزيرة محصنة تحصينا منيعا ، فحاصرها العثمانيون واستمر حصارها أكثر من شهر ، حاول خلالها العثمانيون الاستيلاء عليها ، ولكنهم تفهقروا إلى ما لا يحصى ودفاعهم عنها<sup>(٥)</sup> .

وفي يوم ٤ من ربيع الأول سنة ٨٨٦هـ الموافق ٣ من مايو سنة ١٤٨٢م .

- 
- (١) كرويا : إلى الجنوب من مدينة أشقودره وتكتب هكذا ( Kruja ) .  
 - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٤ حاشية رقم (١) .
- (٢) أشقودره : مدينة قديمة ، كبت تابعة للصرم تم انتقلت إلى البنادقة وبقيت تابعة للدولة المقدونية ، تم انتقلت من ذلك اليوم إلى العثمانيين .  
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، حاشية رقم (١) .
- (٣) تقع على ساحل إيطاليا في أقرب نقطة إلى ساحل البانيا ، وهذه المنطقة الضيقة من البحر التي تصله بالبحر المتوسط تعرف باسم مضيق اترانت .  
 - علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤١ ، حاشية رقم (٢) .
- (٤) رودس : جزيرة قريبة من شاطئ آسيا الصغرى طيبة الهواء ، فتصير إلى ما لا يحصى من الجزر الصغيرة سنة ١٥٢٢م .  
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، حاشية رقم (٢) .
- (٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٦ .

توفي السلطان محمد الفاتح بعد أن أكمل مقاصد أجداده بفتح القسطنطينية ، ثم  
مملكة طرابزون الرومية ، والصرب والبوسنة وألبانيا ، وجميع أقاليم آسيا الصغرى  
، ولم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض الجزر التابعة  
للبنادقة . وقد دفن محمد الفاتح في اسطنبول (١) . وبموته انقضت ايطاليا خاصة  
وأوروبا بصفة عامة من الخطر العثماني ، غير أن محمد الفاتح اعتبر أول من ثبت  
أركان الدولة في أوروبا (٢) .

ويروى يلماز أن الفاتح مات من أثر السم الذي دسه له بصورة تدرجية  
العميل اليهودي البندقي أحد أطبائه الخاصين المسمى ( Master Lacopo ) الذي  
ادعى أنه اعتدى إلى الاسلام وسمي يعقوب باشا ، وكان مدسوسا لقتله . فمزق  
الأتراك العثمانيون هذا البندقي اليهودي شر ممزق قبل أن يتسلم مكافاته من  
أسياده . فعلمت البندقية خبر موت الفاتح بعد ستة عشر يوما من وفاته ، وكانت  
الرسالة التي أوصلها حامل البريد السياسي لسفارة البندقية في اسطنبول تحتوي  
هذه الجملة " مات النسر الكبير " فجرت المراسيم لمدة ثلاثة أيام بلياليها بأمر  
البابا دقت مهبها أجراس الكنائس الأوروبية (٣) .

لقد أشاد السلطان محمد الفاتح دولة عظيمة كانت من أقوى الدول في  
القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، واتخذ عاصمة بلاده سيدة البلقان

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٦-١٧٧ .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٠-٤١ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٢ .

محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٧٠ .

(٣) تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

اسطنبول ، التي كانت تشرف على ممتلكاتهم الآسيوية والأوربية : على البر والبحر فمهدت فتوحات السلطان الطريق لفتوح العثمانيين من بعده في المجر وأواسط أوروبا ، وفي الشام والعراق<sup>(١)</sup> والحجاز ، فأرسى بذلك قواعد الدولة العثمانية المتينة<sup>(٢)</sup> .

...

---

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية . ص ١٧٢ .

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ١٧٧ .



## الفصل الثاني : الدولة العثمانية في عصر محمد علي باشا

- أ - اتساع الدولة و كثرة مشكلاتها .
- ب - الخلل - السلاطين - العلماء - الأثكشاريه  
التوقف والركود
- ج - الخطة الجديدة للعالم النصراني نحو الدولة  
فشل الحلول العسكرية - الغزو الفكري -  
سياسة الرجل المريض .



## أ- اتساع الدولة وكثرة مشكلاتها :

هكذا بعد أن بينا قوة الدولة وعظمتها وقهرها لأوروبا ، وتراجع أوروبا للدفاع عن نفسها ، خوفا على سقوط روما ، مقر البابوية الكاثوليكية أمام جبهة العثمانيين ، فلا بد أن نحمل الأحداث التي أعقبت سقوط القسطنطينية وبعض المدن اليونانية والإيطالية ، التي قادت الدولة إلى العالمية ، على محاور القارتين الثلاث ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، في عهدي السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني والسلطان سليمان الأول بن سليم الأول ، لنصل مع القارئ إلى اتساع رقعة الدولة مما نتج عنه تعدد مشكلاتها ، مروراً بالسلطان بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح وهو كما يلي :

تسلم بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح مقاليد السلطنة في ١٤٨١ م.

وفاته والده في سنة ٨٦٦ هـ الموافقة لسنة ١٤٨٩ م . وكان هذا هو التوجس

للسلم ، إلا أنه اضطر لخوض بعض المعارك الداخلية والخارجية ، وأكبرها ذلك فانه لم تكن فيه همة الفاتح أو طموحاته العظيمة .

وفي عهده بدأت العلاقات السياسية مع بعض دول أوروبا تتغير .

الاتصالات الودية مع مملكة بولونيا بعقد معاهدة في سنة ٨٩٦ هـ الموافقة

للسنة ١٤٩٠ م . ولكنها لم تلبث مدة حتى تكدر الصفو بين الدولتين .

كل منهما حق السيادة على بلاد البغدان<sup>(٢)</sup> ، فأغار ملك بولونيا على

العثمانيون بطرد المجر منها ، والغارة على حدود بولونيا بحملات متتالية .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٢

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨٣ - ١٨٤

، علي حسون : المرجع السابق ، ص ٤٢



الذي قبل حماية الباب العالي<sup>(١)</sup> . كما وصل الى اسطنبول أول سفير روسي ومعه جملة من الهدايا وذلك في سنى ١٤٩٢هـ/١٨٩٨م . وفي الوقت نفسه بدأت بعثات الدول الأوروبية تتزاحم في العاصمة العثمانية الكل منهم يجتهد في مخالفة الدولة العثمانية للاستعانة بها على أعدائها ، وقطع العلاقات مع من خالفها<sup>(٢)</sup> .

لهذا تميز عهد السلطان بايزيد الثاني ببدء العلاقات الدبلوماسية مع أوروبا . لكن جنوح السلطان الى السلم كان مرتبطا بالتزام الأطراف الأخرى لهذا لم تمنعه الاتفاقات من قيامه بقمع أي تحرك ضده<sup>(٣)</sup> ، وذلك حينما استطاع الايطاليون ايقاع الفتنة والنفرة بين الدولة العثمانية والبنادقة عندئذ أرسل السلطان جيوشه برا وبحرا لقمع تحركات البنادقة على ساحل البلقان ، فاستولى على مدينة ليبانتو أو " ليبانت " وثغور مودون ، وقورون ، ونافارين من بلاد اليونان ، وكانت كلها تتبع جمهورية البندقية ، فخافت البندقية من تقدم العثمانيين وإسقاط حكومتهم ، فاستغاثت بالدول النصرانية في أوروبا ، فأجدها البابا ، والدول الأخرى بالقوة اللازمة ، وبالرغم من ذلك استطاع العثمانيون الاستيلاء على ميناء رودستر الواقع على بحر الأدرياتيك<sup>(٤)</sup> .

وقد كانت المواقع التي احتلها العثمانيون من البنادقة تشكل مراكز استراتيجية مهمة أمكنها أن تساعدهم على التقدم والتوغل في شرق البحر المتوسط ، بل أيضا في حوضه الغربي ، وهذا جعل البنادقة يطلبون عقد الصلح بين

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٨٤

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٨٤-١٨٥ .

علي حليمون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٤٢

(٣) محمد عبداللطيف الفريدي : الحروب العثمانية الفارسية . ص ٤١ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ١٨٥ .

الطرفين<sup>(١)</sup> ، وكان بإمكان السلطان بايزيد عدم قبول الصلح وضم بلاد البنادقة اليه لولا عصيان أولاده عليه<sup>(٢)</sup> واضطراب الأحوال الداخلية مما أجبره على إبرام الصلح مع البنادقة في سنة ٩٠٧ هـ الموافقة لسنة ١٥٠٢ م وفي السنة التي تلتها تم الصلح مع ملك المجر<sup>(٣)</sup> .

لكن مشاكل بايزيد الثاني ازدادت هي الأخرى من الشرق لحربه مع دولة المماليك حول دولة بني ذي القدر ، ومع الدولة الصفوية في إيران ، التي بدأت تثير القلاقل في الأناضول ، إضافة إلى الخلافات الأسرية داخل البيت العثماني خاصة مع أخيه جم الذي كان يطالب بعرش الدولة ، وقد حدثت بينهما عدة حروب حالت دون تقديم المساعدة لآخوانه المسلمين في غرناطة<sup>(٤)</sup> .

أعقب ذلك عصيان أولاده وتنافسهم على العرش المرتقب ، كما اندلعت الاختلال في أمن البلاد ، وازدياد نشاط الدعاة الذين أثاروا الفتن والقلاقل في

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٣ .

(٢) تكدر صفاء حياة السلطان بييريد الثاني في السنوات الأخيرة من حكمه بعصيان أولاده

كركود ، وأحمد ، وسليم ، لاختلافهم في المبادئ السياسية ، فعين كركود علي إمام

وأرسل أحمد إلى أمسي ، وعين سليم على طرابزون ، ففرق بينهم ، وعين سليمان على

بلاد القرم ، فلم يرض سليم الذي كان محبوب الأناكثرية ، فانتقل إلى والده سليمان

والده من هناك بتعيينه في إحدى الولايات الأوربية ، فلم يقبل السلطان تعيينه في

بحرب الدولة ، فجرد والده عليه جيشا واستطاع قمعه ، ولكن الأمر انتهى بعصيان

فاتي بالانكثرية في اسطنبول لوالده ، واستطاعوا اقناع السلطان بالتسول

من المعلومات ارجع إلى :

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٧٤-٧٥ .

الأناضول . ونتيجة لذلك استمرت هذه الحالة حوالي عامين من ( ١٥٠٩ - ١٥١١م) استنزفت قوى الدولة بالسلب والنهب واراقة دماء المسلمين، وهذا ما جعل الأمير سليم الأول حاكم طرابزون في أقصى الأناضول يحسم الموقف لضبط البلاد . ويطالب والده بالتنازل عن العرش ، وذلك بعدما رأى عن كثب ماخطط له الصفويون وتغلغل خطر الشيعة بين رعايا الدولة في الأناضول<sup>(١)</sup> .

وقد أدى ذلك الى تنازل بايزيد الثاني لابنه سليم الأول في سنة ٩١٨هـ الموافق لسنة ١٥١٢م عن الحكم وذلك بمساعدة الانكشارية<sup>(٢)</sup> كما سبق ذكره .

فالسultan سليم الأول الذي تسلم دفة الحكم كان من قبل حاكما لطرابزون ، وبذلك كان على علم بشنون حدوده الشرقية التي كانت تواجه خطر الصفويين<sup>(٣)</sup> الذين تولوا الحكم في ايران<sup>(٤)</sup> .

ونتيجة لذلك وصلت الى السلطان سليم تقارير تقول " ان المتدعين من الصوفية والشيعة قد استفحل خطرهم ، وزاد عددهم ، وباتوا يعيشون في القرى بالسلب والنهب ، حتى انهم لم يتورعوا عن قتل الرجال ، وسبي النساء وأتوا

(١) محمد عبد المنعم هريدي - خروب العثمانية الفرسية ( الطبعة الاولى ) ، القاهرة . دار الصحوة للنشر والتوزيع . ١٤٠٨هـ ، ص ٤٧-٤٨ .

(٢) على حموي - تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٢ .

(٣) تنسب الى صفي الدين وهو من زديليل وكان من المتصوفة الراهبين ومنذ القرن التاسع الهجري تنقلت الصوفية من التامل الصوفي الى العقيدة الشيعية ، وكانت هذه الأسرة زعيمة لحركة تركمية صوفية

أحمد عبدالرحيم مصطفى في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٦-٧٧ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى المرجع السابق ، ص ٧٦-٧٧ .

على الأخضر واليابس" (١).

وكانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت تتربع على عرش الأناضول وشبه جزيرة البلقان ، فأصبحت بذلك على مفترق الطرق ، وبين خيارين مهمين هما : هل تستمر فتوحاتها نحو أوروبا ؟ أو أنها تتجه نحو الشرق وتصطدم بدولة فارس ثم الممالك ؟ ، وبعد دراسة مستفيضة للموقف على الجبهتين قرر السلطان اختيار الخيار الثاني ، والتوقف المؤقت عن الفتوحات في أوروبا للاتجاه نحو بلاد فارس لخطورة الموقف هناك . ولايقف التحرك الفارسي الشيعي الذي استهدف الأناضول والعراق ، وبدأ يحرض أقليات الشيعة في تلك البلاد على الثورات ضد الحكم السني (٢).

عند ذلك نهض السلطان سليم الأول في وجه هذا التحدي الصفوي وسل سيفه ، ورفع راية أهل السنة ، وغزا بلاد فارس ليضع حدا لترهات الساسانيين فهزم الشاه اسماعيل في موقعة جالديران في سنة ٩٢٠ هـ الموافقة لسنة ١٥٢٨ م ودخل السلطان مدينة تبريز قاعدة ملك الدولة الصفوية . ولكنه اضطر في النهاية الى العودة الى بلاده لتنظيم صفوف جيشه ، مما مكن الشاه من العودة الى بلاد فارس من جديد ومحاولة مد نفوذه الديني الى الدولة . والواقع أن السلطان لم يقض حاسماً استقلال فارس بل بقيت الدولة العثمانية وفارس على عداء مستمر ، وبذلك ساعدت الدولة العثمانية استطاعت إضعاف نفوذ الدولة الصفوية في العراق وتركها مهددة مما مهد للدولة العثمانية امتلاك العراق في عصر السلطان سليمان الثاني.

(١) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٤٢٠ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٤ م .

(٢) بطوب قاي ، ص ٦٥٢٢ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، نقلاً عن وثيقة رقم ٦٥٢٢ بطوب قاي ،

قاي ( مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة الثانية ) ص ٤١٦-٤١٧ .

و حين عاد السلطان سليم الأول الى مواقع جيشه ، علم أن دولة المماليك كانت ثيبل لنصرة الدولة الصفوية أثناء حربها معها <sup>(٢)</sup> . فقد أرسل الشاه وفدا الى سلطان مصر يطلب منه التحالف ضد الدولة العثمانية في حربه معها مبينا انهما اذا لم يتفقا معا ، حاربت الدولة كلا منهما على حدة للاستيلاء على أملاكه <sup>(٣)</sup>

ومن تلك الأمور التي ظهرت واضحة للسلطان سليم الأول تدخل السلطنة المملوكية أثناء حربه مع الشاه ، فعلى الرغم من اعلان الممالك حيادهم الزام حين دعاهم السلطان سليم الأول للاتفاق معه لحرب الشاه اسماعيل فانهم هموا نحودهم ليقطعوا خطوط المواصلات المتجهة لامداد الجيش العثماني في شمال حلب عبر الأراضي المملوكية <sup>(٤)</sup> مما أغضب السلطان سليم الأول ، وأدرك أن الممالك يعملون ضده . وعليه أن يتخذ الاجراء السليم الذي يكفيه شرهم . او نزاع الأقطار السورية منهم .

لذلك سعت الدولة في التحالف والتفاهم بين الدول الثلاث لتكون تحت مظلة كوكب العرب موحدة . وذكر الخلاف المذهبي بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في ايران جعل الدولة تحرك حملة جالديران سنة ٩٢٠هـ ١٥١٤م كمدى كسر حصر المدائن في مصر والشام على زعامة العلاء الاسلامي فيكون في صلبهم زعماء وشرائطهم على مواجهة البرتغاليين وصد حملتهم . جعل السلطان يدينهم لأنهم يتحرك نحو الشام . واستعدده سلطان المدائن في صوبه

١- محمد باقر خوارزمي : تاريخ مملكة مصر في عهد محمد علي ع ١٠٧

٢- محمد باقر خوارزمي : تاريخ مملكة مصر في عهد محمد علي ع ١٠٧

٣- محمد باقر خوارزمي : تاريخ مملكة مصر في عهد محمد علي ع ١٠٧

٤- محمد باقر خوارزمي : تاريخ مملكة مصر في عهد محمد علي ع ١٠٧

الغوري عند حلب على الحدود الشمالية ، فالتقى الجمعان في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م وبعد قتال شديد انهزم الغوري وقتل في ساحة المعركة ، فدخل سليم حلب وجميع المدن السورية<sup>(١)</sup> .

حينئذ سارع قادة المماليك في مصر الى تعيين طومان باي نائب الغيبة حاكما على مصر ، ولما علم السلطان سليم بذلك أرسل اليه يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بالسيادة العثمانية ، فرفض ذلك ، فغزا سليم الأول مصر ، وانتهت المعركة بالقضاء على دولة المماليك في موقعة الريدانية سنة ٩٢٢هـ/١٥١٧م<sup>(٢)</sup> . وبعد ضم مصر للدولة العثمانية أراد سليم الأول ضم الحجاز ، ففي تلك الفترة<sup>(٣)</sup> حضر أبو نغمي ابن الشريف بركات شريف مكة الى مصر ، فقدم الطاعة للسلطان سليم الأول وأطلق عليه لقب حامي الحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup> ، وخليفة الاسلام ، زيادة على لقب السلطان ، فجمع للسلطان سليم الأول بين الخلافة والسلطنة وحماية الحرمين الشريفين ، فوصلت الدولة في عهده الى أعلى المراتب واتحدت كلمة المسلمين على يده ، فأصبحت بذلك الزعامة الاسلامية للعثمانيين<sup>(٥)</sup> .

وقد ظل السلاطين العثمانيون دائما سلاطين غزاة أو مجاهدين في سائر أنحاء لحماية العالم الاسلامي ، ولكنهم استثمروا موقف الخلافة بمعنى جديده وتكثروا

(١) محمد شفيق غرنال : مهج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ، ص ١٢٥

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٢-١٩٣

، أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٤) علي حمون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٨ .

(٥) أحمد جودت باشا : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ .

الخاص على أنهم حماة العالم الاسلامي في جهادهم ضد الصليبيين<sup>(١)</sup> . وهذا اعلان وجه الى أوروبا المسيحية وطلّاع الاستعمار الأوربي على الحدود الجنوبية للعالم الاسلامي<sup>(٢)</sup> .

وبعد ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية عاد السلطان سليم الى اسطنبول فوصلها في بداية عام ٩٢٤هـ الموافق لسنة ١٥١٨م بعد أن مكث في دمشق خمسة أشهر . ثم غادر اسطنبول الى أدرنه بقصد الراحة وهو يفكر في بدء القتال ضد الأعداء في أوروبا بعد أن تم له توحيد الجبهة الاسلامية كما أراد وبعد أن سير حملة الى اليمن لاختضاعها للحكم العثماني<sup>(٣)</sup> .

ثم أخذ السلطان سليم الأول يعد هذا الأسطول لحصار جزيرة رودس لقتال فرسان القديس يوحنا ، ولكن وافته المنية قبل اتمام مشروعه في ٩ من شوال سنة ٩٢٦هـ الموافقة لسنة ١٥٢٠م (٤) ، وعندما وصلت اخبار وفاته الى العالم المسيحي شعروا بالفرحة ، وأن الخطر الذي كان يهددهم قد انزاح لأنهم كانوا يتوقعون في ابنه السلطان سليمان الأول أنه رجل سلام هادئ الطبع ميال للسلام، وأنه لايميل الى الحرب الا فيما ندر<sup>(٥)</sup> ، فظنوا أن الخطر قد زال، وبحق فقد جانب توقعهم الصواب . ذلك لأنه عندما تولى السلطان سليمان الأول (القانوني أو المنظم) كان العلم العثماني يرفرف فوق مناطق عظيمة من القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا .

(١) Halil Inalcik: The Ottoman Empire , p. 57.

(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم . مجلة الدارة . ع ٤ .

ص ١٣ . ص ٢٠٣ .

(٣) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٥٨ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٩٧ .

(٥) V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730,p. 95 .

الا أنه في سنة ٩٢٧ هـ الموافق ١٥٢١ م تغير الموقف وذلك عندما أرسل السلطان سليم الأول ، بهرام سفيرا لجمع الجزية من أهل المجر لكنهم امتنعوا وتمردوا وثاروا عليه ، فقتلوا بهرام رسول السلطان ، فغضب السلطان ، وبعث بحملة لمحاصرة مدينة سايتس القريبة من بلغراد بقيادة أحمد باشا ، ففتحها عنوة في سنة ٩٢٧ هـ الموافقة لسنة ١٥٢١ م ودخلها السلطان في اليوم الثاني ثم انطلق منها الى بلغراد عاصمة الصرب ، ففتحها عنوة بعد حصار شديد وذلك في ٢٥ من رمضان من هذه السنة ، وكانت قد امتنعت على أسلافه من قبيل أقبوا تحصينها<sup>(١)</sup> ، فدخلها السلطان وصلى صلاة الجمعة في أكبر كنائسها ، ثم انطلق الى مسجد للمسلمين<sup>(٢)</sup> ، وكانت هذه المدينة الحصينة معقلا من معانق المجرس يحتمون وراءها كلما أغاروا على الدولة العثمانية ، ففتحها يعني حرمان المجرس من هذا الدرع الواقى من هجمات الدولة لتوسطها في القارة الأوروبية ولأهمية موقعها أصبحت بلغراد قاعدة الدولة العثمانية للزحف الى الدانوب<sup>(٣)</sup> ولأهمية الدانوب<sup>(٤)</sup> ، أو لوسط أوروبا ، وقد استغرق حصارها شهرا كاملا وكان هذا الحصار هو انضمام طلبه المعاهد الدينية التي شيدتها العثمانيين في البلقان الى صفوف المقاتلين العثمانيين طلبا للجهاد في سبيل الدين

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٩-٢٠٢ .

، هيئة التحرير : سليمان الكبير ( مجلة الهلال ، الجزء الأول ، السنة الأولى ١٣١٠ هـ ) ص ٣٥ .

، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ، ص ٦٥ .

(٤) على حسون : المرجع السابق ، ص ٦٦ .



مايدل على أن الدولة العثمانية بدأت تجني ثمرة جهودها في سبيل نشر الاسلام في أوروبا<sup>(١)</sup> . فعاد السلطان بعد هذا النصر العظيم الى اسطنبول عاصمة البلاد ، فأرسل اليه قيصر الروسي سفيرا يهنئه ، وكذلك رؤساء جمهوريتي البندقية وراجوزة<sup>(٢)</sup> أصبحوا يتقربون اليه خوفا من غاراته وهجماته على بلادهم<sup>(٣)</sup> .

ولكن عند أوائل سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م منحت الدولة العثمانية أولى الامتيازات التجارية في الدولة لجمهورية البندقية ، فوقعت معاهدة تجارية معها ، خولت فيها قنصلها في اسطنبول حق حضور المرافعات أمام المحاكم حين الفصل في قضاياها ، اذ كانت الدول الأوربية تعتبر النصارى كلهم رعاياها بالاضافة الى بعض البنود الأخرى ، أما الأسباب المباشرة لهذه المعاهدة التجارية ، فقد كانت اقتصادية الهدف ، منها محاولة الدولة العثمانية إعادة النشاط التجاري الى البحر المتوسط ، بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين ، ومنها أن السلطان سليمان كان في اعتقاده أنه مادام قويا فانه باستطاعته أن يلغيها متى شاء وفي أي لحظة عندما يحس بخطرها<sup>(٤)</sup> .

ثم ولي سليمان وجهته لفتح جزيرة رودوس التي ظلت فترة طويلة حصنا منيعا أمام الدولة<sup>(٥)</sup> . وقد اتخذها فرسان القديس يوحنا مملكة لهم بعد

- 
- (١) محمد عبداللطيف هريدي : الحرب العثمانية الفارسية ، ص ٦٠ .  
(٢) راجوزة : مياء تجاري ببلاد لماسيا على الساحل الشرقي من بحر الادرياتيكى .  
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٢ ، حاشية رقم (١) .  
(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .  
. هيئة التحرير : السلطان سليمان الكبير ، مجلة الهلال ، ج ٢ ، س ١ ، ص ٣٥ .  
(٤) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ن ص ٦٦ .  
(٥) كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصة رودس ( مجلة البحث العلمي ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٩٩هـ ) ص ١٧٠ .

أن طردهم المسلمون من فلسطين ابان الحروب الصليبية فشتموا منها على المسلمين<sup>(١)</sup> حروبا متواصلة ، وكانت رودس تناصب الدولة العثمانية المترامية الأطراف العداء السافر ، وتقف منها موقف المتحدى لمناعة حصونها ، فلم يجرف أحد من سلاطين آل عثمان على حربها قبل السلطان محمد الفاتح الذي حاول حصارها ثلاث مرات ولم يوفق في فتحها<sup>(٢)</sup> . لذلك أخذ السلطان سليمان الأول يستعد لفتح الجزيرة برا وبحرا ، لأنها نقطة الاتصال بين اسطنبول ومصر<sup>(٣)</sup> وسوريا والحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup> ، وذلك لكسر شوكة النصارى المتمركزين وسط البلاد العثمانية<sup>(٥)</sup> باعتبار أن هذه الجزيرة تعد من أقوى المراكز الدفاعية في أوروبا وكان قراصنتها يأسرون أعدادا كبيرة من السفن الاسلامية التي كانت تجلب الحنطة والذهب من الولايات العربية والتي تنقل معها الحجاج الى الأماكن المقدسة عبر البحر الأبيض المتوسط<sup>(٦)</sup> ، لهذا أراد السلطان الاسراع في اتمام هذا العمل الذي عجز عنه أسلافه<sup>(٧)</sup> ، فأمر السلطان في الحال بغزوهم برا وبحرا ، وبعد أربعة أشهر من حصارها استسلمت الجزيرة على يد

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص ١٤١ ، ص ٢٠٣ . ٢٠٤ .

(٢) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ٢٦٢ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢٠٣ .

مجلة الهلال . ج ٢ . س ١ . ص ٣٠٥ .

(٤) مجلة الهلال : المرجع السابق . ص ٣٥ .

(٥) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٦٦ .

(٦) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٨٩ .

W. A. Rieu : A History of the Ottoman Empire to 1730. p. 79 .

كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ( مجلة البحث العلمي ، كلية الشريعة والدراسات

الاسلامية . ع ٢ . ١٣٩٩ هـ ) ص ١٦٩ .

(٧) يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان . ج ٢ . ص ٧٢ .

محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢٠٣ .

معينة وهي كالتالي :

- ١ - أن تصان الكنائس النصرانية .
  - ٢ - أن تقام الشعائر الدينية .
  - ٣ - أن لا يفرض على الأهالي ضرائب لمدة خمس سنوات .
- وكان رئيس الجزيرة فيليب دي ليل آدم قد طلب مقابلة السلطان وقد وافق السلطان على تلك الشروط . وبعد مدة أبحر ليل آدم ومعه أربعة آلاف من أتباعه وذهبوا إلى إيطاليا ، ومنها إلى مالطة<sup>(١)</sup> .
- إلا أن فتح السلطان سليمان الأول لجزيرة رودس أمن أملاكه ، وتحركاته في شرق البحر المتوسط<sup>(٢)</sup> .
- حينئذ توافدت إلى السلطان الوفود من ملوك وأمراء لتهنئته بذلك النصر . فلقد كان فتح جزيرة رودس ترسيخاً لهيبة الدولة وارتقاءً بعظمتها<sup>(٣)</sup> . فسعى فرنسوا الأول ملك فرنسا بإرسال الرسل للتحالف مع الدولة العثمانية ضد خصمه شارل الخامس ملك النمسا الذي كان يحيط بأملاكه كالسوار بالمعصم عدا البحر<sup>(٤)</sup> . فقد كان ملكاً لأسبانيا وهولندا وألمانيا وجزء عظيم من المدن الإيطالية<sup>(٥)</sup> . وحين تعزز نفوذ الدولة العثمانية ، ووطدت سيطرتها القوية على البحر الأبيض المتوسط وجد فرنسوا في العثمانيين حليفاً قوياً مهاب الجانب، له كلمة عليا في السياسة . فأرسل سفيره إلى اسطنبول طالباً منه وبكل خضوع

(١) يوسف اصف . تاريخ سلاطين آل عثمان . ج ٢ . ص ٧٤ .

V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire , p. 80 .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٨٩ .

(٣) هيئة التحرير . السلطان سليمان الكبير ( مجلة الهلال ) . ج ٢ . ١٨٩٢ . ص ١١ . ص ٣٦ .

(٤) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٦٧ .

(٥) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٢٠٨-٢٠٩ .

مهاجمة ملك المجر أحد حلفاء شارل الخامس<sup>(١)</sup> ، في محاولة من فرنسوا لاشغال الحرب بين العثمانيين والنمساويين ، وهو يأمل من ذلك تخفيف الضغط الهابسبرجي الذي كان واقفا على أبواب مملكته نفسها ، بعد هزيمته في سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م في بافيا ( pavia ) ، وكان السلطان سليمان واعيا لذلك ومتفهما حالة العداء بين المسيحيين الفرنسيين وبين الامبراطور شارل الخامس (ملك الامبراطورية المقدسة) وفرديناد ملك النمسا ، لهذا رحب السلطان سليمان بمطلبه لتحقيق هدفه ورغبته في السيطرة على مملكة المجر<sup>(٢)</sup> ، فأرسل رسالة الى فرنسوا بالموافقة على تنفيذ طلبه والاستعداد لحرب خصمه<sup>(٣)</sup> والذات التقليدي للعثمانيين منذ أن وطئت أقدامهم شبه جزيرة البلقان ، فأصبح المجر خصمه المباشر أو حليفا لخصمه<sup>(٤)</sup> .

سار السلطان سليمان الأول مليا طلب صديقه فرنسوا بأمره أن يمدد بنفسه الذي كان قوامه مائة ألف جندي ، وثلاثمائة مدفع ، وثلاثمائة سفينة بحرية طريقه عن طريق صربستان الى بلاد المجر حتى وصل قلعة باغراد حيث أعاد قاعدته لجيشه ثم واصل سيره حتى وصل وادي موهاكس<sup>(٥)</sup> فأحاطه بالحصون فقتل ملك المجر في ساحة القتال وكثير من نبلائه وكهنته في موقعة باغراد فسقطت بودا عاصمة المجر في يد العثمانيين ودخلها السلطان وبعده ذلك

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .

(٢) The History of the Ottoman Empire to 1730, p. 81 .

(٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٤) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية العارضية ، ص ١٠١ .

(٥) موهاكس - Mohacs تقع اليوم في جنوب بلاد المجر وأصبحت من الحدود بين النمسا والهنغاريا .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١١ - عثمانية وآلها (١) .

وبدخول العثمانيين المجر خلق احتكاك مباشر بالنمسا نتج عنه ادعاء ملك النمسا فرديناند الأحقية في ملك بلاد المجر بسبب قرابته لملكها لويس الذي قتل في معركة موهاكس في أواخر سنة ٩٣٤ هـ الموافق لسنة ١٥٢٧ م (٢). ولكن عليه أولا أن يقضي على منافسه في بودا (Buda) زعيم ترانسلفانيا جون زابولي الذي طالب به النبلاء ليعتلي عرش المجر بناء على موافقة السلطان (٣).

فسار بجيشه لحرب زابولي ملك المجر، واستطاع ازاحته عن حكم المجر، فأرسل زابولي إلى السلطان يستنجد به. فقاد السلطان بنفسه الجيش في سنة ٩٣٦ هـ الموافق لسنة ١٥٢٩ م، وتوجه إلى بودا عاصمة المجر، وما إن وصلها السلطان حتى فر منها فرديناند، وتوجه إلى فينا عاصمة النمسا، ودخل السلطان البلاد ثم أعاد زابولي إلى عرش المجر (٤).

ولم يتوقف السلطان سليمان الأول عن تعقب ملك النمسا الفار فلقد توجه معه زابولي ملك المجر صوب فينا وأخذ يضرب حولها الحصار، كما سلط مدافعه على أسوارها، وهدم جزءا منها، فأمر الجنود بالهجوم، فاندفعوا للدخول المدينة عدة مرات خلال أربعة أيام، فصمد أهل فينا أمامهم فلم يستطع الجنود العثمانيون دخول المدينة، فأصدر السلطان أوامره بالرجوع بحلول فصل الشتاء

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٢١٠-٢١١ .

. على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٦٧ .

. أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٩٠ .

V. J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730, p.81 . .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢١٠ - ٢١١ . ٢١٤ .

(٣) V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730, p. 82.

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢١٥-٢١٦ .

القارس على أن يعاود الكرة عندما تحين الفرصة<sup>(١)</sup> .  
 وفي سنة ٩٣٨ هـ الموافقة لسنة ١٥٣١ م قام ملك النمسا مرة أخرى  
 بإرسال جيش محاصرة بودا عاصمة المجر ، لانتزاعها من زابولي ، ولكن الحماية  
 الإسلامية التي وضعها السلطان لحماية هذه المدينة استطاعت صد هذا الهجوم  
 النمساوي<sup>(٢)</sup> .  
 وكعقاب لملك النمسا على تكرار هجومه على عاصمة المجر كرر السلطان  
 غزو فيينا في هذه السنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م للمرة الثانية وكان في هذه المرة  
 مصمما على فتحها ، ولكنه لما اقترب من فيينا ، بلغه استعداد أهلها للدفاع عن  
 المدينة . وقد جمعوا لهذه الحرب إلى جانب الجيوش النمساوية جيوشا ألمانية  
 وأسبانية إلى غير ذلك ، فعاد السلطان إلى عاصمته وكانت هذه أول مرة لألمانيا  
 فيها السلطان سليمان نصرا<sup>(٣)</sup> ، والواقع أن اقتراب فصل الشتاء وفشل  
 العثمانيين في نقل مدافعهم الثقيلة عبر الدانوب كل ذلك كان من أهم أسباب فشل  
 الحصار والعودة من سهول فيينا<sup>(٤)</sup> .  
 وقد انتهزت القوى الصليبية في أوروبا انشغال السلطان العثماني بالتحضير  
 البرية داخل أوروبا فهاجموا البلدان العثمانية بحرا بقيادة الأميرال اندري دوريني

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٢١٦-٢١٧ .  
 . علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٦٨ .  
 (٢) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢١٨ .  
 (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢١٨ .  
 . أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٩٠ .  
 . علي حسون : المصدر السابق . ص ٦٨ .  
 . محمد عبداللطيف البحراري : فتح العثمانيين عدان . ط ١ . القاهرة . دار المعارف . ١٩٧٩ .  
 هـ ١٩٧٩ م) ص ٩٠ .  
 (٤) محمد عبداللطيف البحراري : المرجع السابق . ص ٩١ .

الجنوبي ، الذي التحق بخدمة شارلكان ، واحتلوا كورون وباتراس Patras التابعة لبلاد المورة ، ولكن ملك النمسا توقع رد الفعل العثماني ، فأرسل سفيرا الى السلطان سليمان ليطلب الصلح ، فلم يقبل الا بشروط معينة <sup>(١)</sup> أهمها تسليم مدينة ( جران Gran ) ، فقبل ملك النمسا وتحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في سنة ١٥٣٣م / ٩٣٩هـ ، وأهم ما في المعاهدة هو رد مدينة كورون للدولة ، وان ماتتفق عليه النمسا مع زابولي ملك المجر لاينفذ ما لم يعتمده السلطان ، وهذه أول معاهدة صلح بين النمسا والدولة العثمانية وقع الطرفان عليها <sup>(٢)</sup> . وقد تكون هذه المعاهدة التي تضمنت صلحا مع المسيحيين علامة واضحة على ما أصاب الدولة من أعياء واجهاد اضطر سليمان الأول الى قبول الصلح مع النمسا ، وأن الخوف الذي سيطر على نفوس الأوربيين بدأ يقل من نفوسهم ، وعرفوا ايضا ان الجيش العثماني من الممكن صدده والوقوف في طريقه <sup>(٣)</sup> .

وقد أعقب هذه المعاهدة عدة معاهدات وامتيازات منها أنه في عام ٩٤٢هـ الموافق لسنة ١٥٣٦م قامت الدولة العثمانية بعقد اتفاقا مع ملك فرنسا ، وقد خول هذا الاتفاق اعطاء بعض الامتيازات للفرنسيين بالأراضي العثمانية <sup>(٤)</sup> ، وهي تشبه المعاهدة التي منحت للبنادقة ، وهذه الاتفاقية كانت بمثابة الرمز المرئي للصدقة بين الدولتين <sup>(٥)</sup> .

وقد خول هذا الاتفاق الطرفين حق التجول والاتجار والملاحة البحرية ، كما أجاز التبادل الاقتصادي دون ضرائب ، وأصبح للقنصل الفرنسي في

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢١٩ .

. علي حمون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٨ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٣) محمد عبداللطيف البحرأوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩١ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) V.J. Parry : A History of the Ottoman Empire to 1730.,p.86.

إسطنبول والاسكندرية حق التقاضي بموجب القوانين الفرنسية لرعاياهم دون تدخل الدولة ، ولا يحق للقضاة المسلمين الحكم على تجار ورعايا فرنسا إلا في حضور الصدر الأعظم أو من يمثله ، كما أعفى من تبع الرعية الفرنسية من دفع الخراج والضرائب<sup>(١)</sup> ، واشترط ملك فرنسا بأن يكون للبابا وملك إنجلترا الخليفة وحليفه الحق في الاستفادة أو الانتفاع من المعاهدة ، واجابه العثمانيون بالقبول<sup>(٢)</sup> مما أثار المشكلات فيما بعد ، وكانت هذه المعاهدة أول مسمار دق في نعش الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> . وهذا الاتفاق من أسباب تدخل فرنسا نفسها وبناقي دورها أوربا في شئون الدولة العثمانية وخصوصا في عصرها الثاني<sup>(٤)</sup> تحت مظلة الامتيازات للدفاع عن نصارى الدولة ، وخاصة في بلاد الشام<sup>(٥)</sup> .

والحقيقة كان هدف السلطان في ذلك الوقت من هذه الامتيازات هو إضعاف دولة فرنسا ثم الانجليز خلال نضالهما ضد بابا روما وهابسبورج النمساويين . وبتجلى ذلك في عقد الحلف الذي تم بين ملك فرنسا والسلطان في مواجهة هابسبورج على أن تبقى هذه المعاهدة سرية بين الطرفين حتى لا يتم صدورها في شعبيهما في وقت كان يسوده التعصب الديني . هذا الاتفاق جعل الدواوين تتحدث بفتحها نحو صقلية وأسبانيا بدل النمسا بالتعاون مع ملك فرنسا حينئذ في السرية ، ولكنها لم تنفذ هجومها مع الدولة على إيطاليا حسب الاتفاقية

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٨-٦٩ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٥ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي : فتح العثمانيون عدن ، ص ٩٢ .

(٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٠ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٥) علي حسون : المرجع السابق ، ص ٦٩ .



على الهجوم نظرا لسخط الرأي العام النصراني على ملك فرنسا لتحالفه مع المسلمين.

أما السلطان فإنه عاود الهجوم لفتح إيطاليا في سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٨م بالاتفاق مع ملك فرنسا على أن يكون هجوم السلطان من الشرق وملك فرنسا من الغرب الذي تخلى عن مهمته ، وقد نجم عن ذلك فشل الدولة في فتح إيطاليا كما تحالف ملك فرنسا مع شارلكان على الدولة . وهكذا أخذ موقف ملك فرنسا يتذبذب ، وهذا ما جلب عليه الأعداء ، ثم نراه يعود فيطلب العفو من السلطان ويجدد المعاهدة فاستجاب السلطان لطلبه ، وبقي على هذا الموقف حتى توفي<sup>(١)</sup> . وهكذا اعتاد الفرنسيون التنصل من تعهداتهم ومواثيقهم والتزاماتهم كلما خفت حدة التوتر بينهم وبين الهابسبرج ، أو كلما توصلوا الى أهدافهم وأغراضهم المادية والسياسية<sup>(٢)</sup> . أما النمسا العدو التقليدي للدولة العثمانية في هذا الوقت فقد كثرت غاراتها على أملاك الدولة وخاصة على حلفائها المجر وفرنسا ، مما أثار العداء ونقض العهد ، حتى استؤنف القتال من جديد بسبب غاراتهم على أملاك المجر التابعين للدولة<sup>(٣)</sup> . فاشتعلت نيران العثمانيين ، فمازالت تهدم قلاع النمسا وتسقطها حتى اضطر ملك النمسا والامبراطور شارل الخامس والبابا وملك فرنسا وحاكم جمهورية البندقية الى الدخول في مفاوضات مع السلطان لعقد هدنة لمدة خمس سنوات<sup>(٤)</sup> فعقدت هذه الهدنة في سنة ٩٥٤هـ الموافقة لسنة ١٥٤٧م على شرط أن يدفع ملك النمسا جزية قدرها ثلاثون ألف دوكة نظير ما بقي تحت

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٤ ، ٦٩ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراري : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٢ .

(٣) محمد فرد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٨ .

(٤) محمد عبداللطيف البحراري : المرجع السابق ، ص ٩٣-٩٤ .

يده من بلاد المجر<sup>(١)</sup> . وأن تبقى بلاد المجر التي توفى واليها زابولي لابنه وتحت وصاية أمه ورعاية الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> ، وهذه هي أول معاهدة قضت على دولة النمسا بأداء الجزية السنوية لسلاطين آل عثمان<sup>(٣)</sup> . في الوقت الذي جاء فيه سفراء الهند يستغيثون بالسلطان سليمان الأول ضد البرتغال<sup>(٤)</sup> .

وبعد أن عقد السلطان الصلح مع دولة النمسا ، تفرغ لمواجهة الغزو البرتغالي والفارسي ، فكان الصفويون في ذلك العصر تحت قيادة طهماسب ابن اسماعيل الصفوي يشيرون القلاقل في أوساط التركمان في الأناضول في الوقت الذي شهد فيه العراق الأوسط والجنوبي - بما في ذلك بغداد والبصرة شارات لفرض المذهب الشيعي ، والتضييق فيه على أهل السنة ، وقد أثارت هذه الأفعال غضب السلطان سليمان الأول باعتباره زعيم العالم السني ، إضافة إلى استيلاء الدولة الصفوية على فارس والعراق . مما عرقل مرور التجارة بين الشرق الأوسط وأوروبا حين تحولت سيطرة البرتغاليين على البحار الشرقية إلى حصار ممرات الطرق القديمة بين الشرق والغرب (٥) . وحولت التجارة عبر رأس الرجاء الصالح في محاولة من البرتغاليين لقتل الملاحه العربية في البحار العربية ، وحين سقطت دولة المماليك في يد الدولة العثمانية ، ورثت الدولة العثمانية هيبة المماليك

(١) قد استمرت النمسا على دفع الجزية للدولة العلية حتى أبطلت في معاهدة كارلوفيس

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٢٣٨ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٢٣٨-٢٣٩ .

. هيئة التحرير : سليمان الكبير ( مجلة الهلال ، ج ٢ ، ص ١ ، ١٩٨٢ ) .

... A History of the Ottoman Empire to 1730, p. 84 .

(٣) مجلة الهلال : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٤) محمد عبداللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٤ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩١ .

V.J. Parry : Op.cit., p. 85 .

نفوذها في الحرمين ورعايتهما ، كما ورثت عنها سيادة النفوذ في البحر الأحمر وسواحله إضافة إلى مسنوليتها في محاربة البرتغاليين<sup>(١)</sup> في عصر الاستعمار الأوربي الحديث عندما وصل التهديد الصليبي ولأول مرة في التاريخ إلى جنوب العالم الإسلامي أو البحار الإسلامية<sup>(٢)</sup> ، وقد حاول القائد البرتغالي " البوكرك " دخول البحر الأحمر في سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م للاستيلاء على مكة المكرمة والمدينة المنورة كاجراء مقابل لوجود الأماكن المقدسة المسيحية في أيدي المسلمين في فلسطين ، وللقضاء على تجارة البحر الأحمر التي تركزت في جدة ، وقد فشلت هذه الحملة لجهل قائدها بالملاحة في البحر الأحمر<sup>(٣)</sup> ، لذلك اضطر العثمانيون إلى فتح الميدان الجنوبي لمواجهة الغزو البرتغالي المسيحي الذي بدأ يهدد البحار العربية وذلك لإقامة حزام أمن لحماية الأراضي المقدسة الإسلامية<sup>(٤)</sup> مكة والمدينة من التهديد البرتغالي .

ونتيجة لذلك وضعت الدولة لنفسها خطة لحماية الأماكن المقدسة فأرسل السلطان سليمان أسطولاً من السويس قد صنع لهذا الغرض بقيادة سليمان باشا لفتح عدن واليمن ، فعبر به البحر الأحمر واستطاع اغلاق وتأمين منافذه أمام التحدي البرتغالي ، ثم احتل عدن واتخذها قاعدة بحرية لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي ، لكن البرتغاليين نجحوا في أخذ مضيق هرمز أهم قاعدة في الخليج العربي ، ومنه هددوا الخليج العربي وما حوله ، ولكن الدولة العثمانية استطاعت

- 
- (١) محمد شفيق غريب : مهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ، ص ١٢٥ .  
(٢) محمد عبداللطيف البحراني : فتح العثمانيين عدن ، ص ٩٢ .  
(٣) عمر الشروق السيدرحب : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨هـ ، ص ٢١٥ حاشية (١) .  
(٤) خلف دبلان انوديني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ لم تشر ، ص ١٤٩-١٥٠ .  
محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧١-١٧٢ .

صدهم عن التقدم الى الامام نحو المقدسات الاسلامية عبر الخليج العربي اذ لابد ان تؤمن الدولة ظهرها أثناء حروبها في أوروبا بعد أن لحت التحالف الصفوي (١) البرتغالي لحرب الدولة العثمانية ، ولضمان حماية الأماكن المقدسة من التهديد البرتغالي (٢) ، وعلى أثر ذلك سار السلطان سليمان الأول في سنة ١٥٣٣م / ٩٤٠هـ من عاصمته نحو الشرق ، فاستطاع الاستيلاء في طريقه على المنطقة الواقعة بين أرض روم وبحيرة وان بهدف الاستيلاء على أذربيجان ، ثم زحف بقوة كبيرة على أواسط فارس (٣) .

أما الشاه طهماسب فقد تجنب المصادمة في بداية الأمر مع الدولة العثمانية لأن معركة جالديران التي خاضها والده لازالت عالقة في ذهنه وكانت أكبر هزيمة له ، لهذا انسحب الى تبريز الواقعة في قلب أذربيجان وهي منطقة جبلية يساهم في عن اقرب قاعدة عثمانية ، وان أي محاولة للحاق به هناك تكون غير مجدية ، ضروب المخاطرة أو الجنون ، لهذا أصدر السلطان أمره بالتقهقر حتى يخرج من المنطقة المناسبة .

وقبل ذلك ركز السلطان سليمان في الاستيلاء على العراق ، فاستطاع في يده بغداد وباقي العراق دون مقاومة ، ثم ضم البصرة في عام ١٥٤٥م / ٩٥٣هـ ومالبت الحكم العثماني أن امتد الى الاحساء في سنة ١٥٥٥م / ٩٦٣هـ ، استطاع سليمان الأول انقاذ المذهب السني من الخطر الشيعي وحفظه من التدمير

(١) فقد سعت الدولة الصفوية في التحالف مع الدول الأوروبية وقد التفتت الى عقد حلف دفاعي هجومي ضد الدولة العثمانية .

- محمد عبداللطيف البحراني : فتح العثمانيون عدن ، ص ٩٠ .

(٢) محمد عبداللطيف هريدي : الحروب العثمانية الأوربية ، ص ١٣ .

(٣) Edward L. Bryant : History of the Ottoman Empire to 1730 , p. 85-86 .

هويته الاسلامية السنية وتأكدت بذلك زعامة الدولة العثمانية على العالم الاسلامي<sup>(١)</sup>.

في الوقت الذي أحرزت فيه الحملة نتائج طيبة<sup>(٢)</sup> في مد نفوذها على العراق والبصرة كما مر بنا وانحسار نفوذ الدولة الصفوية من العراق ، وصد البرتغاليين من الشرق لحماية الأراضي المقدسة من أعداء الإسلام.

ورغم استيلاء السلطان سليمان على كردستان ومعظم أجزاء العراق ، إلا أنه لم يوقع الهزيمة بالصفويين الذين احتفظوا بأذربيجان وبعض أجزاء من شرق العراق وجنوب القوقاز<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك عاد السلطان سليمان الأول الى اسطنبول لتنظيم شئون دولته الداخلية والخارجية وللاحتياط للطوارئ المتمثلة في التحركات الأوروبية على الدولة الاسلامية العثمانية . إلا أن السلام مع النمسا لم يضع حدا للعداوات المحلية على حدود الدانوب والمناطق المجاورة ، ذلك أن المجرين على حدود البوسنة وسمندريا كانوا من المجاهدين المسلمين يغزون دار الحرب لبعض المخالفات الحدودية الواقعة على المسلمين هناك من قبل الأعداء المجرين الذين يقطنون الحدود النمساوية المجرية والذين كانوا مندفعين للدفاع عن المسيحية فكانوا يتحرشون بالمسلمين ، ولم تستطع اسطنبول ولا النمسا إيقاف هذه الحرب للتعصب الديني بين الطرفين<sup>(٤)</sup> ، وان كنت أرجح بأن النمسا قد دفعت أتباعها لفعل هذه الأعمال وزودتهم بكل ما يحتاجون اليه لاضعاف شوكة الإسلام

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩١ .

(٢) V.J. Parry : History of the Ottoman Empire to 1730, p. 86 .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٤) V.J. Parry : Op.cit ., p. 86 .

في تلك الديار .

وعندما توفي ملك النمسا فرديناند سنة ١٥٦٤هـ / ١٥٦٤م خلف ابنه مكسمليان على عرش ملكه فاحتل مدينة تو كاي من أعمال المجر ، وكان السلطان سليمان في هذا الوقت مريضا ، وكانت المجر تحت السيادة العثمانية منذ ملكها زابولي ، فوعد السلطان اسطفن بن زابولي ملكها آنذاك باعادة ماسلب منده فقصده قلعة أرلو من أعمال النمسا وبينما هو في الطريق اذ بلغه أن أمير اسكندوار اغار على فرقة من جيشه ، فوجه السلطان الغزو الى تلك المدينة وقام بحصارها فاحتلها بعد أسبوعين من الحصار ، وبالرغم من أن السلطان سليمان الأول توفي أثناء الحصار إلا أن قائد الجيش أخفى خبر وفاته وأرسل الى ابنه سليم الثاني في مدينة كوتاهية يخبره بما حدث ويستعجله الحضور لاستلام زمام الأمور خوفا من الفتن والقلاقل .

وبهذه المعركة كانت نهاية عصر السلطان سليمان الأول ، الذي يعتبر للدولة العثمانية عصر المجد وأقصى المد . وفي شمال أفريقية استطاع السلطان سليمان القانوني طرد الإسبان عن طرابلس الغرب وصددهم عن تعقب العرب بعد سقوط غرناطة كما حارب امبراطور المانيا ودوقيه البندقية في سنة ٩٤٥هـ الموافقة لسنة ١٥٢٨م في بحرية بعد أن روعهم قبضانه ببروسا في سواحل البحر الأبيض المتوسط . الجهاد الإسلامي إلى الغرب بدلا من البحر المتوسط وأواسطه فاستقرت

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥١ .  
(٢) محمد عبداللطيف البحر اوي : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، ص ١٢٧ .

السيطرة على شمال أفريقيا باستثناء مراکش<sup>(١)</sup> ، أما تونس فانها أصبحت قصب  
السبق بين الأسبان والعثمانيين حتى استقرت أخيرا في يد العثمانيين الذين قضوا  
على الأسبان والحفصيين معا . وأنقذ المغرب العربي من خطر الأسبان وأصبحت  
تونس ولاية عثمانية ، كما أصبحت من قبل بلاد الجزائر وطرابلس الغرب . وقد  
كان النزاع بين الأسبان والعثمانيين لا يتمثل في السواحل الإفريقية فقط بل كان  
يجري أيضا حول السيادة على البحر الأبيض المتوسط .

وقد تمكن الأسطول العثماني فرض السيادة على هذا البحر مما جعل  
الأساطيل النصرانية تتلافى ملاقاته الا مجتمعة و متحدة و متحالفة لاسيما بعد أن  
أصبح خير الدين بربرسا متوليا قيادة الأسطول العام " فبودان باشا " <sup>(٢)</sup> . وقد  
أصبحت أملاك السلطان سليمان الأول تمتد من بودابست على نهر الطونة الى  
أسوان بالقرب من شلالات النيل ومن نهر الفرات الى مسافة قريبة من مضيق  
جبل طارق <sup>(٣)</sup> .

وقد رفض السلطان سليمان الاعتراف بحق شارل الخامس بلقب امبراطور  
واثما أقر به ملكا فقط على أسبانيا ، وكان يشجع علنا أية قوى تقف في سبيل  
مطامع شارل الخامس في الحصول على الزعامة في أوروبا .  
صحيح أن انتصارات سليمان القانوني قد أعطت للعثمانيين أبعاد ما يمكن  
من الحدود الصالحة والفتح العظيم . فالحرب بين العثمانيين والفرس سعى بها

---

(١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . ( القاهرة : الناشر دار  
المعارف . ١٩٧٢ م ) ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

. أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٩٢ .

(٢) محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٣) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق . ص ٤٤٤ .

العثمانيون لضم جورجيا وأرمينيا الفارسية وأذربيجان<sup>(١)</sup> لتقليص النفوذ الشيعي في المنطقة والذي أصبح خطراً كبيراً يهدد الدولة العثمانية السنية كما أن حروب الدولة العثمانية مع الفرس قد كبدتها نفقات كبيرة وكان من نتائج ذلك توقف حركة الفتح الإسلامي نحو الغرب ، كما أنه في الوقت نفسه كان من العوامل الأساسية في ضعف الدولة أمام فينا لأن الدولة كانت تقاتل في جبهتين أعداها في أوروبا والأخرى في فارس إضافة إلى مقاومة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي لتحركات الأساطيل العثمانية هناك .

---

(١) V. B. Parry - A History of the Ottoman Empire to 1730, p. 94 .



ب - الخلل في : السلاطين والعلماء والانكشارية ، والتوقف والركود :

من تتبع الأحداث السابقة يشاهد أن العثمانيين شيّدوا دولتهم على أسس إسلامية اتصفت بالقوة والتعاون والنظم الراقية ، فتمكنت بتوفيق من الله من قهر أعدائها . فكان ظهور الدولة على مسرح التاريخ أشبه بمعجزة حيث نمت بسرعة فائقة ، فضمت إليها بلدان واسعة في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا<sup>(١)</sup> .  
وبما أن الأحكام الأساسية لكل دولة يمكن أن تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما : احقاق الحق للعباد باجراء العدل في داخل البلاد ، وحماية الحدود من تعرض الأجنبي ، فإن رفعة شأن كل دولة وبلوغها إلى أقصى درجات المنعة والعظمة وحصولها على أرفع مراتب القوة والاجلال إنما يكون على قدر سعيها وإقدامها في هذين القسمين . وقد كانت الدولة العثمانية في الأصل مهمة غاية الاهتمام بإيفاء هذين القسمين المذكورين .

فكان سلاطين آل عثمان يعتنون كل الاعتناء ، ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين والدولة ، ويحضرون بأنفسهم في الديوان . وكان أمراء الولايات لا يتم تعيينهم في الولايات إلا بعد تعيينهم مدة من الزمن في إمارة السناجق حتى يكون الواحد منهم عارفا مدربا على أمور الإدارة وكذلك أمراء السناجق لا يتم تعيينهم إلا بعد التأكد من ولائهم للدولة ومعرفتهم بأمور الدين وانحسار أنظارهم فيما فيه عمران البلاد ورفاهية العباد أيام السلم ، فاذا وقعت الحرب ساروا إليها بجنود منظمة وأسلحة تامة<sup>(٢)</sup> .

فتقدمت الفتوحات في عصر السلطان سليمان الأول ( القانوني ) ، وبلغت

(١) محمد عبداللطيف الحراري : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٤ .

(٢) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٩٧ .

أوج مجدها ، وأخذت بعده في التوقف تارة والتقهقر تارة أخرى <sup>(١)</sup> ، ولعل السر في ذلك أن الدولة لم تجد فسحة زمنية لدراسة هذه الفرعيات من هذه الأصول وتفهمها <sup>(٢)</sup> .

قبل في المثل " الورد يلزمه الشوك ، والدفينة تأوى إليها الأفاعي " ، فقد كانت الثروة التي جمعت بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة داعية إلى الشهوات والوقوع في الأخطاء التي أفسدت نظام الدولة ، وتساهل السلاطين بالحفاظ عليها <sup>(٣)</sup> ، وكل أمة سادت فيها المفاخرة في المصرف والتعالي في الزهو والترف ، لا بد لها من التأخر <sup>(٤)</sup> .

لهذا مرت الدولة العثمانية بعصرين متميزين : أولهما مانسميه بعصر عظمة الدولة ، أو بمعنى آخر عصر السلاطين العشرة الأوائل والأقوياء ، أو عصر قوة الدولة وعصر استقرار النظام فيها ، وقد تشكل هذا وترتب على صلاح العصر الثلاثة التي ارتكزت عليها الدولة في عصرها الأول وهي السلطان والوزير والجندي . فالدولة قوية مالم يتسرب الخلل إلى السلاطين أو إلى هيئة كبار العلماء أو إلى القوى المحاربة في الدولة وهم الانكشارية <sup>(٥)</sup> .

وكان العثمانيون قد استلهموا أن الفتح يستلزم عناصر أربعة أي جيش من الرجال والمال والممتلكات ثم القوانين فنقص احداها يسبب ضياعها جميعا .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٢ .

(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٤ .

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٤) محمد فرد بك : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٥) خلف دبلان الوديعاني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ( رسالة ماجستير ، بوقلمون )

بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥ هـ ، لم تطبع ) ، ص ٦١ .

الى انهيار الدولة بأسرها (١) .

وثانيهما : فقد كان الأمراء من أبناء السلاطين في العصر الأول يقودون الجيوش فيصحبون الانكشارية في ميدان القتال ، أو لإدارة حكم إحدى الولايات فإذا وصلوا الى عرش السلطنة كان باستطاعتهم قيادة الجيوش وإدارة الحكومة إدارة حازمة فيقومون بتطبيق ما تعلموه من علوم على حياتهم العملية (٢) ، وكان الانكشاريون لا يخرجون الى الحرب الا اذا كان السلطان أو أحد أبنائه معهم . ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته أو قيادة أحد أبنائه . لأنه ان لم يخرج بنفسه أو ينسب عنه ابنه فان الانكشارية التي هي الدعامة الأولى في الحرب لا تتحرك من ثكناتها للحرب (٣) .

ولذلك نلاحظ أن الخلل تسرب الى الدولة من خلال عناصرها الأساسية وذلك عندما أتى بعد السلاطين الأقوياء سلاطين ضعفاء كانت أوضاع صفاتهم الخجل وعدم الكفاءة ، فأسندوا السلطة الى الصدور العظام والوزراء (٤) . وقد ظهر ذلك جلياً عندما غير السلطان سليمان الأول هذه السنة الحميدة وأجاز للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجوداً فكان هذا التغيير سبباً في تقاعس أغلب من جاء خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريتهم على مختلف الأجناس على الخروج للقتال وتكبد المشاق (٥) .

(١) محمد عبداللطيف البحراني : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٤ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراني : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٤٠ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٢ .

(٤) محمد عبداللطيف البحراني : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

اضافة الى ذلك عندما بلغت قوة الدولة درجة الكمال في عصر السلطان سليمان ، احتجب السلاطين عن الناس وتركوا الحضور الى الديوان مع أنه قبل ذلك كان السلطان يحضر الى الديوان ، ويلقى السمع الى الأمور من وراء حجاب ، وكان منصب الصدارة لا يوجه الا لمن تثبت لياقته وأهليته بين الوزراء ، واستعمل في السنجق ، ثم في امارة الولايات ثم في امارة أمراء الأناضول ثم في امارة أمراء الروم ايلي . وجرب أحوال العالم ، لا يأخذ هدية ولا رشوة علي توجيه المناصب ، بل كان الاستحقاق سائدا والأهلية معمولا بها (١) .

لكن السلطان سليمان الأول خالف أسلافه حينما عين لمقام الصدارة رأسا ابراهيم أغا بعد أن أصبح الوكلاء بمثابة آلات في يده والا لم يكن منصب ابراهيم أغا الذي تربى تحت أنظاره مضرا بالدولة في زمانه . إلا أن هذا العمل كذلك قد سينا احتذى من بعده ، حيث أخذ خلفاؤه سلاطين عصر الدولة الثاني هذا المنهج سنة وساروا عليه . حيث أخذوا يعينون في مناصب الوزراء من يرضونهم بالرغم من أن بعضهم كان من الشباب غير المحرب لأمر الحياة ، ولعلهم قد ساءت بادرة هذه المناصب السلطانية فانهم كانوا يصدرن أحكامهم عن علمهم القليل ومعرفة بل حسبا يروونه ومن غير أن يقوموا باستشارة أهل العلم والمعرفة ومراعين في ذلك للأحكام القانونية . فاختلفت أنظمة الدولة وتبدلت قوتها مع مرور الوقت ومعروف أن اسناد الأمور لمثل هؤلاء مخالف للقاعدة الكلية التي من منطلق الآية الكريمة ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ (٢) .

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ج ٢ . ص ١٠٣

(٢) سورة النساء آية (٥٨) .

ومن جملة ما لوحظ أيضا على سلاطين هذه الفترة أن السلطان سليم الثاني الذي خلف والده السلطان سليمان الأول ما كاد يجلس على كرسي السلطنة حتى ولي أحد أغوات الانكشارية قائدا للبحرية ، وحيث أن هذا الرجل كان يجهل أمر البحر فقد كان سببا في حرق الأسطول الهمايوني في مرسى ( ليبانتو )<sup>(١)</sup> .

وبما أن الموضوع هو خلل السلاطين ، اذ لايهمنا استعراض أعمالهم السياسية ، بقدر ما يهمنا استعراض أسباب ذلك الخلل ، فانه اضافة الى ما سبق ، فقد كانت الفترة الواقعة بين وفاة السلطان سليمان الأول ( القانوني ) في سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م حتى تولية السلطان سليم الثالث في سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٨٧م وهي ما يقارب مائتين وثلاثون سنة حكم الدولة خلالها سبعة عشر سلطانا كان منهم ثلاثة سلاطين<sup>(٢)</sup> على درجة عالية من الكفاءة أما السلاطين الآخرون فقد كانوا يتصفون بالضعف . كما أنهم كانوا لا يمارسون الحكم الا بواسطة وزراء كانوا مثالا للفساد والانهيار .

وكان بعضهم قد وصل الى الحكم وهم صبية صغار مثل السلطان أحمد الأول ، والسلطان عثمان الثاني ، فانهما وصلا الى السلطة في سن الرابعة عشرة فكان مصير السلطان عثمان الثاني القتل ، كما تولى محمد الرابع بعد وفاة والده في السنة السادسة من عمره<sup>(٣)</sup> . ومن السلاطين من كان معتوها ، مثل مصطفى

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ٣ ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد الثالث (١٥٩١-١٦٠٣) ، و محمد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) ، مصطفى الثالث (١٧٥٦-١٧٧٣) .

عبد العزيز نوار : تريح الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٣ .

(٣) عبد العزيز نوار : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

خلف دبلان الودينياني : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٦٢ .

الأول ، وكم سلطان عزل عن منصبه بمهانة وتحقير ، كما كان عدد من السلاطين قبل أن يتولوا العرش مجرد سجناء في ظلمات سوداء انعكست هذه الفترة المظلمة على سلوكهم خلال حكمهم للدولة ، فمنهم من كان شديد الإسراف في المظاهر و المظالم والقتل ، ومنهم من شغل بالقنص والنساء والشراب وسطى على مالية الدولة وأخذ الرشوة وباع المناصب <sup>(١)</sup> ، والحق انه قد ظهر في نهاية عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) إبقاء الأمراء بجانب الحريم بدلا من قيامهم بإدارة حكم الأقاليم وقيادة الجيوش وتمرينهم على الحروب <sup>(٢)</sup> ، وبالرغم من أن السلطان سليم الثاني كان يتدخل من وقت لآخر في إدارة شئون الدولة ومحاولة ضبط الأمور ، إلا أنه قضى جل سنوات عمره بجانب نساء القصر ، تاركاً حركتي البلاد في يد الصدر الأعظم محمد صوقللي <sup>(٣)</sup> . وكانت النتيجة هي أنه "بمقتضى سلطة الحريم" . كما ذكرت من قبل ، والتي برزت بشكل واضح في هذا العصر . عصر الخلل في الدولة العثمانية وضعف السلاطين ، وذلك بعد أن تولى السلطان عن تدريب أبنائه على الحروب وإدارة الولايات ، فركن الأمراء إلى الترف والنعيم وقضاء حياتهم بين حريم القصر دون أن يكتسبوا علماً أو تفيدهم عند توليهم سلطنة البلاد <sup>(٤)</sup> .

وهذا يعني أن الأمراء من أبناء السلاطين قد ركنوا إلى الدنيا والرفاهية ووصلوا إلى عرش السلطنة فانهم ليسوا على مستوى عرش الخلافة <sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) عبدالعزير عوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٣-١٥٤ .  
(٢) محمد عبداللطيف البحراني : فتح العثمانيين عدد ، ص ٩٤-٩٥ .  
(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٨ .  
(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .  
(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٧٠ .  
محمد عبداللطيف البحراني : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٨٠ .

البلاط تأثير قوي على السلاطين وخاصة السلطانة الوالدة<sup>(١)</sup> وهؤلاء الحريم كن في عهد السلاطين الأول في شبه عزلة عن بقية الخاصة السلطانية ، وكن قليلات التأثير على تسيير أمور الدولة<sup>(٢)</sup> .

ولكن منذ عهد السلطان سليمان الأول بدأ تأثير الحريم على السلطان وسياسته اذ وقع تحت تأثير زوجته خرم سلطان المعروفة باسم ( روكسلانا ) التي تدخلت للتأمر ضد ابنه الأكبر الأمير مصطفى من زوجة أخرى ، وعلى أثر هذا التأمر قتل الأمير لتضمن لابنها سليم الثاني العرش بعد وفاة والده<sup>(٣)</sup> .

ولكن عندما بدأ الضعف يدب في جسم الدولة أصبح تدخلهن واضحاً ، وكان ذلك يعد من أهم الأسباب في فساد نظام الدولة وانحلالها . فالسلطان مراد الثالث ( ٩٨٢-١٠٠٤ هـ / ١٥٧٤-١٥٩٥ م ) وقع تحت تأثير حاشيته وندمائه وخضع لسيطرة والدته وزوجاته وكبيرة وصيفات القصر ، وأخذ هؤلاء النسوة في التدخل في شئون الدولة العامة لتحقيق مصالحهن الخاصة ، وعملن على اجبار رجال الدولة بما فيهم الصدر الأعظم على تنفيذ رغباتهن ، وكن يدبرن المؤامرات ضد من يرفض تنفيذ رغباتهن<sup>(٤)</sup> .

وهذا على سبيل المثال لا الحصر ، بل أكثر النماذج أو الأمثلة الواردة أصبحت أحداثاً متكررة تحدث طوال فترة ضعف الدولة العثمانية سواء ماسبق منها أو مالحق على شاكلة ذلك ، وخاصةً حينما تولى المناصب العليا وزراء جهلة

(١) عبدالعزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٤ .

(٢) أميرة المداح : العثمانيون والامام القاسم بن محمد بن علي في اليمن . (الطبعة الأولى ، جدة ، مطبوعات تهامة ، ١٤٠٢ هـ) ص ١٥٠ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٠٢ .

(٤) أميرة المداح : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

لا يعرفون شيئا عن أحوال سياسة الدولة ، وليست لهم تجربة سابقة بأمر الإدارة في الدولة ولا يهتمون بشيء من الإصلاح . وكان بعضهم ينتمون أصلا إلى عناصر أجنبية لا يهتمهم مصلحة الدولة .

كما كانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة تملأ بالاجنبيات من الجوارى والسبياء الحسنان ، وكان بعضهن عيون لدوخن الكاشف في مواقع الضعف في الدولة العثمانية لدوخن (١) . وأهمل بعض السلاطين علماء الديوان الذي اقتصر على المراسيم والأعمال المظهرية ، وفسد القضاء وأفسد الأمور تسير فيه بالرشوة لا كما كان بالعدل في عصر سلاطين الدولة العثمانية الأولى (٢)

ونتيجة لذلك تسرب الخلل والفساد إلى طبقة العلماء الذين كانوا في

المرتبة الثانية في الدولة بعد السلطان ، فقد كانت السلطة القضائية في يد فلكتاب والسنة هم مصدر التشريع ، فإذا قال العلماء في قضية عند عرض الكل السمع والطاعة فلا يخالفه أحد (٣)

هذا كان من حق كل عثماني الانتظ في هيئة العلماء والكتاب

الطلاب في مدارس ملحقة بمساجد المدن الهامة معروفة باسم المدارس

يدرس فيها الطلاب اللغة العربية والفلسفة والفلك وعلموه الدين والعلوم

امتحان يختار فيه المتقدمون للاستمرار في الدراسة لأعمالهم الخاصة (٤)

البقية البقية فيلحقون أئمة للمساجد ، فيخضع المختارون لبروفيسور في

ويخضعون كذلك لامتحانات متتالية حتى يصل كل منهم إلى

(١) محمد كمال جمعة ، انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ، ص ١٤٧

عبدالعزيز ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ص ١٢

(٢) عبدالعزيز بوز ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٥

(٣) أحمد حودت باشا ، تاريخ حودت ، ج ١ ، ص ١٢٤



أول رتبة في سلك القضاء ، ومن هؤلاء الملازمين يُختار القضاة ونوابهم ، أما من يريد رتبة مدرس فعليه أن يواصل دراسته التي تصل مدتها الى سبع سنوات فوق دراسته العادية ، ومن شروطها أن يجتاز المدارس امتحانا صعبا باشراف مفتي الدولة نفسه ، ومن هؤلاء يتم اختيار من يشغلون مراكز القضاء العليا بعد التأكد من اتقانهم لعلوم الشريعة الاسلامية<sup>(١)</sup> .

و حين اختل نظام العلماء اختلت معه الطرق العلمية للتدريس وبالتالي اختل النظام الأساسي لاختيار الملازمين والقضاة ، فدخل في هذه المهنة أشخاص غير مؤهلين لوظائف الملازمة والقضاء<sup>(٢)</sup> بعد أن كان العلماء الحقيقيون يصلون الى مراكزهم بعد اجتياز عدة مراحل من التعليم والامتحانات فتسرب الخلل الى هذه الهيئة لأن هذا العصر عصر الخلل ، فكان أولاد العلماء يعفون من الدراسة المنتظمة ، ويمنحون الاجازات العلمية دون أن يعقد لهم الامتحان وهم في بيوت آبائهم ، إضافة الى بعض المناصب العلمية التي كانت تمنح لهم كإنعام ، فقد وصل كثير من ذلك الصنف الى قمة هيئة العلماء دون مشقة أو عناء<sup>(٣)</sup> .

ومن مظاهر ذلك الاختلال في طبقة العلماء أنه أصبح القضاة يبيعون أوراق الملازمة لمن يريدون فيصبحون ملازمين بواسطة الدراهم والدنانير ، وفي مدة قصيرة يصل هؤلاء الى وظائف القضاة والمدرسين ، ونتيجة لذلك امتلأت المدارس بالجهلة<sup>(٤)</sup> .

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٢٨-١٢٩ .

محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٤١ .

(٢) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) محمد عبداللطيف البحرأوي : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق .

ولعل هذا هو السر في وجود مجموعة ضمن هيئة العلماء في ذلك العصر تتصف بالجهل للاسلام وأحكامه<sup>(١)</sup> وذلك بعد أن أهمل أمر التقدم والامتياز في العلم والاستحقاق والأهلية في العمل ، واعتبر أمر الأقدم فالأقدم قساعة استثنائية تعرف بصطلاح المدرسين ( بالظفرة ) ، وهي أن المتسبين الى ذوي الشرف والامتداعين بواسطة ذوي الشفاعة من المقربين كانوا يتقدمون على كثير من القدامى . وهذه القساعة أيضا أخذ بها في تعيين رتبة الصداور والوالي<sup>(٢)</sup> .

وهنا نورد للقارئ تقريراً لبيان ما آلت اليه هذه الهيئة من فساد . وقد كتب هذا التقرير عبد الله أفندي الحائز على رتبة قساعى روم الباني في نظام الدولة حيث قال مانصه : " ان كثيرا من الذين أدخلوا في سلك الصداور من باب التوليد ثم ترقوا الى رتبة قاضي عسكر الرفيعة من دون استحقاق ، ولا أهلية ولا علمية فائدة تحصل منهم للدولة ، ومع ذلك فانهم يروا ذلك قليلا كما يستحقون انهم يتشاخرون ببلوغهم الى رتبة قاضي عسكر فيظهرون الجور والفساد ويصرفون أوقاتهم في ذكر مساوى بعضهم والقبيل والقبائل في غير ما ينبغي ان يشغلهم الا هذا ، حيث أن هؤلاء بلغوا الى هذه الرتبة المستعصية والمحافظة على مقامها واعتبارها من واجبات السلطنة السنية ، والى هذه الرتبة هؤلاء حمل ثقل على الدولة بلا فائدة ... " <sup>(٣)</sup> . ومن هذا الذي ينبغي ان يتنبه اليه ذلك الجهل المطبق المنتشر بين هذه الفئة التي فرضت على المجتمع المشقة والعبء عنها من قرارات وأحكام وفتاوى .

هذه الأمور أدت الى فساد وخلل كلي للبلاد والملة<sup>(٤)</sup>

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٠ .

(٢) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

أما الإنكشارية ، فكما تسرب الخلل إلى السلاطين ثم العلماء ، فقد لحق هذا الخلل  
أيضا بالإنكشارية ، الذين أقاموا عهد الدولة ، فكان يقيم هؤلاء في الثكنات منذ  
عهد السلطان أورخان ابن عثمان ، يواظبون على تعلم الفنون الحربية ومتى سار  
إلى جانب سائرهم ، فتسير كل فرقة بلاوامها في مزيد من الرغبة والطاعة  
والعزيمة ، إذ يظهرون فكثيرا أنباء إقامتهم في الثكن لا تحول أفكارهم إلا في كيفية  
التحسين لهذا الجهاد في سبيل الله ، أما النصر وأما الشهادة ، لأنهم تربوا  
تربوا على هذا ، فظهرت عليهم في الجهاد غير سيئين بالوقوع في المهالك  
والتجربون الذين يصدورهم وقرة ثباتهم ، فكان الظفر والغلبة  
والثبات والبر والهدى ، تعطف عليهم الدولة وتحننهم معاش  
وقد خرج هؤلاء المتشدون إلى

الجهاد في سبيل الله ، أما كثير من الإنكشاري ، أو أصحابه اصحابه بالغة  
الجاهلية ، الذين كثر في ذلك ، لا تعب للخدمة العسكرية ، إلا أنهم كانوا يفترون  
بعضهم بعضا ، ويغتابون بعضهم البعض ، فكانت المهالك في ذلك الوقت محفوظة وحروسة من  
الأنبياء ، ولا يظنون الإسلام ، وحمودها مبيعة لا يتجاوزها الأعداء ، فكان  
الجهاد في سبيل الله في تلك الأيام في جوحة الراحة والأمن في الحرب والسلام ،  
والثبات والهدى والبر والهدى ، فالتسع نطاق الدولة وزادت قواها ،  
والصحة في عهد السلطان سليمان الأول ( القانوني ) .

والصحة في عهد السلطان سليمان الأول ( القانوني ) ،  
فكما أن السلطان يتدرج في أيام السلطان سليمان المشاريه ، كذلك  
أنها الأنظمة يتكون في الوقت نفسه ، غير أنه لم يشعر بهذا الاضطراب أحد ، لأن  
الدولة كانت آنذاك في أزهى قوتها ، فأخذت الدولة في تطبيق القوانين على ما  
استقرت عليه عقول رجائها ، وبهذه الأسباب ظهر الاختلال في نظام القوانين حين

(١) أحمد حودت ريشة تريح حودت ، ج ١ ، ص ٩٧ .

فشيئا ، وبعد فترة ظهرت آثاره السيئة (١) .  
هذه القوانين التي أصدرها سليمان القانوني وطبقها وهي عبارة عن القوانين  
للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان في برطانيا  
أعطي هذا النظام تقاعس أغلب من خلف السلطان سليمان في أوروبا  
قصورهم ، حيث فضلوا البقاء مع الغلمان والحراري الكبار  
ويعنى ذلك أن الانكشارية هي أساس قوة الدولة العثمانية  
الدولة نفسه ، وسبب عظمتها ، ثم صارت أساساً لضعفها  
المسلمين في السراي عن الجهاد كما أنهم لم يأتوا إلى  
الروح العسكرية والقتالية والنظام في الجيش العثماني  
الدولة (٢)

لذلك كان هؤلاء الانكشاريون الضالين الذين  
حينما قاموا بحركات عصيانية ، وأولئك من الذين  
وأصبحوا مصدر اضطراب وفوضى في العاصمة  
والحقيقة أن نظام الانكشارية تغير من قبل السلطان  
السلطان مراد الثالث حين سمح في سنة ١٥٩٠ م  
المجندين غير المدربين في صفوفهم بالرغم من معارضة أهل  
مراد كان راغبا في افساد تنظيم الانكشارية بعد أن لاحظ  
الدولة لقوة نفوذهم (٣)

- (١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٠٢
- (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٢
- (٣) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٠٢
- (٤) علاء موسى ، كاظم نورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، مجلة الدراسات العربية  
المغربية ، السنة التاسعة ، العدد (٢٥-٢٦) ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٤
- (٥) خلف دبلان الوديعاني : الاحساء في القرون الثاني عشر الفجرى ، ص ٨٣

وهناك رواية أخرى فحواها أن السلطان مراد الثالث عندما احتفل بختان ابنه محمد ، تزاممت الاقدام لحضور هذا الختان حتى مات منهم خلق كثيرون دهسا تحت الأرجل بسبب كثرة الحضور ، فأسهم بعض الأجلاف في حفظ النظام ، فألح عليه أقرباؤه وندماؤه بادخال هؤلاء الأجلاف ضمن صفوف الانكشارية كنوع من رد الجميل أو التشريف أو مكافأة لهم لهذا العمل<sup>(١)</sup> ، بعد أن كانت الانكشارية منذ نشأتهم سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م الى زمن السلطان مراد الثالث ٩٨٢-١٠٠٥هـ/١٥٧٤-١٥٩٠م لايسمح بالانتظام في سلكها الا للغلمان الأعاجم فصار بعد ذلك عادة جارية يقبلون الاخلاط ، ولو كان طالب الانضمام الى الانكشارية تاجرا او صانعا أو غيرهما ، مما اعتبر نوعا من المفاخرة ، فآل ذلك الى فساد هذا النظام خاصة بعد أن انتظم فيه الكثير بالهدايا والرشوة<sup>(٢)</sup> مما زودها بعناصر فاسدة ، وذلك عندما سمح للانكشارية بالزواج والاقامة خارج ثكناتهم فأصبحوا لا يهتمون بتدريباتهم وواجباتهم العسكرية ، وبهذا فقدوا قدرتهم وفنياتهم العسكرية وقدراتهم القتالية ، فانشغلوا بحركات العصيان والعنف كبديل لهذه الخدمة الشريفة التي حل محلها الشقاق والنفاق والمجاملات والمنفعة وهي الأهم ، فأصبح لا يأتي الانكشاري الى ثكنته الا لأخذ مرتبه أو الاشتراك في حركة عصيان ضد الدولة<sup>(٣)</sup> .

وقد نتج عن زيادة الانكشارية زيادة في العبء المالي والاجهاد على خزانة

- 
- (١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ١٠٤-١٠٥ .  
 - هيئة التحرير : تاريخ الخلد العثماني ( مجلة الهلال ج ٨ ، ١٩٠٨ ) ، ص ٤٦١ .  
 (٢) هيئة التحرير : تاريخ الخلد العثماني ، المرجع السابق ، ص ٤٦١ .  
 (٣) محمد ، عبداللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٣ .  
 اربولدتوبي : تاريخ البشرية ، نقله الى العربية نقولا ريادة ( بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م ، ج ٢ ) ، ص ١٣٥ .

أو صندوق الدولة كثيرا ، مما أوجد بالتالي العجز المالي أو الاقتصادي لرواتب الجنود الانكشاري (١) حيث لجأت الدولة الى خفض العملة عدة مرات لكي تواجه تلافي هذه الأزمة المالية من أجل دفع رواتب الجيش التي زادت أعداده بشكل ملفت للنظر للأسباب المشار إليها أعلاه .

وهذه الأزمة أدت الى نشوب ثورات في العاصمة قام بها الانكشارية أولا ، ثم تلى ذلك بسنوات قليلة أن انتقلت الثورات الى فرق الخيالة (٢) وزاد هذا العجز أيضا فوضى واضطرابات الانكشارية ، ففي عصر السلطان مصطفى الثاني ( ١١٠٧-١١١٥هـ / ١٦٩٥-١٧٠٣م ) تعددت ثوراتهم من أجل هراتياتهم (٣) عندها أصبح نظام الانكشارية نظاما للارتزاق ، حتى صار لكل ضابط أو جندي تذكرة يحصل بمقتضاها على رواتب ( علوفة ) نقدية أو عينية ، ولما ضعفت الدولة وقصرت في دفع رواتبهم تولى هؤلاء تحصيل حقوقهم بالقوة ، أو بغير تذاكرهم لمن يدفع قيمتها ، والشاري يصبح صاحب التذكرة وبالتالي يتسبب انكشاريا ، حتى وجد في قوائم أسماء الانكشارية آلاف من أصحاب التذاكر والسيدات بسبب ذلك (٤) .

وهكذا بذرت بذور الفساد ، ودخل الانكشارية عناصر لا يعرفون الشرف .

(١) عبدالعزيز الشوي : في مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٧٥٥

، أميرة المداح : العثمانيون والامم القاسم ، ص ١٤٤

(٢) علاء موسى كظم بورس : مسئولية الاكثارية في تدهور الدولة العثمانية ، ص ١٠٤

المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢ هـ ، ص ١٠٤

(٣) محمد عبداللطيف البحر اوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٤

(٤) عبدالعزيز بوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٥٦

، علاء كظم بورس ، مسئولية الاكثارية في تدهور الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ص ١٠٨

ولا منشأهم ، فكانوا بذلك علة خراب ، فتزايدت أسماء الانكشارية يوما بعد يوم. ولم تكن الأشخاص الذين يعول عليهم في الحرب تناقصوا وحل محلهم هؤلاء الهالكات<sup>(١)</sup> ، فكان هؤلاء الرجال حين يطلبون التسجيل رسميا يجدون الاجراء عسير ، فقد يختلفون بين الانضمام ، ثم بعد ذلك يلبيسون شعار كتبتهم (أورطتهم) الزاهية على أفروعتهم وسيفقاتهم ، وحينما يتم ذلك فسانهم يتمتعون بمركز ممتاز ، فكانوا كثيرا يشبهون الانكشارية الأصليين في اعنائهم من عقاب السلطات المدنية ، فاستاءوا على المليونر<sup>(٢)</sup> الذين انفردوا بالفرقة لصالحهم كما أن الانكشاريين الأصليين لم يتركوا ان يهتدوا الأعداد على قوف جديدة أو اضافية تعينهم على التمرد أكثر<sup>(٣)</sup> ، فطردوا الفساد في الانكشارية في أول القرن الحادي عشر الهجري ، المرادف لثورة القرن العشرين الميلادي بشكل ملفت للنظر ، وأخذ هذا الفساد يتزايد ويتعمق ، فبدأت علة الخلل هو فساد الحكم واضطراب المجتمع واختلال الجند والقيادة.

وقد يمكن القول بأن حركات الانكشارية من ثورات وتمرد وشغب بدأت في عهد أورطتهم على السلطان عثمان الثاني (١٠٢٧-١٠٤٢هـ) ١٦١٨م ، واستمرت حتى أورطتهم على السلطان سليم الثالث (١٢٠٤-١٢٢٢هـ) ١٨٠٩م ، وكانت تمثل صورة واحدة ومتكررة ، من حيث الأسباب والنتائج ، فقد قاد عثمان الثاني جيشا منهم وعبر بهم نهر بروث ، فهزم البولونيين المجتمعين على نهر دنيستر ، تلك الحركة التي أعادت للمسيحية الخوف والقلق

(١) أحمد حودت باشا : تاريخ حودت ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٢) غلاء كاظم بورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، المحلة التاريخية المغربية ، السنة

التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٨-١٠٩ .





يمنحون المناصب لمن يجزل العطايا ، فكانت الوظائف تباع علنا<sup>(١)</sup> فأنكرت المدن كل طاعة للدولة ، وصارت العاصمة ميدانا مخيفا للمذابح البشرية<sup>(٢)</sup> . ومنذ ذلك الوقت سرى انحلال الانكشارية في الولايات ، وفشل الباشوات في مواجهة أعمال العدوان التي كانوا يقومون بها<sup>(٣)</sup> .

فتطورت هذه الأحداث واضطربت الولايات بسبب تمرد الانكشارية وأعوانهم فأشهر والي طرابلس الشام استقلاله وطرد الانكشارية من ولايته فانتهج أثره والي أرضروم المدعو أباطة باشا مدعيا أنه يريد الانتقام للمرحوم السلطان عثمان الثاني شهيد الانكشارية ، فسار بمن تبعه الى أن وصل أنقره فاستولى عليها . وصادر كل ما آل الى الانكشارية من التزامات واقطاعات ملكا للسلطان ، كما أنه قام بالقبض على كل من وقع عليه بصره من الانكشارية .

فاستمرت هذه الاضطرابات والفتن الداخلية مدة ثمانية عشر شهرا متوالية شعر بعدها المفكرون بما ورثته هذه الفوضى من انحلال الدولة وخرابها والتي شبع من جراتها بالمال المتمردون عن طريق النهب والسلب طوال هذه المدة حتى ارتبك النظام ، وصار عدم النظام هو الصفة السائدة في البلاد ، عندها أسند أمر الدولة الى علي باشا صدرا أعظم ، فأشير عليه بعزل مصطفى الأول مرة ثانية، لضعف عزمته ، ووهن قواه العقلية ، فعزلوه وعينوا مكانه السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٧٨-٧٩ .

علاء كاظم بورس : مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، ( المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥-٢٦ ، ١٩٨٢ ) ، ص ١٠٤ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٨٣ .

(٣) علاء موسى كاظم بورس : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

وحينما تسلم مراد الرابع سلطنة البلاد كانت الدولة تواجه اخطارا  
 وكوارث اذ كان يصل من كل اجزاء الدولة رسائل وتقارير جامعة ابناء غير سارة،  
 فهؤلاء الفرس يرابطون على الحدود، أما الثائر اباظة باشا صاحب الأندلس  
 والنهي في آسيا الصغرى فقد استولى عليها، وهناك بعض القبائل الخارجة عن  
 طاعة الدولة علنا، كما أن حكام مصر والولايات الأخرى آنذاك أصبح ولاؤهم  
 يتارجح، وليس هذا فقط، بل ان الأساطيل القوقازية المغيرة لم تكشف بما كانت  
 تسلبه باستمرار على طول البحر الأسود، فأخذت تنتقل إلى البوسفور، وراحت  
 تنهب الأماكن القريبة جدا من العاصمة.  
 أما في اسطنبول نفسها فإن الخزينة كانت خاوية، ودار الصناعات معطلة  
 والنقود قليلة القيمة لانخفاض قيمة الذهب والفضة فيها لتلافي النقص المتاحل في  
 سكها، كما أن مخازن الذخيرة كانت تفتقر إلى الذخائر والمعدات الحربية  
 وسكانها في حاجة للغذاء، أما الجند فإنه بلغ بهم الفجور أقصى مراحلها  
 السلاطين يخشون الدخول في ذكر مسألة الاصلاح لهذه المسألة الخطيرة، وقد  
 الانكشارية حتى قال يوما الصدر الأعظم للسلطان مصطفى الثالث: "الآن  
 الجيش لا ينفذ العصر، وضروري من ايجاد النظام الجديد"، فاندفع السلاطين  
 ونظر يمينا وشمالا هل موجود في محضره من يفشي هذا القول للانكشاريين  
 قال: "ان جيشنا عظيم" يريد بذلك اخفاء هذا الخبر، وعمر إلى الصدر الأعظم  
 بالسكوت، وبعد هذا المجلس طلب الصدر الأعظم بمفرده وقال له: "ان  
 قولا عظيما يخشى منه الخطر، أما أنا ففي حيرة من قبل تواريخنا العثمانية

- (١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٢٧٩.
- (٢) علاء موسى بورس: مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (الرحلة المغربية السنة  
 التسعة، ١٩٨٢، ع ٢٥-٢٦، ص ١٠٦).

بمصر من عديدة في مسألة اختلال الجيش ، ولكن خوفا من الخطرات العظيمة  
القاهرة منها الملك في جوف كالفروج . ثم سال يوما أحد رجال الدولة جنديا  
كثيرة ماذا تقول في النظام الجديد ؟ فكان جوابه : اننا ما كثرنا وان نكفر بيوم  
تكون من بيننا بالبلاد الجديد ضرب من ضرب الكفر الذي  
والتي لا يريد اننا نهب في ذكر ضرب الامم الذي هو بالانكشارية .  
والتي لا يريد اننا نهب لادب الدولة او معول شدة وثروة وتخریب وتصد  
بما هو من اننا المثل الذي نطلب التجري الوافق للمفرد المسمى كفسر  
والتي لا يريد اننا نهب الاصلح مريد ولكن اضطرره تلك التي تمت في عهد  
الانكشارية الا اننا نهب لادب الاكثارية من فرقى سيطرتهم الامة على  
والتي لا يريد اننا نهب بالانكشارية التي لا تريد الا اننا نطلب  
والتي لا يريد اننا نهب من كسر وجه الامم التي نطلب الا اننا نطلب  
والتي لا يريد اننا نهب من التي لا تريد الا اننا نطلب الا اننا نطلب  
والتي لا يريد اننا نهب من التي لا تريد الا اننا نطلب الا اننا نطلب  
والتي لا يريد اننا نهب من التي لا تريد الا اننا نطلب الا اننا نطلب

#### المصادر والمراجع

- ١- محمد فريد بك ، تاريخ مصر الحديث ، حركة الاعمال العثماني ، ص ٨٤
- ٢- كامل مختار ، تاريخ سياسي دولنا عليه عثمانية ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٤١-١٤٢
- ٣- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣١٨-٣١٩
- ٤- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٠٦

طلبوا لم يمنعهم من التمرد والعصيان ، فأعلنوا استقافله عن العرش العثماني  
وهكذا توالى تمرد الانكشارية حتى أصبحوا ثقاتا كبارا عظمى في بلاد الشام  
وعلى نزل سلطان يحاول التخلص منهم أو استمراءهم في البلاد فقاموا  
بقتل ائمة او يقتلونهم ، حتى أصبح هبة دينهم أو شجارهم في بلاد الشام  
وأبرز تمرد الفضة والسلطنة ، وأفكاره فخلوها من الأتومها من بلاد الشام  
في أواخرها فقاموا بقتل من في السلطنة من الأتومها من بلاد الشام  
في أواخرها فقاموا بقتل من في السلطنة من الأتومها من بلاد الشام  
بالتوجه العثماني في مكانه فقاموا بقتل من في السلطنة من الأتومها من بلاد الشام  
الذي نشأ في بلاد الشام من بلاد الشام من بلاد الشام  
فقاموا بقتل من في السلطنة من الأتومها من بلاد الشام  
بقيت السلطنة من بلاد الشام من بلاد الشام من بلاد الشام  
وتلحقها من بلاد الشام من بلاد الشام من بلاد الشام  
تلك ذات الأثر في تمرد هبة الأتومها من بلاد الشام  
التي خلفت عن السلطنة من بلاد الشام من بلاد الشام  
بأنه نفسي كما سبق ذكره هناك ومن بلاد الشام

- (١) علاء موسى كظام : عدد مسؤولية الانكشارية في بلاد الشام
- (٢) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني في بلاد الشام
- (٣) محمد عبدالمطيف العنبر : تاريخ الجند العثماني في بلاد الشام
- (٤) هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني في بلاد الشام
- (٥) علاء موسى كظام : المرجع الأخير في بلاد الشام

أصابت العساكر بعض الظفر ، ولو أن ذلك كان قليلا في عصر الدولة الثاني<sup>(١)</sup> .  
وكل هذا وقع بعد الانتصارات التي أحرزها الأتراك العثمانيون عندما  
حملوا راية الاسلام ، وساروا بفتوحاتهم صوب الغرب ، ولما دخلهم الفرور جنحوا  
الى الكسل ، وتهاونوا في الأخذ بمبادئ الاسلام الداعية للعمل والجهاد ، ومسايرة  
الزمن وتطوراته ، فانشغلوا بخلافاتهم وشهواتهم ، وأصبحوا في غفلة من الحوادث  
العالمية وعمما يخبئة القدر عندما قنع السلاطين العثمانيون بما حصلوا عليه من نصر  
حربي ، وهذه للأسف من الأسباب التي ساعدت على الركود<sup>(٢)</sup> ، اضافة لما سبق .  
ومنذ ذلك التاريخ بدأت عوامل الضعف تتسرب الى كيان الدولة وبنيتها  
الداخلية بشكل تدريجي وملحوظ ، ولم تظهر آثار هذه العوامل الا في سنة  
١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م أثناء حصار فينا الثاني ، وما أعقبه من انسحاب الجيش  
العثماني<sup>(٣)</sup> .

وكان انهيار الجيش العثماني بعد فشله في الاستيلاء على فينا مؤشرا أو  
نذيرا بفترة قادمة جديدة في علاقة الدولة مع دول أوروبا التي اتخذت سياسة  
هجومية بعد أن أدركت ضعف الدولة العثمانية<sup>(٤)</sup> .

وكانت النتيجة انتصار المسيحيين على الجيش العثماني في عهد السلطان  
مصطفى الثاني . لاختلاف الجيش العثماني وعدم تنظيمه ، كما أن جزءا من  
الجنود الانكشاريين تمرد في ذروة المعركة بالرغم من ثبات البقية الباقية من الجيش ،  
ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام التحالف الصليبي ، وبعد هذه الكارثة لم يكن

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١١٤-١١٥ .

(٢) محمد عبدالله بن ماضي : الهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ( الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار

احياء الكتب العربية ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٧٢ م ) ، ص ٢٢-٢٣ .

(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد ، حياته وأحداث عهده ، ص ٢٧ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥ .

أمام الدولة الخيار الا البحث عن السلام بغض النظر عن الهزيمة التي تلقاها الجيش العثماني وقواده ، ولأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية يتم التوقيع على معاهدة مثل معاهدة ( كارلوفتز ) التي عقدت في سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م على نهر الدانوب ، والتي خسرت فيها الدولة العثمانية ولاية بأكملها هي الجسر ، وتراسلفانيا ، وكانت هذه المعاهدة هي الأولى التي خرجت منها الدولة خاسرة . وقد كان هذا الاتفاق ايدانا ببدء عصر جديد من تاريخ الشرق ، وانسحب الأتراك الى فينسيا ، ولم يكن الأمر مجرد خسارة العثمانيين لأقاليم واسعة بل كان تحطيماً لأمالهم وتفوقهم العسكري ، فظهر الخلل واضحا وجليا في أنظمة الدولة العثمانية وفي التكتيك العسكري أمام تفوق النمسا أو التفوق الأوروبي على المستوى الدولي .

يقول كريزي في هذا الشأن " منذ تلك اللحظة وصعدت لم يكن هناك أي خوف حقيقي من القدرة العسكرية التركية " . وقد أصبح التفكك واضحا ومستمر في الدولة العثمانية ، ذلك نتيجة عوامل ضعفها تزداد يوما بعد يوم ، بعد أن كانت الجيوش العثمانية تتفوق بالشجاعة والقوة والمهابة (١) .

وهكذا كان صلح كارلوفتز الذي أنهى حرب ميسوهر التي استمرت من ١٦٨٦ إلى ١٦٩٩ المقدسة أول سلسلة من الاتفاقات بين العثمانيين ومخالفات الأوروبية المشككة في قدرة الدولة مما قلب موازين القوى العثمانية من الهجوم إلى الدفاع ، وبعدها هذا الصلح بأنه أول تفكيك لأوصال الدولة العثمانية ، الذي استمر حتى وقتنا الحاضر ، وكان اعتراف العثمانيين بالتنازل عن أراض كانت تحت حكمهم في وقتها

---

(١) William Stearns Davis: A Short History of the Near East, pp.271-272.

أدراكهم متزامنا مع بداية الانسحاب الفعلي العثماني من أوروبا (١).

وفي (سنة ١١٨٢-١١٨٨هـ / ١٧٦٨-١٧٧٤م) خسرت الدولة

العثمانية حروبها مع روسيا لأول مرة في التاريخ (٢). وبغض النظر عن الدخول في

التحريض المبروك الضربية التي دارت بين الطرفين ، ولكن النتيجة هذه الخسارة هو

تأخر التنمية (كوجيك كيندرجي) التي حصل بها القوم على استقلاله . وأمام هذا

الوضع والارباك والاضطراب بدأت الدولة في محاولات لإصلاح جوانب التطور

في المجالين العلماني والاقتصادي والعسكرية والسياسية والعلمية

والتعليمية التي انبثقت في ذلك الوقت الذي كان فيه العثمانيون قد وضعوا أيديهم على مفاتيح

الحضارة الغربية التي كانت سياسة الدولة والانكفاء فعملوا على قتل كل فكرة

تتعلق بالتنمية الاقتصادية أو الاجتماعية ، فسعد ذلك على لركود

الدولة في وقت مبكر من التاريخ الحديث فوجدنا رويدا لشعر سيادته ونشوده

في عهد الدولة العثمانية (٣).

ولم يكن التطور الذي ظهر في اتجاه تجديد في الدولة العثمانية بدعوة إلى اصلاح

الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، وهو الاتجاه المعروف بحركة الاصلاح والتجديد (٤).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (٥).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (٦).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (٧).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (٨).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (٩).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (١٠).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (١١).

والتي كانت نتيجة لتأثير النهضة الغربية في القرن الثامن عشر (١٢).

والذي واجه تحقيقه سلسلة طويلة من العراقيل ، الملك فنان الدولة الجديدة  
باصلاحتها الجديدة لم تدخل في طور التأثير الا في القرن التاسع عشر  
الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي كما سألني في تاريخ العراق القديم  
المشرفية في وضعها الأخير حين الشغل اللدائم بالزراعة والصيد  
والسعي وراء تحقيق الأغراض والأهوال ، مضطرباً بالفتنة والاضطراب  
المعتمد <sup>(١)</sup> وهذا الضعف الذي أهزل الواو من قوتها  
كان امسداً دائماً للحزب السلطاني والعامية والاضطراب

بما

---

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والموافق ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٦

(٢) محمد عبدالله ماضي : الهضبات الخفية في تاريخ العراق القديم ، ص ١٧٥



فشل الحلول العسكرية - الغزو الفكري - سياسة الرجل المريض :

ان الغزو العسكري هو غزو ظاهري ويمكن مواجهته بنفس الأسلوب والقوة . أما الغزو الفكري فهو غزو خفي يعمل على تخريب المعنويات وتدمير النفوس . كما أنه يعمل على تعطيل طاقات الأمم (١) .

والغزو الفكري يكاد يكون من معطيات العصر الحديث الذي بلي بأنواع عديدة من هذا الغزو أتى بها الاستعمار وعملاؤه مع ما جاؤا به الى البلاد الإسلامية . فالغزو الفكري في التاريخ هو أن يحول العدو بين أمة من الأمم وبين تاريخها وماضيها المجيد وسير الصالحين من أسلافها ، للتشكيك فيهم وفي معتقداتهم الإسلامية (٢) . وان مفكري الغرب ومؤرخيه من مستشرقين ومنصرين نتيجة لقوتهم المادية والعلمية التي وصلوا اليها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين اعتقدوا ان قوتهم المادية هي أصل جميع الحضارات في التاريخ كما اعتقدوا أن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل والتي تستطيع أن تفكر تفكيرا سليما ، أما غيرهم من الشعوب وبخاصة الشعوب الإسلامية فان عقليتهم ساذجة بسيطة وذلك على حد تعبير المستشرق جب في كتابه " وجهة الاسلام " ، ويقصد أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها ادراكا كلياً (٣) ، ليحل محل ذلك تاريخ العقلية الأوروبية أو الدولة الغازية وسير أعلامها وقادتها ، فيشب المثقف من

(١) محمد جلال كشك : الغزو الفكري ، (الطبعة الرابعة ، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٧ .

(٢) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٨ .

(٣) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

أبناء تلك الأمة المقهورة وليس في نفسه مثلاً إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية، وليس في خلدته أبطال إلا أبطالها ولا مفكرون إلا مفكروها، بل يصبح لا يعرف من الحق والباطل إلا مآثره هذه الأمة الغازية التي تشبع بأفكارها ومفكرين حثيثاً أو باطلاً، فتشوه رؤيته الحقيقية للناس والأشياء، وبالتالي ينسى تاريخه المجيد التام وسير الصالحين من أسلافه، فيجرح عن حاضره ومستقبله، ويضل عن مهال الطريق المستقيم<sup>(١)</sup>، ففشل الصليبيين في حروبهم المتوالية على الشرق الإسلامي، كان دافعاً للمزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية، وكان القرآن أولى ما هبوا إليه سهامهم، وثنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عرّجوا بعد ذلك على خلفائه الراشدين، ثم التاريخ الإسلامي الذي شوهوا حقائقه<sup>(٢)</sup>، ثم أتت إلى مزيد التعصب الديني للحقد على الإسلام ومقوماته، فأتجهوا إلى الثورة الفكرية الجديدة هو الاستشراق، فقد أخذت الغربيون المسيحيون طريقة الباحثين المسلمين والتغلب على المسلمين وقد شرع نفر منهم في تعلم اللغة العربية لاحقاً في القرنين السادس والتاسع عشر، وسبغت على قراء القرآن ومناقشته في محاولة لتشويه معانيه وتهدم الأساسيات عن طريق الهدم المعنوي في حركة ظاهرها طلب العلم والبحث «بالمعنى الضيق» والبحث<sup>(٣)</sup> والكيد للإسلام والمسلمين عن طريق بتر الآيات القرآنية والافتراء على التلذليل على آرائهم الخاطئة من أجل تشكيك المسلمين في دينهم.

وقد ظهرت أول دعوة للاستشراق على لسان البارون «دويتش» سنة ١٠٧٥ هـ الموافق ١٦٦٤ م، أي في أواخر القرن الحادي عشر الهجري الميلادي.

- 
- (١) علي عبد الخليم محمود: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٠٠.
- (٢) محمد عبدالفتاح عليان: أصواء على الاستشراق، (الطبعة الأولى الكويت، الناشر دار المنصر للطباعة، ١٤٠٠ هـ) ص ١٠.
- (٣) محمد عبدالفتاح عليان: المرجع السابق، ص ١٠.
- ، بحث عقيقي، المستشرقون، (الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف) ج ٣، ص ٦١٣.

بشر البلادي حيث طالب بتأسيس مدرسة أو كلية ، تكون قاعدة لتعليم التنصير  
ويظهر فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التنصير ، وقد ارتأى أحد  
أعضاء الكنيسة أنه يهبط إلى الأرواح بمسئولية تنصير الأتراك ، لكن البارون فشل في  
تحويله إلى واقع.

في كذا يكون الغزو الفكري بالوسائل غير العسكرية التي أخذها الغزو  
الصليبي في القرون الأولى للحياة الإسلامية ، وعرف المسلمين عن التمسك بالاسلام  
والثبات على العقيدة التي ورثوها مما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأخلاق وسلوك<sup>(١)</sup>  
فقد ذكر الباحث الرئيسي لاستخدام الغزو الفكري أنه بعد فشل الصليبيين  
في فتح القدس عام ١٠٩٩م انقلب الشرق الإسلامي عملاً على الاهتمام بالثقافة الإسلامية ،  
والتفكير في طرق وأحوال من خلال وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحولات الصليبيين  
في الشرق الأوسط الفكري ، وهذه الوثيقة تتضمن وصية القديس  
بنيامين من توراين (فرنسا) وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة  
في ١٢٩١م (القدس) أسيراً في أيدي المصريين في مدينة المنصورة ، ولم يطلق سراحه إلا  
بعد حصار شديد استمر مدة استطاع بها الإفلاس من الأسر ، وبعد أن عاد إلى فرنسا  
تصور أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن  
التي هي أساسها دمجهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس والنفيس في سبيل الله  
وخدمة دين الإسلام وحبون أرضهم ومقدساتهم وأعراضهم ، والمسلمون قادرون  
دوماً للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة ، وأنه لا بد من سبيل آخر  
وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري ، بأن

(١) أنظر مثلاً : الفرد على العلم الإسلامي ، ترجمة محب الخطيب ومساعد البدي ، (الطبعة الرابعة ،

١٣٩٨هـ) ، ص ١٣

(٢) محمد قطب ، واقعا المعاصر ، الطبعة الرابعة ، حدة ، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة  
والنشر ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٩٥ .

يجسد العلماء الأوروبيين بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا عندها المصداق الذي  
ثم يغزون به ( الفكر الإسلامي ) (١).

ويعتبر لويس التاسع ملك فرنسا هو رائد حركة النهج التاريخي الحديث.

أول مساهمة ضخمة الخدمة الخاصة سنة ١٢٩٠م (١٢٩٠م) في دراسة الحضارة الإسلامية  
رفعها لإسحاق نوسيد. أما ما كان يجهل الرأي في كتب التاريخ.

وهكذا تحولت العجوة من سائر الحضارات إلى

والفكر بهذه الطريقة المتعددة المستويات التي كانت  
لوعين إلى الاستشهاد.

وقد سار الأوروبيون في حركتهم التي

المسيرة التي وبخاصة بعد تأليفها في القرن  
العاشر. فقد اجتمع راسخ الفهم في

المسلمين من الأراضي المتعددة في حركتهم  
من المسلمين وإعادة الأراضي الإسلامية.

الأسباني ( ريمون لول ) بنادي باستعادة  
الحروب الصليبية (٢).

هنا أصبحت الأمور واضحة باستعادة

ظاهرها ديني وغايتها تخليص بيت المقدس من يد الصليبيين  
سبيل للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من

المسيحي يعود إلى القرون الوسطى وذلك عمدة التي

- 
- (١) علي محمد جريشة وأخرون. أممات الشرق القديم والحديث. ص ١٢٩.
  - (٢) علي محمد جريشة وأخرون. المرجع السابق. ص ١٣٠.
  - (٣) مصطفى خالدي وفروخ السبيعي. الإسلام والحضارة الإسلامية. ص ١٣٠.

فتولى الدعوة الى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها ، وكان قد أعد نفسه بأن تعلم اللغة العربية بكل مشقة ، وطاف البلاد الاسلامية ، وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة (١) . قال ارست باكر : " وظهر أمثال ريمون لول الذي كان ينادي بوجوب استبدال الحملة الصليبية ببعثة تنصيرية وأن يقوم التنصير السلمي مقام الحملة الحربية " (٢) .

ومن الطريف أن ريمون لول هو أول من نادى باستخدام التنصير كسلاح للسيطرة على البلاد الاسلامية واطعاف الاسلام ، وهو أول من نادى كذلك بإيجاد كرسي للدراسات الشرقية الاسلامية في الجامعات الأوروبية . وهكذا نشأ الاستشراق نظرا للفشل الذي آلت اليه الحروب الصليبية أيضا ، وذلك لدراسة الاسلام ونقده وتشويهه باعداد دراسات غربية عنه وعن تاريخه ، لتقديمها جاهزة حسب التفكير الغربي . وبما يخدم مصالحه ويحقق غايته للموفدين الشرقيين لمتابعة تحصيلهم العلمي في ديار الغرب ، وعودتهم الى بلادهم وجها آخر حسب التشكيل الجديد أو العملة التي يريدونها المستعمرة (٣) .

ومن أهداف الاستشراق والتنصير تدبير المؤامرات والانسائس لاحداث الفتن والانقلابات في الوطن الاسلامي (٤) .

ولكن لما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه والانتفاع من علمه والتزاحم على استعمارها أحسنت كل

(١) أول شاتليه : الغارة على العالم الاسلامي ، ص ١٢-١٣ .

(٢) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ( الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٠هـ ) ص ١٢٦ .

(٣) اسماعيل الكيلاني : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) عبدالله التل : جذور البلاء ، ( الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٣٩٨هـ ) ص

دولة الى مستشرقها ، فضمهم ملوكها الى حاشيتهم أمناء أسرار وترجمة مع انتدابهم للعمل في سلك الجيش والدبلوماسية في بلدان المشرق الاسلامي ، فولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية ، ومنحوهم ألقاب الشرف عضوية المجامع العلمية ، كما أجزلوا لهم العطايا والمنح في الحل والترحال (١) .

اذا الاستشراق هو دراسة يقوم بها الغربيون لترات الشرق وبخاصة كل مايتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته ، فالمستشرق بهذا الاعتبار هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق ، ولا بد لدراسة هذا التراث الضخم من أداة بواسطتها يصل الى بغيته المنشودة وهذه الأداة التي يجب على المستشرق إتقانها هي مفتاح الشرق أو لغة الشرق والتخصص في أبرز علومها كالتاريخ والتاريخ والفنون والآداب والعلوم وهي اللغة العربية وعلومها بلا ريب ، والهدف من الاستشراق هو التنصير ، وهو محاولة اقناع المسلمين باعتهم المسيحية الاسلام واجتذابهم الى الدين المسيحي (٢) .

فكانت الحروب الصليبية أحد منابع الاستشراق ، فأطلعت الغربيون على مواطن الضعف في دينهم ، فكانت المقارنة بين الاسلام وبين أديانهم تحتاج الى نظرة شاملة فاحصة أو التعديل ، وهذا ما أسماه الغرب بحركة الإصلاح اللاتيني ، وقد كانت الرغبة أيضا في التبشير بالمسيحية في الشرق ، كل هذه الأمور استلزم من مستشرقين منهم دراسة اللغة العربية على أيدي المستشرقين ، ومن هنا تلاققت برؤيتهم

(١) نجيب عفيفي : المستشرقون ، ج ٣ ، ص ٦٠٤ .

- محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، الطبعة الأولى ، بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٨-١٩ .

(٢) محمد حسين صغير : المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٥ .

الاستعمار والتنصير والاستشراق (١).

وقد بدأت محاولات الغزو الصليبي الحديث في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي بعد سقوط مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة ٨٩٨ هـ الموافق ١٤٩٢ م بعد عدة حروب وسلسلة من الهزات السياسية بدأت بإزاحة البابا هذا الانتصار الصليبي وشجع المسيحيين على التمسك ببقية بقايا المسلمين من بقية بلاد الإسلام في الأندلس (٢).

في القرن السادس الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي الذي شهد في أوروبا في غرب أوروبا قيام الأسبان والبرتغال بأعنف وأقسى ما شهداه من حروب الكاثوليك والتنصير الديني ، وهذا المتاعل بهجور لنا ماقياه بهجور من الأندلس (Ximenez de Cisneros) وكان ذا مكانة دينية عظيمة في إسبانيا (البرتغال) فلهذا إن إكراه بقايا المسلمين الذين كانوا يقيمون في غرب الأندلس على التنصير وفرض الإسلام ، ولكني يقطع صلتههم بإهلوتهم في إسبانيا (البرتغال) مع كتب المسلمين ، وقد تم بالفعل حرق ثمانين ألف كتاب إسلامية في إسبانيا (البرتغال) بعد جلاتهم عن إسبانيا ، ثم أنشئت محاكم التفتيش في إسبانيا (البرتغال) من لم يرتد عن الإسلام ولكن لحرق كل نصراني لا يدين بالإسلام ، الذي أنشئت في إسبانيا (البرتغال) .

أما بالنسبة للأرقيون (البرتغال الحالية) فإن الملك فيليب الثاني أصدر قانون في سنة ١٥٧٧ هـ / ١٥٨٠ م يحرم على بقايا المسلمين فيها أيضا كل شيء يربطهم ببلاد الأندلس حتى أقتلهم وأساليب معيشتهم ، وبلغ من غلوه أن اعتبر

(١) تريب، عقيقي ، المستشرقون ، ج ٣ ، ص ٦١٢-٦١٣ .

(٢) محمد قطب ، واقعا المعاصر ، ص ١٨٦ .

الجماعات التي أنشأها المسلمون بقايا نجدة فأصدر قراراً بها بعد ذلك

بإدائها كان الإسلام قد أفلح في حياض الأندلس فبدأت في فتح

إشبيلية في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح

في سنة ١٠١٣م فعمدوا على الأندلس في سنة ١٠١٣م فبدأت في فتح



كل طائفة متممة للفئة الأخرى ، فالاستشراق تولد منه الاستعمار والتنصير<sup>(١)</sup> .  
 ومما هو معروف أن الاستشراق أيضا من أدوات التنصير ثم استغل فيما  
 بعد لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية . وقد نزل كثير من الأساقفة الى ميدان  
 الاستشراق بقصد التنصير وتدريب المنصرين على العمل في بلاد الشرق . لهذا  
 كان لابد من تكليف بعضهم بتعلم اللغة العربية ، فانتشر تعليمها في المعاهد الدينية  
 وبعض الجامعات وكان الهدف من دراسة اللغة العربية لرجال الدين من المسيحيين  
 هو تخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويردون عليهم ببراهين من الكتب  
 الإسلامية<sup>(٢)</sup> .

لذا يرى المستشرق الألماني المعاصر " البرت ديتريش " أن المستشرق " هو  
 الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ، ولن يأتي له الوصول الى نتائج سليمة  
 ما لم يتقن لغات الشرق ، وكانت دوافع الاستشراق بوجه عام من خلال دراساته  
 العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفا ، اتسم بعضها بهدف تنصيري ،  
 واتجه البعض الآخر لغرض استعماري ، أما القسم الثالث فقد اتسم باتجاه علمي ،  
 فشكلت بذلك دوافع تنصيرية ، وثانية استعمارية ، وأخرى دوافع علمية " <sup>(٣)</sup> .  
 والحملة الفرنسية تؤكد ماسبق من القول ، فقد صاحبها مستشرقون  
 ومنصرون ، اضافة الى أنها صورة من الأطماع الأوروبية في العصر الحديث في  
 الشرق . ففي هذه الحملة استعان الفرنسيون بعدد كبير من المستشرقين لتحقيق  
 الأهداف الاستعمارية ، وقد لجأ نابليون بونابرت الى اللغة العربية في منشوراته  
 ولوائحه ، كذلك طبع كتابا في تعليم اللغة العربية بالمطابع التي جلبها معه مع

(١) على محمد جريشه واحرون : أساليب الغزو الفكري ، ص ١٩-٢٠ .

(٢) محمد عبدالفتاح عليان : أصواء على الاستشراق ، ص ٢٤-٢٥ .

(٣) محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ١١-١٥ .

حملته . وكان هؤلاء المستشرقون الذين أصبحوا في هذه الحملة علماء متخصصين في كثير من فروع المعرفة ، فمنهم الأثريون ومنهم المهندسون والأطباء والمترجمون ، وكان بعضهم شرقيا من مصر ولبنان وسورية . وبعد وصول نابليون الى مصر أمر بتأليف المجمع العلمي المصري ، وتأسيس مطبعة عربية ( مطبعة بولاق حاليا ) وأصدر ثلاث صحف واحدة منها باللغة العربية ، وأنشأ متحفًا ومكتبة ومدرسة ومختبرا ، ومسرحا ، وفتح أبوابها أمام المصريين . وقد ظهر نابليون أمام المصريين بصورة المستشرق ، فتظاهر باعتناق الاسلام وشارك المصريين في احتفالاتهم الدينية ، وارتدى العمامة والحية ، وزار علماء الأزهر في بيوتهم المنزلية والسؤال الذي يفرض نفسه هنا لماذا أتى نابليون من فرنسا الى مصر التي أنه مسلم كما يدعي؟ هل كان يريد أن ينشر الاسلام في مصر لا لارتداءه بل لهذه الحملة؟

لقد أجاب على ذلك صاحب كتاب واقعا المعاصر حينما ذكر في كتابه نابليون الى مصر كان محاولة منه في تنحية الشريعة الاسلاميه ليركز على المخططات التي بدأ تنفيذها بالفعل ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في تنفيذها ككشفه أحد علماء الأزهر الذي ضاق منه ومن أكاذيبه ونفاقه ، فكتب في ذلك وجهه: لو كنت مسلما حقا كما تدعي لطبقت الاسلام وشريعته في بلادك بدلًا من تنحية الشريعة هنا ، ومحاولة وضع القوانين الوضعية بدلًا من الشريعة . انكشف أمره امتنع علماء الأزهر عن تنفيذ أوامره ولم يستجيب له فهجموا على تصرفاته الحاقدة على الاسلام ، فثار وأزبد حينما رأى علماء الأزهر الشعب ضد هذا المستعمر الدخيل ، عندها قام بتصوير هذا المستعمر الدخيل

(١) محمد عبدالفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ، ص ٢٦-٢٧

(٢) محمد قطب : ، ص ٢٠١



أدام الله ملكه " (١) . فلم يجد بونايرت حرجا في أن يعلن أنه لم يأت للاحتلال بل بل أتى على أنه حليف الباب العالي . وأتى لتوطيد سلطته . وتأمين ملكه في  
 المعاصين . وقد فاهما الإنجليز فيما بعد عند احتلال مصر في ١٨٨٢م (٢) .  
 ١٢٠٠ هـ / ١٨٨٢ م (٣) . كلهم مستعربين وأعداء لجمهورية مصر

وتمامه أكد سوء نية نابليون أنه دخل إلى مصر ليس لفتحها بل لاحتلالها  
 الذي تبيح بطنه وطامعته ورواها . وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه .  
 فقد أرسلت فرنسا مندوبا إلى مصر لاحتلالها . وقد احتلتها  
 مصر لا ضلالا لها بغير إعلان حرب على الأتراك الذين لم يوافقوا  
 بكتمان الخمر حتى لا تظن أنه ابتزاز . فمصر لم تكن تحت  
 مصر هو منع مرور تجارة الأتراك من أوروبا . وقد احتلتها  
 أثناء الحملة الفرنسية على مصر التي كانت فرنسا قد احتلتها  
 والعراق بحماية نهر الفرات ليستأجرها من الأتراك . وقد احتلتها  
 الاحتلال الفرنسي في مصر سوى ثلاث سنوات . وقد احتلتها  
 الإنجليز مع الدولة العثمانية لاحتلالها من قبل فرنسا . وقد احتلتها  
 ١٢١٦ هـ / ١٨٠٩ م (٤) .

- (١) عبدالرحمن الخوري : تاريخ عهد محمد علي الكبير في مصر ص ١٨٢-١٨٣ .
- (٢) وانظر نسخة تحقيق حسن محمد حمود وعمر الخوري في تاريخ مصر ص ٢٨٨-٢٩١ العربي .
- (٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤٢٢ .
- (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٣٧١-٣٧٢ .
- (٥) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديثة ص ٣١٢ .
- (٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ٣٧٢ .

أما الوجه الآخر لسياسة نابليون وما سارت عليه أوروبا منذ تفكيرها في الغزو الفكري ، فهو نبش الأرض الاسلامية لاستخراج حضارات ما قبل التاريخ لذبذبة ولاء المسلمين بين الاسلام وبين تلك الحضارات ، تمهيدا لاقتلاعهم نهائيا من الولاء الاسلامي . وهذا هو هدف البعثة العلمية التي أتى بها نابليون الى مصر<sup>(١)</sup> . اضافة الى ذلك أثارت أوروبا الخلافات المذهبية بين المسلمين حتى يتصارعوا من أجلها وينصرفوا عن دينهم وبلادهم حتى يتسللوا بين صفوفهم لزيادة الجفوة فيستغلوا تلك الخلافات لغزو العالم الاسلامي كل على حدة .

وكان طموح نابليون الذي حققه في أوروبا بعد رحيله من مصر أكبر عوض عن فشل تحقيقه في الشرق ، ثم ان الاستعمار نفسه لم يخسر شيئا فقد استطاع فيما بعد أن يحقق أهدافه عن طريق المسلمين أنفسهم<sup>(٢)</sup> .

وقد دخل الغزو الفكري عن طريق بلاد الشام ممثلا في الارساليات المسيحية من نتاج التسامح الديني الذي تميز به حكم ابراهيم باشا بن محمد علي بعد استيلائه على بلاد الشام ، فقد فتح هذا التسامح الباب أمام البعثات التنصيرية الغربية . ويرجع وجود هذه البعثات التنصيرية الأجنبية في بلاد الشام الى منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، ولكن كان مجال نفوذها أو جهودها في أول الأمر محدودا اقتصر على انشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة ، ونشر كتب العبادات وكانت البعثات كلها كاثوليكية ومعظمها من الفرنسيين وتنسب الى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين . وكان من العسير عليها آنذاك ، بحكم التعصب الشديد الذي كان يسود ذلك العصر أن

(١) محمد قطب : واقعا العصر . ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) السيد أحمد فراج : جذور العلمانية ( الطبعة الثالثة ، المصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر .

١٤٠٧ هـ ، ص ٢٧-٢٨ .

تعمل خارج نطاقها ، ولذلك اضطرت أن تحصر معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما (١) . ولم يكن الشام حديث عهد بالبعثات التبشيرية ، بل كانت البلاد ميدانا لنشاط الارساليات ، وذلك بسبب كثرة المسيحيين ووجود الأماكن المقدسة بها (٢) .

وقد زادت هذه الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للفرنسيين بعد معاهدة الهدنة التي عقدها الدولة العثمانية مع ملك فرنسا شارل التاسع في سنة ٩٦٦ هـ الموافقة لسنة ١٥٦٩م والتي نصت على اقامة التمثيل القنصلي واعفاء كل فرنسي من دفع الخراج الشخصي ، واعطاء القناصل حق البحث ضمن يكون لدى العثمانيين في حالة الرق مع اطلاق سراحهم ومجازاة من تعرض لهم . ورد ما يأخذه قراصنة البحر من المراكب الفرنسية ، وأن تكون البحرية ملزمة بخواتم المراكب الفرنسية التي تكون على شواطئ الدولة ، وحفظ ما بها من مال ورجال وعتاد . وتكون الامتيازات الفرنسية الممنوحة لها مساوية للامتيازات الممنوحة للبنادقة . فأصبحت بهذا فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط ونهيج البلاد التابعة للدولة العثمانية . ونتيجة هذه المعاهدات السابقة أو اللاحقة أو ما تقرر تحت مظلتها قامت فرنسا بارسال ارسالياتها الدينية الكاثوليكية إلى كافة بلاد الدولة العثمانية الموجود بها مسيحيون وخصوصا بلاد الشام لتعاليم أبنائهم وتربيتهم على محبة فرنسا وكان من أهم نتائج هذه البعثات حفظ جنسية وأمة كل شعب مسيحي حتى اذا ضعفت الدولة تمكنت هذه الشعوب من الاستمرار في

---

(١) جورج الطويسوس : بقطة العرب . تعريب علي محمد راجح ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٤٦م ، ص ٩٧ .

(٢) محمود صالح مسي : حركة البقطة العربية . ص ٩٢ .

بمساعدة الدول المسيحية<sup>(١)</sup> . كما سيأتي .

وبعد ذلك وصلت البعثات التنصيرية الأمريكية الى بلاد الشام . وأخذت تقوم بعض الأفراد من الطوائف الكاثوليكية الى المذهب البروتستانتي وكان اتباع المسيحية المسيحية أول من وصل من الأمريكان في سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م وكانوا يهتمون بالإشراف المجلس الأمريكي لمراقبة البعثات التنصيرية في الخارج وكان هذا المجلس قد أسس مركزاً في مالطة ثم أحس أن الواجب يدعوهُ الى مزاولة نشاطه الأساسي في المشرق . فأسس في بيروت أول مركز لهم . وهذا المركز بقي من أهم مراكز التنصير .

ومن البعثات الكاثوليكية فكانت جمعية اليسوعيين أنشط هذه الجمعيات . أسسها الملك بطريرك بعلبك في سنة ١٥٣٥هـ / ١٦٢٥م . وقد استمروا في نشاطهم في لبنان وخصوصاً في القصر حتى عطلت جمعيتهم في سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م فتشتروا في لبنان القصر بؤسستهم . وسلموا الباقي للبعثات اللغازرية لتديرها . ولكنهم تمكنوا من سنة ١١٤٧هـ / ١٨٣٦م . وكان السبب في عودتهم وصول البعثات الأمريكية التنصيرية الى بلاد الشام والتي أخذت تحول الكاثوليك الى البروتستانت في لبنان . وقد أدى نشاطهم هذا الى إثارة روح العداوة في نفوس علماء الشريعة الإسلامية في بلاد الشام . غير أن ذلك لم يش من عزمهم على الرغم من العوائق التي انخرست طريق هذه البعثات التنصيرية قبل الفتح المصري لبلاد الشام ان لم يكن دليل جهودها تعطيلاً كاملاً . مما اضطر الأمريكان منذ وصولهم أن يحصروا أنفسهم داخل بيروت<sup>(٢)</sup> . وذلك للحد من نشاطهم ومقاومة أساليبهم والحفاظ

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية . ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) جورج الطوبس : بقعة العرب . ص ٩٨-٩٩ .

موفق بن المرشد : صورة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية

الكويت . مؤسسة صقر الخليج . ١٩٨٤م . ص ١٦٥-١٦٦ .

على طوائف الكاثوليك للانحراط في المذهب البروتستانتي فقلنا اننا نرى  
واحدثت سياسته في الحكم كثيرا من التغييرات ، فتحقق الطمانين والاطمان في  
المنصورية ، فتقدموا المنصرون على بيروت وصيبت بذلك اثارها في  
وكانوا جادين في اقتراح المدارس في أنحاء بلادنا التي كانت  
منها تهم في بيروت والقادس وجملة لبلدان  
وكانت مقامها من اهلها فكانت تسيطر على  
البلاد التي اجبرته على ان يتركها في ايدى البروتستانت  
منها كما فعلت البروتستانت التي كانت تسيطر على  
منها من العروش كما فعلت في بيروت التي كانت تسيطر  
عليها في ارضها ، فكانت تسيطر على  
من الاراضي التي كانت تسيطر عليها في  
البلاد من اهلها ، فكانت تسيطر على  
البلاد التي كانت تسيطر عليها في  
بكون الا ان كان من اهلها في بيروت التي كانت  
على العلم وخطرا ، اما في بيروت التي كانت  
اما القسسي سيسترون فكانوا ارجح في التمسك  
جميع امال الشعوب وتساعدتهم على العلم  
ذلك يجب ان نحول بالتصوير في ارضنا التي كانت

- (١) جورج بطريركوس ، بنظرة العرب ، ص ١٩٠
- (٢) امجد الكيلاني ، فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٠
- (٣) مصطفى خالد وعمر فوج ، التنوير والاسلام ، ص ١٢٠
- (٤) امجد الكيلاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٠
- (٥) امجد الكيلاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٠



النصرانية أن تتغلغل في المسلمين<sup>(١)</sup>. فاذا أرادت أوروبا أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التنصير فلا بد من نشر الكنائس والمدارس والمستشفيات في البلاد الإسلامية وارسال المنصرين إلى مختلف بلاد العالم . ومن هذا المنطلق تستطيع حركة التنصير تحقيق مآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم حلت روح التنصير ونشر المسيحية محل الروح الصليبية أي أن أوروبا أخذت تتجه إلى غزو عقلي وثقافي فكري تستكمل به غزوها العسكري والسياسي<sup>(٣)</sup> وذلك حينما بدأت الكتاب التنصيرية تتقاطر على العالم الإسلامي - كما سبق - . وكان ذلك على شكل موجات من الرهبان والراهبات إلى الجزائر وتونس ومصر والشام ، بدعوى افتتاح المدارس والمستوصفات فكان هؤلاء أوائل الكتاب لجيش وجهته البابوية في غزو فكري يستهدف العالم الإسلامي . وهذه الإرساليات التبشيرية لم ترسل إلا تمهيدا لانقضاء الحملات العسكرية الأجنبية على الدولة الإسلامية بهدف تصفية الحسابات القديمة منذ الحروب الصليبية<sup>(٤)</sup> فانطلقت البعثات التنصيرية ساعية لتحقيق غايتها مستخدمة جميع الوسائل المتاحة لها دون تفریق بين وسيلة فكرية أو عسكرية ، فكانت طليعة الغزو الاستعماري الجديد ، واذا حدث أن احدى هذه الإرساليات أشارت بأن يتقدمها الجيش أولا لأن ذلك لم يحدث على التحقيق قبل القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك حتى يستطيع المنصرون

(١) مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار . ص ٣٦-٣٧ .

. اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة . ص ١٢٦ .

(٢) مصطفى خالد وعمر فروخ : المرجع السابق . ص ١١٥ .

(٣) محمد عبداللطيف الحرراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالأزمة . مجلة دار الملك

عبدالعزيز . ع ٣٠ . ص ١١ . ص ٨١ .

(٤) موفق بن المرجه : صحوة الرجل المريض ... ص ١٦٥-١٦٦ .

تهيء الطريق لتلك الحملات العسكرية . وقد ظهر ذلك جلياً في أواخر أيام الدولة العثمانية بعد أن بلغت من الضعف ما يمكن معه اختراق سورها عن طريق القوة العسكرية .

وقد عملت هذه الرسائل التنصيرية على احتكار العلم والتعليم فصار يفتح مدارس جميع مراحل التعليم بدءاً من رياض الأطفال وانتهاء بالمدارس الثانوية . ووضعت المناهج التي تخلف غيتها في جميع المراحل التي سيطر عليها الاستعمار الغربي لتتركز في أيدي النخبة التي تربت على المناهج التي وضعها هؤلاء المستعمرون والتي أصبحت ترى أن السير خلف الحضارة الأوروبية هو هدفها النهائي في الحياة . ومنصير كل رقي وتقدم . لأن التعليم لأن هو أساس التقدم والسيادة . لرعاية . وعن طريق هذه الرعاية يمكن تحقيق الأهداف التي تحقدهم التي يريدون تحقيقها . أجله خرجت هذه الرسائل .

وحيث تعددت هذه الرسائل التنصيرية وانصيرت بها مدارسها في كل مكان بيننا بحيث تغطي أنحاء دولة الخلافة الإسلامية .

وكان الأتراك العثمانيون على حق حينهم بقرارهم بتبني هذه المدارس . حركة التنصير في الدولة العثمانية . ولا غرو فإن المنصيرين أتوا من كل مكان . ومنها له الطريق . وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت في ذلك الوقت في أوج قوتها . الكاثوليكية حتى القرن الثالث عشر الهجري . التمتع عشر ميلادي .

١- مدعي كيلامي نفس مدعي عن دولة . ص ١٢٧

٢- مدعي كيلامي المرجع السابق . ص ١٢٨-١٢٩

٣- مؤلف من ترجمة صحوة روح المريخ . ص ١٢٧

٤- مصطفى حمد وعمر فروح التنصير والاستعمار . ص ١١٧

انحصرت رعايتها بالارثوذكس الذين يتمتع بطريقتهم في اسطنبول بنفوذ كبير ،  
وبعد اصطدام الكنائس الكاثوليكية بالارثوذكسية اصبحت هي الأخرى تتمتع  
بالاستقلال (١) .

وكان السبب في ذلك أن الكاثوليك بموجب الامتيازات الممنوحة لهم عام  
١١١٣ هـ حصلوا في الدولة العثمانية على حقوق خولتهم امتلاك الكنائس فيها .  
وكان الروس يسعون جاهدين لسلبهم تلك الامتيازات واعطائها للأرثوذكس  
لحمايتهم لهذا المذهب ، ولذلك اصطدمت روسيا بفرنسا ووقفت الدولة العثمانية  
إلى جانب فرنسا ، ومنحتها زعامة الكنائس حسب أسبقية الامتيازات فاصطدمت  
الدولة مع الروس بمساعدة إنجلترا وفرنسا والنمسا وانتهى هذا الأمر بمعاهدة  
باريس سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م (٢) .

وبعد ذلك أخذت الارساليات التنصيرية تشد الرحال الى الأناضول  
مستغلة عاصمة الخلافة وأزمير ، ثم يمت وجهتها نحو بيت المقدس فوجدته مرتعا  
خصيبا .

لذلك عملت حركة المستشرقين على إنشاء المدارس والجامعات (٣) ، في  
لبنان بالتعاون مع المنصرين والارساليات التنصيرية والاستعمارية ، في محاولة منهم  
لفرس مبادئ التربية الغربية حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وسلوكهم وتفكيرهم

(١) موفق بن المرحه : صحوة الرجل المريض ... ص ١٦٥ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٣ .

(٣) وليريد من التفصيل والاطلاع على هذه الجمعيات او الجامعات وتأثير المنصرين في تأسيسها انظر :  
- آيس النصوي : أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، حققه ووقدم له : عبدالله الطبع  
( الطبعة الأولى ، بيروت ، دار ابن زيدون ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ) من ( ص ٨٥ - ١٠٠ ) .

وتخف لديهم موازين القيم والمبادئ الاسلامية<sup>(١)</sup> . وقد دفع نشاط هذه المدارس التنصيرية المختلفة رجال الدين المسيحيين الوطنيين في الشام على اختلاف مذاهبهم الى مضاعفة نشاطهم التعليمي بفتح المدارس المختلفة من أجل المحافظة على كيانهم<sup>(٢)</sup> .

ولذلك الغرض أنشأوا عدة مؤسسات تعليمية في لبنان أهمها ( الجامعة الأمريكية ) في بيروت سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٥م ، والتي كانت قبل ذلك تسمى باسم " الكلية السورية الانجيلية " وهي جامعة بروستانتينية ، كان الهداهم من انشائها هو تأصيل الأفكار الهدامة بين شباب بلاد الشام المثقفين<sup>(٣)</sup> .

وبعدها بقليل أنشئت في بيروت كلية القديس يوسف ، التي تعمد في الغرب ( بالجامعة اليسوعية ) وهي جامعة كاثوليكية ، وتدير أعمالها ارساليات التبشيرية الكاثوليكية في بيروت ، فكان لها الحظ الأوفر في نشر الأفكار الهدامة في الشام<sup>(٤)</sup> ، وكانت هاتان الكليتان تصولان ونجولان في ميدان التنافس الذي لم يكن فيه في الشام كلية اسلامية ، الأمر الذي فتح الباب لانتشار الأفكار الهدامة لتحتل عقول طلائع المثقفين الذين ساروا في صفوفهما<sup>(٥)</sup> .

وقد اشتهرت هذه الارساليات بخطتها ووفرة الوسائل التي اعتمدت في

(١) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ( القاهرة ، دار الترمذ للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م ، ص ١٤٩ .

- أنيس النصولي : أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، ص ١٥ .

(٢) محمود صالح مني : حركة اليقظة العربية ، ص ٦٤ .

(٣) مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

، محي الدين الخطيب : الغارة على العالم الاسلامي ، ص ٨ .

(٥) مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

وتسلحت بها لمقاومة دين الاسلام<sup>(١)</sup> . وكان الطلاب المسلمون في الكلية الأمريكية يجبرون على الدخول يوميا الى الكنيسة التابعة للكلية الأمريكية ليشهدوا بعض الطقوس المسيحية ، حتى احتج بعض الطلاب المسلمين الفيورين على اسلامهم في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م .

فاصدرت الكلية في بيروت منشورا ردا على احتجاجهم جاء في مادته الرابعة مايلي :

" ان هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي هم اشترؤا الأرض وأقاموا الأبنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر اذا لم يسندها هؤلاء وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمات يكون الانجيل من مواهبه فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نفرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ... ، وان كل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقا ماذا يطلب منه ..."<sup>(٢)</sup> .

ثم تلى ذلك أن أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة " ان الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة ، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وأن تكون مركزا للنور المسيحي وللتأثير المسيحي ، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به "<sup>(٣)</sup> .

وهنا يتجلى لنا أهداف هذه المؤسسات الغربية المسيحية واضحة وسافرة ليعلم كل مسلم مدى تأثير هذه الأفكار الغربية التي تتعرض لها البلاد الاسلامية ،

(١) محي الدين الخطيب : الغارة على العالم الاسلامي ، ص ٨ .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٠٥ .

مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٥٠ .

(٣) مصطفى خالدي وعمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

مصطفى محمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

والتي لا تخلو عاصمة اسلامية من بعض المعاهد البروتستانتية ، والكاثوليكية أو مدارس للارسلات الأجنبية المتعصبة (١) .

وكانت الارسلات الأمريكية في المقدمة رغم تأخر وصولها عن ارسلات اليهود الانجليز الذين استهدفوا اسطنبول وأزمير وسالونيك (٢) ، فتبتهت الدولة العثمانية لهذا التحرك فأخذت تراقب المنصرين مراقبة دقيقة حتى تضيق عليهم الخناق في تلك المناطق ، وكانوا يخشون من المنصرين البروتستانت لأن هؤلاء كانوا يتوارون خلف العلم البريطاني ، ثم أيضا من المنصرين اليسوعيين لأنهم يشتغلون لحساب السياسة الفرنسية، فأخذت تقاوم المنصرين في جميع أرجاء الدولة العثمانية، وتحول بين المنصرين وبين وصولهم الى بلاد العرب ، ثم وقفت الدولة من المنصرين كلهم موقفا حازما حتى أصبح التنصير في الدولة العثمانية مستحيلا للمراقبه الشديدة التي فرضتها عليهم . فعندما فتحت الجمعية التنصيرية بضع مدارس في (لبنان ) لأطفال الدروز في عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م أجبرتها الحكومة العثمانية على التخلي عنها أمام الحزم العثماني ، على أن الدولة لم تستطع أن تتخذ سياسة تكفير تجاه المنصرين لأن هؤلاء في بادئ الأمر كانوا يأتون في الظاهر كرعايا انكليز أو أمريكيين أو دغركيين أو فرنسيين . فاذا استقروا في الدولة أخذوا يدعمون مصالح النصرانية ما أمكنهم . لذلك كان هؤلاء اذا وجدوا مضايقات من الدولة لجأوا الى قناصلهم . وكانت هذه القناصل تدافع عنهم كرعايا أحانب في الظاهر أيضا . ولكن عندما صعب على البروتستانت الوصول الى المسلمين التمسوا بالوصول الى الأرثوذكس والأرمن ، فلجأ بطريق الأرمن الى الباب العالي فحصرهم الى حد ما على حماية الأرمن من المنصرين البروتستانت ، فتدخل السفيرة البريطانية في ذلك

(١) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٥٠ .

(٢) موفق بن المرجه : صحوة الرجل المريض ، ص ١٦٦ .

يسعى لدى العثمانيين حتى استطاع سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠ م أن يحصل على مرسوم عثماني يعترف بوجود طائفة بروتستانية وطنية منحت من الحقوق مثلما منحت الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية في الدولة العثمانية (١).

ولما أدركت الدول الأوروبية أن المنصرين آلة فعالة في تأييد النفوذ الأجنبي في الدولة العثمانية أخذت الدول تتسابق في استخدام المنصرين فكانت انكلترا لها الدور الريادي في ذلك الأمر . ولكنها كانت لا تخشى من النفوذ الأمريكي كما كانت تخشى النفوذ الفرنسي والاطالي . لكن الدولة العثمانية لما فقدت سياستها الحكومية تجاه المنصرين ظلت تمنع الأطفال المسلمين من دخول المدارس التنصيرية قبل الانتهاء من التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية . ثم كانت تلزم الإرساليات بأن يكون التعليم الديني في تلك المدارس مقصورا على المسيحيين وحدهم .

وعندما ظهر ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأجنبية تزيد في تظاهرة ما يدعونه المنصرين . ولقد كان المنصرون يطلبون من دولهم أن تؤيدهم ولو كان ذلك مخالفا للعرف الدولي فتستجيب الدول لرغبة منصريها تأييدا لنفوذها السياسي والديني معا ، فكانت تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والآخر حتى تلين أمام رغبات هؤلاء المنصرين (٢) . فحرصت بريطانيا على حماية إرسالياتها البروتستانية خاصة سواء أكانت هذه الإرساليات انجليزية أم أمريكية أم ألمانية، لنفوذها الفعال في الدولة في ذلك الحين . وحين أرادت الدولة العثمانية منع باعة الأناجيل الدوارين من التجول في المدن والقرى قام قناصل الدول بالتدخل حتى حملوا الدولة العثمانية على السماح لهم بذلك (٣) .

تلى ذلك اغلاق الدولة العثمانية مدارس المنصرين الأمريكيين في بيروت

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٦ .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ : المصدر السابق ، ص ١١٦-١١٧ .

(٣) موفق بن المرجه : صحوة الرجل المريض ... ص ١١٨ .

سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م لأن المدارس فتحت أبوابها بلا رخصة أو إذن من الحكومة . ولكن القنصل الأمريكي في بيروت تدخل في الأمر حتى تمنح البرالي العثماني في بيروت علي رضا باشا بأن تعود تلك المدارس الى فتح أبوابها على الاقبال الا التلاميذ المسيحيين فقط . ولكن القنصل مازال يسعى حتى يقبل البرالي على إعفاء هذا الشرط . مع أن أمريكا مثلا لا يمكن أن تقبل لمدرسة أن تستقبل التلاميذ الأمريكيين بلا رخصة . ثم تلقنهم بعد ذلك ما يخالف المبادئ الأمريكية والدينية وهذه المدارس تنصر المسلمين ؟ ولكن المنصرين وصلوا إلى أمريكا في سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م حتى أصبحت مركزا لأعمال المنصرين وقد كان في الشام أمينا علي نشاطاتهم ولاسيما بعد تأسيس الشريعة في سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م . ولم يكن اختيار المنصرين في الشام من أجل نشاطهم مجرد صدفة بل لأنها كما يقول "المرشد" الذين كانوا في الشام المسلمين ، وعاصمة أمير المؤمنين . وفيها راية الأئمة والعلوية الإسلامية الإسلامية . لذلك فقد سعت الإرساليات التبشيرية المسيحية في الشام لما ساعدها علي رصد الحركات السياسية ومتابعة التيارات الفكرية والخدمات الطبية والتعليمية (٢) .

وعلى الرغم من أن خط كلخانة منذ عهده لم يكن له أثر كبير في التعليم لم يشر إلى التعليم فإن السنوات التي تلت اصدارة شهدت انطلاقة التعليم الحر في داخل الدولة العثمانية . فقد انشئت المدارس الخاصة التي تعلم فيها الدين درسوا في أوروبا أو زاورها . وقد تأثروا واهتموا بالعلوم الغربية

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٩-١٢٠

(٢) موفق بن المرشد : صحوة الرجل المرشد ، ص ١٦٦-١٦٧



شاهدوها . ولهذا فانهم بعد عودتهم وضعوا الخطط لبناء المصانع دون ايجاد الرجال المدربين لتشغيلها . كما جرى الحديث عن انشاء جامعة دون وجود أي كوادر اسلامية مؤهلة للتدريس فيها . وقد بدئ في انشاء مدارس ثانوية جديدة وقليلة . كما قامت كنيسة غلطة سراي بتشجيع من فرنسا بتوفير التعليم الغربي للأولاد من كل الملل والنحل باللغة الفرنسية والعربية كما أنشئت أيضا المدارس الخاصة للبنات ولتدريب المعلمين . ففي عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م أنشئت مدرسة لتدريب الموظفين ليكونوا اداريي المستقبل يدرسون الشئون العامة والدولية .

ونتيجة لذلك التحرك من بعض الأتراك انفصلت مدارس الحكومة بصفة رسمية عن اشراف العلماء . ووضعت تحت اشراف ادارة جديدة ذات صفة علمانية . فتوسع التعليم الحديث بشكل سريع منذ حرب القرم . واشتمل على فروعها العالية عسكرية ومدنية . ثم جرى تطوير مدارس الطوائف الدينية بافتتاح المعاهد العليا . فزاد عدد الارساليات الأجنبية الأمريكية والنمساوية والفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية (١) .

الا أن الباب العالي في آخر الستينات من القرن التاسع عشر شدد قيوده على المؤسسات التعليمية التنصيرية والتي اعتبرت مراكز لاثارة القومية والثورة لدى الأقليات الدينية . مع أن النظام التعليمي العثماني لم يجتذب الا عددا قليلا من المسيحيين . ولكن الفترة التي تلت تطبيق قانون التعليم في سوريا من قبل الدولة شهدت سحب تلاميذ المسلمين الذين التحقوا بمدارس المنصرين . ثم تلى ذلك صدورأوامر الدولة العثمانية التي منعت الحاق المسلمين بمدارس الارساليات في حالة وجود مدرسة حكومية أو مدرسة اسلامية خاصة في منطقة الشام . فرد المنصرون

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢١٨ .

على ذلك بزيادة عدد مدارسهم خاصة ولأنهم فسروا السياسة التعليمية الجديدة التي اتخذتها الدولة لحماية أبناء المسلمين من الوقوع في حركة التنصير والردة عن الاسلام بأنها تهدف الى شل حركتهم<sup>(١)</sup> .

ولم يكن ميدان الغزو الفكري أو التدخل السياسي عن طريق التنصير مقصورا فقط على الأمريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين أو الايطاليين وحدهم بل ان روسيا القيصرية أرادت أيضا أن تدلي بدلوها فتنبهت أن في الدولة العثمانية طائفة أرثوذكسية . فأرادت أن تسيطر أولا على البطارقة والأساقفة الارثوذكسيين وتتخذهم وسيلة الى تحقيق أطماعها السياسية في الدولة العثمانية عن طريق التنصير . واتجه الروس الى شراء الأراضي ، فأخذوا يشترون الأراضي في فلسطين خاصة ويقيمون عليها الأبنية حتى يتدخلوا بعد ذلك في الأمور الدينية والسياسية<sup>(٢)</sup> . وقد اقتصر نشاط الارساليات الروسية القيصرية على فلسطين فقط<sup>(٣)</sup> . على أن نزول الروس الى ميدان التنصير قد وقف في وجهه النزول الانجليزية والفرنسية والاطالية<sup>(٤)</sup> .

يتضح لنا هذا الموقف من خلال دراستنا للوثائق البريطانية التي تبين لنا روح التنافس الاستعماري التنصيري بين بريطانيا وروسيا وفرنسا في ميدان الارساليات والمعاهد الكنسية خدمة للأهداف التنصيرية والتي تكشف عن التنافس الروسي في فلسطين والشام . ومن أهم عوامل روسيا بلا شك أن جهودها في ذلك

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢١٩

(٢) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار . ص ١٢١

(٣) موفق بن المرجه : صحوة الرجل المريض . ص ١٦٧

(٤) مصطفى خالدى وعمر فروخ : المرجع السابق . ص ١٢١

موفق بن المرجه : المرجع السابق . ص ١٦٧

الآن بالنجاح الذي جعل السيطرة والسياسة في يدها حالياً . على أساس حماية وتدعيم الكنيسة الأرثوذكسية التي يديرها اسماً الأساقفة ورجال الدين اليونانيون . وهناك أيضاً عنصر آخر هو بناء المدارس الروسية ، وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين بالرغم من موقف الدولة العثمانية الحازم ضد هجرة وتسرب اليهود إلا أن الروس حاولوا تهجير اليهود إلى هذه المنطقة لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد . كما كان الروس لا يفتنون أيضاً حمايتهم الشاملة على اليهود ليضيفوا لقوسهم السياسي أيضاً وتراً ثانياً لا يقل عن قوة الأول (١) .

ويتضح من هذه الوثائق ظاهرة أخرى هو أن السياسة البريطانية تتهم فرنسا السياسة الفرنسية وخاصة في الأماكن المقدسة ، وتلقى باللوم على سياستها التي اتسمت بالقمع خاصة في مجال التنصير والنشاط الثقافي ، والعتاب البريطاني هو قائم بريطانيا أن فرنسا مقصرة ، فلا بد أن تكون اللغة الفرنسية سائدة في الشام كله عن النفوذ السياسي أيضاً لما للروس من سيطرة ونفوذ لا ترغبه بريطانيا إطلاقاً . إلا أنهم أشادوا في تقاريرهم عن ذكاء اليهود ومشاربتهم في الشام ونشاطهم الدراسي في كلية الزراعة في يافا ، لأنهم كانوا يتحدثون الفرنسية بطلاقة إضافة إلى لغتهم العبرية .

شأنه هي أهم نتائج هجرة اليهود من البلدان الأوروبية المختلفة إلى فلسطين والذين كانت لديهم الرغبة في الإقامة الدائمة في فلسطين وعدم العودة إلى أهلهم ومواطنهم الأصلية في روسيا وأوروبا (٢) .

كما أنه من الواضح أن اتجاه روسيا وفرنسا وبريطانيا من خلال هذه

(١) F.O. : 424/197 Sir N.O'coner to the Marquesses of Salisbury . No: 91, 24-12-1898.

Ibid .

(٢)

الوثيقة وما سيأتي هو تشجيع وتمهيد الاستيطان اليهودي في فلسطين .  
كما أن نبرة الاحتقار بالنسبة للعرب المسلمين في المنطقة واتهامهم بالكسل  
ما هو إلا صدى لما كان يدور أو يخطط له في أروقة الخارجية البريطانية والتمهيد له  
لما بعد حول اعلان وعد بلفور .

أما القنصل الروسي عندما يحصي هؤلاء اليهود في فلسطين فإنه سيكتسب  
أو سيضيف عنصرا أساسيا لنفوذه في البلاد العربية التابعة للسلطان العثماني  
لاستغلاله يهود السلاف لحل مشاكلهم من أوروبا والكنيسة سيالكسبري نفسها التي  
على خلق مشاكل للسلطان في ميدانه .

وقد تضمنت هذه الوثيقة أيضا إشارة إلى أن العوائق التي برزتها في  
من الممكن أن تحقق توقعات ( لورد بيكهم فيلدايم )<sup>(١)</sup> كما أن وجود  
عاملا مهما في وجود حل للمسألة الشرقية . ويؤكد النفوذ الصهيوني في  
البلاد لأنه هو النفوذ السائد في فلسطين والأراضي الفلسطينية التي هي  
نفسه أن تفرض الوصاية على الأماكن المقدسة<sup>(٢)</sup> . وزير الخارجية  
التعليمي والديني الروسي في سوريا وفلسطين لأن مسيرته في  
العدد وإنما ينقسمون في اتجاهاتهم العقائدية إلى ثلاثة فئات من البلاد  
يعتمد بعضها على روما والبعض الآخر منعزلا عنها . فالصهيونية  
التي هي

(١) نورمان : عمل سكرتيرا في سفارة بريطانيا لدى القسطنطينية . رقتة في ١٩٠٤  
النفوذ التعليمي والديني للروس في سوريا وفلسطين بناء على طلبها  
No. 76, 26-4-1899. Salisbury, No. 76, 26-4-1899.  
(٢) لورد بيكهم فيلدايم يهودي ويتوقع أن تنافس الدولة العثمانية  
على فلسطين ، فإذا أعطت القدس لليهود . فالصهيونية  
- حسان على حلاق : موقف الجولاة العقائدية من الحركة الصهيونية  
Ibid ., No. 76, 26-4-1899 . (٣)

Marfat.com

اللاتين والذين يتبعون الطقوس الرومانية العديدة لكل الكنائس اليونانية والسورية والكاثوليكية الأمريكية والمارونية نتيجة لجهود الارساليات التنصيرية الفرنسية والايطالية والروسية التي دخلت بلاد الشام .

وعموما كان اهتمام هذه الارساليات بسوريا وفلسطين من خلال رحلات الحج التي تنظمها جمعية فلسطين الأرثوذكسية التابعة لروسيا<sup>(١)</sup> وذلك من أجل تركيز نفوذهم في المنطقة العربية والإسلامية .

وتحدثت هذه الوثيقة أيضا عن جمعية فلسطين ونشاطها وسيطرتها على أقوى سلاح والمتمثل في هيمنتهم على المدارس الأرثوذكسية التي تمكنت تدريجيا من نشرها على طول البلاد وعرضها . وينقل المحرر عبر الوثيقة تخوفه فمن خلال هذه المدارس سوف يتم بناء جيل جديد ينتمي الى روسيا بالولاء والروح . كما تشير هذه الوثيقة الى الجهود المتواصلة التي تقوم بها الحكومة الروسية من خلال جمعية فلسطين لتحقيق هدف التنصير في ولاية سوريا ولبنان . وتنفق هذه الجمعية بسخاء مالا يقل عن ( ٦٠٠٠ ) ستة آلاف جنيه تركي سنويا ، لدفع ايجار المباني المدرسية المتأخرة المستأجرة في تلك البلاد ومرتبات المدرسين مع ايجاد طبيب روسي في دمشق .

هذا الطبيب اضافة الى عمله طبيا كان يعمل جاسوسا للجمعية ، وكان يقوم برحلات في كافة البلاد يعالج فيها مجانا كل من يقابله ، بل ويقدم المساعدة لمرضاه ، يقدم لهم الكشف والأدوية اللازمة مجانا ، وكان غالبية هؤلاء المدرسين من الروس ، وحرصا على نشر اللغة الروسية في البلاد كان يتم تعليمها مجانا على أن هذه المدارس مدارس عثمانية اسما ، اذ لا يعترف بها أنها مدارس روسية رسمية

(١) F.O.: 424/198-Sir N.O. Conor to M. Salisbury, No. 76, 26-4-1899.

حتى تضمن الاستمرارية<sup>(١)</sup> .

ومن الأحداث في سوريا ما صرح به مصدر مسئول بقوله : ان بعض القرى المجاورة للقدس والتي كانت كاثوليكية منذ خمسة وعشرين سنة تحولت الآن الى أرثوذكسية تماما بسبب الاغراءات المالية والمساعدات الشخصية من خلال المساعدات الروسية لآباء وأطفال المتحقين بالمدارس الروسية ، وينقل صاحب هذا التقرير مآراه بالاضافة الى ما نقله عن طريق المخبرين ان قرية على الطريق بين القدس وبيت لحم تسمى ( بيت يانا ) ، هذه القرية تحول سكانها جميعا الى أرثوذكسين تماما .

وتشير هذه الوثيقة الى أن جمعية فلسطين التنصيرية الأرثوذكسية فسدت حصرت أكثر أعمالها في مجال التعليم وأنه من المرجح ما كانت تقابل مقاومة كبيرة من السلطات الكنسية المسنولة عن المجتمع المحلي ، والتي أسعدها أن تتلقى مساعدات مالية من هذه المؤسسة لمدارسها<sup>(٢)</sup> .

وبسبب هذه الاغراءات والمساعدات الكبيرة التي تغدقها روسيا على هذه القرى ترى نبرة القنصل ومساعدتهم في الأماكن المقدسة يرفعون خوفهم من روسيا ، ولقد لدهم ما يرونه من النشاط البارز لروسيا في بلاد الشام ونفوذها السياسي الذي يظهر الخلاف واضحا بين السياستين البريطانية والروسية في الصراع المذهبي القائم ، أقلق انكلترا من بسط النفوذ التعليمي الروسي في سوريا والشام ، أو التحويل الفكري الذي تزعمه روسيا لتحويل أهل سوريا ولبنان وفلسطين الى ارتوذكس كما يظهر هذا القلق من المذكرة التي تلقى اللوم على السلطات الكنسية الفرنسية والفرنسية التي تغري بالمال الروسي ، وما حققتة روسيا في القدس لا يخفى ، وهذا ما ذكره

(١) F.O. : 424/198 , Sir N. O'Connor to M. Salisbury , no. 76, 26-4-1899.

(٢) Ibid .

العادی أن یغفله .

ففي الأماكن المقدسة تجد أن الكنيسة الأرثوذكسية هي المسيطرة في كل مكان وحتى في المدينة نفسها ، وعلى مايجاورها كلها كانت مكتظة بالمؤسسات الروسية . ويؤكد هذا التقرير ان كل مبنى هام جديد هنالك إما كنيسة روسية أو دير روسي ، أو تكية لاستقبال أفواج المسيحيين الذين يفتدون على دفعات ما بين ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف شخص (١) . في جهود مكثفة لاستيعاب سكان هذه المناطق للدخول الى ملتهم الأرثوذكسية دون ملل ودون كلل ، في تقديم المساعدات المادية والعينية من أجل بناء المدارس والكنائس في تلك المناطق .

هذا التقرير المفصل ينقل لنا معلومة أخرى هي أن العملة الروسية هي العملة التي انخرقت البلاد وأصبحت كثيرة التداول والاستخدام في المجتمعات المسيحية الأخرى التي لاتصل بكنيسة روما والتي نلمس منها يومياً الدخول أفواجا الى القنصلية الأرثوذكسية الروسية لأسباب اقتصادية بحتة . مع اتهام فرنسا بأنها غير قادرة على مقاومة التنصير الروسي صراحة ، ويبدو أن ممثلي القنصلية الفرنسية في فلسطين وسوريا تبادل جهودها ولكنها جهود سرية لمواصلة تأييد اللاتينيين الكاثوليكين الذين لازالت فرنسا تحميهم في الشرق ولكن الواضح أنها لم تستطع أن تتجسس في مساعيها (٢) .

وهذه وثيقة أخرى عن بعض المدارس الروسية أيضا في الجليل تبين نتائج جولة السيد انيشيروف عضو مجلس الشيوخ الروسي ورئيس جمعية فلسطين الروسية على تلك المدارس في الناصرة وحيفا للنين والبنات، هذه المدارس أقيمت على هذا النظام الذي انتهجه الروس ، حيث يدرس في هذه المدارس اللغة الروسية

(١) F.O.: 424/198, Sir N. O'Conor to M. SaLISBURY, No.:76, 26-12-1899.

(٢) Op.Cit., No. 76, 26-4-1899.

والعربية ، كما يدرس بها حصة أوحصتين في الأسبوع في فن النجارة ، والحرف  
الأخرى للبنين ، كما يوجد بالمدرسة طيبان رجل وامرأة ملحقان بالمدرسة يقدمان  
الرعاية الصحية مجاناً (١) .

وهنا ينقل لنا القنصل الانجليزي ريتشارد من القسطنطينية التقرير التالي  
رقم (١٠) عن انتشار النفوذ التعليمي الروسي في دمشق لإبلاغه بحسب  
الأرثوذكسيين اليونانيين الذين سلموا مدرستين واحدة للبنين والأخرى للبنات  
تضم الأولى مائة وخمسين طالباً وتضم الثانية مائة طالبة . القنصل الروسي  
سبقتها مدرسة يونانية سلمت أيضاً للقنصلية المذكورة . والقنصل الروسي  
النقص المالي الذي تعانيه تلك المدارس حتى نظراً من دفع الرواتب  
للطلبة وغيرها من المصروفات المستقبلية .

إضافة إلى ذلك تحول مدرستين من المدارس اليونانية  
الكنيسة الروسية . وقال التقرير ان التأثير الروسي في سوريا  
مستمر (٢) .

وهذا التقرير أيضاً يسجل ظاهرة أخرى هي انتشار النفوذ  
فلسطين التنصيرية على المدارس اليونانية التي تحولت إلى  
لهذا نراها أيضاً تسيطر على المدارس وتتجاهل الصلوات التي  
أرثوذكسية روسية مما زاد قلق بريطانيا في هذا الشأن إلى  
الأخرى النصرانية لرعاياها هناك .

الا أن القنصل ريتشارد مطمئن لأنه من بين أمور

(١) P.O. 424/310-Consul Richards to Sir N. O'Conor No. 23, 19-2-1900.

3/1, 3/2, 15-16-6-1899.

(٢) P.O. 424/310-Consul Richards to Sir N. O'Conor No. 23, 19-2-1900.



اليونانية في دمشق مدرسة البنين لازالت تحتفظ باستقلالها عن النفوذ الروسي ،  
ويعلل ذلك بأن عدم ضم هذه المدرسة هي سياسة مرضية ولا بأس بها .

أما عدد المدارس التنصيرية الروسية في سوريا وفلسطين فقد بلغ نحو  
( ١٠٠ ) مائة مدرسة للبنين والبنات ، تشمل نحو ( ٨٠٠٠ ) ثمانية آلاف تلميذ ،  
تحت الإدارة الروسية ، وأنها تكلف جمعية فلسطين للتنصير حوالي ( ١٠٠٠٠٠ )  
مائة ألف نابليون <sup>(١)</sup> تدفعها روسيا بسخاء <sup>(٢)</sup> .

ويواصل ريتشارد في تقريره التصويري عن المدارس الروسية وأنظمتها  
للدارسين بها فيشرح ذلك بأن كل مدرسة تعلق صور القيصر على الحائط جنبا الى  
جنب مع صورة مريم العذراء ، أو أحد القديسين حيث ينحني أمامها التلاميذ  
بصحبة مدرسيهم ثلاث مرات في اليوم ويرسمون بيدهم علامة الصليب . ثم ان  
التلاميذ يتعلمون كيف يتحدثون عن الامبراطور بكلمة " ملكنا " وهو تعبير يعني  
لرعايا الدولة العثمانية المتحدثين باللغة العربية السلطان فقط .

ويضيف الكاتب ريتشارد في تقريره قوله : " وربما يعترض البعض بقوله ان  
هذه اشياء تافهة ، بالعكس فإنها ليست عديمة الفائدة اذا نظرنا اليها كقشات تبين  
لنا اتجاه الرياح " <sup>(٣)</sup> .

أما شروط الدخول للتلاميذ فان من كانت أعمارهم أقل من خمس سنوات  
لايسمح لهم بدخول هذه المدارس ، ولكن لا يوجد قيد زمني فيما يتعلق بمدارس  
البنات . وتفسير ذلك أن عقل الطالب ينمو بسرعة أكبر من عقل الفتاة ، وأنه  
كلما بدأ مبكرا في مرحلة التعليم كلما قل احتمال محو ما في عقولهم عند استمرار

(١) النابليون : عملة فرنسية تساوي ٢٠ فرنك . الوثيقة السابقة رقم (٢٣) .

(٢) F.O.: 242/200 , - Consul Richards to Sir N. O'conor No. 23,19-2-1900.

(٣) Ibid .

معرفتهم وتعلمهم حقائق الحياة <sup>(١)</sup> كما يراها هؤلاء المنصرون . أو بمعنى آخر غسل عقول التلاميذ الذين ينضمون الى هذه المدارس .

وقد أساء المنصرون الى العلم لما اتخذوا منه وسيلة الى التنصير ، فالأب يأتمن المدرسة على ابنه عند دخوله هذه المدرسة حيث يقدم أتمن مالدیه وهو يظن أنه وضع ابنه بين يدي أنبل الناس ، بين يدي المعلمين ... ولكن المعلم المنصر انسان خلت من قلبه اجمل معاني الانسانية : فقد الأمانة والاستقامة والصدق <sup>(٢)</sup> .

وهذا ما أشار اليه التقرير السابق عن شروط دخول المدارس التنصيرية بالنسبة للأطفال وبيان الأعمار المطلوبة لدخولهم ، والسبب في ذلك وخاصة البنين <sup>(٣)</sup> .

وفي الحقيقة ان الأمانة والاستقامة والصدق من أهم صفات المعلمين او المدرسين وخاصة في المراحل الأولى من تعليم الطفل الابتدائي ، فإذا فقد هذه الصفات فقد مقومات الأمانة العلمية .

والمنصر اذا تعرض لرجل ناضج حاول استمالة بشتي الطمأنينة بصبوب مذهبه . أما ان يتخذ رجل أشرف مهنة أسبغها الله على الانسانية لئلا ليخادع بها الأطفال ومن فوقهم فهذا في منتهى الكفران للأمانة العلمية التي خلقها في رقاب الناس . فقد قال أحمد شوقي في هذه المهنة الجليلة مايلي :

قم للمعلم وفه التبجيلا  
كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجل من الذي  
يبني وينشئ أنفسا وعقلا

وهذا الذي ظنه شوقي وظنه الناس لم يتوفر في هؤلاء الذين جاءوا الى المدارس بعنوان الانسانية بينما تنطوي أنفسهم على أشياء أخرى استغلوا بها في انفسهم

(١) F.O. 242/200, Consul Richards to Sir N.O'cnor, No.23, 19-2-1900.

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التنصير والاستعمار ، ص ٧٦ .

(٣) Ibid .

وهو المدرسة . فاستغل المنصرون العلم ستارا لغايات هي بدورها لغايات أخرى غير شريفة أرادوها هم ومن استخدمهم ليصلوا عن طريق هذا النشاط الى استعباد الشرق واستغلاله سياسيا واقتصاديا.

فقد حصل رامون لل على مقابلة البابا سلسطين الخامس وكان ذلك عام ١٢٩٤هـ/١٢٩٤م وقدم له كتابين فيهما خطة لنشر النصرانية بين المسلمين :  
أولهما : احتوى على منهج للكنيسة لتتخذ العلم والمدارس وسيلة للتنصير .  
ثانيهما : احتوى على منهج لتنصير المسلمين بالقوة اذا لم تنجح فيهم  
الجهود التعليمية .

ومع أن البابا لم يصغ الى خطط رامون كما قيل ، فان التنصير عن طريق التعليم كان مشروعاً بابويا في أساسه وتطوره<sup>(١)</sup>  
والتعليم ايضا عند المنصرين غاية واحدة هي تنصير التلاميذ الذين ينصرون الى مدارسهم ، ومعلوم ان في الكلية الانكليزية في القدس طلاب مسلمون ونصارى ويهود ، وكانت سياسة المدرسة أن تنصرهم كلهم ، الا أن المقصود الأول هو تنصير الجموع الاسلامية . لهذا اختار المنصرون ميدان التعليم لأن للتعليم أثرا فعالا ، بل هو أقوى وسائل التنصير ، والمنصرون يرون أن الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين انما هي تعليم أولادهم الصغار ، ومن أجل ذلك لا يستغرب أن يدعو المنصرون الى بناء مدارس كثيرة في البلاد الاسلامية . وأول مدرسة أنشأها المنصرون في الدولة العثمانية مدرسة البنات في عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م .

بهذه الطريقة يخرج التلاميذ المسلمون من عناية المدارس المسلمة ، ولكي يكون التنصير كاملا كان يرى المنصرون أن يتولوا هم التعليم في جميع أنواعه في

(١) مصطفى خالدي عمر فروح : التبشير والاستعمار ، ص ٧٦-٧٧.

البلاد العثمانية وأقطارها ، فرياض الأطفال مهمة جداً لتحقيق خططهم ، لأن التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتنصير ولتأثيره في عقول الأطفال الغضة ، ثم ان الذين يشرفون على مدارس رياض الأطفال يكونون أكثر اتصالاً بأهل الطلاب .

وكذلك التعليم الابتدائي وسيلة ثمينة للتنصير ، لأنه يمكن للمتنصرين أن يشتروا أقدامهم في القرى تحت ستار التعليم الابتدائي الذي يحتاج إليه الناس وللمدارس الابتدائية فضل على الكليات بصفة عامة لأنها تمكن المنصيرين من الاقتراب الى العقول وهي لاتزال تتأثر بما يلقي اليها (١)

وهنا نرى أيضاً بعض المنافسة بين الروس والإنجليز الذين انخرطوا في التعليم لديهم لطول الدراسة للغة الروسية . وشيئا فشيئا انخرطت فرنسا في هذا العمل الأكثر أهمية للأطفال ، مما جعل الأطفال يفضلون المدارس في فرنسا على المدارس البريطانية ، حتى أصبحوا من حين لآخر يفضلون المدارس التي هي في فرنسا على المدارس التي في بريطانيا . ويتزكون المدارس الروسية على اعتبار أنها أفضل من المدارس البريطانية . هذا النفوذ في مجال التعليم يوضح نجاح التطور الروسي في مجال التعليم الفكري في منطقة اسلامية مهمة من الدولة العثمانية.

كما يظهر تغلغل التنصير الروسي وغيره في الأقطار العربية في فلسطين ولبنان . ثم نلمس أن هناك محاولة السيطرة على راسماتنا في سوريا وأيضاً أطماع روسيا القيصرية في الدولة العثمانية ، وسقطت في يد الروس في مجال التعليم .

فالتعليم في مدارس الارساليات المسيحية الكاثوليكية

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التنصير والاستعمار ، ص ٧٦-٧٧ .

(٢) F.O. 242/200 Consul Richards to sir N. O'conor No.23, 19-2-1900.

(٣) F.O. 242/200 : Ibid .

الغاية هي قيادة الأفراد الى الدين النصراني ، وتعليمهم حتى يصبحوا جموعا وأفرادا نصارى .

فكل التقارير تبين التنافس الاستعماري بين بريطانيا وروسيا وتوظيف الارساليات والمعاهد التعليمية والكنسية خدمة لأهداف الاستشراق والتنصير والاستعمار .

وهنا نرى موقف فرنسا كرد للنفوذ الروسي خلال فقدانها لمركزها عندما قام السيد جيسويت بانشاء مدرسة طبية ، وهذه الخطوة لاشك أنها خطوة مضادة للنشاط الروسي في الشام<sup>(١)</sup> .

ثم ان المجتمع المسيحي قام مؤخرا بشراء قطعة أرض في شارع دمشق في مدخل بيروت لإقامة تلك المدرسة الطبية على أن يلحق بهذه المدرسة مؤسسة علاجية للوقاية من مرض الديفتريا ، الذي يعج في تلك البقاع ، ولما علمت الحكومة الفرنسية ساهمت بحوالي مليون فرنك للمساعدة البريطانية في هذا المشروع ، وقد تم بناء سور حول هذه الأرض<sup>(٢)</sup> ، وهذا كرد فعل للنشاط الروسي في الأماكن المقدسة .

ويتابع القنصل العام البريطاني دارموند حديثه عن نشاط الروس فيذكر بأن طراسوف مفتش المدارس الروسية في طرابلس قد قام بزيارة المدارس المشتركة الروسية في فلسطين ، وقد قرر في هذه المدارس تدريس اللغة الروسية والعربية وتدريس كتاب يشمل العقيدة الأرثوذكسية واللغة الفرنسية والتركية ، وسوف

(١) F.O. 242/200, Sir. N. O'conor to Marguess of Salisbury No: 55, 22-5-1900.

(٢) -F.O. : 424/200 Consul-General Drummond Hay to N. O'conor, N. 55/2,26 4-1900

تواصل روسيا فتح مدارس أخرى في طرابلس بهذا النظام<sup>(١)</sup> .  
ويلاحظ في تلك التقارير رصد قناصل بريطانيا لكل من نفوذ روسيا  
وفرنسا في الدولة العثمانية في مجال التعليم والتنصير . ويأتي هذا انطلاقاً من روح  
التنافس الاستعماري التي سادت بين القوى الأوروبية واطماعها في ممتلكات الدولة  
العثمانية ثم في وسائل التنصير عن طريق الخدمات التعليمية والعلاجية والدعم المالي  
الهائل من الدول الأوروبية . كما يتضح ذلك من مساعدة الحكومة الفرنسية .  
فأصبحت بهذا أرض الشام أرض مناورة أو خلية للصراع بين الملل والمذاهب  
المسيحية حول نفوذ كل ملة من هذه الطوائف على أرض سوريا وفلسطين ولبنان  
حتى اسطنبول ، ولم تخل من ذلك التنافس بينها على كسب أكبر أرض من الدولة  
العثمانية على مختلف قاراتها الثلاث ، ومحاولة تنصير الأمم الإسلامية عن طريق  
التعليم المجاني والخدمات الطبية والمساعدات الزراعية . . . الي غير ذلك من أساليب  
تحايل دول الغرب عن طريق الغزو الفكري .  
وما يهمننا هنا هو تناول الغزو الفكري من الناحية التاريخية وبلادنا  
التاريخي في بلاد الشام وعاصمة الدولة العثمانية حسب خطة البحث . وثالثاً  
على عقيدة ناشئة المسلمين بالطرق والأساليب الملتوية بعد أن تقررت هزيمة  
الصليبيين من الغزو العسكري الى الغزو الفكري للمشرق الإسلامي حتى انهم  
حلولهم العسكرية لاستكمال حلقات المؤامرة الصليبية الشرسة لهذه الحروب  
الإسلامية كما سيأتي في بابه .

---

(١) F.O. 424/200, Consul-General Drummond Hay to N.O., Conon No.:55/3.

7-5-1900.

أما سياسة الرجل المريض : فهي من حملات التشهير بالدولة العثمانية والتي كان  
منها اطلاق عدة تسميات او صفات على السلطان العثماني فهو المريض  
الذي لا يرحى شفاؤه او المريض الشرف على الموت او رجل أوروبا  
المريض

ولقد جاءت هذه التسمية نتيجة لتوسع كيان الدولة العثمانية وعده  
الملك محمد ثانياً تحدياً لخطته وادارتها ، ولما كانت عظمته مبنية على أساس قوته  
العسكرية وما عنده من منطلقات هيئته العسكرية سقطت بالتي الدولة بعد الضربات  
التي لحقت بها بفرض المسيحي اليها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين  
والرابع والخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين ، وذلك بعد ان تغلغلت  
في القرون الماضية الأوروبية التي شجعت الغزو الفكري الذي ساعد في تخرين الأفكار  
التي كانت من قبله ، فبدأت الحداثة العثمانية في يد الاحتكاكات الأوروبية  
التي ظهرت فيها الأفكار الاستعمارية لاقتداءً بأملاك الدولة العثمانية التي  
كانت تتطلع الى ان تكون كبقية الدول الأوروبية وقد حاولت ان تتخذ من  
التي كانت تتطلع اليها كمنهجية لنظامها الفكري فوجدت في المقام  
الاولى الحرب والنظم العسكرية ، وقد فشلت هذه المحاولات الاصلاحية في  
القرن السادس عشر الميلادي ، وابتداءً من القرن السابع عشر الهجري الموافق  
للقرون الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ، نظراً لأن هذه المحاولات لم تأخذ بعين الاعتبار  
المصالح الخاصة الطبيعية من الجزيرة العربية التي تزدى بالإصلاح على أساس  
التوجه الحضاري الذي كان له قبله وعلى أساس عقائد السلف الصالح ، أي البناء على

١- محمد مهدي صفاوي ، دولة عثمانية دولة إسلامية مغزى غيب ، ج ٢ ، ص ١٣٠

٢- محمد مهدي صفاوي ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣١

قواعد الماضي المجيد التي أسسها الجدد ، وبدلاً من أن تتعامل الدولة العثمانية مع هذه الصيحات وتصفي لها السكتات اليسها لتضرب بهيسا كما سنرى فيما بعد <sup>(١)</sup> .

ولقد أطلقت هذه الأوصاف أول ما أطلقت على الدولة العثمانية في سنوات الأهر على المجال الدبلوماسي المغلق ، وعلى أعلى المستويات ، ولكن لم تدم سنوات حتى أعلنت هذه الأوصاف كسميات لا تفصل عن الدولة العثمانية ، أحاطت به من ملايسات فوقف على هذه الأوصاف التي التي التي انتقلت الى سائر الدول الأوروبية ، فتلقفها المؤرخون والباحثون والكتابون الحاقدون أو المتحاملون على الدولة العثمانية وأعمالهم التي التي للتشهير بالدولة العثمانية <sup>(٢)</sup> .

والحق أن دعاية الرجل المريض دعاية من دعايات العثمانية في سنواتها الأخيرة فكانت هذه الدعاية من دعايات من يهود الدوغة من داخل تركيا نفسها ، فهذا التصريح الذي لوضع الخلافة قبل السقوط <sup>(٣)</sup> إنما هو مجرد حيلة للتشهير بالدولة وإيهام الناس بذلك لزعة ولاء ولاياتها أو شعوبها في تلك الفترة وهذا ما فعله محمد علي حين ثار على الدولة العثمانية سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م وقد سبقه في ذلك اليونان .

وبعد القضاء على ثورة محمد علي ، عادت روسيا إلى سياستها

- (١) محمد مصطفى رمضان : العالم الإسلامي الحديث والحاضر ، ص ١٠١ .  
 (٢) عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية ص ١٠١ ، الأهر ، ص ١٠١ .  
 (٣) هيئة الأخبار : الرجل المريض ، دعاية يهودية ، مجلة العثماني الإسلامي ، السنة ٤٤ ، الجزء ١ ، ص ١٠١ .



محاولة تدمير الدولة العثمانية عن طريق الضغط العسكري واثارة الاضطرابات في البلقان (١). وسواء كان هذا التوجه للتشهير بالدولة العثمانية أو للخط من قيمتها من بعض حكومات الدول الأوروبية ، أو جاءت كتاباتهم بوحى من أفكارهم وحقدهم فقد كان الهدف من ذلك كله هو النيل من الدولة باعداد وتخطيط فكري مسبق ، لدى الدول الأوروبية بأن سقوط الدولة العثمانية لا محالة أمر وشيك وأن نهايتها آتية لا يختلف فيه اثنان (٢).

وهذا التخطيط مبني على حقد دفين من هذه الدول للدولة العثمانية التي حملت راية الاسلام لعدة قرون ، وقد أجهضت الحروب الصليبية التي قادتها أوروبا نحو الشرق لإخراج الدولة العثمانية من أوروبا واحتلال بيت المقدس ، فقد ردت عليهم الدولة وشتت جمعهم الصليبية حلفا بعد حلف وجعلتهم في حالة الدفاع عن النفس بعد استيلائها على القسطنطينية وتهديد روما كما سبق . هذا الحقد وراء الأشهار باطلاق تلك النعوت " كالرجل المريض " وغير ذلك من الأوصاف الأخرى ، التي تنم عن الحقد الدفين والقصد منها احباط الدولة في مسيرتها وتحريك كوامن أحقاد الأقليات النصرانية داخل هذا الكيان ، واشعال الثورات لتزيد من تفاقم الأزمات في الدولة ويسهل تدخل الدول الأوروبية لحماية أقليتها .

وان أول من أطلق عبارة " رجل أوروبا المريض " ( The Sickman of Eurpe )

هو نيقولا الأول قيصر الروس ( سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م - ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥ ) في حديث جرى في سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ، بينه وبين ابردين ( Aberdeen ) رئيس وزراء بريطانيا في وندسور Windsor بالإنجلترا وكانت تجمع بين الاثنین صداقة حميمة ، وهذا التصريح لم يكن جديدا أيضا على القيصر ،

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠٧ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . ج ٢ . ص ٨٣٠ .

فقد أعلن رأيا من قبل أشد لهجة وأكثر بعدا عن اللباقة الدبلوماسية حيث قال:  
"ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى، ان الامبراطورية العثمانية دولة ميتة  
وليس لدي ثقة في أن يستمر هذا الجسم العجوز محافظا على الحياة، انه في حالة  
الخلال في جميع النواحي" (١).

هذا التصريح جاء في وقت كان الرأي العام الأوربي يطالب أوربا بطرد  
العثمانيين من القارة بقضهم وقضيتهم، واقتسام أملاكهم بين الدول النصرانية (٢).

ثم أعاد القيصر عبارة الرجل المريض في سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م أي قبيل

نشوب حرب القرم، فقد تحدث القيصر مع سير هاملتون سيمور ( Sir Hamilton )

( Seymour ) السفير البريطاني لدى روسيا ومع غيره من رجال السياسة وكانت

هذه الأحاديث تدور حول اعتقاد نيقولا الأول أن سلطان الدولة العثمانية رجل

مريض للغاية وقد يلفظ أنفاسه الأخيرة فجأة، وأن من الخير للسلام العالمي أن

تفكر الدول الأوربية مليا في توزيع ممتلكاته قبل وفاته. وأعرب عن رأيه بإمكان

تسوية الأمور بين بريطانيا والروس دون الحاجة الى قيام أي حرب (٣).

فاقترح استيلاء روسيا على اسطنبول، وبريطانيا على مصر وكريت، فلم

يجبه السفير الانكليزي جوابا شافيا، بل أجاب القيصر بأن الأولى أن يعالج هذا

الرجل المريض وأن نتعهدده بالعناية حتى تعود اليه قوته كما كان سابقا، لأنه لو

مات حصلت بعده حروب تهدر فيها الدماء أنهارا في سبيل تقسيم تركته، ولم

يكن ذلك من الدولة الانجليزية حبا في تقوية الدولة العثمانية أو حبا في بقائها، بل

كان خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها لاسطنبول فتشارك ان

ملك البحار الذي انفردت به.

(١) عبدالعزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفرقة عليها، ج ٢، ص ٨٣٠-٨٣١.

، حسين لبيب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج ٢، ص ٣٧.

(٢) عبدالعزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٣١.

ومن جهة أخرى خابر نابليون الثالث حكومة بريطانيا بشأن الاتحاد مع الدولة العثمانية لتحديد مصير الأماكن المقدسة في فلسطين حتى لا ينتشر نفوذ الروس بين رعايا الدول العثمانية الأرثوذكس الذين ربما يبلغ عددهم احد عشر مليوناً، لاسيما وأن حماية روسيا للقدس وما جاورها يجعل انكلترا في خطر على أقرب طرقها المستعمراتها الهندية وهي طريق مصر، فافتنعت بضرورة مقاومة نفوذ روسيا في هذه الأماكن خصوصاً بعد أن اطلعت على مقاصد القيصر عن طريق سفيرها في روسيا<sup>(١)</sup>. وهذا النفوذ الروسي الذي لمسناه فيما سبق من خلال الوثائق والتقارير، يشترك اهتمامها أساساً على حماية وتدعيم الكنيسة الأرثوذكسية التي يديرها الأساقفة ورجال الدين المسحيين، وهذا ما نقله نابليون الى حكومة بريطانيا التي كانت تزد هذا النشاط الروسي في الأماكن المقدسة، وهو بلا شك توجد من روسيا المرفقة السياسي في فلسطين، وهو من العوامل التي توجت نجاح روسيا في إقامة السيادة على المنطقة<sup>(٢)</sup>.

ويمكن هذا التعبير الأوربي الذي أطلق على الدولة العثمانية يعني المرض الذي انتبه السلطان العثماني - إنما هو تعبير سياسي قصد به الضعف السياسي والديكتوري بعد أن بلغ بالدولة حد الاضمحلال والتدهور وذلك في أواخر القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، في الوقت الذي تتقدم فيه أوروبا نحو الأمام، وكانت الدول الأوربية الكبرى مسئولة عن جانب كبير من ذلك الضعف الذي ألم بالدولة<sup>(٣)</sup> لكثرة ثورات واضطراب الأقليات المسيحية داخل الدولة والتدخل من هذه الدول الأوربية بقصد الحماية.

(١) محمد فريد بت: تاريخ الدولة العلية، ص ٤٩٣.

(٢) -F.O. 424/197, Sir. N. O'Concor to the Marguess of Saliabury, No. 91, 24 12-1899.

(٣) عبدالعزير السنوي: الدولة العثمانية دولة اسلامية مغترب عليها، ج ٢، ص ٨٣١.

ولكني أقول : حين تركت الدولة العثمانية التمسك بالكتاب والسنة وحاولت تطبيق القانون الوضعي واقتباس الأنظمة الغربية أتاها الضعف ، لأن هذه القوانين الوضعية لا توافق بأي حال من الأحوال طبيعة الدولة الإسلامية وهذا الخط هو الذي جرف الدولة عن مسارها القويم . ثم ان معارضة العلماء لكل اصلاح جديد لا يتنافى مع الشريعة هو أيضا سبب من أهم أسباب ضعف الدولة ، ولأنفسى أن هذا التشهير بالدولة أيضا غزو فكري لخطط سابقة وهي زحزحة الدولة العثمانية الإسلامية عن النظم الإسلامية والصاقها بالنظم الأوربية . لأن نظرية الاستعمار الأوربي هو القضاء على الإسلام والمسلمين أو استعبادهم واستغلال عطاياهم . ومن أهداف التشهير بالدولة العثمانية أن تصبح التسويات الإسلامية في الدعايات مؤمنة بعجزها عن تحقيق أي تقدم في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، واستحالة تقدمها مادامت مصيرة على النظم الإسلامية . لأن هذا الدين هو السبب الحقيقي لتخلفهم . يقول هانوتو " الدين الإسلامي يبعث في الإنسانيات الشعور بالانتماء ولا يوقظه منهما... وان تقدم المسلمين مستحيل وأبداً فهو حياض من حياض معتقدتهم يحول دون ذلك ، وان كل حكومة انفصلت عن الشريعة فسدت " (١) منهاج أوربا علما ومدنية نجحت " (١) .

فعملاء الغزو الفكري قد عملوا منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي التاسع عشر الميلادي ، وبعبارة أصح منذ أن استقر في أوكار الصهيونية والاشتراكية مشروع تدمير الخلافة الإسلامية ، عند ذلك عملوا على تخريب الدين الإسلامي وتشويه عقل المسلمين ، وهم مازالوا يعملون حتى الآن على تشويه الدين والشعارات تتلون ولكن الهدف واحد ، هو تجريد المسلم من أقدس ملاح وهو

(١) السيد أحمد فرج : جذور العلمانية ، ص ٣٦ .

إيمانه بالله وان كتاب الغزو الفكري هي ( الطابور الخامس ) الذي يعمل داخل صفوفنا ليجهز على مقاومتنا (١) .

هكذا نرى أن التعاون بين السياسة والتنصير قد أعطى ثمرته الأولى حين أخذت الأقطار الشرقية تسقط تحت السيطرة أو النفوذ الأجنبي إلا أن هذه الدول لم تقص المنصرين بعد أن نالت حاجتها من جهودهم بل زادت تقربهم لأنهم أصبحوا أعرف الناس للبلاد وأهلها واتجاه الرياح فيها . لذلك وقف المنصرون ورجال السياسة وجهها لوجه أي الفريقين يجب أن يتقدم على الآخر وكان المنصرون من قبل يدخلون البلاد وبعد ذلك يأتي الجيش على أثرهم ولكن في أواخر القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي أخذ المنصرون بتقديم الجيش أولاً لأن ذلك يسهل مهمتهم (٢) .

معنى هذا أن تغيير هذا النظام يعطينا دلالة واضحة على ضعف الدولة العثمانية وعدم استطاعتها المقاومة كما كانت في سابق عهدها لبعدها هذا الميدان عن الدولة المشغلة في مشاكلها الداخلية وما أكثرها آنذاك .

لهذا فضل المنصر أن يعمل بعد الاحتلال ، فكان حكام هذه المناطق على حق في تخوفهم حينما اعتقدوا أن مجي المنصرين ينتهي دائما بتدخل الدول النصرانية في بلادهم ثم بعد ذلك يفقدون جزءاً منها أو يفقدونها (٣) .

...

(١) محمد جلال كشك - الغزو الفكري . ( الطبعة الرابعة، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٥هـ ) ص ٧ .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار . ص ١٤٤-١٤٥ .

(٣) مصطفى خالدي وعمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

## الفصل الثالث

### عوامل الغزو الفكري الأوربي للدولة

- أ - أثر الموقع الجغرافي .
- ب - تطورات التاريخ الأوربي الحديث ، العلمانية ، والقومية والحركة الدستورية .
- ج - صدى الثورة الفرنسية .
- د - أطماع الدولة الأوربية في ممتلكات الدولة الإسلامية .
- هـ - أنشطة الماسونية والصهيونية .



## أثر الموقع الجغرافي السياسي :

يأتي أهمية موقع القسطنطينية السياسية على الكرة الأرضية نظرا لموقعها الجغرافي حيث تقع عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق استطنبول "البوسفور" الذي يصل البحر الأبيض بالبحر الأسود بواسطة بحر مرمرة<sup>(١)</sup> وهذا الموقع يعد من المواقع الاستراتيجية على الكرة الأرضية لهذا القسطنطينية في هذا المضيق بين البحر الأبيض والأسود . ولهذا أهمية في التاريخ باسم العاروق لفرقها بين البرين والبحرين . أي ( بين بر أوروبا وأوروبا ) (الأسود والأبيض)<sup>(٢)</sup> . ويصل عرض هذا المضيق المذكور في الشرق إلى البحر البرين إلى أقل من كيلو متر<sup>(٣)</sup> .

وقد قال نابليون في القسطنطينية " لو كانت الأخر القسطنطينية واحدة لكان يلزمها أن تتخذ القسطنطينية عاصمة لها " <sup>(٤)</sup> ولتلك المدينة أهمية خاصة لسبب الموقع الجغرافي المتميز بها بفتحها<sup>(٥)</sup> . فكانت أمنية من أكبر آماني المسلمين حين فتحوا القسطنطينية لفتحها . لكنها لم تكمل بالنجاح حتى شاءت إرادته أن يفتحها المسلمون .

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت . ج ١ . ص ٤١ - ٤٢

علي حسون : تاريخ الدولة العتبية . ص ٣١

(٢) محمد بيرو الخامس التونسي : صفوة الاعتبار مستودع الاعتصام والاعتماد . ص ١٠٠

طبع بالمطبعة الاعلامية تنصر سنة ١٢٠٣هـ) ج ٥ . ص ٤٧ - ٤٨

أبو الحسن علي الندوي : مباحث العالم بالخطاط المسلمين . ص ١٦٢

١٦٢هـ . ص ١٦٢

(٣) علي حسون : المرجع السابق . ص ٣١

(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق . ص ٤٢

أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق . ص ١٦٢

(٥) علي حسون : المرجع السابق . ص ٣١



الثاني " الفاتح " بفتحها ، فكان ذلك نصرا عظيما للاسلام والمسلمين وتحقيقا لحلم طالما ترقبوا تحقيقه (١) .

وقد عرفت هذه المدينة التي على ضفاف البوسفور بأسماء عديدة ، فكان اسمها عند السلاف ( زارغراد ) : أي مدينة الامبراطور ، وعند سكان شمال أوربا ( ميكالاغارد ) أو ( ميكل غارث ) ( Myklagaardor . Micklegarth ) أي البرج العظيم (٢) .

الا أن اليونان والرومان عرفاها باسم بيزنطة أو بيزنطية ( Bysanica ) نسبة الى مؤسسها بيزاس ( Basas ) وهو بحار يوناني ترك بلاده سنة ٦٥٢ ق.م مع بعض رفاق له وبعدما محرت بهم سفنهم في بحر ايجه مروا بالدردييل ، ووصلوا الى البوسفور فاحتلوا القرن الذهبي لأنه أوى سفنهم ، ومع توالي الزمن كثر عددهم وعظم شأنهم وسموا موقعهم بيزنطة ( Bysance ) ، وبعد مرور الزمن أصبحت مدينة بيزنطة حاضرة الدولة البيزنطية . لذلك نقل قسطنطين الأول سنة ٣٢٤م مقر ملكه من روما الى بيزنطة وسمي المدينة باسمه ( القسطنطينية ) (٣) . وبهذا الاسم اشتهرت عند المسلمين والمسيحيين وغيرهم .

وفي عهد سلاطين آل عثمان سميت حين فتحها السلطان محمد الفاتح باللغة التركية اسلام بول ، أي مدينة الاسلام (٤) . ومنذ ذلك التاريخ اصبح اسمها اسطنبول بعد أن جرى بعض التعديل على الاسم التركي لها (٥) .

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ٤٢ . ٤٥ .

(٢) برنارد لويس : استنبول ، ص ١١ .

(٣) عزيز خانكي بك : ترك واناتورك ، ( القاهرة ، المطبعة العصرية ، الفجالة ) ، ص ١١٨ .

(٤) كامل باشا : تاريخ سياسي دولة عليية عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٥) عزيز خانكي بك : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

وسميت أيضا استانة (استانبول) وهي كلمة فارسية معناها العتبة، عتبة الدولة أي العاصمة<sup>(١)</sup>، كما سميت "دار السعادة"<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لموقعها البري والبحري الفريد فانها كانت ميناءا بحريا تمر به تجارة الشرق والغرب، وتحدها المياه من ضلعها، ففي الشمال الغربي القرن الذهبي، وفي الجنوب الغربي يقع بحر مرمره، وبين البحرين يجري المضيق (البوسفور)، وتقع هذه المدينة على سبع تلال، فمناخها معتدل ليس بشديد الحرارة صيفا ولا شديد البرودة في فصل الشتاء<sup>(٣)</sup>.

ويجدر بنا الآن القول بأن موقع اسطنبول موقع استراتيجي مهم حيث انها تربط قارتين مهمتين هما آسيا وأوربا وقد اشتهرت بالصناعة والتجارة (٤) وكانت التجارة تأتي اليها بحرا عن طريق البحر الأبيض والبحر الأحمر والبلقان الأسود، وبرا من القارتين آسيا وأوربا، وأهم تلك التجارات تجارة الأقمشة والهند وغيرهما من البلاد الإسلامية، وكذلك تجارة الشرق الأقصى، والقادمة من شرقي أوربا وغربها فهي مجمع لتجار العالم المعروفين آنذاك، فكل السفن من كل صوب الى مينائها في القرن الذهبي الذي يجمع بحر كذا بحر كذا، اهتمت الحكومات التي سبقت الدولة العثمانية وكذلك الدولة العثمانية المدينة وتسهيل حركة التجارة بها وتأمين سبل الراحة والعيش فيها، فاشتهرت أسواقها بمواد الترف والزينة والمصنوعات والعطور، والمنسوجات الطرية والكتانية الجميلة ذات الألوان الباهية إلى جانب ذلك كان الصرافة من مهنتهم بنجاح منقطع النظر.

(١) (مادة استانه) Deniz Meydanları - Osmanlı Ça-Türkece, Ansiklopedik Lugat.

(٢) عزيز خانكي : ترك و أتاتورك ، ص ١١٨ .

(٣) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ١٦ .

(٤) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٠ .

وقد عملت الدولة العثمانية على نشر الإسلام فيها وتحويلها الى حاضرة إسلامية ، كما أنها عملت على سن سياسة خاصة بمرور السفن بمضيق البوسفور والدردنيل وذلك لأنهما يمثلان نقطتي اتصال عالمية بين الشرق والغرب ، كما أن هاتين النقطتين تمثلان عنق الزجاجة بالنسبة للبحر الأسود والمخرج الوحيد له للمياه الدافئة حيث يمكن لتجار البحر الأسود الاتصال بالبحار العامة والمحيطات عن طريق تلك المضائق ، وكانت سياسة الدولة العليا هي فرض سيادتها على المضائق (١) . فالسلطان محمد الفاتح هو مؤسس نظام المضائق حين شيد القلعتين المتقابلتين في أضيق نقطة في مضيق اسطنبول كما سبق ذكره (٢) .

وقد استندت الدولة على ممارسة السيادة على المضائق تمشيا مع القاعدة القانونية التي تقول : اذا كان المضيق واقعا في أرض دولة واحدة وكان اتساعه لأزيد على ستة أميال فان مياهه تعتبر مياهها اقليمية ، وتتبع هذه الدولة ، واذا زاد اتساعه على ستة أميال فانه لا يدخل تحت سلطة الدولة منه أكثر من ثلاثة أميال من كل ناحية من ناحية هذا المضيق على اعتبار أن المضيق كله تابع للدولة صاحبة شاطئيه اذ جرى العرف بذلك . وعلى أثر ذلك اتبعت الدولة العثمانية سياسة ناجحة في فرض سيادتها على البحر الأسود ، وكانت لها في ذلك الزمان حرية التصرف تفتحها لسفن بعض الدول على حسب اتفاقيات خاصة وللعبء منها استثنائيا ، وتقفله في وجه من تشاء ومتى تشاء (٣) وخاصة إذا كانت السفن سفنا حربية أو تحمل معدات حربية فيها خطر على البلاد الإسلامية . فالدولة بحكم موقعها الجغرافي معبر بين أوروبا وآسيا أو بمعنى آخر بين بلاد الإسلام وبلاد المسيحية ، فهي المكان التي التصقت فيه القارتان وتقابلت فيه الديانتان وجها لوجه

(١) عبدالعزير الشاوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٢) يلماز أورتون : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٣) عبدالعزير الشاوي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١ .

في العصر الحديث ، فقد هاجمت الدولة العثمانية الاسلامية أوربا في عصر قوتها ، من هذا الموقع إلا أنها أصبحت في موقف الدفاع عن النفس في عصرها الثاني الذي استدعي نظرة شاملة في كل أمورها <sup>(١)</sup> . وخاصة في مشكلة المضائق البحرية لموقع الدولة بوجه خاص ، فمشكلة المضائق مشكلة دقيقة ، بل كانت صورة محساسة لمركز الدولة العثمانية من حيث القوة والشموخ أو الاضمحلال والضعف <sup>(٢)</sup> . لذلك جعلت مسألة المضائق الجغرافية والسياسية شيئا واحدا ، فهي مشكلة ناشئة عن موقع الدولة أو أهمية موقع الدولة ومركز اسطنبول الخليل من حيث تحكمها في المضائق ، وهذا جد خطير للغاية بالنسبة للدولة ضعيفة التسلح وعلاقتها العدائية بروسيا التي تريد الخروج من سجنها عبر هذه المضائق إلى البحر الدافنة في عصر كان المستقبل فيه للبحر والتوجه إليه ، لهذا يبرهن التاريخ الإصلاحي أن تعالج هذه الأوضاع وأن تدفع هذه الأخطار المحيطة بالدولة في صوب حين ظهر بوضوح أن قوة الدولة قد اضمحلت في القرنين السادس الهجري ، القرن الثامن عشر الميلادي ، وأصبحت قوة مستطرفة وآتية تستيقظ من نومها وتصلح من شأنها فإنها سوف تنهار قوتها زهرتها وتنتهي آجلا <sup>(٣)</sup> . فالدولة العثمانية كانت في عصرها الأول قوية الجاهل والسيادة تفرض سيادتها على المضائق والبحر الأسود مع احترام السيادة على المضائق حدد أن الرعايا الروس اذا أرادوا ممارسة التجارة بين موانئ البحر الأسود عليهم أن ينقلوا بضائعهم على سفن عثمانية تحمل العلم العثماني ، أما في عصرها الثاني فقد اضمحلت وتعرضت لضغوط سياسية واقتصادية من الدول الأوروبية التي تسابقت في فرض معاهدات على الدولة حرمها على دول

(١) محمد عبداللطيف البحر اوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٦٤

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٩١

(٣) محمد عبداللطيف البحر اوي : المرجع السابق ، ص ٦٤

المروور لسفنها التجارية والحربية في البحر الأسود في وقت الحرب والسلم ، حتى بلغ الهوان والضعف بالدولة انها اعترفت في إحدى المعاهدات بأن الدفاع العسكري عن المضائق إنما هو مسئولية مشتركة بينها وبين الروس . وهذا يعد انتهاكاً لسيادة الدولة العثمانية ، وعصفاً بسياستها العليا ، نتيجة للهزائم العسكرية التي تعاقبت عليها ، والأخطار التي جثمت عليها لضعف سلاطينها في الفترة الثانية (١) كما سيأتي الحديث عنهم حين تكالبت الدول الأوروبية للضغط على الدولة من كل صوب ، بإثارة المشاكل بين الأقليات المسيحية في البلقان والصرب ، لإيجاد المبرر للتدخل الأجنبي بحجة حماية الأقليات المسيحية . وهكذا أصبحت الدولة في اضطرابات دائمة ، حتى أصبح التفكير جاداً بين بعض دول أوروبا لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، إلا أن البعض الآخر كان يرى المحافظة على ممتلكات الدولة ، وأن تبقى الحالة كما هي عليه خوفاً من اندلاع الحرب حول هذه التركة .

---

(١) عبدالعزير الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتوحة عليها ، ج ١ ، ص ١٩١ .

## ب - تطورات التاريخ الأوربي الحديث :

ان تطورات التاريخ الأوربي الحديث قد أوجد الحركة العلمانية والقومية والحركة الدستورية ، وهي احد عناصر الغزو الفكري الأوربي الذي تسرب للدولة العثمانية بصورة خاصة ، أو للعالم الاسلامي بصورة عامة بقصد تفتيت الوحدة الاسلامية ، وخلق جو من الاضطرابات والصراعات داخل جسم الدولة العثمانية .

فالعلمانية هي من نتاج الصراع الذي حصل بين البابوية والباطرة أيهما أعلى ، البابا أو الامبراطور ؟ فانتهى هذا الصراع بعد قرنين من الزمان بهزيمة البابوية وظهور العلمانية . لاصدار الدساتير لبيان حدود الحاكم والمحكوم . ويهني ذلك تحلل أوربا من الاقطاع الذي خيم على أوربا خلال العصور الوسطى . وانجذاب الدول الحديثة المنظمة ، لاستحالة العودة الى نظام أوربا الاقطاعي (١) .

ويؤكد عبدالكريم المشهداني أن معنى " العلمانية في المفهوم الغربي تعني أن شئون الحياة أمر خاص بنشاط الانسان وسعيه بمعزل عن أي نظام ديني أو روعي . فهي تعني الدنيوية أو العصرية أو الزمنية ، والتفريق فيها واضح بين ثنائيات الله والقيصر والكنيسة والدولة والامبراطور والبابا والقانون الكنسي والقانون الوضعي " . فالدولة الأوربية تقف من الدين موقف الحياد . لانه ولا عليه مع كفالة حرية المعتقد وحرية العبادة وحرية التنصير الديني على شرط ألا يتعارض هذا بالنظام العام وعدم التزام الدولة بأي عقيدة دينية ، وحتى لا تتغير أسسها على الأخرى . (٢) .

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : التاريخ المعاصر وعلاقة العصبوية بالازمنة الحديثة ، العدد ٢ السنة الحادية عشرى . ١٤٠٦هـ . ص ٩٢ .

(٢) العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا . ص ١٣ .

والتفسير الشائع للعلمانية في الكتب الإسلامية المعاصرة هو " فصل الدين عن الدولة " ، والحقيقة أن هذا التفسير لا يعطى المدلول الكامل لمعنى العلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي لا يكون له صلة بالدولة ، ولو قيل إنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب ، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو : " إقامة الحياة أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود : فبعضها تسمي به كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، وتسمى منهج (العلمانية المعتدلة - Noreligious ) أي أنها مجتمعات لادينية ولكنها غير معادية للدين وذلك مقابل مايسمي (العلمانية المتطرفة - Anti Religous ) أي المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية ومشاكلها .

أما موقف الإسلام من هذا فلا فرق عنده بين المسيحيين فكل ما ليس ديناً في المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين ، فالإسلام والادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما (١) .

ولقد كان للصراع الدائر بين الكنيسة ورجال الدين المتحررين في أوروبا أثر بعيد في التطرف ، ونقل معنى العلمانية إلى معنى يكاد يقرب من الإلحاد ، فقد كانت الكنيسة تتمتع بسلطان مطلق لا حدود له ، لا في شئون الدين فحسب بل في شئون الدنيا أيضاً ، فكان لها وحدها تفسير الكون ووضع النظريات الفلكية والجغرافية دون الدخول في تفاصيل تلك القضايا ، ثم في المبدأ والمصير وقوانين المجتمع بكل تفاصيلها ، ولو خالف ذلك العقل والمنطق ، وزاد شعور الناس بعبء سلطان الكنيسة حين وقفت في طريق التقدم الفكري والعلمي وراحت تلاحق العلماء وتعدمهم حتى جاءت الثورة الفرنسية فحسمت هذا الموقف لصالح

(١) سفر عبدالرحمن الخواي : العلمية ، ( الطبعة الأولى ، مكة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٣-٢٤ .

اللادينة ( العلمانية ) (١) .

ولكن قبل ذلك كان النظام الاجتماعي الذي كان يسود الحياة في تلك الفترة أو طيلة القرون الوسطى هو نظام " الاقطاع " ، وهذا النظام أشنع وأظلم النظم الاجتماعية التي عرفها التاريخ ، فالظلم دافعا سمة من سمات الحكم الجاهلي لأي مجتمع في كل مكان وزمان ، ولكن صورته في المجتمع الأوربي الاقطاعي كان أشد قسوة ، في الوقت الذي كان فيه المشرق الإسلامي ينعم بحياة هادئة في ظل العدالة الإسلامية وفي أفضل نظام اجتماعي على مر العصور عندما كان المسلمون في المقابل يعيشون في نظام الكنيسة البغيض . فليس هناك مقارنة ، وكان الإسلام في ذلك المباشرة بالمسلمين هو أولى محاولات الانسان غير المسلم للانطلاق من نظام الاقطاعية ، وذلك عن طريق الفتوحات الإسلامية في أوروبا ، وبهاج انطلاقة إبان الحروب الصليبية ، وليس غريبا أن يكون ارتداد فرنسا من تلك الفتوحات الفرنسية لموقعها الجغرافي المحاذي للمسلمين في الأندلس ، وبهذا ارتداد فرنسا وهذا من الأسباب التي دفعتها الى روح التحرر والانطلاق من نظام الاقطاعية إضافة الى ماسبق لانفس الفتوحات العثمانية التي تمكنت من إدخال الإسلام بها ، مما جعل هذه الدول تتعرف على الإسلام في طريقها الى دفعه قوية أيضا للثورة على افساد نظام الاقطاع والتحرر من التمييز العنصري

(١) عبدالكريم المشهداني : العلمانية واترها على الأوضاع الإسلامية في الشرق الأوسط ، محمد أبو زهرة : محاضرات في الصراية ، ( الطبعة الرابعة ، دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ ) ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .  
سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ( الطبعة السابعة ، دار الشروق ، ١٤٠٧ هـ ) ، ص ٤٠-٤١ .

(٢) سفر عبدالرحمن الخوالي : العلمانية ، ص ١٦٥ .



أصبحت لاتجاري طموحاتها كما هو الاسلام الذي يصلح أو يواكب كل زمان ومكان .

لذلك انطلقت الثورة الفرنسية في سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م لتكون آخر مسمار يدق في نعش السمو الكنسي ، تلك الثورة التي كان واحداً من شعاراتها (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ) ، وبذلك تم الفصل بين الدين والدولة في أوروبا <sup>(١)</sup> لتصبح أوروبا اللادينية ( علمانية ) والتي فصلت سلطان الدين حين حصرته داخل جدران الكنيسة ، فمن أراد فليذهب اليه هناك <sup>(٢)</sup> .

لذلك يقول ويلز " كانت ثورة الشعب على الكنيسة دينية ، فلم يكن اعتراضهم على قوة الكنيسة بل على مساوئها ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسة حركات لا يقصد بها الفكك من الرقابة الدينية بل طلب رقابة دينية أتم وأوفى .. ولم يعترضوا على البابا لأنه الرأس الديني للعالم المسيحي ، إنما اعترضوا عليه لأنه لم يكن كذلك ، أي لأنه كان أميراً ثرياً دنيوياً ، بينما يجب أن يكون قائدهم الروحي " <sup>(٣)</sup> . والحقيقة أن المناداة التي سبقت بفصل الدين عن الدولة في تاريخ الكنيسة ماهي في الواقع إلا العودة بها الى ما كانت عليه في وضعها الأول الصحيح وأن انحرافها عن هذا هو الذي جرّها الى البلاء والشقاء .

أما الاسلام فان المناداة بفصله عن الدولة انحراف به عن وضعه الصحيح ، بل ان وقوع هذا الفصل في بعض مراحل التاريخ قد جر على الاسلام والمسلمين

(١) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١١٦-١١٨ .

(٢) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ١٤-١٥ .

(٣) معالم تاريخ الاسانية ، ج ٤ ، ص ٩٨٩-٩٩٠ .

سفر عبدالرحمن الحوالي : العلمانية ، ص ١٦٦-١٦٧ .

البلاء<sup>(١)</sup> ، لأن الاسلام عبادة ونظام شامل صالح لكل زمان ومكان أعطي  
للانسان حقوقه وأطلق العقول في مجالاتها الصالحة .

ولم تكن الثورة الفرنسية حدثا مهما في تاريخ فرنسا فقط ، انما هي أبرز  
احداث القارة الأوروبية ، فقد وضعت حدا للنظام القديم القائم على الاستبداد في  
الحكم ، وفتحت الباب أمام نظم جديدة ، ملكية كانت أم جمهورية<sup>(٢)</sup> ، لادينية  
تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب ( وليس باسم الله ) وعلى حرية التاميم  
والحرية الشخصية بدلا من التقييد بالأخلاق الدينية ، وعلى دستور وخصمي بدلا من  
قرارات الكنيسة ، ثم قامت بحل الجمعيات الدينية وسرحت الرهبان ، وهبعت  
أموال الكنيسة ، وألغت كل امتيازاتها ، وحررت الثورة العقائد الدينية من  
وبشدة ، وأصبح رجل الدين المسيحي موظفا مدنيا لدى الحكومة<sup>(٣)</sup> .

وقد كانت أوروبا تشكو مما كانت تشكو منه فرنسا حينذاك ، فبدأت  
يتمارسون الحكم المطلق على شعوبهم ، والطبقات الممتازة ( الأقطاب ) من  
على خيرات البلاد في كل مكان ، والكنيسة تتمتع باسم الدين بالامتيازات  
وباعفاءات من الضرائب والواجبات تجاه الدولة ، والحرابات ، المحاماة ، والبروتستانت  
في صدور الأحرار ، والشعوب لاسيطرة لهم ولا سلطان لهم<sup>(٤)</sup> ، فبدأت  
جاءت تعالج هذه العلل وتحاول أن تجد لها حلاولا تصحح بها المنهج القديم .

- 
- (١) اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ، ص ١٢٠-١٢١ .  
(٢) عبدالعزيز سليمان نوار وآخرون : التاريخ المعاصر ، ( بيروت ) ، دار النهضة العربية للدراسات والنشر  
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) ص ١٩ .  
(٣) سفر عبدالرحمن الخوالي : العلمانية ، ص ١٦٩ .  
(٤) عبدالعزيز سليمان نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٩ .

تصلح لغير فرنسا في حالات كثيرة أبان العصر الحديث<sup>(١)</sup> . فالثورة التي حدثت في القرن الثالث عشر الهجري / الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي بالنسبة لشعوب أوروبا المظلومة كانت بمثابة المدرسة الرائدة في مجال التحرر ، تأثرت بها واستنارت بكثير من أفكارها ومبادئها الجديدة ، لمعالجة أوضاعها السياسية والاجتماعية<sup>(٢)</sup> . عندما كانت الحكومات والشعوب الأوروبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تعيش في جو الأزمات الفكرية وأزمات التنظيم الاجتماعي والحروب والثورات الدينية ، فحاولت الثورة الفرنسية أن تجد حلا لجميع المشكلات وفعلا حلت مشكلات وأصبحت هي ذاتها مشكلة<sup>(٣)</sup> وسنتناول ذلك في الفقرة التالية .

- 
- (١) عبدالعزيز نوار واخرون : التاريخ المعاصر . ص ١٩ .  
 محمد عبداللطيف النحرابي : التاريخ المعاصر وعلاقته بالأزمة الحديثة . ( ١ لدارة . العدد الثاني . السنة الحادية عشرة . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ) ص ٩٣ .  
 (٢) عبدالعزيز نوار واخرون : المرجع السابق . ص ١٩ - ٢٠ .  
 (٣) محمد شفيق غريال : منهاج مفصل للدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة الإسلامية . ص ٨٢ .

## ج - صدى الثورة الفرنسية في الدولة العثمانية :

لقد كانت الثورة الفرنسية بداية لتغير سياسي على الخريطة الأوروبية بشكل جذري كشفت للعالم عن مطامع نابليون التوسعية ، فنتيجة لذلك اتسعت فرنسا بعد الثورة وبشكل غير معقول ، لم تعهده فرنسا نفسها ، فأصبحت تضم بلاد بلجيكا ، وكل الأراضي الواقعة بين الحدود الفرنسية ونهر الراين ، ثم الساحل الايطالي من الحدود الفرنسية الى روما (١) .

وقد أثارت هذه المطامع أوروبا كلها ، فواجه نابليون العداء الشديد من تلك الدول ، نتيجة للسلطات التي آلت اليه ، حتى أصبح محوشت أوروبا في الاستعمارية التي تجلت في حملته العسكرية على إيطاليا وألمانيا وهولندا وسويسرا حتى دانت له تلك المناطق التي جعلها نابليون من ممتلكاته الشخصية ، فأصبحت هذه المكاسب الثورية مصدر زعجب للوكر أوروبا التي انزعجت من اعتق أبناء هذه الشعوب مبادئ الثورة . وهذا يعني انه هناك شعور في سلطانهم خاصة اذا ما ثارت شعوبهم عليهم طلبا للحرية (٢) .

لذلك رأوا أن الحل هو الصدام العسكري المواجه لفرنسا ، فانتشار أفكار هذه الثورة في أوروبا . وكان علي رأس هؤلاء رؤساء فرنسا و وفاة الامبراطور ليوبولد وارتقاء ابنه فرنسيس عرش النمسا اللذان كانا من أوائل حذرا وميلا للمسألة من والده فشجعوه علي إعلان الحرب على فرنسا (٣) .

(١) عبدالمجيد معني : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٣١٩ .

(٢) عبدالعزيز نوار وأخرون : التاريخ المعاصر ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) أمال السبكي : أوروبا في القرن التاسع عشر ، ( الطبعة الأولى ) ، دار الريفاة للطباعة والنشر ، ص ٩٥ .

(٤) أمال السبكي : المرجع السابق ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٥) عبدالعزيز نوار وأخرون : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

وقد انتهت تلك الحرب بانتصار الحلفاء على فرنسا ، رغم محاولة نابليون وأنصاره كبح جموح الجيوش المتحالفة الأوروبية ، وذلك للقضاء على نظام الملكية وانتصارا لمبادئ الثورة الفرنسية التي تدعو الى ( الحرية والعدالة والمساواة )<sup>(١)</sup> .

وأمام هذا الخوف من تجدد الثورة وللحد من اتساعها بادرت الدول الكبرى الى اتخاذ بعض الترتيبات الكفيلة لتحقيق تحالف ضد هذه الثورة<sup>(٢)</sup> بين ملوك روسيا والنمسا وبروسيا . ودعوا ملوكا آخرين للانضمام اليهم ظنا منهم أنهم يوم هزموا نابليون قد هزموا الثورة . وأرجعوا الساعة أدراجها وأعادوا الملكية العظمى للأبد<sup>(٣)</sup> ، وغفلوا عن أن نابليون قام بادخال المبادئ الأساسية للثورة الفرنسية في كل بلد ضم الى الامبراطورية الفرنسية . وقد أوجد في كل مكان تقريبا أنصارا ومؤيدين لاصلاحياته الدستورية من أبناء الطبقات الثائرة . وقد أعطى كل بلد من هذه البلدان مع الدستور الجديد القانون المدني الذي أفرزته الثورة الفرنسية ( القانون الفرنسي )<sup>(٤)</sup> .

هذا الحلف رسم بتوجيه من البارونة فون كرودنر التي كانت المدبرة المدنية للامبراطور الروسي . وتنص وثيقة هذا الحلف على الزام المشتركين فيه " بأن يضعوا أنفسهم ورعاياهم وجيوشهم في مكان الوالد من العائلة " وأنهم اذ يعد

(١) عبدالعزير بواز واخرون : التاريخ المعاصر . ص ٥١ .  
 . ل. ح. شبيبي : تاريخ العلم العربي . ترجمة محمد الدين حسني ناصف . ( القاهرة : الدار البيضاء العربية ) ص ٣١٠ .

(٢) عبدالحيد معني . أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة . ص ٣٢٥ .

(٣) هـ . ح . ولتر : معالم تاريخ الاسيانية . ج ٤ . ص ١٢٦٠ .

(٤) عبدالعزير بواز واخرون : المرجع السابق . ص ١٣٦-١٣٧ .

عبدالحيد معني : المرجع السابق . ص ٣٢٠-٣٢١ .

أحدهم الآخر مواطننا له " يشد أحدهم أزر الآخر ، ويجمعون الدين المسيحي ،  
ويحثون رعاياهم على تقوية أنفسهم وتدريبها على القيام بالواجبات المسيحية ،  
حيث ينص أحد بنود الحلف بأن المسيح هو الملك الحق لكل الشعوب المسيحية  
وأن الملوك المتربعين على دولهم بمثابة المحافظين باسم الملك المسيح ويحكمون باسم  
هذا الملك<sup>(١)</sup> .

وقد وقع على هذا الحلف كل من بروسيا وروسيا والنمسا في سنة  
١٢٣١هـ/١٨١٥م ، وانضمت اليهم فرنسا فيما بعد<sup>(٢)</sup> محاولة القضاء في أوروبا  
الأوربي بعد اقالة نابليون واعادة الملكية في حكمها ، أو بالأصح عودة ملكها  
بوربون .

وعلى الرغم من الصبغة الدينية لهذا التحالف إلا أنه في الواقع كان  
رغبة ملوك أوروبا في القضاء على كل محاولة للخروج عن طاعتهم أو خروجه  
ثورية في أوروبا والعالم على شاكلة الثورة الفرنسية ، والواقع أن الثورة  
فكرة خيالية تعارض الأمانى الشعبية الأوروبية المساندة في تلك الأوقات  
هذا التحالف معارضة من الإنجليز لعدم التوقيع على هذا الحلف إلا أن  
غامضة للجميع وغير عملية ، خاصة وأن المبادرة لهذا الحلف كانت  
المعروفة بمطامعها الواسعة في أوروبا مما جعل الشكوك تساور دول أوروبا  
ومقصد هذا التحالف .

إضافة إلى ذلك فإن ملك بولنده ( بولونيا ) هو الآخر لم يوافق على  
له ملك في بولنده ، لأن الاسكندر الروسي قام وأخفى بولنده في  
حلفهم مخالفة قانونية بين الدول عرف باتحاد أوروبا ثم جعلت

(١) هـ.ج. ولز: معارف تاريخ الاسانية . ج ٤ . ص ١٢٦٠-١٢٦١ .

(٢) عبدالحيد نعمي : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة . ص ٣٢٥-٣٢٦ .

فيما بعد<sup>(١)</sup> . وسرى دول هذا الاتحاد الأوربي ينقض على الدولة العثمانية يدا واحدة في ثورة اليونان لوقف الحرب التي انتصرت فيها الدولة ثم للسعي في استقلال اليونان وخلصه من الدولة العثمانية مخالفين بهذا المواد التي تضمنها تحالفهم .

فالدولة العثمانية كانت كلما فتحت اقليما أوربيا اكتفت للأسف الشديد من أهلها بـ الخراج أو الجزية غير متدخلة في دينهم أو لغتهم أو عاداتهم الاجتماعية<sup>(٢)</sup> لتطبيق الدولة الشريعة الاسلامية مع أهل الذمة .

وفذا حين سححت أول فرصة لهذه الدول طالبت باستقلالها<sup>(٣)</sup> . فالصورة التي عاينتها الحملة الفرنسية في مصر ثم تركتها انعكس صداها وامتد أثرها في أجزاء متفرقة من الدولة وفي العاصمة لأن نابليون أرسل وهو في مصر رسالة الى علي باشا واني يابى ببلاد الأرناؤوط يخرضه فيها على التمرد والعصيان فورا في صراع مع السلطان . الا أن السلطان سليم الثالث اكتشف في عام ١١١٦ هـ ١٧٨٩ م أن السفير الفرنسي المقيم في اسطنبول والفرنسيين فيها يرسلون رسائلهم الى الروملي والمورة وجزر الأرخيل للحث على ثورة هذه البلدان ضد الدولة العثمانية<sup>(٤)</sup> .

وقامت الثورة الفرنسية بدعوى الحرية والمساواة والاخاء انتشرت هجاء في جميع أنحاء أوربا التي وطنها نابليون بجيوشه كما أسلفنا بل تعدت حتى

(١) هـ ج. ووتر . معلة تاريخ الاسانية . ج ٤ . ص ١٢٦١ .

(٢) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤١١ .

(٣) محمد فريد بك . مصدر السابق . ص ٤١١ .

(٤) محمد عبداللطيف الحراوي . حركة الاصلاح العثماني . ص ٧٠ .

وصلت آثارها وأفكارها الى بلاد اليونان فوجدت ألباب سكانها مغرسة فتمت فيه تحت ظل زعمائها في اليونان (١) فأهاجت أوروبا الأهالي في تلك البلاد ضد الدولة العثمانية وافتتن شبابها بمبادئ الثورة الجديدة وخاصة ممن درسوا في أوروبا (٢) .

فبلاد اليونان جبلية وأرضها وعرة المسالك اشتهر أهلها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بحب العصيان والميل الى شق عصا الطاعة ، ولما أراد أهلها الخروج على طاعة الدولة متأثرين بالثورة الفرنسية اجتمع زعماءهم ووجدوا رأيهم (٣) فألفوا جماعة جمعيات لنشر العلم والمعرفة بين أفراد الأمة ، وبحث الوطنية ، وشكلوا جمعيات أخرى سياسية متخصصة وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا ، وأهمها :  
الجمعيات الجمعية السرية المسماة ( هيتيري ) (٤) تشكلت بتحريض من القنصل الأول قيصر روسيا حتى يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الأكبر ليدخل القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية (٥) ، وأعظم أهداف الهيتيري المستعرة روح الفساد والفتنة لتنفيذ المقاصد السياسية ، وكان من أبرز أعضائها

- 
- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ .  
(٢) علي حمون : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ .  
(٣) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .  
(٤) هيتيري : كلمة يونانية معناها ( أخويه ) أطلقت على جمعيتين أسست احدهما في مدينة سالونيك والنمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان . والثانية لتقصد روسيا في استخلاص بلاد اليونان من الدولة العثمانية وبقيت سرية الى سنة ١٨٧١ .  
(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤١١ ، حاشية رقم (١) .  
محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤١١ .



الكثيرون من كبار اليونان والقساوسة في بلاد روسيا<sup>(١)</sup> .  
وهنا يتضح دور الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا ونفوذها في اليونان مما  
يوضح دور الغزو الفكري لنشر هذه الأفكار واثارة اليونان ضد الدولة العثمانية ،  
كما نلمس محاولة بث الروح الصليبية لتعود مرة أخرى في هذه الثورة ، لأن  
الكنيسة ظلت تقف خلفها كما ظهر من أعضاء هذه الجمعية .

فانتشرت جمعية الهيترى بين اليونان في اقليم المورة حتى بلغ عدد أعضائها  
عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م عشرين ألفا وجميعهم من الشباب القادرين على حمل  
السلاح متأهبين للثورة عند أول شرارة تبدو لهم ، وهذه الشرارة ساعد على  
اشتعالها عصيان علي باشا والي يانيا الذي شق عصا الطاعة وكان ينوى الاستقلال  
ببلادها<sup>(٢)</sup> . فاعتبرت ثورة علي باشا هي مطلع الثورة اليونانية<sup>(٣)</sup> .

لهذا انتهر الثوار اليونانيون هذه الفتنة ، وأشهروا عصيانهم على الدولة  
العثمانية ، فأخرجوا الجنود العثمانيين من حصونهم ، وحلوا محلهم ، وأقاموا نظاما  
يونانيا حاكما حل محل الحكومة العثمانية ، إلا أن السلطان محمود الثاني سير جيشا  
بقيادة خورشيد باشا الى علي باشا فاستطاع هذا الجيش قمع تلك الثورة وقتل والي  
يانيا في سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م ومن ثم واصل سيره لقمع ثورة اليونان بأمر من  
السلطان واخضاعها للدولة ، لكن اليونانيين استطاعوا هزيمة خورشيد في سنة  
١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م فمات هذا القائد كمدا من هذه الهزيمة<sup>(٤)</sup> .

ولما كانت النمسا تميل الى مساندة السلطان محمود الثاني ضد أي تدخل  
روسي لمعاونة الثوار فقد أشارت عليه بأن يستعين بواليه في مصر محمد علي ،

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٦٦٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤١٢ .

(٣) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني . ص ٧٠ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٤١٢ .

والحقيقة لم تكن النمسا صادقة في موقفها ولكنها أرادت أن تقف في وجه روسيا  
 لتمنعها من التدخل في شئون البلقان<sup>(١)</sup>. لذلك رأى السلطان محمود الثاني أن  
 يحول هذه المهمة فعلا الى واليه في مصر، ليشغله أيضا عما كان يظن أن ينويه وهو  
 طلب الاستقلال ببلاده، فأصدر السلطان مرسوما في سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م  
 بتعيين محمد علي واليا على جزيرة كريت وإقليم المورة وهما بؤرتا هذه الثورة<sup>(٢)</sup>.  
 وفي الحال أصدر محمد علي أوامره هو الآخر باستعداد الجيش المسافر لهذه  
 المهمة، وعين ابراهيم باشا قائدا لهذه الحملة التي أبحرت من الاسكندرية على سفن  
 مصرية تكتنفها سفن حربية أيضا من الاسطول البحري الذي أنشأه محمد علي  
 فسارت السفن حتى وصلت جزيرة رودوس للاجتماع بالبحرية العثمانية  
 انطلق ابراهيم باشا الى جزيرة كريت فاحتلها، وتكهن من انزال جيشه في  
 مودرن بالموره بعد مقاومة شديدة من أهله، وكان الرأي في أوروبا  
 مساعدة أوروبا لليونانيين عن طريق المال والرجال لما أمكنهم معاهدة  
 العثماني<sup>(٣)</sup>.

وقد قاتل اليونانيون من قبل قتال المستعربين سنة ١٨٢٤م في جزيرة  
 حكومات أوروبا تنظر اليهم متفرجة، فاحتج الرأي العام على غلام الثورة الذي

(١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ( القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٦م ) ، ص ١٤١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٢ .  
 محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٤٠-١٤١ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤١٣-٤١٥ .  
 اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٧٩ .

محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٤١ .  
 هـ.ج. ولز : معالم تاريخ الاساييه ، ج ٤ ، ص ١٢٦٦ .

انضم الى الثوار كل من تطوع من مشاهير أوروبا وأميركا ، وعلى رأس هؤلاء  
وشنطون ابن محرر أميركا ، واللورد بيرن الشاعر الانكليزي ، وغيرهما من الذين  
وقفوا حياتهم للدفاع عن مبادئ الحرية<sup>(١)</sup> ، ولبت أفكار الثورة الفرنسية في  
الأقطار الأوروبية التابعة للدولة العثمانية وفي كل مكان . حتى العناصر المعادية  
لثوار اليونانيين في بعض الدول الأوروبية أظهرت تعاطفا مع الثورة اليونانية لأن  
اليونان يقاتلون المسلمين وقتال المسلمين يتفق مع الروح الصليبية المعادية  
للاسلام<sup>(٢)</sup> .

وكانت قوات ابراهيم باشا قد اكتسحت العديد من المواقع الحربية في  
اليونان . عندما استولت على مودرن وميسولوجي وأثينا وأصبحت المورة بأكملها  
تحت السيطرة العثمانية بفضل من الله وتوفيقه<sup>(٣)</sup> .

ولما استرد الجنود العثمانيون هذه المدن سكنت الثورة ببلاد اليونان  
لاخضاع معظمها<sup>(٤)</sup> بينما ابراهيم باشا لا يزال مستمرا في فتح ماتبقى من البلاد  
وأثناء ذلك تدخلت الدول الأوروبية بين الدولة العثمانية واليونان بحجة وقف القتال  
وحماية اليونانيين في الظاهر ، أما الوجه الآخر فهو فتح المسألة الشرقية وتقسيم  
ممتلكات الدولة الاسلامية بينهم سرا<sup>(٥)</sup> . ففي سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م رأت  
أوروبا أن تمكن اليونانيين من استقلالهم فاتحدت روسيا وانجلترا وفرنسا على التدخل  
السريع لمناصرة بني دينهم حسب الحلف ، أو الاتحاد الأوربي سالف

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤١٤-٤١٥ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٦٧٩ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . ص ١٤٥ .

(٤) اعمال السبكي : أوروبا في القرن التاسع عشر . ص ٢٠٠ .

(٥) اسماعيل سرهك : المرجع السابق . ص ٦٧٩ .

(٥) محمد فريد بك : المرجع السابق . ص ٤١٦ .

الذكر ، وعقدوا لأجل ذلك مؤتمرا بمدينة لندن في سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م قرروا فيه بالاجماع إلزام الباب العالي قبول استقلال اليونان استقلالاً ادارياً بشرط أن يدفع اليونان للباب العالي مبلغاً يتفق على مقداره فيما بعد كما يتفق على حمود البلدين .

وبعد أن صادق عليه المجتمعون قاموا بإبلاغه الى الباب العالي وأعطوه مهلة شهر من تاريخه ليتمكن من وقف أعماله العسكرية برا وبحرا<sup>(١)</sup> . فبادرت الدولة بالرد ، بأنها لاتقبل هذا التدخل اطلاقاً ، من قبل روسيا وفرنسا وبريطانيا ، واعتبرت هذا العمل تدخلاً سافراً في شئونها الخاصة

فاغتازت الدول من الدولة العثمانية واتفقت فيما بينها على التماس اليونان

بمنح بلاد اليونان استقلالها الاداري بموجب المعاهدة . ولكنهم انظروا الى

المهلة المعطاة للدولة العثمانية ، عندئذ اصدرت هذه الدول الثلاث المراسلات

الى أساطيلها بالتوجه الى سواحل اليونان لمواجهة الموقف . عندئذ بدأ

الكف عن مواصلة حربه ضد اليونان واجتمعت سفن الحلفاء في

نافارينو لمنع الأسطول التركي المصري<sup>(٢)</sup> . ومالبثت مدة الأسطول

الأسطول التركي في عمل مشترك في معركة نافارينو سنة ١٨٢٧م

وهكذا انتهت المعركة وانسحبت قوات محمد علي من نافارينو

اعتذرت اليه انكلترا عن خطأ قصف الأسطول ، ووعده ان ينسحب الى

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

عن مساعدة الدولة العثمانية بالاعتراف له مستقبلاً باستقلال

محمد علي العذر الواهي كما قبل وعود الاعتراف له باستقلال مصر<sup>(١)</sup> .  
فعدت الدول الثلاث في سنة ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م مؤتمرا للنظر في مسألة  
استقلال اليونان وتعيين حدوده حين رفضت الدولة العثمانية ذلك، فأرسلوا الى  
الباب العالي دعوة لحضور هذا المؤتمر فرفض حضوره محتفظا بأرائه ومحتجا  
لانعقاده<sup>(٢)</sup> .

وصدر قرار الدول الثلاث في لندن سنة ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م بوضع  
استقلال بلاد اليونان تحت حمايتها ، وأن ينصب عليها أمير مسيحي تنتخبه الدول  
الثلاث ، ويعرض المسلمون عما فقدوه من أملاك ، وأن تدفع هذه الامارة اليونانية  
الباب العالي جزية مقدارها خمسمائة ألف فرنك ، وهذا القرار لم يرض الجانبين ،  
وبذلك عاد الحرب بين الجنود العثمانية الباقية في بلاد اليونان ، ولم يحسم هذه  
الحروب الا انتصار روسيا على الدولة العثمانية وتدخل الدول الأوروبية وعقد  
معاهدة ادرنة<sup>(٣)</sup> كما سيأتي الحديث عنها في فقرة تالية .

وهكذا تمكنت الحروب الفرنسية من تحضير الشعوب البلقانية لمرحلة  
التمرد والمصيان<sup>(٤)</sup> ، حين شغلت ثورة اليونان الدول الأوروبية جميعا نظرا لموقعها  
الهام ، فأوجدت توترا بين الدول الكبرى والدولة العثمانية ، كاد أن يكون سببا في  
نشوب حرب كبرى<sup>(٥)</sup> تقودها الأطماع في أملاك الدولة .

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٦٨٢ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤٩ .

(٢) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ص ٦٨٢ .

(٣) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨٢ .

(٤) علي حسون : العثمانيون والبلقان ( الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٦ هـ )

١٧٨ ص

(٥) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

ولم تكن في الواقع ثورة اليونان الا مقدمة للثورات التي نشبت في كل أنحاء أوروبا سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ، وكنتيجة حتمية للسياسة التي سارت عليها النمسا وروسيا وبروسيا بزعامة ميترنج وزير خارجية النمسا في الفترة من (١٢٣١-١٢٤٦هـ/١٨١٥-١٨٣٠م) وهي باسم العودة الى النظم القديمة التي سادت في أوروبا سياسيا قبل حرب نابليون كما مر بنا (١) .

ولكن في سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م وهو العام الذي برزت فيه الحركة الدستورية والقومية بشكل قوى اذ طرأت على أوضاع الدول خلال هذه الفترة تغييرات أصبحت واضحة وحتمية ، ولقد أدى ذلك الى حدوث تغييرات جذرية ضد الأوضاع القديمة عن طريق الثورة لرغبة كل شعب في أن يحكم نفسه بنفسه بواسطة أحكام دستورية مقيدة (٢) .

ومهما يكن فقد حدثت في أوروبا سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م ثورة دستورية للحصول على الأنظمة الدستورية ووضع حد لاستبداد الملك . هذه الثورة من باريس أيضا في سنة ١٨٤٨م باستقاط حكرمة لويس الثامن عشر فرنسا وظهور الجمهورية الثانية .

عند ذلك تسربت هذه الأفكار او صدى هذه الثورة الى جميع أنحاء أوروبا

- 
- (١) محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٧٢-٧٣ .
- (٢) عيداغيد معني : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، ص ٣٢٦ .
- موريس دوفرليه : دساتير فرنسا : ترجمة أحمد حبيب عيسى ، القاهرة : مطبعة دار المعارف ، المطبعة النموذجية ، الخمية الجديدة ، ص ٧٨ .
- (٣) انتخب كما مر بنا ملكا على فرنسا بعد عزل شارل العشر الدون ملكا سنة ١٨٢٤م وبقي ملكا حتى أجبره الثوار سنة ١٨٤٨هـ الى التنازل عن العرش لفرنسوا سنة ١٨٥٠م .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ٤٨٩ ، حاشية رقم (١) .

الى برلين وفيينا وبراغ وغيرها من العواصم الأوروبية الأخرى طلبا للحرية (١) .  
وكان من نتائج هذه الحركة الدستورية في سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م والتي  
عمت جميع أوروبا قد تسربت أفكارها الغربية الى الممالك الأوروبية التابعة للدولة  
العثمانية فتاقت ( الأفلاق والبغدان ) الى الاستقلال والانضمام الى ترانسلفانيا  
لتكوين دولة رومانية جديدة ، فثار الأهالي على أميري الولايتين المذكورتين  
فضطروهما الى الفرار ، فأقاموا حكومة مؤقتة ، حينئذ قامت الدولة العثمانية  
بإرسال جيوشها تحت قيادة القائد الشهير عمر باشا فأعاد الأمور الى ماكانت عليه .  
إلا أن روسيا أرسلت جيشاً الى بلاد البغدان لطرد الحكومة المؤقتة فاحتلت  
الأفلاق في سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م مما أدى الى معارضة الدولة العثمانية ضد هذا  
الاحتلال حتى أصبحت الحرب وشيكة بين الطرفين ، لولا حدوث المحادثات التي  
انتهت باتفاق الدولتين على احتفاظ السلطان العثماني بحق تعيين الأمراء بالولايتين  
كما كان ، وأن تبقى البلاد تحت حكم مشترك عثماني روسي لمدة سبع سنوات  
حتى يستتب الأمن في البلاد . وقد سمي هذا الاتفاق باتفاق ( بلطة ليمان ) (٢) ،  
نسبة الى المكان الذي تم فيه الاتفاق والتوقيع عليه (٣) . وهكذا استطاعت الثورة  
الفرنسية أن تخرق الحواجز السياسية والدينية لمجتمعات أوروبا الغربية ، وتعمل على  
تغيير النظم القديمة في أوروبا " فالأمة الفرنسية ستجود بالآخاء وبالمساعدة على

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

، اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩٢ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٢ .

(٢) هي فرعية صغيرة على بوغاز اليوسفور ( مصيق اسطنبول الحثي ) من صواحي اسطنبول الان .

— اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٦٩٢ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

، اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٦٩٢ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

جميع الشعوب التي تتحسس عميقا الرغبة في استرجاع حريتها المهيضة<sup>(١)</sup> وكان من الطبيعي أن تخرج هذه الأفكار عبر الحدود والمحيطات<sup>(٢)</sup> ، ومع توسعات نابليون في أوروبا انتشرت التقاليد الفرنسية ، وقامت في اسطنبول جمعيات تعلم أفرادها في باريس ، وكانوا يضعون شارة مثلثة الألوان على العمامة ، ويتغنون بأغاني الحرية التي انبثت في عصر الثورة ، وان أهم العوامل التي شجعت اليونانيين على فكرة الاستقلال هي المعاني العلمانية التي نشرتها الثورة الفرنسية<sup>(٣)</sup> ، ومن أتى على شاكلتهم فيما بعد طلبا لاستقلال بلاده سواء ضد النظم القديمة الأوربية أو الانفصال عن الدولة العثمانية بالتحريض والتدخل من الدول الأوربية والروسية .

إذا فكل هذه الأحداث السابقة سواء أكانت قومية أم خلافاً جذريا لم تلحق بها إنما هو صدى للثورة الفرنسية ، فالمحرك الأول والأخير هو الثورة الفرنسية مبادئ الثورة الفرنسية التي تدعو للعلمانية بموجب قوانين مقيدة وشرعية مستمدة منها حتى الدولة العثمانية التي تسربت إليها هذه الأفكار

ويعزو المؤرخ عمر عبدالعزيز عمر نجاح الأفكار الفرنسية في الدولة العثمانية على الدولة العثمانية إلى القوة المادية للغرب وإقامة اقتصاد أوربي في الدولة عسكري وسياسي يفوق كثيرا ما كان لدى العثمانيين أو أية أمة إسلامية في عصر الدولة الثاني . ويبدو أن أفكار الثورة الفرنسية في عالم الإسلام لم تكن العثمانية كان يرجع الى أنها كانت أول ثورة اجتماعية في أوروبا تدعو إلى العلمانية ولا تتأثر بالعقيدة المسيحية<sup>(٤)</sup> .

ولم تستن الدولة العثمانية نفسها أو الولايات الخاضعة لها

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٥٨ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٧٢-٧٣ .

(٣) عمر عبدالعزيز : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .



لهذه الثورة اذ كانت التأثيرات الفرنسية في الدولة العثمانية عسكرية ودبلوماسية أكثر منها فكرية . إلا أن هذه المؤثرات قد فتحت قنوات تسرب منها الفكر والتنمية الأوروبية لأول مرة الى عالم الاسلام عن طريق المدرسين والخبراء الفرنسيين . حيث وجد العثمانيون انه من الضروري تعلم اللغات ، وهكذا أخذ العثمانيون ينقبون في الآداب الغربية ، فأخذت بهذه الطريقة الأفكار الغربية وأفكار الثورة الفرنسية تتغلب على حواجز الرفض الإسلامي لكل ما هو مسيحي ، وسار تقدم الدولة الحديثة في هذا المجرى المضاد للإسلام في أمور كثيرة .

والواقع أن هذا التأثير قد أصاب المجتمع العثماني بكل طبقاته ولنن كان التأثير في أول الأمر ضعيفا إلا أنه أصاب الفئات المسيحية التي كانت تعيش تحت مظلة الدولة العثمانية .

وقد زادت هذه الأفكار الغربية خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي حيث استطاعت أن تؤثر في بنية المجتمع العثماني وأن تصيب جميع فئاته بدرجات متفاوتة بكلمات ثلاث براقية ( حرية - اخاء - مساواة )<sup>(١)</sup> كانت تمهيدا للحركة الدستورية والحرب القرم وصدور الخط الهمايوني في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م كما سيأتي الحديث عنه في بابه .

---

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي . ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

## د - أطماع الدول الأوروبية في ممتلكات الدولة الإسلامية :

كانت الدولة العثمانية بحكم موقعها الجغرافي همزة الوصل بين آسيا وأوروبا والمكان الذي التصقت فيه القارتان وتقابلت فيه الديانتان وجها لوجه في العصر الحديث<sup>(١)</sup>.

فعندما استطاع الأتراك العثمانيون منذ سقوط القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣ م أن يندفعوا في فتوحاتهم الإسلامية نحو البلقان ، وظلوا مسيطرين على معظم بلاده حتى القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي ، حيث دب الفساد والخلل في الدولة العثمانية .

إلا أن السياسيين درجوا على تسمية البلقان " برميل البارود " لأن بلاده كانت مثارا للحرب منذ القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي . فقد كان يسكنه شعوب مختلفة الأجناس والعادات والتقاليد.

الشعور والأهواء والميول ، وقد تقاسم النفوذ في تلك المنطقة دول أوروبا الغربية والإمبراطورية النمساوية والدولة العثمانية كما مر بنا في الفصل السابق . كانت الفرصة سانحة لكل من روسيا والنمسا أن تحققا أطماعهما في البلقان مع العلم بأن الدولة العثمانية شهدت فترة انتعاش ، بعد أن قضت على

في سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م في معركة لبانتو ( Lepanto ) حين استطاعت البحرية العثمانية البنادقة وحلفائهم بقيادة دون جوان النمسوي من إلحاق هزيمة ساحقة به في معركة السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني ، وهذا الانتعاش ظهر عندما

(١) محمد عبداللطيف البحراني : حركة الإصلاح العثماني ( الطبعة الأولى : بيروت ، ١٩٧٤م ) ، ص ٢٦ .

(٢) عبدالحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، النهضة العربية ، ١٩٧٤م ، ص ٤٧ .

الأسرة الألبانية كوبرولو منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي والتي استحوذت على أعلى مناصب الدولة . غير أن هذا الانتعاش النسبي لم يحل دون تدهور الدولة أو انعكاسها في حروبها الخارجية مرة أخرى . فكان فشلها الذريع في محاولة استيلائها على فينا في سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٣ م . في حين استمرت النمسا تلحق بالدولة الهزائم المتتالية حتى انتهت هذه الحروب بين الدولتين بمعاهدة كاروفتز في سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م والتي بمقتضاها أجبرت الدولة العثمانية على التنازل عن ترانسلفانيا وغالبية أراضي المجر وأجزاء كبيرة من سلافونيا وكرواتيا وأن ترد أجزاء من أوكرانيا إلى بولندا<sup>(١)</sup> .

هذا تعدد معاهدة كارلوفتز أول محاولة لتقطيع وحدة الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> . لهذا العمل الذي بدأ في كارلوفتز قد عملت معظم الدول الأوروبية على استكمالها في غالبية المعاهدات التي فرضتها على الدولة العثمانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافقين للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . ومن أبرز هذه المعاهدات التي تلت كارلوفتز على سبيل المثال لا الحصر معاهدة بيسروفتز ( Passarowitz ) سنة ١١٣١هـ/١٧١٨ م . ومعاهدة كتشك كينارجي ( Kuchukaynard ) سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م ثم تلاها فيما بعد معاهدة أدرنة ومعاهدة سان ستيفانو ومعاهدة برلين التي تم فيها تقسيم أملاك الدولة العثمانية وذلك في سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م كما سيأتي .

(١) محمد أنيس . الدولة العثمانية والشرق العربي ( القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٥م ) ص ١٦٨

(٢) يعبر ارتداد الجيش العثماني من أسوار فينا للمرة الثانية تاريخاً لبداية انحلال الدولة العثمانية . وقد سبق للدولة أن ارتدت عن أسوار فينا في سنة ١٥٢٩م . وكان ذلك في عهد السلطان سليمان الأول ( القانوني ) ونحت قيادته

- عبدالعزير الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . ج ٢ . ص ١٠٥٩ . حاشية

رقم (١)

وقد تسابقت روسيا والنمسا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا فيما بعد على السير على النهج والعمل المعدين لتدمير وحدة الدولة العثمانية فكان على الدولة العثمانية أن تواجه أطماع هذه الدول وتقوم بعد تلك المحاولات العدائية (١) وإذا كانت معاهدة كارلوفتز قد أنهت الصراع التقليدي النمساوي العثماني فإن صراع الدولة العثمانية مع دولة حديثة وهي روسيا أصبح أمرا واقعا فلقد نمت روسيا في دوقية موسكو في أواخر القرن التاسع الهجري الموافق لأواخر القرن الخامس عشر الميلادي حتى أصبحت دولة فتية صغيرة ، وبدأ الاحتكاك بين الدولتين الدولة العثمانية والدولة الروسية الحديثة على امتداد الشواطئ غير أن الوقت تغير بوصول بطرس الأكبر الى عرش روسيا ، وكانت سياسة هذا الملك واضحة تنحصر في فتح آفاق جديدة في بحر البلطيق وفي البحر الأسود (٢) فقد رسم سياسة روسيا التي سارت على نهجها كاترين الثانية في الأول نحو الدولة العثمانية ، حيث أخذت كاترين الثانية تتطلع الى الوصول الى القسطنطينية ولهذا الهدف أوقفت جهودها وقد ذهبت الى الأكرس في أعدت حفيدها قسطنطين لاعتلاء عرش بيزنطة في مقابلة الامبراطور الذي ملك النمسا في كرسون ( Kherson ) فأقيم احتفال بهذه المناسبة في كرسون من تحت قوس كتب عليه " هذا الطريق الى بيزنطيم " وفي سنة ١٧٦١ من أملاك الدولة العثمانية في أوروبا بحيث يتكون من موريسيا وتيساليا وبيسابيا والقسطنطينية امبراطورية يونانية .

أما كيف الوصول الى الهدف فقد اتبعت كاترين سياسة جديدة باليكافيلية المسكوفية وهي اثاره الحروب الأهلية والاضطرابات في الاملاك العثمانية

(١) عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية متخري عليها ، ص ١٠٥٨-١٠٥٩

(٢) محمد أيس : الدولة العثمانية والشرق الأدنى ، ص ١٦٨

وخلق فرص للتدخل ، ثم مقاومة أي حركة اصلاحية عثمانية قد تؤدي الى القضاء على هدفها ، أو الابطاء به ، ولذلك كان الاشتباك بين الدولتين يكاد يكون متصلا في القرن الثاني عشر الهجري ومطلع القرن الذي يليه الميلاديين ، وكان القصد من ذلك هو نشر الخلل الاداري وابعاد البلاد بقدر الامكان عن الاصلاح الممكن (١) حتى لاتستعيد الدولة سابق قوتها .

وكانت النتيجة أن اتجهت مطامع هذه الدول نحوها ، فلم تملك الدولة العثمانية سوى الوقوف أمام هذه المطامع موقف الدفاع ، بعد أن كانت في السابق في موقف الهجوم ، لذلك بدأت الدول الأوروبية في تقدم مستمر ودائب ، والضعف والانهلال صار ينخر في جسم الدولة ، فتكالت دول الاستعمار لالتهام الدولة العثمانية الضعيفة، ولكن هذه الدول الأوروبية وروسيا أثناء سباقها لالتهام الدولة العثمانية كانت تجد نفسها وجها لوجه في كثير من الأحيان ، وقد تساعد احدي هذه الدول الدولة العثمانية وتعقد معها المعاهدات لا لتأمين سلامتها بل خشية وقوعها في أحضان المنافسين دون أن تأخذ حصة مناسبة ، وهذا هو ماسمي في التاريخ " بالمسألة الشرقية " (٢) .

والحقيقة أن المسألة الشرقية لها معنيان : الأول : عصر قوة الدولة وخوف أوروبا من تقدم العثمانيين في أوروبا ، أما المعنى الثاني : فهو العصر الأخير للدولة والخوف من سقوطها ونشأة صراع أوربي حول تقسيم ممتلكاتها .

يؤكد ذلك التشابك المتقلب الوعر بين مصالح متضاربة ، وشعوب متنافسة وأديان متنازعة نفعها بقناع شفاف ، ونطلق عليها اسم يسير : المسألة الشرقية . غير أن المسألة الشرقية كما يعرفها كل باحث حق المعرفة ، هي وجود

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني . ص ٦١-٦٣ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده . ص ٣٠ .

الأتراك العثمانيين في أوروبا وفتحهم لمدينة القسطنطينية - ذلك الموقع الفريد - وسيطرتهم الاسلامية على شعوب مسيحية " (١) .

غير أن المسألة الشرقية بوجه عام مسألة تناول المصالح المتضاربة أو التنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوروبية والشرق الأدنى ، في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية ، وعلى وجه التحديد في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي .

فقد كتب البرت سورل ( Sorrel ) يقول : " منذ أن ظهر الأتراك في أوروبا نشأت مسألة شرقية في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية دولة قوية ما بين القرن الثامن ، وأواخر القرن الحادي عشر الهجريين أي ما بين القرن الرابع عشر وأواخر السابع عشر الميلاديين ، في هذه الفترة كانت الدولة العثمانية " الرعب الأوربي المعافى السليم الجسم " وكانت دوافع المسألة تعني كراهية الأتراك وبغضهم دينيا وعسكريا ولكن عندما أخذت الدولة تتقهقر أصبحت " المسألة الشرقية تعني بالمشكلات الدولية المترتبة على انحلال الامبراطورية التركية وانشاء الوشيك " .

وعند التحليل لهذه المشكلات في النهاية نجد انها تدور حول سؤالين هما :  
هو : اية دولة أو دول ستكون وارثة هذه الدولة الشاسعة المساحة (١) ؟  
اذا في المرحلة الأولى من مراحل المسألة الشرقية ، كان الأتراك العثمانيين يشكلون تهديدا حقيقيا للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا .

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، بيروت ، دار النهار للنشر : ١٩٧٧م ، ص ٢٢ .

John Morely : The life of Willem Ewart Gold stone , Vol. 1. (1809-1859) , London , p. 476 .

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٢٢ -

المرحلة الثانية فكانت الدول المسيحية خلالها تشكل خطرا على الأتراك العثمانيين  
ينذر بزوالهم من أوروبا .

وفي هذا المقام ينبغي علينا أن لا ننسى أو نتناسى العصر العلماني أو عصر  
الغزو الفكري وهو أن العامل الديني كان من أهم عوامل المسألة الشرقية . فقد  
أدت الأتراك في أوروبا أكبر وأقوى دولة اسلامية تعرف بالدولة العثمانية ، ولذا فان  
المسألة الشرقية كما عرفها ادوارد دريو ( Driault ) هي " مشكلة القضاء على قوة  
الإسلام وسياسته " (١) . وهذا ما قاله الأوربيون أنفسهم ، ليكون حجة على من  
سواءهم ، والحق ما شهد به الأعداء .

ويعزز ذلك الرأي قول فارلي ( Farley ) : " ان السلطان الحاكم في  
تقسيمية هو خليفة المسلمين ، واسطنبول عاصمة للدولة العثمانية ولكنها في  
الوقت نفسه مركز للخلافة الاسلامية ، كما أن روما عاصمة للديانة المسيحية .  
وعلى هذا فان المسألة الشرقية مسألة دينية كذلك " (٢) .

لذلك ارتبطت الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية بأوروبا ارتباطا دينيا  
ومذهبيا بوجه عام ، ففرنسا اعتبرت نفسها حامية للمذهب الكاثوليكي في لبنان لما  
كان للمارونية من مجهود خاص في الحروب الصليبية ، ولهذا فانهم اكتسبوا منذ  
ذلك الحين نوعا من الحماية الفرنسية ، وكانوا يخصصون مكانا في كنائسهم  
للكنصل الفرنسي .

أما روسيا فقد جعلت نفسها حامية للمذهب الأرثوذكسي في ممتلكات  
الدولة العثمانية ، ومن خططها جذب الأرثوذكس نحوها وتحريضهم ضد الدولة  
العثمانية . الا أنها تركت للنمسا الأرثوذكس السلاف في الصرب مقابل مساعدة

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان . ص ٢٣ .

(٢) محمد عبداللطيف البحراري : حركة الاصلاح العثماني . ص ٢٧ .

النمسا لروسيا في اعادة الامبراطورية البيزنطية كما سبق .  
أما إنجلترا فقد كانت المصالح الاقتصادية هي شغلها الشاغل في توجيه  
سياستها لذلك كانت الدولة العثمانية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري الموافق  
لمطلع القرن التاسع عشر الميلادي أمام مصاعب عاتية نتيجة للارتباط المذهبي بين  
جماعات من رعاياها داخل الدولة وبين الدول الأوروبية التي أشرنا إليها (١) .  
ولاشك في أن هذا النشاط الديني كان حجر الأساس في بعث القوميات في  
البلقان الذي مر بمراحل الاثارة ثم النضال ثم التدخل الأوروبي المستمر ثم المرحلة  
الأخيرة وهي الاستقلال (٢) .

يتضح من ذلك تدخل عوامل الغزو الفكري والعسكري في نشأة القوميات  
العثمانية جنبا الى جنب لحماية الأقليات ظاهريا ، أما الوجه الأخر فهو حماية  
الاسلام ، وطرده الدولة العثمانية من أوروبا مع التدرج بوضع الاستقلال  
لهم منذ عهد السلطان سليمان القانوني .

لذلك كان الأوروبيون يؤلمهم بصفة خاصة مخمورج الدول  
اسلامية فهي اذا لم تكن تكره سقوط الدولة العثمانية وانحلالها  
كل دولة من الدول الأوروبية الكبرى تحب أن يناهض شعبيها  
حرصت هذه الدول على توطيد علاقتها المباشرة مع شعبيها  
في داخل كيان الدولة العثمانية ، فاهتزت الدولة لهذا الأمر والعديد من  
يستدعي نظرة شاملة في شئونها الخارجية والداخلية ، وذلك في إطار القرن  
عشر الهجري وما يليه الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي (٣) .

- 
- (١) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٢٧-٢٨ .
  - (٢) محمد عبداللطيف البحراوي : المرجع السابق ، ص ٢٧-٢٨ .
  - (٣) محمد شفيق غربال : العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ماضي غليته اليوه ، ص ٨٢ .
  - (٤) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ٨٥ .



لهذا كانت المسألة الشرنية ايضا ذات تقين هما : الدولة بنظمها في جانب، وثورات مستمرة من شعوب هي رعايا للدولة وهذه الشعوب تحاول التخلص من سيادتها في جانب آخر ، وبين هذين العنصرين عنصر ثالث هو تدخل الدول الأوروبية الكبرى في شئونها. وقد أدى ذلك الى ضعف الدولة ، واختلال النظم فيها ، وخلق ميدان فسيح للصراع والتنافس الأوربي<sup>(١)</sup> من أجل اقتسام أملاك الدولة العثمانية فيما بينها طوال القرن التاسع عشر الميلادي .

لكن الدول الكبرى أصبحت سياستها ترتبط بمصالحها الخاصة مما جعل كل دولة تضحى بكل شئ عدا مصالحها ، فكانت كل دولة تنظر بمنظارها الخاص وتعمل من أجله ، فكانت بعض الدول ترى من مصلحتها التعجيل بتقسيم الدولة وتخطيمها لتحصل على الأجزاء التي ترغب فيها ، بينما البعض الآخر كان يريد المحافظة عليها على أن يكون له النفوذ الراجح ، فنشأ ما سمي باسم سياسة التدخل ، وتقابلها ما أسميت باسم سياسة التكامل<sup>(٢)</sup> .

وتعني سياسة التدخل : العمل على طرد المسلمين العثمانيين من أوروبا أو تحرير الأجناس الأوروبية الخاضعة لهم. أما فكرة التكافل فهي تعني تكافل الدولة العثمانية وتحقيق سيادة السلطان على رعاياه . وتسرى بين الفكرتين روح صليبية فكانت السياسة الأولى ( التدخل ) تعني خلق ثورة بين رعايا السلطان ثم تتدخل الدول الكبرى أثناءها بحجة المحافظة على تكامل الدولة<sup>(٣)</sup> .

فروسيا كانت تطمع في الخروج من سجنها بالقارة الآسيوية ، وانجلترا

- 
- (١) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني . ص ٦١ .  
(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : المرجع السابق . ص ٦٣ .  
. عايش خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام وأثرها في الجزيرة العربية ( رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، لم تنشر . ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ) ص ٤٦ .  
(٣) محمد عبداللطيف البحرأوي : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

كانت تريد إبعاد روسيا عن طريق الهند ، والنمسا كانت ترى في القسطنطينية وسالونيك مركزا هاما لها ، فكان هناك وفاق بين السياسة الروسية والنمساوية ، والعكس بين سياسة إنجلترا وروسيا ، لذلك نرى أن روسيا تشير المشاكل للدولة وبريطانيا تبحث عن الحل لها ، ففي تغاير السياستين الروسية والبريطانية أعطى الدولة فرصة للبقاء أكثر في أوروبا (١) .

إلا أن قيام الثورة الفرنسية كان لها الأثر الواضح في انصراف الدول الأوروبية وفي مقدمتها روسيا والنمسا عن الاعتداء على أراضي الدولة العثمانية (٢) . فانشغال أوروبا بالسيحية بالصراع مع فرنسا والثورة ، كان مفيدا للدولة العثمانية من الناحية السياسية . ففي ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢ م قال أحمد أفندي السكرتير الخاص للسلطان سليم الثالث " ليجعل الله الثورة في فرنسا مفيدة كالثورة كالزهري في أعداء الدولة العثمانية ، ويقذفهم في صراع طويل مع ستمهم في أوروبا بحيث تكون النتيجة بما ينفع الدولة العثمانية " .

لذلك كانت الدولة العثمانية ترى أن توسع الثورة الفرنسية في أوروبا يبعد عنها أطماع النمسا وروسيا في أراضيها . فقد كانت الدولة العثمانية تترقب المفن الى فرنسا من عوانتها ، كما استعانت الدولة لنفسها من فرنسا في الحربين العسكريين والبحريين ، ولم يكن تأخر اعتراف الدولة العثمانية بالجمهورية الفرنسية إلا بسبب التحذيرات والاحتجاجات من جانب النمسا وروسيا (٣) . ولكن هذه الهدنة كانت قصيرة اذ سرعان ما أصبحت الدولة العثمانية أخرى مجال توسع لفرنسا (٤) .

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني . ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي . ص ١٦٩ .

(٣) عمر عبدالعزيز : تاريخ الشرق العربي . ص ٢٦٠ .

(٤) محمد أنيس : المرجع السابق . ص ١٧٠ .

ولقد كانت وجهات نظر الحلفاء صحيحة حينما أشاروا على الدولة العثمانية بأن الثورة الفرنسية تهدد الدولة العثمانية كما تهدد الدول المسيحية . جاء ذلك في التقرير الذي رفعه أحمد عاطف للسلطان بصدد طلب الحلفاء اشتراك الدولة العثمانية في عمل موحد ضد فرنسا<sup>(١)</sup> . فجاءت الأحداث تبرهن صدق هذا القول . عندما اختار نابليون مصر كنقطة انطلاق خارج أوروبا . وقد أقلق هذا العمل بريطانيا بصورة جعلتها تقيم علاقات سياسية ودفاعية دائمة مع الدولة العثمانية لتقف بذلك في وجه الأطماع الفرنسية حتى لا تقرب من حدود الهند والمداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر ، لأن هذين الشريانين المائين هما الطريقان اللذان يؤديان إلى درة التاج البريطاني في الهند<sup>(٢)</sup> .

ومع أن فرنسا اضطرت إلى الجلاء في سنة ١٢١٦هـ / ١٠٨١ م عن مصر إلا أن هذا الجلاء لم يكن في الحقيقة نتيجة انتصار عسكري للدولة العثمانية بل جاء نتيجة للمقاومة الشعبية المصرية وللتدخل الإنجليزي البري والبحري . لكن الحملة الفرنسية نظراً لفشليها فقد فتحت الباب على مصراعيه للتطاحن والتنافس بين فرنسا وبريطانيا حول مصر وغيرها من ممتلكات الدولة العثمانية الأخرى<sup>(٣)</sup> . وقد اتضح من تلك الانطلاقة أن دور فرنسا لم يعد ينحصر في حماية الكاثوليك كما كان سائداً قبل ذلك بل بدأت تفكر في مصالحها السياسية والتجارية لتأخذ طابعاً مميزاً وتشارك مع الدول العظمى كبريطانيا والنمسا وروسيا<sup>(٤)</sup> .

ويؤكد ذلك أنه عندما انسحبت الحملة الفرنسية من مصر أعاد السلطان

(١) عمر عبدالعزير : تاريخ المشرق العربي . ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٢) عديس حرام الروقي : حروب محمد علي في الشام . ص ٤٦ .

(٣) محمد أيس : الدولة العثمانية والمشرق العربي . ص ١٧٠ .

(٤) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان . ص ٣٤ .

لفرنسا امتيازاتها القديمة وعادت السياسة الفرنسية تسعى للحصول على صداقة الدولة العثمانية حتى عاد صوت فرنسا من جديد في اسطنبول (١) .

وفي الوقت الذي حاولت فيه كاترين الثانية امبراطورية روسيا اغراء النمسا للموافقة على اقتسام ولايات الدولة العثمانية أخذت تشير القلائل والاضطرابات حتى تنازل لها السلطان عن شبه جزيرة القرم (٢) . بموجب معاهدة قينارجة سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م وبمقتضاها اكتسبت روسيا حقوقا تجارية وبحرية ، فأصبح من حقها انشاء قنصليات في ممتلكات الدولة العثمانية ، وأصبح لرعاياها حق التجارة في أملاك الدولة العثمانية ، كما فتحت لسفنها حرية الملاحة في اوقيانوس السلم في البحر الأسود عبر المضائق التركية ، ومن أهم المكاسب التي حصلت عليها روسيا نتيجة هذه المعاهدة هو اعطاؤها الحق في إقامة كنيسة ايرتودوكس في اسطنبول ، كما أصبح من حق رعايا روسيا الحج الى الأماكن المسيحية التي كانت ممتلكات الدولة العثمانية ، لهذا فقدت الدولة العثمانية الطرادتها في البحر الأسود ، كما أصبح في امكان روسيا التدخل في شئون الامارات العربية بحجة حماية رعاياها المسيحيين الأرثوذكس ، والواقع انه هذا التدخل الذي اتفق عليه الطريق للتدخل الروسي في شئون الدولة العثمانية فأضحى في امكان روسيا تزحف على الدولة العثمانية خاصة بعد أن أنشأت معاخمتها برابطة البحر المتوسط السلافية للعمل على اثارة المتاعب للدولة العثمانية في البلقان ، كما من بطانة السلطان إلا أن انجلترا قلبت ظهر المجن للدولة العثمانية فحاولت غزو مصر في سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م لكنها تلقت من المقاومة المصرية ضربة قاضية أرغمتها على الانسحاب مهينة الجناح ، وكانت هذه المحاولة في الحقيقة ناديا على الدول الأوروبية

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٦١ .

(٢) عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٧-٤٨ .

الأوروبي ابان الحروب النابوليونية حتى استقرت هذه الحروب بعد معاهدة فينا في سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م<sup>(١)</sup> ، لأن غزو إنجلترا لمصر كان ناتجا من خوفها من الدول الأوروبية وخاصة فرنسا التي تريد عن طريق مصر الوصول الى الهند .

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه نابليون حريصا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية لاعتقاده بأن ذلك فرصة لتوجيه ضربة قوية ضد بريطانيا في الهند<sup>(٢)</sup> حاولت روسيا اقناعه باقتسام أملاك الدولة العثمانية في سنة ١٢٣٣هـ/١٨٠٨م على أن ترضي النمسا بطعم من تلك الغنيمة<sup>(٣)</sup> .

الا أن الدول الأوروبية طيلة القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي كانت تخاف من الشبح الروسي اضافة الى الغموض الذي كان يكتنف سياسة روسيا<sup>(٤)</sup> ، هذا الخوف سيطر على نابليون وحال دون قبول ذلك التقسيم .

أما بريطانيا فعلى الرغم من وجود بعض الفتور في علاقاتها مع الدولة العثمانية خلال الفترة من ( ١٢٢٣ - ١٢٢٤ هـ ) - ( ١٨٠٨ - ١٨٠٩ م ) فانها لم تغفل عن الخليج العربي وطرق الهند ، فقد أرسلت البعث للدولة العثمانية وعقدت معاهدة للوقوف معها يدا واحدة ضد النفوذ الفرنسي والروسي وكان ذلك في سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م . وكان إنجلترا تترجم بذلك الواقع سياستها تجاه الدولة العثمانية مع اعتبارها مع فارس منطقة عازلة للهند البريطانية آنذاك ، لأن وقوع أي جزء من تلك الدولتين وبالذات الدولة العثمانية في أيدي الدول الأوروبية

(١) محمد آيس . الدولة العثمانية والشرق العربي . ص ١٦٩ .

(٢) غايص حرام الروقي . حروب محمد علي في الشام . ص ٤٨ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . ص ١٠٤ .

(٤) عبد الحميد لطريق . التيارات السياسية المعاصرة . ص ١١٨ .

حري به تعريض هذه لمخاطر الأوربي

ولكن بعد توقيع معاهدة فيس في سنة ١٢٣٠هـ - ١٨١٥هـ أصبحت هذه  
المعاهدة حجر الزاوية في سياسة كل من فرنسا وإنجلترا والذي ترتب عليه قيام  
كندية الملك الدولة العثمانية والحفاظ على تكاميل سياسي هذه لغزو من حسب  
راسي من هذه الأجزاء من حركات له خيبة سبغتة من ذلك الدولة العثمانية  
كحركة محمد علي كنه سياسي

والحفاظ على كيان الدولة العثمانية وتأسيس الحكومات أصبح هو حجر  
سياسة الانجليزية منذ مؤتمر فيس سنة ١٢٣٠هـ - ١٨١٥هـ

ثم لاثير عوربة لتسوية فقد نجحت في عودة العثمانيين من سلاطه الشرق  
وكان يرغبت أن يسود نفوذهم السياسي والاقتصادي في الشرق الأوسط  
لتطويع الذي يخرج من حركتي لندن يصب في البحر الأسود فيبين  
مدفد لاثير عوربة لتسوية الاقتصادية لأن بحر لردر أيضا يتدفق من الشرق  
لأرجيل وهو مخرج الذي لاثير عوربة لتسوية

ثم حظ سياسي للعثمانيين فقد كانت تصب سلاطه العثمانية

مثلا ويهتد أن يسود نفوذ خوهم الثمانية لتسوية  
جبل الأسود فهي تعمل على بعد الروس عن الشرق الأوسط

- 
- ١- عيش حرد برولي حرد محمد علي في سنة ١٨١٠هـ
  - ٢- سيدان محمد بعد لردا حربية سياسة محمد علي توسعية
  - ٣- خرنجهمة ١٨١٠هـ - ١٨١٠هـ ص ١٠٠
  - ٤- محمد ليس دولة العثمانية والشرق العربي ص ١٠٠
  - ٥- ندلس شومي بن سمساروسيا في شرق على حرد سلاطه العثمانية
  - حرب معنية الأولى
  - محمد شفيق عرس مباح منشور برووس في عوامل تاريخية في سنة ١٩١٥هـ ص ١٠٠
- بيود ص ٨٣

وقد دخل ذلك التنافس طوره الأخير عندما احتلت النمسا عسكريا المقاطعتين الصربيتين ( البوسنة والهرسك في سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ) ثم ضمتها نهائيا عقب صدور المشروطة الثانية ، اضافة الى ذلك فقد كانت النمسا تميل الى تأييد الدولة العثمانية لأن الدولتين لاتشجعان مبدأ القومية العصبية<sup>(١)</sup> .

وقد تزعم هذه الفكرة مترنيخ وزير خارجية النمسا ، ودعا الى تحطيم أي ثورة تقوّه ضد الحاكم الشرعي او الحكومة الشرعية في أي مكان في اوربا ولو أدى ذلك الأمر الى التدخل العسكري<sup>(٢)</sup> .

كما جعل مبدأ الحقوق الشرعية أساسا لأية تسوية للمشكلات الطارئة<sup>(٣)</sup> وكان من المترويض أن تؤدي سياسة المحافظة على تكامل الدولة الى الحيلولة دون تفكك الدولة العثمانية لولا أن هذا التفكك كان يتخذ طريقه من داخل الدولة نفسها من الحركات الثورية في أملاكها الأوربية . غير أنه من المهم أن نذكر أنه منذ حرب الاستقلال الصربية من سنة ( ١٢٢٠-١٢٢٩هـ ) ( ١٨٠٥-١٨١٤م ) اتخذت بلدان البلقان طريقها الى الاستقلال الواحدة تلو الأخرى<sup>(٤)</sup> .

فكانت ثورة المورة أو استقلال اليونان التي أشرنا اليها في الفقرة السابقة يقال عنها انها النافوس الذي دق للتنبية عن أهمية مناقشة احوال الدولة العثمانية أمام الدول الأوربية<sup>(٥)</sup> المتحالفة ضد الدولة العثمانية والتي أخذتها العزة بالاثم عندما تكاثرت وتدخلت في الحرب الدائرة بين الدولة العثمانية وأتباعها في اليونان وحولت نصر الدولة الى خسارة منغذة في ذلك حلف فينا ( ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م ) .

(١) محمد شفيق عربان . مهج مفصل لدوروس في العوامل التاريخية... ص ٨٣ .

(٢) عبد حميد النطريق : التيارات السياسية المعاصرة . ص ٢٤ .

(٣) عيسى حراء النوفلي . حروب محمد علي في الشام... ص ٤٩ .

(٤) محمد آيس . الدولة العثمانية والشرق العربي . ص ١٧٠ .

(٥) امل المسكي : أوربا في القرن التاسع عشر . ص ٢٠٢ .

لذلك بدأت الدول الأوروبية تثير مناقشة هذه المسألة وتساءلت فيما بينها هل تسرع بتقسيم الدولة ؟ أو تحاول بقدر المستطاع حماية تلك الدولة وعدم تفتيتها ؟

في تلك اللحظة مات كاننج ( Canning ) وزير خارجية بريطانيا في 11 دوق ولنجتون الذي اتبع سياسة مخالفة لسياسة كاننج ، فاعتاد علي حماية الكرتة التي لحقت بالأسطول العثماني في تقارير ، وأظهر رأي بريطانيا في عدم أي تدخل روسي هناك وذلك لئى يمنع أي استغلال هذه الأزمة من قبل روسيا ، وجود الدولة العثمانية ، إلا أن السلطان محمود لم يقم بإصدار أي قرار أبدية الدول لتحطيم أسطوله مثلما اقتنع به محمد علي ، بل انسحب بما تبقى له من الأسطول إلى مصر ، كما أن محمد علي لم يشر معه استعمال القوة المسلحة ليعرض احد الأمرين ، بل العثماني الحقيقية هي قوات محمد علي بالخصاص التي كانت الوقت وقد استطاعت بريطانيا اقناعه بالانسحاب من مصر ، أما السلطان محمود الثاني فقد وافق على إعلان الحرب اليونان ضد روسيا التي أعلنت عليه الحرب في 1827 ولكن لم وصله خبر حادثة تقارير أورسول في الثلاث يقيم الحجة ويشجب هذا العمل المخالف للقانون الدولي ، هذه الدول عدم التدخل في شئون بلاده ، وأن المدعى بالحق

- (١) آدم السكي أور- في القرن التاسع عشر ، ص ٢٠٢
- (٢) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية وبنيتها الخارجية ، ص ١٠٠
- (٣) سليمان محمد الغدو : قراءة جديدة لسياسة محمد علي ، ص ١٠٠
- (٤) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٠٠



لحقت بأسطوله فلم يجبه أحد بل غادروا بلاده . فعهد السلطان الى عمل بيان أو منشور وزعه على جميع الولايات بين فيه مقاصد الدول الثلاث المذكورة وخاصة روسيا نحو الدولة العثمانية الدولة الاسلامية الوحيدة مينا فيه للأمة أن الدافع الحقيقي لهذا العدوان انما هو الدافع الديني لا السياسي . وختم هذا المنشور بحث المسلمين على القتال دفاعا عن الإسلام ودياره . فاغتازت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٢٤٣هـ / ١٢٢٨م<sup>(١)</sup> . محاولة بذلك تحقيق الخطوة التي حاول كاننج طوال السنوات السابقة منعها من تحقيقها وهكذا أعلنت روسيا بمفردها الحرب ضد الدولة العثمانية دون النظر الى سياسة إنجلترا وفرنسا اللتين كانتا في غاية التخوف من التدخل الروسي اذ قد تبطلع روسيا بتدخلها أملاك الدولة العثمانية وهذا يسبب للدولتين العديد من المشاكل ويخل بالتوازن الدولي<sup>(٢)</sup> . فسارت روسيا بجيوشها التي كانت مستعدة ومتأهبة على الحدود . فاجتازت نهر بروت الفاصل بين أملاك الدولتين واحتلت مدينة ( ياش ) عاصمة البغدان ، ثم بعد ذلك اجتازت نهر الطونة . فاخترقت جبال البلقان بعد تغلبها على الجيوش العثمانية ، وأخيرا وصلت الى مدينة أدرنة واحتلتها عنوة . ولم يبق أمامها عائق يوقفها عن التقدم الى اسطنبول الا عدم رغبة الدول في سقوطها في أيدي الروس . بل كان الاتفاق ضمنا حول اضعافها الى حد لا يمكن معه التقدم والارتقاء ، ولتبق عقبة أوحاجزا بين روسيا وبين البحر الأبيض المتوسط<sup>(٣)</sup> الذي ترغب الروس الوصول اليه بشتى الطرق . فأوقفت روسيا الحرب ودارت المحادثات بين الدولتين المتنازعتين بتوسط بروسيا التي أنهت المسألة بالموافقة

(١) اسماعيل سرهك . حقائق الأحيار عن دول البحار . ج ١ . ص ٦٨٢ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٨٢٧-٨٢٨ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . ص ٤٩ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٤٣١-٤٣٣ .

على الصلح ، وعقدت بناء على هذا معاهدة أدرنة سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م<sup>(١)</sup> .  
استغل بولنيك ( Polignac ) وزير خارجية فرنسا هذه الحادثة بتقديم مشروع تحالف فرنسي روسي على تقسيم أملاك الدولة العثمانية تقسيما كاملا لإعادة تخطيط حدود الدول الأوروبية في ضوء هذا التقسيم<sup>(٢)</sup> . ومن الغريب أن روسيا قد خرجت من هذه التجربة بفكرة مغايرة تماما بالنسبة للدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> .  
في هذه اللحظة الحاسمة كون القيصر الروسي نقولا لجنة خاصة لدراسة المشاكل الروسية العثمانية التي نتجت عن الحرب القائمة بين روسيا والدولة العثمانية ، وجاء هذا التقرير من اللجنة المكلفة بهذه الدراسة مخالفا لكل ما كان متعارفا عليه في السياسة الروسية<sup>(٤)</sup> التي تقوم دائما على السياسة التوسعية في الدولة العثمانية وأملاكها وكانت أطماعها تتركز في السيطرة على البر والبحر والدردنيل للخروج الى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط ، وترتبط على ذلك السياسة التوسعية محاولة دائمة لتقسيم أملاك الدولة العثمانية على أسس العرق والدين.

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٣٣ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٥١ .

(٢) فحوى هذا المشروع ان يمتد اليونان حتى القسطنطينية ، ويصبح ملك الأراضي المستعمرة

عليها ، وتأخذ روسيا الافلاق والبقدان وأجزاء من اسيا الصغرى ، وتحصل النمسا على النمسا

والبوسنة ، وتقسم مملكة الأراضي المنخفضة ، فتأخذ بروميا هولندا ، وتأخذ فرنسا

وتحصل بروميا على مملكة ساكس ، وتترك أراضيها على الضفة اليسرى للراين الكبرى

تحت حكم ملك ساكس السابق ، وتحصل بريطانيا على المستعمرات الأوروبية

- محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٥٠ - حاشية رقم (١) .

(٣) أ.ج. جرانت وآخرون : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة بهاء فهمي (القاهرة: الناشر

مؤسسة سجل العرب ، ١٩٨٥م) ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

التقسيم لصالح روسيا أساسا ، وتخليص البلقان من الحكم الاسلامي <sup>(١)</sup> .  
 أجل جاء تقرير اللجنة التي كونها القيصر نقولا مخالفا لكل تلك  
 السياسات او الاتجاهات ، فلقد قررت تلك اللجنة في وضوح وصراحة تامة أن  
 تقسيم أملاك الدولة العثمانية وتخطيمها ليس في صالح روسيا ولا يتمشى مع  
 مصالحها مستقبلا لأن انهيار الدولة العثمانية سينتج عنه مشاكل سياسية معقدة .  
 كما قررت اللجنة أن تقسيم أملاك الدولة العثمانية سيرتب عليه أن  
 تفصل الدول الأوروبية الكبرى على أجزاء من شبه جزيرة البلقان مما يجلب لروسيا  
 جيوشا أجنبية على حدودها الجنوبية بدلا من الدولة العثمانية التي لا تمثل أي خطر  
 على روسيا .

وأن روسيا اعتادت الهجوم على أملاك الدولة العثمانية . أما الدولة فانها  
 وتقر من الزمان لم تهاجم الحدود الروسية وظلت روسيا من سنة  
 ١٧٤٥-١٨٢٩ م ولمدة عشر سنوات عكس سياستها الأولى الرامية الى السيطرة  
 على البلقان والقسطنطينية ، ولقد نالت روسيا في تلك السنوات تأييد مترنيج  
 مستشار النمسا الذي قاد في أوروبا تيارا معاديا لكل الحركات الثورية . ومؤيدا  
 للمحافظة على الحقوق الشرعية للدول وفي مقدمتها الدولة العثمانية <sup>(٢)</sup> . واذا  
 رأت روسيا بنظرتها الثاقبة أن دولا بلقانية صغيرة ستنشأ اذا ما استمر انحلال  
 تركيا ، وأن روسيا لن تتمكن من السيطرة على هذه الدول ، فان اللجنة تشير الى

(١) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٥١ .

، محمد شفيق عربيل ، مباح مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة على ما هي عليه

يورد ، ص ٨٢ .

ج حركات و احرون ، أورد في القريب التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٢) ج حركات و احرون ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ .

، محمد كمال الدسوقي ، المرجع السابق ، ص ١٥١-١٥٢ .

أنه إذا أرادت روسيا السعي لكسب المزيد من الأراضي فإن عليها أن تتجه صوب  
أرمينيا أو بغداد لا إلى القسطنطينية ، فقامت سياسة نيقولا على هذا الأساس طوال  
العشر سنوات على إبقاء الوضع على ما هو عليه للمحافظة على سلامة الدولة  
العثمانية .

وقد أسر نيقولا بأرائه إلى النمسا فنال تأييد مترنيخ ، ولكن كدريادة عديدة  
من شرح سياسته لانكلترا ، فاستمر بالمرستون في مناوأة السياسة الروسية على أن  
تنوى ضم القسطنطينية والاستيلاء على الدردنيل وأعله كذلك برستون بالتحديد  
يؤمن الحقيقة إزاء مالمسه من مظاهر الود بين النمسا وروسيا ولقد أسس نيقولا  
ونعود إلى أهم ما جاء في معاهدة أدرة التي كتبتها روسيا في سنة ١٨٢٩م  
نهر البروت فاصلا بين الدولتين كما كان سابقا ، بل قد ألقى النمسا في  
عن مصبات نهر الطونة ، وأن يكون لروسيا حق في تصريف مياه نهر  
البحر الأبيض بدون تفتيش مراقبيهم ، وإذا ما جرت الحرب بين  
والبغدان لمدة حياتهم وعدم عزهم إلا بأسباب شتى للدرك  
والواقع أن فرنسا في هذه الفترة هي التي كانت تتبني سياسة  
سياسة تمزيق أوصال الدولة العثمانية في الفترة من سنة ١٨٢٠م إلى سنة  
١٨٤٠م) . ففي سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م استولت فرنسا على مصر  
هذين التاريخين أيدت ثورة محمد علي والي مصر ضد المبراة العثمانية  
اعتقدت فرنسا أن مصر من الدول التي يجب أن نحافظ على استقلالها

(١) أ.ج. جرات و آخرون : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرون .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٠٠ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية ومشكلة الشرق ، ص ١٠٠ .

(٣) أ.ج. جرات و آخرون : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

المتوسط ولحماية شواطئ أفريقيا<sup>(١)</sup> . وعلى ذلك سعت على هذا الطريق للحصول على العون لتحقيق مشروعاتها الخاصة بالبحر المتوسط<sup>(٢)</sup> .

لهذا نفذت فرنسا هذا الاحتلال ليكون لها مركزا حريا في شمال أفريقيا حتى لا تكون إنجلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها جبل طارق ، وجزيرة مالطة ، فسيرت جيشها وبعد قتال عنيف بين فرنسا والجزائر استطاعت فرنسا الهيمنة على بلاد الجزائر ، بعد خروج باي حسين ، وأعلنت احتلالها للجزائر في سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م<sup>(٣)</sup> . وهذا ما درج أو سمي في التاريخ الحديث باسم ( المسألة الشرقية ) التي اشتركت في حوادثها الدول الكبرى الأوروبية ، فأصبحت هذه المسألة مسألة معقدة استحالت على السياسة وحرهم حلها حلا يرضي جميع الأطراف .

فروسيا غيرت سياستها ، ولكنها تنافس مع فرنسا على حماية رعاياها المسيحيين في أملاك الدولة العثمانية الأرثوذكس ، والأخرى ادعت حماية الكاثوليك مما سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في حرب القرم وصدور الخط لهمايوني . أما النمسا فإنها كانت تتطلع نحو البلقان ، وبريطانيا أخذت تعمل ضد الاجهاز على الدولة العثمانية<sup>(٤)</sup> ، وتناوى المشاريع الروسية الفرنسية لتقسيم الدولة العثمانية<sup>(٥)</sup> .

وقد تجددت المسألة الشرقية عندما تعاظمت قوة محمد علي العسكرية في انتصاراته التي أحرزها في حروبه ضد السلطان محمود الثاني سنة

(١) امال السبكي : أوروبا في القرن التاسع عشر ، ص ٢٠٣ .

(٢) أ.ج. جرات و احرور . أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٧-٤٤٨ .

(٤) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ص ٤٥-٤٦ .

(٥) أ.ج. جرات و احرور : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، وقد هزم محمد علي واحتفظ السلطان العثماني بعرشه بعد تدخل دول أوروبا<sup>(١)</sup> كما سيأتي عنه الحديث في الفصل الرابع في أسباب صدور خط كلخانة .

إلا أن المسألة الشرقية عادت مرة أخرى في سنة ١٣٩٢هـ/١٨٧٥م لسبب ثورة الهرسك ضد الدولة العثمانية واختلاف دعوى قسوة الحكام الأتراك في جباية الضرائب في المحاصيل الزراعية ، وانضم إلى هؤلاء الثوار المتطوعون من الصرب والجبل الأسود وبلغاريا وتزعمت هذه الأحلاف صربيا التي أعلنت الحرب على تركيا العثمانية ، عندئذ تنبعت كل من النمسا وروسيا إلى مهاجمة النمسا وأطماعهما القديمة في البلقان ، وحاولت كل منهما أن تستفيد من الموقف المرتبئ في البلاد<sup>(٢)</sup> .

وهذا مأسوف نوضحه إن شاء الله عند ذكر الحرب الروسية العثمانية التي نتج عنها معاهدة سان ستيفانو سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م في عصر الخديوي عبدالحميد الثاني ، ثم أعقب ذلك معاهدة برلين في العام نفسه التي أعيدت فيها الدولة العثمانية كما هو معروف .

معنى ذلك أن أطماع الدول الأوروبية في الدولة العثمانية قد امتدت على طول تاريخ هذه الدولة في عصرها الثاني حتى سقوط الدولة في القرن العشرين الأول . كما أننا لا ننسى أيضا إيطاليا التي أصبحت هي الأخرى تتطلع بحسب خطط الاستيلاء على ليبيا وأنطاليا بعد إعلان المشروطية الثانية<sup>(٣)</sup> .

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولة إسرائيل ، ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٢) عبدالحميد لطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ( الطبعة الرابعة القاهرة ، دار السلام ،

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ) ، ص ٧١ .

(٤) مصطفى طوران : المرجع السابق ، ص ٧١ .



الباحث وتحيره في أمر نشأتها ومعرفة أول مؤسس لها<sup>(١)</sup> .  
فدراسة تاريخ نشأة الماسونية موضوع آخر ، وما يعيننا هو دخول الماسونية  
الى الدولة العثمانية .

فتذكر المصادر التي أرخت لهذا الحدث أن دخول الماسونية الى الدولة  
العثمانية كانت في زمن السلطان بايزيد الثاني ، حيث انشأ يهود سلانيك بعد  
انتقاهم من الأندلس في سنة ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م أول محفل ماسوني غير قبلها .  
أصبح فيما بعد الأب غير الشرعي لجميع المحافل الماسونية التي انتشرت في  
الدولة العثمانية وعلى رأسها محفل اسطنبول<sup>(٢)</sup> .  
وقيل ان النشاط الماسوني قد دخل الى الدولة العثمانية في سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م

وكان ذلك في عصر السلطان احمد الثالث<sup>(٣)</sup> .  
هم في عاصمة الدولة اسطنبول ، وارتبطوا في نشاطهم بجمعية  
(المشرف الفرنسي) . وقد بقيت هذه الجمعية حتى سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م  
عندما أغلقت بعد قيام الثورة الفرنسية .  
كانت الدولة العثمانية فيه منغمسة في مشاكلها الداخلية وتفتقر الى  
من دعوات هدامة ، لهذا نرى أن الماسونيين قد استغلوا ما كان في  
مراكزهم ، اذا صح دخولهم في ذلك الزمن .

الا أن الماسونية يبدو أنها انتشرت في الأراضي العثمانية في  
ويقول الأب " لويس شيخو " عن موقف الدولة العثمانية حيال الماسونية

- 
- (١) شاهين مكاربوس : تاريخ الماسونية العلمية . ( الطبعة الأولى ١٩٧٥ ) ص ١٠٧  
(٢) داود عبدالغفور سقرط : القوى الخفية لليهود والغالبية العظمى من اليهود في  
الفرقان . ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ص ١٢٩  
(٣) أحمد نوري العيمي : أتر الأقلية اليهودية في دراسة الدولة العثمانية حياه فلسطين . ص ١٩٧



الدولة العثمانية أول الدول التي ناهضت الماسونية منذ سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م .  
وأن بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين دخول الجمعيات السرية .

فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور الى كل ما يتستر تحت حجاب  
الظلمة واذا بلغهم شيء من أمر تلك المجامع أسرعوا الى الغائها وتشتيت شمل  
أصحابها (١) .

غير أن الماسونية الرمزية قد ظهرت في الدولة العثمانية سنة  
١٢٥٤هـ/١٨٣٨م في كورفو . تحت رعاية المحفل الأعظم الانكليزي . الا أن  
المحول عليه ، أن أول محفل انكليزي تأسس منها كان في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م .  
واسمه محفل فيثاغورس . ثم تأسست بعده محافل أخرى تحت رعاية المحفل الأعظم  
الانكليزي المتحد . وتأسس غيرها تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي (٢) .

الا أن الصدر الأعظم ابراهيم باشا ، الذي قرب اليه العلماء والمثقفون ،  
رأى في الماسونية تجديدا في الافكار والآراء ، فانتسبوا اليها وكان رشيد باشا سفير  
الدولة العثمانية في بريطانيا قد انتسب سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م الى أحد المحافل  
الماسونية في بريطانيا . وعندما عاد الى اسطنبول أسس جمعية ماسونية بالتعاون مع  
السفير البريطاني آنذاك في اسطنبول (٣) .

ولكن كان هناك مجلس عال من الأتراك وهو الجمع الوحيد الوطني أسسه  
الأمير حليم باشا، وكان رئيسه طول حياته تحت رعاية المحفل الأعظم الانكليزي (٤) .

(١) حسان علي حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ( بيروت ، الناشر جامعة بيروت .

١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص ٢٨٣ .

(٢) جورج زيدان : تاريخ الماسونية العام ( الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل . ١٩٨٤م) ص ١٤٤ .

(٣) أحمد بوري النعيمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ١١٧ .

(٤) جورج زيدان : تاريخ الماسونية العام . ص ١٤٤ .

ونظرا للجهود المبذولة من قبل الماسونية فقد تأسس عدد من المحافل في اسطنبول وأزمير ، بعضها تابع للشرق الأعظم الانجليزي وبعضها للمحافل الفرنسية أو الايطالية الى أن أسس أو أنشأ حليم باشا مجمعا وطنيا ، ترأسه بنفسه . وتعددت محافله حتى أصبح عدد الأتراك الماسونيين نحو عشرة آلاف شخص من بينهم عدد من الوزراء والنواب وقادة كبار الجيش وكبار المسؤولين<sup>(١)</sup> . وفي هذا المجال نشط الماسونيين الانجليز ، وقاموا بتأسيس المحفل " الأورخان " وأدخلوا فيه بعض الأتراك .

وقد اعتبرت هذه الخطوة مرحلة جديدة في تطور الجمعية والنفوذ الماسوني الانجليزي في العاصمة العثمانية ، ولكن لم يلبث أن غيروا اسم محفلهم الى المحفل " هومر " الذي عينوا في رئاسته اليهودي ميديانو سلفادور ، وقد استمر في هذا المنصب حتى سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م في حين توسعت هذه الجمعية حتى ضمت الكثير من الأتراك<sup>(٢)</sup> لاسيما في عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي شهد حوادث عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٦م في سياسته وسيرته ، منذ أن وجد حكمة من المنع من مقتولا في قصر " طوله باغه " ولما عين مراد سلطانا من بعده خلع ، ولم يزل في الحكم وعين مكانه أخوه عبدالحميد الثاني ، الذي بدأ أعماله في تلك الظروف وهذا الوضع<sup>(٣)</sup> بالخطر من هذه الحركات .

فالماسونية هي الاسم الجديد للشيعة اليهودية المقنعة كذلك وهو زعمهم

(١) حسان علي حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان محمد السادس العثماني من الشرق الأوسط ، بيروت ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م ، ص ٤٠ .

(٢) أحمد بوري النعيمي : أثر الأقليات اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ١١٧ .

(٣) حسان علي حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

وتقاليدها يهودية كابالا ( Kabbala ) (١) ، وان معالمها رجعية مضحكة ، لأنها التقت بماضي مظلم وتدنرت بضباب قائم من الأكاذيب والأراجيف الخائفة (٢) .

وان النظم والتعاليم اليهودية كان انتقال أسرارها الى الماسونية على يد الجمعية والفرسان أو الصليب الوردي ، وهي التي اتخذت أساسا لإنشاء المحفل الماسوني الأكبر في سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م . ووضع رسومه ورموزه (٣) .

ولاتزال الصهيونية واليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات الصهيونية السرية ، وان سر التماسك العجيب يرجع الى عدد من الصهاينة اليهود في الصفوف المتقدمة من الماسونية ، ودليل صلة الماسونية واليهودية يقدمه حكماء صهيون (٤) في البروتوكول الخامس عشر من جلساتهم السرية فيما يلي نصه :

كروني ان يأتي الوقت الذي نصل فيه الى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم وسنجذب اليها كل بصير أو يكون معروفا بأنه ذو روح عامة ( Public Spirit ) وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية .

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا

(١) الكابالا مريخ من الفلسفة والتعاليم الروحية والشعوذة والسحر . متعرف عنها عند اليهود . منذ القدم لعصور . وكان دعاة الكابالا يعلقون أهمية كبرى على السحر والشعوذة وأسرار الطلاس والرموز والأرقام . ونريد من المعلومات نظر :

- محمد عثمان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق ( دار البين للنشر ) ص ٨٩ .

(٢) حواد رفعت أتلحان : أسرار الماسونية . ترجمة نورالدين رضا الواعظ واخرون . ( القاهرة . الناشر مجلة الأزهري . ١٤٥٥هـ ) ص ٢٧ .

(٣) محمد عثمان : المرجع السابق . ص ٨٩ .

(٤) حواد رفعت أتلحان : المصدر السابق . ص ١١٣ .

وستألف هذه القيادات من علمائنا وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون ، كما نجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا الحقيقية . وستكون الخبائيل والمصائد في هذه الخلايا لطبقات المجتمع الثورية ، وان معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا . وسنهددها الى من ينفذها حالما تشكل " (١) . فالماسونية اذا هي افرازات الحركة الصهيونية . والحقيقة ان الماسونية ( البناء الحر ) من اعظم وأقدم الجمعيات السرية التي مازالت قائمة ، ولكن منشأها مازال مجهولاً وغايتها الحقيقية مازالت سرا حتى على أعضائها أنفسهم (٢) .

يقول كاتب المجليزي " ان الماسوني وان لم يكن يهودياً بل مسيحياً فهو رجل متهود " .

وقد عبر عن الرأي نفسه ، هولت زنكر رئيس جامعة كولومبيا في نيويورك " ان من بين الماسونيين المائة في فيينا مائة والنصيب من اليهود " .

والماسونيون أنفسهم مع الأبناء الروحانيين لا يمانعون ان يذكروا دورهم في التاريخ فاما الماسونية لعبت دوراً خطيراً مؤثراً في انشاء الدولة العصرية الحديثة .

دبرت الثورة الفرنسية في محافلها لأجل تحقيق اهدافها الخفية .

- 
- (١) محمد حليشة التوسي : الخطر اليهودي ، برونو كولانت صهيون ، ص ١٠٠ .
- (٢) جواد رفعت أتلخان : أسرار الماسونية ، ص ١٣-١٤ .
- (٣) أحمد بوري العيمي : أثر الأقلية اليهودية في سيطرة الدولة العصرية ، ص ١١٠ .
- (٤) جواد رفعت أتلخان : المصدر السابق ، ص ١١ .
- (٥) جواد رفعت أتلخان : المصدر السابق ، ص ٧٤ .
- (٦) أحمد بوري العيمي : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
- (٧) أحمد بوري العيمي : المرجع السابق ، ص ١٢١ .
- (٨) حسام علي حلاق : دور اليهود والنصارى الدوليين في خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٠٠ .
- (٩) جواد رفعت أتلخان : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

وان الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية أيضا ، لأن مؤسسها كارل ماركس وانجلز هما من ماسونيين الدرجة الحادية والثلاثين ومن منتسبي المحفل الانجليزي ، وانهما كانا من الذين اداروا الماسونية السرية وبسياستهما أصدروا "البيان الشيوعي" المشهور الذي امتدحته المجلة الألمانية الماسونية (لاتونيا) التي أعلنت فرحها واستبشارها بانتشار الاشتراكية في مقال لها سنة ١٣١٢هـ / ١٢ تموز ١٨٩٤م وقالت ان : الماسونية قد وجدت في المبادئ الاشتراكية خير معوان لها فلا بد لنا من معاضدتها " (١) .

معنى ذلك أن القاعدة التي تنطلق منها هذه المذاهب الهدامة ، وان اختلفت في الأسماء والمسميات فهي في الحقيقة مؤسسات سرية يهودية .

لذلك تغفل سلطان اليهود في العالم في أواخر القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين الموافق لأواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين . بما أتبع هذه الجمعيات من مسيات الانتشار والنجاح : ذلك أن نشاطا تجاريا اجتاح العالم بسبب تطور الثورة الصناعية التي ساعدت على تطور وسائل المواصلات في العالم ، واتبع لهذه الجمعيات امكانية الانتشار والانتقال باعضائها من مكان لآخر لنشر ما في تعاليمهم من مبادئ وأهداف تتعلق بأمانيتهم وأطماعهم عن طريق هذه الجمعيات والمؤسسات التي تسيطر عليها وتوجهها كي ترتبط هذه الجمعيات بالهدف الذي تعبر عنه الخطة الكبرى للحكومة السرية العالمية أو الخفية المنبثة في جميع بلدان العالم ، والتي تقوم بكل عمل ماسوني في خدمة الأطماع اليهودية ، فالأفكار المستقلة التي لاتساير الأفكار الماسونية كانت تتعرض للنقد اللاذع والعداء من قبل الماسونيين (٢) ، ويمكن التصفية الجسدية كما هي عادتهم لمن

(١) جواد رفعت أتلخان : أسرار الماسونية ، ص ٤٥ .

(٢) جواد رفعت أتلخان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

يقف في طريق مخططاتهم وأهدافهم التلمودية .

أما نشاط هؤلاء اليهود أو الحركة الصهيونية فقد بدأ عداؤها مع الدولة العثمانية منذ عصر السلطان محمد الأول ( ٨٠٦ - ٨٢٥هـ / ١٤٠٣ - ١٤٢١م ) الملقب " جلبي " .

ففي عهده استغلت اليهود ضعف الدولة عقب معركة أنقرة الأولى حين أسر بايزيد الأول وتفككت الدولة لموته في الأسر بصراع أبنائه حول كورسي الحكم . فدست اليهود بين صفوف الناس شخصا يدعى ( بدرالدين ) كان يشغل منصباً كبيراً ( القاضي عسكر ) للسلطان محمد جلبي في الدولة متسترًا بالاسلام والعلم ، فدعاها الى آراء هدامة من أعمال اليهود المعروفة . فبات هذا اليهودي يشكل خطراً في كيان الدولة <sup>(١)</sup> . لمحاولته نشر هذه العقيدة وجمعته حشوداً من الناس ، مستغلاً بذلك اضطرابات الدولة في تلك الفترة ، فكشّر التراب في وجهها وأخذوا في نشر مذهبه بالقوة ، فكانوا يتعرضون للناس وأموالهم بسببه . فقاموا فقد قتلوا آلافاً وعلى رأسهم أمير لواء أزمير اسكندر بك . وقد اتهموا بالقتل فقام بالقبض عليه ومحاكمته في الروملي سني ٨٢٣هـ ١٤٢٠م <sup>(٢)</sup> . ونتيجة لذلك أمر السلطان بقتله وخلص الناس من أسرته ، وزنه في سجن دعوته وفتنته التي أثارها بتلك الدعوة <sup>(٣)</sup> .

وقد أشرنا من قبل في فصل سابق الى أن سبب وفاة السلطان محمد الثاني كان نتيجة للسم الذي دسه له بصورة تدريجية العميل البنادقي اليهودي (٤) . أطبانه الخاصين المسمى ميسترو لاکوبو ( Mestro Lacopo ) الذي كان يسمونه

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ٢٥ .

، يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ١١٨ .

(٢) يلماز اوزتونا : المصدر السابق . ص ١١٨ .

(٣) علي حسون : المرجع السابق . ص ٢٥ .

للاسلام وتسمى باسم يعقوب باشا ، ولكن الاتراك مزقوا هذا اليهودي في الحال<sup>(١)</sup> .

ومنذ سنة ٩٦١هـ / ١٥٥٣م والأصابع اليهودية تحاول الدس واثارة الفتن والاضطرابات في الدولة واخراجها عن جادة الطريق القويم عن الاسلام مما جعل ذلك عاملا من عوامل الضعف في الدولة<sup>(٢)</sup> ، كما هي عادة اليهود في ايجاد الفتن والمؤامرات منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الخفاء دون التواجة، ولكنهم على طول هذه المؤامرات نراهم ينجحون في أهدافهم لإبعاد الأمة الإسلامية عن عقيدتها وتوادها وترباطها وتلاحمها ، لأنها تخلت عن مبادئها وهذا من أهم أسباب خذلانها أمام دسائس بني صهيون .

ففي القرن السادس عشر الميلادي أهدى تثار القرم للسلطان سليمان الأول ( القانوني ) فتاة يهودية روسية اسمها " روكسلانا " كانوا قد سبوا في إحدى نزواتهم ولشددة جهالها افتتن بها القانوني فاتخذها زوجة له وسماها ( خرم سلطان )<sup>(٣)</sup> . وبسبب نفوذها في القصر زوجت ابنتها ( مهرماه ) من اللقيط الكرم والي رستم باشا ثم تمكنت من قتل ابراهيم باشا الصدر الأعظم ( رئيس الوزراء ) للدولة ونصبت بدلا عنه صهرها رستم باشا .

ولم نكتف بهذا العمل بل دبرت مؤامرة أخرى استطاعت فيها قتل ولي العهد مصطفى بن سليمان القانوني الابن الأكبر من زوجته الأولى ، بحجة انه يفكر في الاطاحة بحكم والده<sup>(٤)</sup> ، وبهذه الوساية مهدت الطريق لتولية ابنها سليم

(١) يلمر أورنوب - تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٢) علي حمون - تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٧ .

(٣) حرد ، أي النائمة

(٤) مصطفى طوران ، أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة كمال حوحد ، الطبعة الرابعة ، القاهري ، دار

السلام للطباعة والنشر ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١٢ .

الثاني وليا للعهد .

لذلك كانت هناك اشارة لأحد اليهود الذي كانت تربطه صداقة قوية بابنها السلطان سليم الثاني ، هذا اليهودي اسمه جوزيف نانسبي وقد قام بلاءور كبير وبارز في سياسة الدولة العثمانية وخراف السلطان سليم الثاني ، وفسد اسمها فدأنا بدرجة كبيرة في ضعف وتفكك الدولة العثمانية . فقد زين هذا اليهودي للمسلمين فتح جزيرة ناكوس ( Naxos ) وتم استيلاء العثمانيين عليها ، في سنة ١٥٦٧هـ / ١٥٦٧م وزادت خطورة هذا اليهودي لدى السلطان سليم الثاني ، فقام بفتح جزيرة ناكوس اقطاعا له .

وكان من بين الأسانيد التي ساقها اليهودي للاستيلاء على قبرص في سنة ١٥٧٠هـ / ١٥٧٠م قبرص لا يضاويه نبيذ آخر في العالم . وفي نشوة الخسب في سنة ١٥٧٠هـ / ١٥٧٠م ساق اليهودي لليهودي : " ستكون ملكا على قبرص " (١) فلما جلس السلطان سليم الثاني على العرش في سنة ١٥٦٦هـ / ١٥٦٦م وبعد حرب شديد استطاع جنود الدولة العثمانية فتح قبرص . ونتيجة لذلك اتحدت البندقية مع اليابان وملك أسبانيا في سنة ١٥٧١هـ / ١٥٧١م الدولة ، وقادوا حلفا صليبا بقيادة دوجوان الأيمن من البندقية في سنة ١٥٧١هـ / ١٥٧١م الخامس ملك أسبانيا فاشعل الحرب على الأسطول العثماني في سنة ١٥٧١هـ / ١٥٧١م مياه ليبانتو ( Lepanto ) ، وقتل قبطان البحرية العثمانية ، فنتج عن ذلك أن السلطان جلب خسارة كبيرة على الدولة إذ هلك أسطولها ، فبدأت الدولة يريد اغراق الدولة اقتصاديا ليدخل الدولة في مآهاها في سنة ١٥٧١هـ / ١٥٧١م .

(١) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة الخلافة العثمانية ، ص ١٠٠ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥م .

حاشية رقم (٢) .

يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

(٢) يوسف أصاف : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠ - ٩١ .



يجرها الى الهاوية والتدهور والاستسلام لليهود أنفسهم ليغرقوها في مكاندهم .  
وقد احتفلت أوروبا كلها بهذا النصر لاعتباره أول نصر منذ أوائل القرن  
العاشر الهجري تحرزه البحرية الأوربية لتوقع به الهزيمة بالعثمانيين ، وقد ثبت  
لأوروبا بعد هذه المعركة أنه من الممكن هزيمة العثمانيين ، كما فتحت شهيتهم لمزيد  
من التسلط (١) .

ويشير المؤرخ أحمد عبدالرحيم مصطفى الى أن الصدر الأعظم محمد باشا  
صوقوللي كان يستعين في تنفيذ مشروعاته بالأموال التي كان يوفرها البنكيون  
اليهود في تلك الفترة . وكان يتزعمهم دون جوزيف (٢) . وكان أمل هذا  
اليهودي أن يجعل من قبرص وطنا قوميا لليهود الفارين من الاضطهاد الأوربي (٣) .  
او ما يسمى بهجرة اليهود من أسبانيا الى الدولة العثمانية ، وخاصة يهود الدونمة  
(٤) . والدونمة أطلقها الأتراك على اليهود الذين رحلوا من أسبانيا الى تركيا ، بعد  
طرد العرب واليهود من الأندلس في القرنين التاسع والعاشر الهجريين الموافق  
للقرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين . ولقد تزيا هؤلاء بزري الأتراك  
المسلمين ، وماهم بأتراك ولا مسلمين ، وعمدوا الى عمل ذلك ، حتى يسهل عليهم  
القضاء على الإسلام والدولة العثمانية حامية هذا الإسلام ثم اعلان علمانية

- 
- (١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٧ .  
(٢) كان يسمى هذا اليهودي في مطلع حياته دون ميجيه ( Donmiguez ) .  
- عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٩٢٥ حاشية رقم  
(٢) .  
(٣) في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٦ .  
(٤) الدونمة كلمة تركية تعني باللغة العربية " العائدين " .  
- أحمد بوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٣ ،  
حاشية رقم (٢١) .

الدولة الجديدة ، ومن ثم مساعدة يهود العالم على المسيرة للاستيطان في فلسطين<sup>(١)</sup> . ومنذ وصولهم من الوهلة الأولى تظاهروا بالاسلام في الدولة العثمانية والتزموا به ، فأخذوا يؤدون الفرائض في الظاهر ، أما في الباطن فانهم يهود قلبا وقالبا ، يمارسون طقوسهم الدينية سرا ، ويحتفظون بأسمائهم اليهودية - الى جانب اسمائهم التركية الاسلامية<sup>(٢)</sup> . وذلك بايعاز من المجلس الأعلى لليهود ليسهل عليهم التفرير بالاتراك وكسب ثقتهم ، ومن ثم التغفل في مراكز السطة في الدولة العثمانية ، وهذا يساعدهم على المدى البعيد على حماية ابناءهم اليهود وتحقيق الأهداف لهم ومكائدهم العدوانية<sup>(٣)</sup> .

وكان على رأس هؤلاء ، مؤسس جماعة الدوغة اليهود في تركيا ساباتاجور . ففي خلال محنة القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي تعرض اليهود في جميع أنحاء " أوربا " وخاصة يهود اسبانيا الذين اضطروا الى مغادرة سبي للغاية ، قاسوا فيه أنواع العذاب ، هذا الوضع ساعد ساباتاجور على تسخير نفسه المسيح المنتظر الذي بعث لخلص اليهود في سنة ١٥٨٠ هـ الموافق ١١٨٠ م . حيث راجت في تلك الأيام شائعة مفادها أن المسيح سيظهر ، لكي يخلص اليهود .

- 
- (١) داود عبدالغفو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالمية السوفية ، (الطبعة الأولى) ، ص ١٢٨ .  
الفرقان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، ص ١٢٨ .
- (٢) داود عبدالغفو سنقرط : المرجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
- (٣) أحمد نوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٣ .
- (٤) محمد علي قطب : يهود الدوغة (الطبعة الأولى) ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٧ م ، ص ١٦ - ٢٠ .
- داود عبدالغفو : المرجع السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- أحمد نوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

صورة المسيح ، وأنه سيحكم العالم في فلسطين ، ويجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية المزعومة (١) .

ذهب ساباتاي الى مصر في سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م فنزل ضيفا على صراف يهودي يدعى روفانيل جوزيف فدعمه بالمال ، ومن مصر رحل ساباتاي الى فلسطين ، ومنها الى أزمير ، وفي أزمير علا شأنه ، ووفدت اليه الوفود اليهودية من كل مكان لشهرته التي طبقت الآفاق ، وقلدته اليهود تاج " ملك الملوك " فقسم العالم الى (٣٨) قسما ، وعين لكل قسم ملكا ، وأخذ يوقع باسم " الابن الوحيد الأول لليهو " (٢) ، اعتقادا منه أنه سيحكم العالم كله من فلسطين ، حيث كان يقول : " أنا سليل سليمان بن دواد حاكم البشر ، اعتبر القدس قسرا لي " . ثم قام بخطب اسم السلطان محمد الرابع من الخطب التي كانت تلقى في كنائس اليهود ، وجعل اسمه محل اسم السلطان (٣) .

ولما يوسف له أن السلطة العثمانية لم تعبا أو تهتم لما يجري وذلك لسببين : الأول : التسامح الديني ، وحرية الاعتقاد والإستقلالية الطائفية اليهودية بأمرها وشؤونها والذي كان وبالا ونقمة على الدولة العثمانية ، أما الأمر الثاني : فهو انشغال السلطان محمد الرابع بحرب جزيرة كريت وغيرها (٤) . ولما استفحل أمر ساباتاي ألقى السلطان محمد الرابع القبض عليه ، وخيره

١ . أحمد بوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، ص ٢٤-٢٥ .

محمد علي قطب : يهود الدعوة ، ص ١٧ .

٢ . محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ١٦-٢٠ .

داود عبدالعفو سقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسوية ، ص ١٣٠ .

أحمد بوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٣ . أحمد بوري النعيمي : المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٦ .

٤ . محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

بعد محاكمته بين ثلاث : اما اثبات دعواه ، أو الموت ، أو التوبة والاسلام ، ولكنه لم يجد بدامن الاسلام تحت اسم محمد البواب ، فعينه السلطان في الحال رئيسا لبوابي قصره<sup>(١)</sup> ، وقيل تسمى باسم محمد عزيز أفندي ، وطلب ساباتاي من السلطات العثمانية ، أن تسمح له بدعوة اليهود الى الاسلام فأذنت له ، فانطلق بين اليهود يواصل دعوته الى الايمان به ، ويحثهم في نفس الوقت على ضرورة الاسلام ظاهريا مبطنين لساباتيه<sup>(٢)</sup> .

وقد تركت الدولة لساباتاي حرية التحول والدعوة ، فاستغلها وخسب لنفسه عدم الشبهة ، وانصرف الى تنظيم وتقنين ورسم معالم مذهب الجديس ، وفي كل ذلك في وثيقة من ثمانية عشر بنداً ، انكشفت فيما بعد ، وكان في ثلاثين بنداً وأخطرها المادتان (١٦) و (١٧) وهذا نصهما :

المادة (١٦) : يجب أن تطبق عادات الأئمة المسلمين في كل شأنهم ، وأما في أنظارهم عنكم ، ويجب ألا يشعر أحد من الأتباع بظن أو شبهة من غيرهم في أي شأن من الأضحية ، ويجب أن ينفذ كل شيء يجب تنفيذه أمام الملأ .

المادة (١٧) : ان مناكحتهم - أي المسلمين - مشروطة بالعلم وهكذا نشأت على يد محمد البواب ، أو عزيز أفندي قسطنطينية في سنة ١٦٨٠م ، الدوامة ، في الدولة العثمانية ، والدوامة في الأصل العائد الى الاسلام في سنة ١٦٨٠م ، تائها في اليهودية ، أما في الحقيقة فانهم كانوا يعنون بهذا المذهب ظاهرياً في باطنا .

(١) داود عبدالغفور سقرط : القوى الخفية لليهود والعلمية الماسونية - ص ١٠٤ .

اسماعيل الكيلاني : فصل الدين عن الدولة ضد فلسطين ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) محمد علي قطب : يهود الدوامة ، ص ٣٥ .

احمد بوري النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العنانية ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) محمد علي قطب : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

وحيث تفاقم خطر الدونمة صارت تعني القدر أو الخسيس<sup>(١)</sup> . وقد استطاع ساباتاي أن يقدم الشئ الكثير للحركة الصهيونية أثناء تلك الفترة ، ويقول أفرام غالاتي الكاتب اليهودي " أن ساباتي قد أنقذ اليهود من المصائب والاضطهادات بهذه الطريقة " <sup>(٢)</sup> .

ويبدو ذلك واضحا من توجيهه لليهود الى الدخول في الاسلام ظاهرا حتى يستطيع بناء قاعدة في عاصمة الدولة العثمانية ، باعتبارهم مسلمون ومن خلال اسلامهم يحصلون بلا شك على أهدافهم الاستعمارية .

حين بدأ رجال الدونمة يتغلغلون في جسم الدولة ، كما هي عادة اليهود ، شنوا هجوما غير مباشر على أجهزتها المختلفة ، لشل حركة الدولة عن العمل . فبدأوا بارتباك الدولة ماديا وإيقاعها تحت طائلة الديون ، فكانواهم وأخوانهم من يهود العالم الذين يتحكمون بذهبه وسياسته<sup>(٣)</sup> أصحاب هذه الديون . وحين عجزت الدولة عن السداد أخذوا يفرضون عليها مايشاؤون تدريجيا حسب خطة

(١) داود عبدالعتمو سنقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسوية . ص ١٣٠-١٣١ .

(٢) احمد بوزي العيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين . ص ٢٦ .

(٣) هذا الأمر لا تشبه له الدولة العثمانية التي استقبلت اليهود . كما تهيئت له أسبانيا عندما قدمت بطردهم . في حين خيرت العرب بين الرحيل أو البقاء أو اعتناق المسيحية ، لكنهم لم يخبروا اليهود لماذا ؟ والاجابة على ذلك : أن الأسبان يعرفون ويعلمون علم اليقين بانهم سوف يفصلون البقاء مع التظاهر باعتناق المسيحية . لأن اليهودي لايرضى بغير دينه بديلا . اضافة الى ذلك ان معظم الأراضي الأسبانية م فيها أراضي الكنيسة كانت مرهونة عند هؤلاء المرابين . فذا تخلصوا منهم عندما قاموا بطردهم

- داود عبدالعتمو سنقرط : المصدر السابق . ص ١٢٨ .

مدرسة ففرضوا عليها أول ما فرضوا مستشارين غربيين بحجة حماية ديونهم على الدولة . وكان الغرض الأساسي لذلك هو لتجسس عليها وتوجيه دفة الدولة حيث يريدون ويرغبون والتحكم في سياستها الداخلية والخارجية .

وهكذا استطاعت هذه المحافل الماسونية بمساعدة يهود العالم والدول الاستعمارية التي تعمل على انقسام الدولة وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا أن تدس اليهود الدوغم في جميع المراكز الحساسة في جسم الدولة تمهيدا لاحتوائها وقلبها ، لدرجة أن السلطان في أواخر أيام الدولة ما كان يستطيع أن يعين ميزانية قصره إلا بمشورة هؤلاء المستشارين ، فأصبح منهم الوزراء ، والنواب ، وقادة الجيش ، وكبار الموظفين والمسؤولين لدرجة أن تولى كاميل باشا رئاسة الوزراء ، في آخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، كما تولى جاويد بك في عهده عدة وزارات منها وزارة المالية (١) .

وهنا يتضح بحق أن الماسونية تضم في محافلها أعضاء كبارا من اليهود الذين ينتمون الى الجمعية السرية . وأن وظيفة هؤلاء هي توحيد المساعي وتقسيمها بين مختلف المحافل ، وتوجيهها لخدمة اليهود . ويتبين من هذا أيضا أن الماسونية في بلادنا لخدمة سرية أعلى منها وهي " اليهودية " (٢) .

وهذا ما لعبه المحفل الماسوني الذي أسس لهذه الغاية في الدولة برزوخية اليهود ، وهو استخدام رجالات الدولة العثمانية أنفسهم المحصورين منهم كوسائل المساعدات اللازمة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود من أنحاء العالم والقائه في قومي فيها لليهود . وقد ظهرت نتائج هذا المحفل في اشغال كبار القوم في الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، للموقف الذي أبداه السلطان عبد الحميد الثاني

(١) داود عبدالغفور سقرط : القوى الخفية لليهود العالمية الماسونية ، ص ٢٢٨

(٢) جواد رفعت أتلحان : أسرار الماسونية ، ص ٧٥

الثاني تجاه الحركة الصهيونية ، ورفضه لاغراءات وعروض هرتزل المالية لقبول إقامة الوطن اليهودي على أرض فلسطين ، وكان هذا الأمر له الأثر الكبير في دفع أو استخدام الصهيونية للماسونية من أجل الاطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني (١)

لقد استطاعت الحركة الصهيونية استخدام المحافل الماسونية في متابعة النشاط السياسي ، لتحقيق المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين ، كما يؤكد يوسف الحاج الحانز على رتبة الأستاذية العظمى في الماسونية ومعتقداتها حيث يقول : " ان مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي كلها الى تقديس ماورد في التوراة ، واحترام الدين اليهودي ، والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم الوطن القومي اليهودي " (٢) .

وهذا ما أشارت اليه بعض الوثائق البريطانية من تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين بالرغم من موقف الدولة العثمانية الحازم ضد هجرة وتسرب اليهود ، الذين كانوا يأملون في الإقامة الدائمة في فلسطين والتضحية بأرواحهم ، وما لديهم أي رغبة في العودة الى أهلهم وذويهم . بالرغم من أن مستعمراتهم او مستقراتهم فقيرة ، إلا أنها مكيفة لهذا الغرض بحكم طبيعتها للتنافس مع السوريين وأهل فلسطين كما أنها مدعومة بشعور ديني قوي .

وقد أشارت التقارير الى نشاط اليهود الواضح والملموس من ناحية التقدم

(١) ابراهيم فؤاد عباس : الماسونية تحت اغهر ( الطبعة الاولى ، جدة ، دار الرشاد ،

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ) ، ص ٣٨-٣٩ .

(٢) حسان علي حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبدالحميد الثاني عن العرش ،

ص ٣٥

الدراسي في الكلية الزراعية<sup>(١)</sup> في يافا كما أشارت الى نظرة الاحتقار للعرب المسلمين واتهامهم بالكسل والخمول في الزراعة والتجارة التي برع فيها اليهود غير أن اتجاه روسيا وبريطانيا وفرنسا اتضح في اصرارهم على تهديد الاسيطنان اليهودي في فلسطين .

كما تشير الحقائق الى أنه من الممكن تحقيق مخططات لورد بيك في القدس ان تكون هذه المهجرات عاملاً مهماً في حل المسألة الشرقية<sup>(٢)</sup> . وهذه الفكرة صدى لما كان يدور أو يخطط له في أروقة المفكرين البريطانيين كما أسلفنا من قبل . للتهديد لم يعد في اعسالاته وعند بلوغه في سنة ١٩١٧ م / ١٣٢٦ هـ .

ويوم أن بلغوا في تحكّمهم الذروة فرضوا على السلطنة مشروعاً مشروطياً المشروطية الثانية في سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٩ م . وفي سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م (٣) لازاحته عن طريقته مع السلطنة مخالفتهم . لتنفيذ ما ربههم دون معارضة من الحكومة التي يعتبرها الشعب كما سنتناوله في الفصل التالي بمشيئة الله تعالى .

---

(١) أستاذة السيدة كريمية ويتولي أمرها حفيد اليهود الالمان يهودا كورنيل يعقوب .  
The Palestine problem as seen at the Margness of Salisbury N.91,24-12-1898.

(٢) Ibid.

(٣) داود عبدالغفور مسقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية المسيوية . ص ١٣١-١٣٢





## الفصل الرابع

### مظاهر الغزو الفكري في الدولة العثمانية

- أ - الاستغراب ( اتجاه الدولة الى الإصلاح العثماني )
- ب - عصر التنظيمات العثمانية .
- ج - التغريب : مدحت باشا وزملاؤه .
- د - المشروطة الأولى والثانية .



## أ - الاستغراب : ( اتجاه الدولة الى الاصلاح العسكري ) :

أشرنا من قبل الى الخلل الذي لحق بالدولة في المجال الخارجي طوال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي وما رافق ذلك من تكتلات قامت بها بعض الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية ، مما أدى الى ظهور اتجاه جديد في الدولة العثمانية يدعو الى اصلاح بعض مؤسسات الدولة ، وخاصة الإصلاح العسكري ، وهو الاتجاه المعروف بحركة الإصلاح على أساس اقتباس وتطبيق النظم العسكرية الأوروبية (١) .

وقد بدأ اصلاح الناحية العسكرية منذ أن طغى الإنكشاريون على الدولة وأصبحوا خطرا على الدولة ، وكان السلطان عثمان الثاني ( ١٦٨٠ - ١٦٩٠ م ) هو الذي بدأ الإصلاح (١٦٦٢/١٦١٨ م) هو أول من فكر في التكميل بهذا عهد عثمان غوري (١٦٦٠ م) الحرب التي كانت بين الدولة والبولونيين فحولوا نصيب الدولة الى جنودهم ، معظم قطاعاتها ، ففكر السلطان في استبدالهم بجيش منظم ، ركبي ، مشاة ، شرع في حشد جيش في آسيا الصغرى ويعني بتدريبه ، التمهيد له ، فقتلوه ، وفعلا مثل ذلك في السلطان ابراهيم الأول (١٦٢٣-١٦٤٠ م) حين شعروا أنه يتآمر عليهم ، وأخيرا في السلطان الثالث (١١١٥-١١٤٣ هـ / ١٧٠٣-١٧٣٠ م) عندما شك في جنودهم ، فخلعوه ونصبوا مكانه السلطان محمود الأول (١١١٨-١١٤٣ هـ / ١٦٨٣-١٧٠٣ م) .

وفي عهد السلطان مصطفى الثالث ( ١١٧١ - ١١٨٣ هـ / ١٧٢٧ - ١٧٤٠ م ) سار اصلاح الجيش سيرا بطينا وكذلك في عهد السلطان عبد الله الثالث ( ١١٨٣ - ١١٩٦ هـ / ١٧٤٠ - ١٧٥٣ م ) .

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، مطبعة الزيتونة ، ١٩٤٦ م ، ص ٩١-٩٢ .  
(٢) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، مسرور ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م ، الكتاب الثاني ، ص ١٥١-١٥٢ .

الأول (١١٨٨-١٢٠٤هـ/١٧٧٤-١٧٨٩م) إلا أن هذا الإصلاح دخل في طور التنفيذ الفعلي في عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٤-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م) <sup>(١)</sup> الذي وطد العزم على التجديد والإصلاح ساعده على ذلك قيام الثورة الفرنسية <sup>(٢)</sup>.

وفي تلك الفترة بلغ الوهن والضعف في الدولة العثمانية مبلغا شديدا ، وقد ظهر هذا الضعف مع نهاية السلاطين العشرة الأول العظام ، فتوقفت الفتوحات وأخذ التراجع يصبح الصفة الغالبة على الدولة على محاور قاراتها الثلاث ، مع غرق بعض السلاطين في حياة لاهية ، مما صدهم عن القيام بواجباتهم نحو تدبير شئون دولتهم في ميادين الفكر والسياسة ، فاعتدت كل من النمسا وروسيا وغيرهما من الدول الأوروبية على ممتلكات الدولة العثمانية <sup>(٣)</sup> ، وضمتهما إلى أملاكها ولم يقم السلاطين بواجبهم ، ذلك لأنهم غفلوا عن تربية أوربا لهم ، ولم يعرفوا أن أوربا تنتظر الفرصة للانقضاض عليهم لتقطع أوصال دولتهم .

وأخيرا وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام تلك الأطماع من غير أن يستعدوا لها ويتسلحوا بسلاح عدوهم العلمي والصناعي ، عندما فرطوا في الاهتمام بالعلوم النافعة ، فلم يطوروا صناعاتهم وفنونهم الحربية كما كان يحدث في أوربا ، ولم يفكروا أيضا في عمل التنظيمات الإدارية المطلوبة ، كما أن العلماء كانوا على درجة كبيرة من الضعف ، فأهملوا توجيه الأمة توجيهها علميا وفكريا

(١) ساطع الخصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٥ .

(٢) محمد حميل بيهم : التاريخ العثماني ، ص ١٥٢ .

(٣) روجيه بك الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، ( مجلة الهلال ، الجزء الثاني ، السنة السابعة

عشر ، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ) ص ٧٤ .

، عبد الكريم مشهداني : العلمانية وأثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ، ص ٦٥ .

سليما<sup>(١)</sup> . في الوقت الذي كانت فيه دولتهم تواجه محنة حكم مملكة واسعة ومتزامية الأطراف ، اضافة الى ذلك لم يكن فيهم حماس عصر سلاطين الدولة الأولى ، ولا قوتهم ، لمواجهة حضارة أوروبا المادية الحاملة معها ثورة صناعية واسعة . ولذلك كان على سلاطين الدولة العمل على اخراج دولتهم من هذه الورطة ، فكيف السبيل الى التغلب على هذه المشكلة ؟<sup>(٢)</sup> .

كان الخروج من هذا المأزق الدقيق بنجاح يحتاج الى ذكاء ومعرفة صحيحة بالإسلام وحضارته العظيمة لمواجهة حضارة الغرب المادية . وكان لابد للدولة العثمانية من أن تعمل ، والعالم الإسلامي كله مستعد لاتباعها والسير في ركابها ، لارتباط هذا العمل بمستقبل العالم الإسلامي ، الفكري والحضاري والسياسي الذي لا يقبل أي تأجيل<sup>(٣)</sup> .

وما يؤسف له أن الدولة العثمانية كانت في تلك الفترة تنقسم الى قسمين نفسها الى طائفتين : طائفة تريد الاصلاح والطائفة الأخرى معتدية الى التمسك بالقديم ولا تقدر خطورة الموقف وضخامته . هذا الموقف الذي ظهر بتأثير الثورة الفرنسية في أوروبا لدولتهم<sup>(٤)</sup> .

فظهر ما يشبه الاجماع على الحاجة الظاهرة والملحة الى الإصلاح والتجديد متعددة وذلك بعد الانسحاب الثاني من فينا ، فقام في ذلك الحين المصلحون العثمانيون بالدراسة بصورة مبدئية لنقاط الضعف الداخلي للدولة العثمانية في

---

(١) أبو الحسن علي الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية . ص ١٠٠ .  
عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوطان الإسلامية في القرن التاسع عشر . ص ١٠٠ .

(٢) أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨ .

عبدالكريم مشهداني : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٤) أبو الحسن علي الندوي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

تركز ذلك على معرفة مدى ما وصلت اليه مؤسساتها في جميع المجالات ، ومن ثم التفتت مقترحاتهم الى الرجوع نحو استعادة الدولة الى حالتها الأولى<sup>(١)</sup> أي الى عصر الدولة الأول ، لتعود الدولة الى ما كانت عليه من قوة في جميع المجالات . وهكذا أخذت محاولات الإصلاح تدخل الى مؤسسات الدولة وذلك ببطء شديد . ولكن بعد معاهدة كارلوفتز ( سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م ) وباساروتيز ( ١١٣٩هـ / ١٧١٨م ) اللتين عبرتا عن التفوق العسكري الغربي حان الوقت لسلاطين الدولة العثمانية للنظر الى مقترحات الإصلاح بحدية . وقد تحقق هذا بدءاً من ابراهيم باشا الى الوزارة برتبة ( صدر أعظم ) في سنة ١١٣١ - ١١٤٢هـ / ١٧١٨ - ١٧٣٠م ) ، والذي كان يفضل الإصلاح ، وفي الوقت نفسه تلقى السلطان أحمد الثالث مذكرة توضح الحاجة الى العمل على التقدم العسكري والاستفادة من تجارب الدول الأوروبية في هذا المجال . وعلى أثر ذلك فإنه كان من المعقول اتخاذ سنة ١١٣٩هـ / ١٧١٨م كبدية لنشأة حركة الاستغراب في الدولة العثمانية . ذلك لأن جهود الإصلاح ظهرت بخصائص ثلاث وبدأت منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي . وهذه الخصائص الثلاث هي كالتالي :

الخاصة الأولى : كانت تتعلق بحقيقة واضحة ، هي أن معظم الطموحات نحو حركة الاستغراب قد جاء في المصادر والنماذج الفرنسية أو جاء صورة مصغرة عن الحضارة الغربية ، كما كانت فرنسا أيضاً الحليف التقليدي للعثمانيين .

أما الخاصة الثانية : فهي أن معظم جهود الإصلاح ركزت في تحسين التدريب والتنظيم للجيش ، وفي استخدام الأسلحة العسكرية الحديثة .

(١) Roderic. H. Davison : Turkey A Short History ( England the Eothern Press - Walkington, Beverly 1981 ) p. 68.

والخاصية الثالثة : هي أنه أصبح واضحاً أن الإصلاح بإمكانه إحداث  
الصدام بين المؤيدين لهذا الإصلاح والمعارضين له ، إلى درجة العنف ، ولذلك يجب  
تبرير أسباب الإصلاح وخطواته للعامّة وغيرهم<sup>(١)</sup> .

ونتيجة لذلك اهتمت الدولة في عهد السلطان أحمد الثالث ، بالقيام  
وسبقت هذا الحادث العظيم بحوث مستفيضة قام بها العلماء حول ضرورة الطباعة  
وأخيراً أفتى شيخ الإسلام عبد الله أفندي في سنة ١٧٩٤ (١٢١١ هـ) بالإصلاح ، لا أن  
بشرط جودة الطبع والتصحيح ، وبناء على ذلك صدر محلاً خبرين بإنشاء المطبع  
وأوكل أمرها إلى إبراهيم متفرقة ( Ibrahim Metferrike ) الذي كان من  
الإسلام ، وذلك لإنشاء أول مطبعة في الدولة العثمانية في سنة ١٧٩٤  
مبعثه أن يعهد أصحاب الأغراض السبغة إلى الكسب الذي كان يفتقر إليه  
ولذلك تعهد لهم إبراهيم بعدم طبع كتب التفسير والقرآن الكريم والكتب  
ديني<sup>(٢)</sup> .

وقد أصدر إبراهيم متفرقة رأيين ، فطلب من السلطان أحمد الثالث  
عشر كتاباً تدور موضوعاتها حول الدين والسياسة والعلوم الشرعية  
العسكرة الحديثة التي أنشئت في عهد السلطان محمد الثالث ، وكان  
اسطنبول وفود عديدة من الغرب وخاصة من الفرنسيين الذين كانوا  
وقد تطور هذا الاتجاه نحو الإصلاح فكأن الوزير الذي كان  
١٢٠٠ هـ / ١٧٨٢ - ١٧٨٥ م) يميل إلى الإصلاحات التي كانت

(١) Roderic H. Davison : Turkey A Short History, p. 68 .

(٢) Roderic H. Davison : Ibid, p. 69-70.

محمد عبداللطيف البحراني - حركة الإصلاح العثماني ، ص ٩٤ .



صداقات تربطه بفرنسا ، ولكن المحافظين الذين شعروا بالقلق من تدفق الرجال والأفكار الأوروبية من ديار الكفر خافوا من سيطرة فرنسا على البحر المتوسط والتي كانت من أهم أهداف سياستها الاستعمارية . لهذا قام المحافظون بقتل هذا الوزير ووضعوا على جثته بعد قتله شعار " عدو الشريعة والدول " (١) .

لذلك اقتنع السلطان عبدالحميد الأول أن الدولة إذا لم تصلح جيشها ونظامها العام فإن أيامها لن تطول ، وكان يرى أن الإصلاح الحربي يجب أن يكون في مقدمة الإصلاحات لأن سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م تمثل نقط الضعف الخارجي على الدولة ، فكانت معاهدة قينارجة مقياساً حقيقياً لمدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة ، والتي تمت نتيجة للحرب التي قامت بين روسيا والدولة العثمانية في عصر السلطان أحمد الثالث . وقد أظهرت تلك الحروب وتوقيع المعاهدة التي أعقبتها مدى تفوق الأسلحة الغربية ، لذلك اتجهت عناية السلطان إلى الإصلاح الحربي .

وفي هذه الأثناء نشر أحمد راسم أفندي رسالة شرح فيها أسباب ضعف الدولة العثمانية في الحروب التي خاضتها خلال الفترة (١١٨٣-١١٨٨هـ - ١٧٦٩-١١٧٤م) وأوضح أن العلاج الناجح هو الإصلاح والتنظيم العاجل للجيش وتطوير أسلحته .

هذا اهتم السلطان عبدالحميد الأول بهذه الإصلاحات ولكنه لم يستطع تنفيذ برنامجه الإصلاحي في هذا الشأن لمعارضة الانكشارية له (٢) .  
وخلال هذه الفترة تولى السلطان سليم الثالث ، وكان يتوق إلى الإصلاح ، وقد هزته أفكار الثورة الفرنسية ، فكان عهده بمثابة عهد جديد لإصلاح أجهزة

(١) Roderic H. Davison : Turkey A Short History , p. 70.

(٢) محمد عبد اللطيف البحر اوي : حركة الإصلاح العثماني . ص ٩٨ .

الدولة<sup>(١)</sup>. فقد أتاح له عمه السلطان عبدالحميد الأول حرية التفكير خلال ولايته التي استمرت خمس عشرة سنة ، حياة حرة ، واتصالات واسعة ، اكتسب منها ثقافة وتحصيلا واسعا<sup>(٢)</sup> .

وكان من أقرب المقربين الى السلطان سليم الثالث طيب ايطالي اسمه لورنزو ( Lorenzo ) حصل منه ومن غيره من الأوربيين على معلومات عن دول أوروبا وعن مؤسساتها المدنية والعسكرية وكذلك أسباب تفوقها على العثمانيين . بل إن سليما أجرى مراسلات عن طريق وسيط مخلص له ، اسمه ( اسحق بلث ) مع الملك الفرنسي لويس السادس عشر ووزرائه بهدف تزويده بمعلومات ثقافية وسياسية من قادة ما اعتقده سليم الثالث أنها أرقى دول أوروبا .

وظل يرسل لويس السادس عشر الى أن قامت الثورة الفرنسية سنة ١٧٩١ م . ذلك يلقي الضوء على رغبة السلطان سليم الثالث في الإصلاح ، مما أثار انتباه أعدائه فأفقدته فيما بعد عرشه ثم حياته في النهاية<sup>(٣)</sup> .

وقيل إن والده السلطان مصطفى الثالث ، ترك له هذا التراث من المعلومات فيها أوجه الخلل في الدولة ووسائل الإصلاح ، لذلك جاء سليم الثالث الى العرش متحفزا للإصلاح<sup>(٤)</sup> .

وعلى ما يظهر أن السلطان سليم الثالث قام بكل ذلك لأنه كان يعلم أن لويس السادس عشر الحصول على بعض المساعدات الفرنسية من أجل الإصلاح

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) عبدالكريم مشهداني : العلمية وأثارها على الأوضاع الإسلامية في القرن الثامن عشر ، ص ١٤٣ .

(٣) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ١٧٤-١٧٣ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٤-١٧٣ .

(٥) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني ، ص ٩٩ .

(٦) محمد عبداللطيف البحرأوي : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

روسيا<sup>(١)</sup> . وقد أخطأ سليم في اتجاهه الى فرنسا التي كانت تموج بكل النظريات ، في حين أن لويس السادس عشر ورجاله كانوا يخططون لايقاع الدولة العثمانية في شباكهم . فكان عليه أن يدرك أن مايفيد الغرب المسيحي لايمكن أن يطبق بأي شكل من الأشكال على العثمانيين<sup>(٢)</sup> .

وفي السنوات التي تلت جلوس سليم الثالث على العرش ، افتتح سفارات دائمة في العواصم الغربية وهي لندن وينا وبرلين وباريس<sup>(٣)</sup> ، ومن خلال تلك الاتصالات أخذت حضارة الغرب المادية تتسرب بشكل أو بآخر الى مؤسسات الدولة العثمانية ، ولكن بشكل بطئ وخاصة حينما تم تأسيس المطبعة ، التي انتشرت على طباعة الكتب غير الدينية<sup>(٤)</sup> .

ولم يقتصر السلطان سليم الثالث في تحرياته عن أسباب التقدم الأوربي على المصادر الفرنسية فقط ، بل أرسل أبا بكر راتب أفندي الى فينا ليدرر الحالة هناك عن كثب ، في أوروبا ، ولما عاد في نفس السنة كتب تقريراً مفصلاً عما شاهدته عن الحكومة والفكر السياسي المعاصر ، مع اقتباس لبعض أقوال الفلاسفة والسياسيين ، فأوضح في تقريره ضرورة الاهتمام بالجيش وتدريبه ، وكذلك الاهتمام بموارد الدولة وتنظيمها على أسس حديثة .

وكان أمام السلطان سليم الثالث مثل واضح فيما فعله بطرس الأكبر في روسيا بواسطة القوة التي دربها له خبراء غربيون على النسق الأوربي ، إذ استطاع

(١) Roderic H. Davison : Turkey A Short History , p. 70.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٤ .

(٣) عبدالكريم مشهداني : العلمانية وأثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٦٦ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٤) عبدالعزيز بوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٧٥ .

Roderic H. Davison : Op.cit. , p. 70. .

عبدالكريم مشهداني : المرجع السابق ، ص ٦٦ .



القدرة<sup>(١)</sup> .

والغريب أن التقارير تركزت كلها حول نقطة واحدة هي أن الإصلاح يجب أن يبدأ في الجيش أولا ، وكان اتفاقا مدهشا بالنسبة الى التشكيلات الانكشارية، ولذلك لم يتردد السلطان سليم الثالث أبدا في أن يبدأ باصلاح الجيش أولا ، وهو يعرف أن هناك من فقد رأسه من أجداده ومن الوزراء دون أن يتمكنوا من اصلاح الانكشارية ، ولذلك أصدر مرسوما بذلك في سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ينص على قيام نظام حركة التجديد والنظام الجديد لتكوين الجيش<sup>(٢)</sup> .

وقد انتهزت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا هذه الفرصة لاستقلال اتجاهات السلطان سليم الثالث نحو التجديد ، فأظهرت له المودة وساعدته بادخال المخترعات العسكرية الحديثة في جيشه ، فأرسلت له السفير المسيو أوبر دوبايت ( Aubert du Bayts ) ، ومعه عدد من المهندسين الفرنسيين يرافقهم عدد من الضباط والمعلمين للتدريب على كل الأسلحة وصناعة المدافع ، وقد جلب هؤلاء معهم بعض المدافع الجاهزة المركبة على عجلات هدية للسلطان ، ولتكون نموذجا لصناعة المدافع في الدولة العثمانية .

كما قامت البعثة الفرنسية بتوجيهه وتكوين فيلق من المدفعية (الطوبجية) عدد رجاله ثمانمئة<sup>(٣)</sup> ، كما نظمت فرقة من الخيالة تسير على النظم العسكرية

---

(١) Roderic. H. Davison : Turkey A Short History , p.70.

، يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٤٣ .

(٢) يلماز أورتونا المصدر السابق ، ص ٦٤٦-٦٤٧ .

(٣) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٦٤٥ .

، ابراهيم حليم بك : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٩ .

، محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٠١ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٨ .

الأوربية الحديثة ، وقامت بتعليمها على الطراز الأوربي الحديث .  
وفي الوقت نفسه أوجدت هذه البعثة تشكيلات من المشاة ( البيادة )  
فكانت هذه التشكيلات نواة الجيش الجديد ، الذي أسند السلطان قيادته الى  
مصطفى باشا (١) .

وعلى هذا المنوال سار السلطان سليم الثالث وأخذ في ادخال إصلاحاته  
الجديدة في كافة فروع الجيش وادارة الدولة ، ولكن الصدر الأعظم حافظ الحاميل  
باشا كان يظهر للسلطان أنه ممن يميلون الى هذا الإصلاح أو التنظيمات الجديدة  
قلباً وقالباً ، لكنه في قرارة نفسه كان يكره هذه التنظيمات ، فاكتملت بذلك  
الطائفة المعارضة قوة لمساندة الصدر الأعظم هم .

اتضح هذا الموقف عندما أراد السلطان بث التنظيمات العسكرية في  
بجبهة الروملي ، فأرسل لهذه المهمة والى قوية عبدالرحمن باشا حياً الى  
في الظاهر بتكيد أشقياء الصرب وفي الباطن القيام بأجراء الإصلاحات  
له وذلك في سنة ١٢٢١هـ ١٨٠٦م .

ولما بلغ ذلك أعيان الروملي اجتمعوا وتحالفوا خلفياً في السر والعلانية  
منعه بالقوة فشاع الخبر ، لذلك أشار رجال الدولة على السلطان بأن  
عبدالرحمن باشا الى ولايته ، فتفرق أعضاء ذلك التحالف رئيسه الى  
فاشتهرت هذه الواقعة في التاريخ العثماني بوقعة أدرنة الشهيرة (٢) .  
وفي تلك الفترة حدثت في داخل الدولة بعض الاضطرابات السياسية  
السلطان تعميم او تنظيم الجيوش على النظام الجديد ، فوجه حياض

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول سنجار ، ج ١ ص ١٠٤ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٨ .

(٢) اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٦٤٥-٦٤٦ .

الذي لم ينظر هذه الاصلاحات العسكرية بعين الارتياح <sup>(١)</sup> لرفضهم استعمال  
الأسلحة الجديدة والقيام بالتدريب الجديد <sup>(٢)</sup> .

وفي هذه الأثناء هلك الجنرال دوبايث الفرنسي الذي حضر لتدريب  
الجيش على النظام الجديد ، فعاد عدد كثير من ضباطه إلى فرنسا وبموته تشتت  
هذه القوة <sup>(٣)</sup> .

كان السلطان مقابل ذلك كثير التنازل ، كان يتحاشى سفك الدماء ظنا  
منه أنه إذا تسامح وقدم بعض التنازلات فإن المعارضين سيلينون ، لكن ذلك زادهم  
تشجيعا في المعارضة والعصيان .

وعلى الرغم من محاولاته فإنه لم يتمكن من تصفية تشكيلات الانكشارية .  
أما الانكشارية فإنها كانت تعلم علم اليقين أنها تعيش أيامها الأخيرة ،  
سواء كان الانكشاريون من الجنود المخلصين الذين يؤمنون بأن ابتعادهم عن  
تقاليدهم وانضوائهم في تشكيلات جديدة تقلل من شرفهم ، أو من الذين يخشون  
من فقدانهم الكثير من دخلهم الذي سيقصر على الراتب فقط في حالة دخولهم  
النظام الجديد ، لذلك فإن الجميع لم يكونوا راغبين في الانفصال عن نظام  
الانكشارية القديم وتسجيل أنفسهم في حركة النظام الجديد .

لكن مما يجدر ذكره أنه كان هناك عدد من قواد الانكشارية المثقفين الذين  
يوقنون عدم إمكان الانتصار على أية دولة من الدول الأوروبية بهذه التشكيلات  
القديمية ، ولم يكن هؤلاء يخشون فقدان مناصبهم لكونهم من ذوي الرتب العالية  
لأنهم بطبيعة الحال سوف ينقلون إلى مناصب أخرى ، لكن عدم وجود الشجاعة

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٨١ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٧٩ .

(٣) محمد فرد بك : المصدر السابق ، ص ٣٨١ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

الكافية لدى السلطان لالغاء هذه التشكيلات زاد من شجاعة المعارضين  
والعصاة<sup>(١)</sup>، مما جعل السلطان سليم الثالث يسعى الى انشاء قوة مشاة جديدة مع  
الاهتمام بكبح جماح الانكشارية، الذين كانوا عقبة في طريق الاصلاح  
العسكري<sup>(٢)</sup>. وقد أطلق على هذه الفرقة اسم " النظام الجديد ". ولتمويل هذه  
الفرقة أنشئت خزانة خاصة للصرف منها على هذا النظام الجديد، فاستفاد  
السلطان الخبراء من فرنسا وانجلترا وبروسيا<sup>(٣)</sup> وذلك بصورة خفية عن العامة  
والعامة<sup>(٤)</sup>. وكان العلماء في البداية مترددين تجاه حركة النظام الجديد، فإلى  
من بينهم من يؤيد الحركة، وعند تعيين اسحق زاده كمدبر الدولة انشأ  
المشيخة في سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م بدأ العلماء في المعارضة وبالجملة من  
على العصيان بكل قوة ضد النظام الجديد، وحشد مؤيدي النظام الجديد  
سليم الثالث<sup>(٥)</sup>.

وكان العلماء المتعصبون، يدعون أن حرس النظام الجديد

يرتدي البنطلون ( السروال ) بدلا من الشالوار ( لباس يأتى الى

الجسم عريض وواسع ) ويدعون أن السلطان سيطلب منهم التوجه

(١) يلماز أورتون : تاريخ الدولة العثمانية . ج ١ . ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) فقد تمردوا في عهد السلطان عثمان الثاني في سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م فقتلوا

ابراهيم في سنة ١٦٤٨هـ / ١٧٣٠م واهم الأول في سنة ١٧٣٠م حاكم الشام وقاتل في سنة ١٧٣١م

الثالث في سنة ١٨٠٧م ومن بعده مصطفى الرابع في سنة ١٨٠٨م .

وكل هؤلاء السلاطين، امد جلعوا أو قتلوا على أيدي الانكشارية .

- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ١٧٩ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ١٧٩ .

(٤) محمد عبداللطيف الحرأوي : حركة الاصلاح العثماني . ص ١٠٢ .

(٥) يلماز أورتون : المرجع السابق . ص ٢٥٧ .



الناس بمثل هذه الأقوال<sup>(١)</sup> حتى حرموا باستعمال البنادق ذات الحراب لأن استعمال أسلحة الكفار عندهم اثم عظيم ، وأسأوا الى سمعة السلطان وبشوا كراهيته في نفوس الجمهور . بقولهم انه بهذا العمل يسيء الى الاسلام بترويجه أساليب الكفار (٢) .

ولم تؤثر تلك المعارضة في تصميم السلطان سليم الثالث على التجديد بل سار في تعميم هذا النظام الجديد في الولايات العثمانية ، غير أن الانكشاريين ما لبثوا أن وقفوا في وجهه وأرغموه على الغاء " النظام الجديد " الذي وصفوه بأنه خدعة مخالفة للشرع ، وأعدموا جميع مؤيديه من رجال الدولة<sup>(٣)</sup> ، وكان شيخ الاسلام عطا الله أفندي والصدر الأعظم يحرسان الثوار سرا<sup>(٤)</sup> .

ولم يكتف الانكشارية بذلك ، بل استصدروا فتوى من شيخ الاسلام بأن السلطان الذي " يعمل بخلاف القرآن " لا يجدر بالبقاء على العرش حتى لا يتركوا له فرصة احياء النظام الجديد . وعزلوه بالفعل في سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م<sup>(٥)</sup> .

وفي الواقع أن التغير كان في البداية في مجال التجهيزات للجيش وتنظيمه وتدريبه ، ولم يكن هناك أي تفكير أو تدخل في الأمور الأساسية مثل التعليم

(١) يلميز اوزتون : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٥٨ .

(٢) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ( بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ) ، ص ١١١ .

(٣) أبو الأعلى المودودي : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٦٧ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٥٧-٦٥٨ .

علاء موسى كاظم نورس : مسئولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ( المحلة التاريخية

المغربية العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٣م ) ، ص ١١٠ .

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٥٨ .

(٥) أبو الأعلى المودودي : المصدر السابق ، ص ١١١ .

علاء موسى كاظم نورس : المرجع السابق ، ص ١١١ .

أو الصناعة أو الزراعة ، بل ان حركة الاستغراب الحقيقية في عهد السلطان تركزت في المجال العسكري فقط ، لاعادة تنظيم فيالق الجيش المختلفة ، وتزويد بعضها بأسلحة جديدة ، وقد اهتم السلطان كثيرا بالمدارس الفنية العسكرية ، وعمليات الترجمة ( ١ ) لبناء الوحدات العسكرية ، المشاة والمدفعية ، وخصص المهندسين لبناء السفن ، وصناعة المدافع لمواجهة تسلط الانكشارية على مؤسسات الدولة وفشلهم في خوض الحروب أمام القوى الأوروبية . غير أن الانكشارية استطاعت خلع السلطان سليم الثالث وتنصيب ابن عمه مصطفى الرابع مكانه ، وعلى الرغم من أنه وصل الى العرش مستندا الى فكرة مخالفة النظام الجديد إلا أنه قتل المتصبيين في الثورة التي قامت ضد السلطان سليم الثالث ونظامه .

وعندما قامت هذه الثورة المناهضة للاصلاح بقتل نفسه من مؤيديه الثالث الجديد ، تمكن الآخرون من الفرار ، و لجئوا الى مصطفى باشا القسطنطينية ، أحد مؤيدي السلطان سليم الثالث والنظام الجديد في روسسجك " روسسجك " روسسجك " وبتشجيع من رجال الدولة ، وكان أكثرهم من المتصبيين الذين كانوا ينادون بالنظام الجديد ، لهذا قرر علمدار اعادة سليم الثالث الى عرش الدولة في روسسجك مهما كان . ولكن السلطان مصطفى لما علم بالأمر ذهب الى سراي قسطنطينية خارج اسطنبول واستقبل هناك علمدار فعرض " اصعباب روسسجك " لعلمدار فرفض علمدار اعتقال مصطفى الرابع ، فرفض علمدار ذلك وأصر على تلبية الفرصة .

فقام السلطان مصطفى الرابع بناء على رغبة علمدار بصرافته في روسسجك ونفي العلماء الذين تدخلوا في هذا الانقلاب ، تهدأة للنفس من قبل السلطان

(١) Roderic H. Davison : Turkey A Short History , P. 70-71.

علمدار على خدماته ، وأمر بعودته الى سواحل الطونة وعدم تركها (١) .

تلكا علمدار مدة أسبوع دون قصد يفكر فيما سيفعله وفي النهاية اقتحم علمدار الباب العالي وأخذ الختم الهمايوني من الصدر الأعظم ، وصار علمدار مصطفى باشا صدرا أعظم للبلاد ، وان لم يكن بصورة شرعية .

علم السلطان مصطفى الرابع بحادث اقتحام علمدار الباب العالي وعرف مايقصده فاتخذ التدابير حيال ذلك ، لكن علمدار لم يسرع في اعتقاله للمرة الثانية ولكنه أرسل اليه شيخ الاسلام يعرض عليه التنازل في الحال عن العرش ولكن السلطان مصطفى الرابع أمر بقتل السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني وبني العهد حتى يبقى هو الوحيد من بني عثمان ، فنجح في قتل السلطان سليم ، ونجا السلطان محمود الثاني بأعجوبة بعد تهريبه الى فناء المنزل الذي دخله علمدار ، ولكي يقضي السلطان مصطفى الرابع على آمال علمدار أمر بقذف جثة سليم الثالث الى الفناء ، فلما رأى علمدار هذا المنظر انكب على جسد السلطان سليم باكيا ، في هذه اللحظة جاء محمود الثاني فبايعه علمدار في الحال ، وقاموا بخلع السلطان مصطفى الرابع وأجلسوا محموداً على كرسي العرش (٢) .

هذه الأحداث المخزنة تعكس ضعف الدولة وانهارها بجلاء من الداخل مما مهد الطريق لهوامل الغزو الفكري أن تتسرب داخل الدولة العثمانية .

كانت الاحتياجات العسكرية قد فتحت أمام الأتراك بعض مجالات الاقتباس ليس فقط في العلوم العسكرية الجديدة ولكن كذلك في العلوم الطبية وفي تعليم اللغات الأوروبية وخاصة الفرنسية (٣) .

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٢) يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص ٦٦٣ .

(٣) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٧٥ .

لم يدرك السلطان سليم الثالث أن الإصلاحات الأوربية جاءت وليدة ثورات اجتماعية واقتصادية وسياسية ، واستمرت منذ عصور النهضة الأوربية ، وأن الحياة العثمانية بأسرها كانت تتطلب الإصلاح العسكري وتستلزم إصلاحات في النواحي الاقتصادية ولكن ليس على الأسلوب الأوربي . وكان هدفه من ذلك هو مواجهة متطلبات الحياة العسكرية ، وإعادة تنظيم الإدارة العامة ، وإحسان الكفاءة عليها ، والأهم من ذلك كله أن الدولة لم تكن لديها ميزانية عامة كافية أوجد فوضى اقتصادية حول استقلال موظفي الحكومة بالاتفاق أيضا على ضرورة رقابة أو إشراف إداري ومالي .

ولم يواجه سليم هذه المشكلة بوضع ميزانية للدولة بل بزيادة كفاءة الكفاءة للنظام القديم بالقضاء على الرقعة والمحاربة الاقتصادية الأوربية التي كانت حسب الكفاءة (١) .

وهكذا تسلّم السلطان محمود الثاني السطة بعد ثورة ١٨٠٨م ، أنه لن يتمكن من اصلاح الجيش الا بالتخلص من الأنظمة العسكرية التي يخطط لهذه المهمة الصعبة خصوصا وأن الأنظمة العسكرية كانت في البكتاشيه . وهم من أكبر فرق الطرق الصوفية التي بارك الله فيهم في البلاد ، فحاول السلطان محمود الثاني اقتناع هؤلاء الأتباع الصوفية العسكريين على النظام الأوربي ولكن دون جدوى ، بل إن هؤلاء الأتباع قائلين : " ان ولي الله الحاج بكتاشي . كان قد بارك لنا في تأسيسها ، ودعا لها بالنصر الدائم وكانوا يزعمون انه يبارك لنا في تأسيسها ، يغنيها عن كل تعليم " (٢) .

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) علاء موسى كاظم بورس : مدى مسئولية الانتكاسية في تدهور الدولة العثمانية ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد ٢٦ ٢٦ - ٢٦ ، ص ٥ ، ١٩٨٢ ، ص ١٩١ .

وقد استفاد محمود الثاني الذي كان يكن للسلطان سليم الثالث حبا عميقا، من كافة أخطائه ، وكان يلتقي به في الشهور الأربعة الأولى من تولي السلطان مصطفى الرابع السلطنة ، وكان السلطان محمود الثاني يملك الصفات التي تؤهله لتقييم هذه الأخطاء بعد أن قام سليم الثالث بسردها عليه ، وأوصاه بعدم الوقوع في الأخطاء التي وقع هو فيها .

لذلك استدعى السلطان محمود الثاني عند توليه العرش الأعيان من الأناضول والروملي إلى اسطنبول وأفهمهم أن الدولة في حالة حرب دائمة مع روسيا ، فحرروا ميثاق الاتفاق المسمى " سند اتفاق " وبموجبه وقعوا على أنهم سيمثلون لأوامر الدولة . وكان توقيع هذا الاتفاق في سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م .  
ولحاجة الدولة الى جيش محارب تم إحياء النظام الجديد الذي أفته ثورة الانكشارية على السلطان سليم الثالث ، باسم " سكيان جديد " .

وبتاريخ ١٤ / ١٠ / ١٨٠٨م استدعى عبدالرحمن باشا من قونية الى اسطنبول ليرأس هذا الجيش <sup>(١)</sup> كنوع من النظام الجديد احتراسا من تجدد الفتن من الانكشارية <sup>(٢)</sup> .

وكان السلطان محمود الثاني قد علم بما أتته الجنود المصرية المنظمة من انتصارات باهرة في حرب المورة ، فتاقت نفسه الى هذا التنظيم ، وزاد تعلقا بهذا الاصلاح وصمم على استكماله <sup>(٣)</sup> .

معنى ذلك أن حرب المورة قد أظهرت محاسن التنظيم العسكري الجديد عند الخاصة والعامة ، وأن المعارضة في الاصلاح الحربي لم تعد أمرا مقبولا من

(١) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٦٤-٦٦٥ .

(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٧١ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢٩ .

المعارضين ، وأصبح الرأي بتنظيم الجيش الجديد شيئا طبيعيا ، وفشلت على اثر ذلك مخططات أغا حسين باشا رئيس الانكشارية آنذاك وبقية زعمائهم ومنذ أن جرت تلك الحرب وكثير من العلماء ورجال الدولة يجرون المشاورات ويكتبون المذكرات لاجراء ترتيب جديد ، ولما سنل حسين باشا عن رأيه في صورة مناسبة لتنفيذ الاصلاح الحتمي وهو حاكم قلاع البسفور برتبة وزير وكان من قبل أغا للانكشارية ، فهو عليم بأصولهم وعناصرهم قال : " ان حال الانكشارية معلوم ، وعلى كل حال يمكن أن نلزم الكبار ونسكت الصغار منهم ، اما ما بين هذين الصنفين فهم لا يقبلون حقا ، وربما يثيرون عصيانا ، ولكن تأثيرهم لا يتعدى قشلاقات<sup>(١)</sup> اسطنبول ، وهؤلاء يجب إعدامهم فورا " . ولكن اعدام عدد كبير منهم مجرد احتمال عدم موافقتهم أمر مناف للعدل ولذلك استعطف السلاطين على التفاهم معهم أولا بالحسنى ، فاذا لم يقبلوا نفذ هذا الرأي . ثم أمر السلاطين بأن كل ما يتعهدون به أو يقولونه يكون مكتوبا دون لبس أو ابهام وأن يكتبوا بعد حجة عليهم .

كان السلطان سليم الثالث ، قد لقن السلطان محمود الثاني درساً عظيماً في مستقبل الدولة متعلق بتأسيس جيش جديد ، فقام السلطان الذي لا يفرق بين الجنرال واحد عن أخطاء السلطان سليم الثالث فأدخل بين جنرالات الانكشارية جنرالات من مؤيديه يؤمنون بفكرة الإصلاح ، لذلك سعى السلطان محمود الثاني ولمدة سبعة عشر عاما إلى التحزم بالصبر والاحتياط لالغاء تشكيلات الانكشارية الذين لم يتمكنوا من الوقوف تجاه عصيان اليونان ، فكيف حسناطه التي لم تكن

(١) فيشلان : أصبحت قشلة وأصلها فيشلق ، ومعناه المأوى الضيق بالاشتراك مع الصعدت نظائرا على قلاع الجنود أو مراكزهم السكنية عامة .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٨٢ ، حاشي رقم (١) .

(٢) محمد عبداللطيف البحراري : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٧٤ .

روسيا التي يحتمل أن تعلن في أي لحظة، لم يكن هذا الأمر يقلق السلطان وحده ، بل أخذ يقلق جميع رجال الدولة . وفي سبيل تحقيق آماله فانه لجأ الى دس أنصاره بينهم حتى لا يثيرهم بالرقابة الظاهرة ، لأنهم أكثر منه حذرا وقلقا ، وفي النهاية تم بصورة رسمية إعلان تأسيس تشكيل جديد في الجيش باسم " تشكيلات اشكينجي " وذلك في سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م . فوجد فوراً سبعة آلاف وثمانمائة وخمسين شخصا ، وشرع بتدريبهم على الطراز الأوربي ، وقد أتم هؤلاء الأفراد الذين تم تشكيلهم من بين الانكشارية المتطوعين اختيارا دقيقا <sup>(١)</sup> لتعليم فنون الحرب ، وكانهم قد حولوا فعلا للنظام الجديد <sup>(٢)</sup> . اضافة الى تزويدهم بعدد من شباب المسلمين القيايين في ديوان الجند <sup>(٣)</sup> . فاصدر شيخ الاسلام فتواد المشهورة حول تأسيس هذه التشكيلات الجديدة ، فألبس الجند الجدد اللباس على الطراز الأوربي <sup>(٤)</sup> ، ووافق جلال الدين أغا على اعداد هذا الجيش ، وتدريبه على أحدث النظم <sup>(٥)</sup> . فكان جلال الدين أغا رئيس الانكشارية وجنرالات الانكشارية الآخرون من رجال السلطان يؤمنون بفكرة تحديث الجيش ، لهذا وضع السلطان كافة التدابير حيال عصيان الانكشارية <sup>(٦)</sup> .

وحينما شرع السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م بتعليم جنوده على القواعد الأوربية الحديثة قيل عنه أنه أخذ من ذلك اليوم يفكر في تدمير الانكشارية وابدانهم ، وقد أصدر منشورات سلطانية تتضمن القدح في أعمالهم ،

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٧٦ .

(٢) محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٧٥ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٦١ .

(٤) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ٦٧٦ .

(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٦١ .

(٦) محمد عبداللطيف البحرأوي : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٦) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ٦٧٧ .

عدد فيها ما ارتكبه من الفضائح والغلطات التي اقترفوها ضد سلاطينهم ظلمسا  
واستبدادا<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن الانكشارية لم يستطيعوا الصبر خاصة عندما  
شاهدوا السلطان يقوم بتطبيق النظام الجديد على وحدات الجيش المختلفة بأحد  
من سطوتهم ونفوذهم . فسواعهودهم ، وأخذوا يتحدثون سرا وينقسمون على  
ذلك النظام . فحاول الصدر الأعظم قمعهم سرا وجهرا فلم يزدوا إلا  
عددا<sup>(٢)</sup>.

هؤلاء الانكشارية الذين صبروا على جنود السطوة الطائفة السنية في  
عشرة سنة ، عصوا هذه المرة بعد البدء بتدريس تشكيلات الانكشارية في  
أيام فقط . وقد نجح جلال الدين أغا سز الدرغز بقصدهم في  
الفرار<sup>(٣)</sup> . فتمردوا وهاجوا وماجوا . وهجموا على منزل الصدر الأعظم  
الوزراء ، فلم يظفروا بأحد منهم . فخرجوا إلى سراج الميناء في  
العلماء ورجال الدولة وكل من له يد في وضع النظام الجديد . فقتلوا  
من صادفوه . وينهبون ويحرقون . وقد تمكن الصدر الأعظم  
السلطان محمود الثاني وأخبره بما حدث . فأمر السلاطون بالقبض  
الانكشارية . ودعوة الناس للاجتماع أمام السراي فاجتمع الناس  
وقواد وضباط وأعيان<sup>(٤)</sup> . فوقف الصدر الأعظم وهو جوارحها

(١) اسماعيل سرهنت : حقائق الأخير عن دول سلاجقة ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) هيئة التحرير : تاريخ الحمد العثماني ، ( مجلة الفضائل ) ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

٤٦٩ .

(٣) يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية العثمانية ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٤) هيئة التحرير : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ .

Ruderic H. Davison : Turkey A Short History , p. 74 .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣٠ .



الدولة ينتظرون وصول السلطان من سراي بشكطاش ، فلما حضر خطب في الجماهير الحاضرة فاستنهض هممهم ، فأقسموا على الثبات حتى يفوزوا بآبادة الانكشارية أو يقتلوا فداء عن سلطانهم ، فطلبوا منه أن يرفع لهم الراية ، فرفعها ومشى ، ومشى الناس خلفه ، وتوافدوا من أنحاء المدينة للدفاع عن السلطان والدولة . ففرق السلطان عليهم الأسلحة ، ثم سلم العلم الى المفتي قاضي زاده طاهر . وجلس هو في قصر ( كشك ) فوق باب السراي للاشراف على ساحة القتال (١) .

وقبل بدأ المعركة اجتمع الصدر الأعظم والمفتي والعلماء في جامع السلطان أحمد . وتلوا بعض سور القرآن الكريم ثم نهضوا لحرب الانكشارية وسار معهم العسكر . وأهل المدينة ، فأدركوا الانكشارية وقد تجمهروا في ساحة آت ميدان " ميدان الحصان " وقد قلبوا قدورهم معلنين بذلك العصيان والتمرد . فحاولوا ردهم بالحسنى ، فأبوا مصممين على الانقلاب عندئذ أطلقوا عليهم الرصاص من كل صوب ، والتحم الفريقان وكانت مذبحه هائلة دارت الدائرة فيها على جنود الانكشاريين ، ومن لم يقتل منهم قيد أسيرا ، فنجت البلاد منهم وهدأت الأحوال ، وأخذ السلطان في تنظيم الجند الجديد (٢) .

لهذا استطاع السلطان محمود الثاني أن يقضي على الانكشارية القضاء التام عندما حصل على فتوى شرعية تجيز له حل هذه الطائفة (٣) مما هيا له جوا مناسباً للإصلاح ، وحقق نجاحاً باهراً في استمالة العلماء الى جانبه ، بعد أن كان هؤلاء

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٣٠ .

، هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، مجلة الهلال ، ج ٨ ص ١٧ ، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٩ م ، ص ٤٦٩ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٣٠ .

، هيئة التحرير : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٩ .

العلماء سندا للاكتشافية ، كذلك أوجد العلماء أحرار بين الاكتشافية أنفسهم مهذلة الطريق لتتخلص منهم .

وأحدث إلغاء تشكيلات الاكتشافية صدى كبير في جميع أنحاء الهند وخصصت الصحف الأوربية عدوين كبيرة لذلك الحدث ، وهذا الاستغراب المستعجل في سبيلهم باسم حكومتهم .

وتحس العثمانيون هذه الموقعة ، الموقعة الخيرية ، لأنهم تعلموا بغير خبر ومعنى ذلك أن الاستغراب قد زاد في عهد السلطان محمود الثاني ونراة الاتصال بالغرب ، وخاصة منذ سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ م . فبدأوا بالانكشافية وقضى عليهم ، لأنهم كانوا العقبة الكمالة في طريق الإصلاح . ذلك الحين بدأ تكوين جيش جديد على الطراز الأوربي في سبيلهم . ومهندسين فرنسيين وألمان ، تم قام بتأسيس الأكا ديمية الهندسة في ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م وأرسل بعض خريجيها إلى العواصم الأوربية لتلقي تعليمهم .

وأسس مدرسة للطب جعل التدريس فيها باللغة الفرنسية . وأداره إدارة للترجمة ، ومجلسا أعلى للقضاء كلفه بوضع القوانين الجديدة . ونص في القرآن أو السنة ، وعرف باسم " مجلس والي الأحياء " . وأعضاءه من مختلف الأديان ، ومن هذا مجلس البتق لمجلس الدولة في ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م (٤) .

(١) محمد عبداللطيف البحر اوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١١٦ .

(٢) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٧٨ .

(٣) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوصاف الاسلامية في تركيا ، ص ١٢٩ .

عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٧٨ .

Roderic H. Davison : Turkey A Short History , p. 75 .

(٤) عبدالعزیز نوار : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

كما أعاد السلطان محمود الثاني في سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م افتتاح سفاراته في العواصم الأوروبية ، وقد كانت أغلقت على إثر خلع السلطان سليم الثالث وفي هذه السفارات جرى تدريب مصلحي القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي أمثال مصطفى رشيد الذي كان سفيرا في باريس سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م ، وعلى باشا الذي كان يعمل في سفارة فيينا سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م وفؤاد باشا الذي عمل في سفارة بلاده في لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م<sup>(١)</sup> .

إضافة الى ذلك فقد ضمت الكلية الحربية في اسطنبول حوالي أربعمئة كتاب بالفرنسية ، وكان من ضمن هذه الكتب دائرة المعارف الفرنسية وكتب راسخونك روسو أحد رواد الثورة الفرنسية . فكان العسكريون هم الفئة التي تعرضت لأضرار الاحتكاك مع الغرب .

لذلك كانت القوة العسكرية هي أول أدوات التحول الكبرى في ميدان الثورات الإصلاحية . ومع استيراد المدربين والفنيين دخلت الأفكار الغربية محطة النظام السياسي والاجتماعي في الدولة .

ففي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م أرسل السلطان محمود الثاني بعثة تركية مؤلفة من مائة وخمسين طالبا لعدة دول أوروبية .

وبعد عدة سنوات ارتفع عدد طلاب البعثات كثيرا حتى بلغ الآلاف وكانت أوروبا خلال الفترة (١٣٢٦-١٢٥٦هـ/١٨٢٠-١٨٤٠م) تموج بأشياء كثيرة تعلمها الطلاب المتعثرون من الشرق ، وتأثروا بها ، وكانت من أسباب ظهور طائفة جديدة من أبناء الدولة العثمانية ، لم يستطع أن يتقبلهم المجتمع العثماني ، وقد أطلق عليهم اسم " الشبيبة العثمانية " أي ( العثمانيون الشباب )

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٣-١٩٤ .

تشكلت منهم مجموعة من المتحررين الذين استوطنوا أوروبا ليقوموا بدور المعارضة<sup>(١)</sup> فيما بعد.

وبعد استعراض هذه الأحداث يتبين لنا أنه بعد إلغاء الانكشارية والحد من سلطتهم ، صارت الدولة العثمانية تسير في طريق الإصلاحات والتنظيمات العسكرية<sup>(٢)</sup> . فقام السلطان محمود الثاني إضافة الى ماسبق بإصدار جريدة رسمية وأدخل اللباس الأفرنجي وجعله زي الجند النظامي الى جانب قيامه ببعض المشاريع العمرانية لبناء مؤسسات الدولة ، ولكن الروس بدأت تنحصرش بهد حتم الاتفاقيات هذه الإصلاحات خوفا من استعادة الدولة قوتها ، وقد ساعد الروس في سنواتهم هذا محمد علي والي مصر في حملته ضد الدولة العثمانية ، والبرلمان في السلطان في إصلاحاته وخاصة العسكرية<sup>(٣)</sup> .

لكن السلطان محمود الثاني ابتكر في نهاية عهده ما يعرف بالتعليم للموظفين ، كانت تدرس فيها المواد باللغة الفرنسية بالإضافة الى اللغة العثمانية علمانية أخرى ، وذلك لتولي المناصب العليا في الدولة من قبل هؤلاء الموظفين . وهذا التعليم<sup>(٤)</sup> . وهذا التعليم يوضح تفكك أوروبا في التعليم دخل عن طريق التعليم العسكري ، والطبي ، والطب الشرعي ، والهندسة ، والعلوم الطبيعية . محمودا يفتح مدرسة ثانوية خاصة للموظفين الكبار الذين هم في رتبة الكابتان في الدولة على أحدث الطرق العلمانية ، التي انتشرت في عهد السلطان عبدالمجيد المعروفة في عهد السلطان عبدالمجيد .

(١) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوساط الإسلامية في تاريخها الحديث .

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٦٩ .

(٣) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، ص ١٥٩ .

(٤) Rodenc H. Davison : Turkey A Short History , p. 76 .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٣ .

## ب - عصر التنظيمات العثمانية :

عصر التنظيمات في مفهوم التاريخ العثماني الحديث مصدره " قانون تنظيم اتمك " وتعني (عمل وتنظيم قانون ) ويقصد بالتنظيمات هنا الاصلاحات التي ادخلت على أداة الحكم والمؤسسات الادارية في الدولة العثمانية منذ بداية عهد السلطان عبدالمجيد ( ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م )<sup>(١)</sup> .

والتنظيمات تستند الى مرسومين سلطانيين أساسيين : صدر الأول منهما في سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م . وعرف هذا المرسوم باسم " منشور كلخانة " أو (خط كلخانة ) . وصدر الآخر في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م . وعرف باسم " الخط الهمايوني " <sup>(٢)</sup> .

والتنظيمات ماهي الا امتداد للاصلاحات التي قام بها السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني ، وكان الغرض منها هو انقاذ الدولة العثمانية من الضعف الذي تسرب الى مؤسساتها المختلفة . وقد شاهدنا في الفصل السابق كيف استطاع السلطان محمود الثاني بحنكته السياسية القضاء على الانكشارية التي كانت تعارض كل اصلاح أو تجديد في المؤسسات الحربية بصورة خاصة والمؤسسات الأخرى بصورة عامة <sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك التاريخ أصبحت محاولات الاصلاح ممكنة ، وبالرغم من أن السلطان محمود الثاني كان يركز في اصلاحاته على الجوانب العسكرية أكثر من

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تنظيمات . ج ٥ . ص ٤٩٩ .

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص ٧٥ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : المرجع السابق . ج ٥ . ص ٤٩٩ .

عبدالكريم مشهدي : العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا . ص ٧١ .

سواها فان عهد السلطان عبدالمجيد (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م)<sup>(١)</sup> قد أضفى على حركة تغريب الدولة العثمانية الصبغة الرسمية ، اذ أمر أن تتبنى الدولة هذه الحركة فأصدر المرسوم السابقان وبهما بدأت الدولة العثمانية بما يسمى بعصر التنظيمات .

وبهذين المرسومين بدأت الدولة العثمانية للأسف تستلهم الروح الغربية في الحياة ، وتستلهم الفكر الغربي في التقنين واقامة المؤسسات الادارية والعسكرية وتتنكر لأصولها وحضارتها وشريعتها الاسلامية .

والحق أن السلطان عبدالمجيد كان خاضعا لتأثير وزيره مصطفى رشيد باشا الذي وجد في الغرب مثله الأعلى ، وفي الماسونية فلسفته المثلى وهو الذي أسس الجيل التالي له في الوزارة ورجال الدولة . وبمساعده أسهم هؤلاء من بيناهم في عجلة التغريب التي بدأها هو أولا والذي صار سقوط السلطان عبدالمجيد نتيجة لذلك وخروج الدولة عن الخط الاسلامي امتدادا طبيعيا لفكرة التغريب التي بدأها . أما أسباب صدور هذين المرسومين فقد تمثل في انهيار الدولة العثمانية للأزمات الكبرى التي كانت تمر بها الدولة العثمانية والعجز عن حلها .

نظمها الاسلامية وهذه الأزمات هي :

- ١- أزمة محمد علي مع الدولة العثمانية ، وصدور مخطط الخديوي محمد علي في ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م .
- ٢- حرب القرم بين الدولة العثمانية والروس ، وصدور مخطط الخديوي محمد علي في ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٠ .

عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوساط الإسلامية في تركيا ، ص ٧١ .

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد : ترجمه وتفسير وتعليق محمد حبيب عبدالحميد (الطبعة الأولى ،

الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ٣ .

هاتان الأزماتان هما ماسوف نتحدث عنه هنا بإيجاز حتى نصل من خلال عرض تلك الأحداث الى سبب اصدار هذين الخطين أو المرسومين وماتلى ذلك من تنظيمات ، فأول هذه الأسباب نلمسه بعد موقعة نفارينو ، عندما اختلفت وجهة نظر السلطان العثماني وواليه في مصر محمد علي ، فالسلطان رغم تدمير أسطول الدولة العثمانية في المعركة قد صمم على رفض مطالب الدول المتحالفة ، بل انه لم يقف عند هذا الحد ، فأخذ يطالب بالتعويض بالمال عما لحق بأسطوله من الدمار .

أما وجهة نظر الوالي العثماني في مصر محمد علي فقد رأى أنه لا فائدة تناها الدولة من مواصلة القتال أمام القوات المتحالفة ، بعد أن فقدت اسطولها في المعركة فقرر عدم تقديم أي مساعدة للقوات العثمانية المنهزمة والانسحاب بكامل قواته الى مصر ، ويظهر أن محمد علي كانت تراوده فكرة مشروع ترمي الى تشكيل دولة عربية يمتدحها لنفسه من بلاد السلطان محمود الثاني ، الا أن هذه الفكرة لم تتحقق لأنه اصطدم بمعارضة اللورد بالمرستون ( Palmerston ) والذي كان أول من تباه لمشروع محمد علي ، فتحطم حلمه ، ولكنه أوشك أن يحقق هذا الحلم بالاستيلاء على بلاد الشام في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ١٨٣٢ م (١) .

علما بأن مصر لم تنل من الحرب اليونانية من الناحية المادية أي شيء الا أن اشتراكها في تلك الحرب برهن على كفاءة جيشها الذي أصبح يضارع أرقى الجيوش الأوروبية في ميادين القتال (٢) .

ونتيجة لهذا التصرف الذي قام به محمد علي تجاه السلطان محمود الثاني

(١) جورج أنطويوس : بقطة العرب ، تعريب على حيدر الركابي ، ( دمشق ، مطبعة الزقي ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٤٦ م ) ، ص ١٢ .

(٢) عبدالرحمن الرافي : عصر محمد علي ، ص ٢١٥ .

والدولة العثمانية بدأ النزاع بين السلطان وواليه علي مصر محمد علي وذلك بعد انسحاب قوات السلطان من بلاد المورة بموجب معاهدة أدرنة سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م واعترافه باستقلال اليونان علي غير ما كان يرغب وربما يكون سبب ذلك أن محمد علي رأى ضالة المكافأة التي منحها له السلطان ثمن تدخله في بلاد اليونان ، باعطائه جزيرة كريت ، في الوقت الذي كان محمد علي يطمح في تعيين ابنه واليا علي بلاد الشام بدلا من جزيرة كريت ، ولكن السلطان لم يستجب لطلبه (١) .

ذلك أنه لما نشبت حرب اليونان لم يكن محمد علي قد صدق الانسحاب منها فيها ، بجانب قوات السلطان ، ولكن التطويح له باعطائه جزيرة كريت في وقتها بعد الحرب من السلطان جعله يدفع بقواته لانهاد الحرب اليونانية في بلاد العثماني (٢) .

وبالرغم من أن هزيمة نغارينو سنة ١٩٤٣هـ/١٨٧١م كانت

السلبية علي محمد علي ، لكنها في الواقع كانت حروبا انتصرت فيها السلطان بصورة واضحة والتأكيد علي ضم بلاد الشام الى الدولة المساعدة التي بذها في حرب اليونان ، وان لم تكن المساعدة قد أتت في احتلال تلك البلاد معتمدا علي قوة السيف والمدافع التي كانت في ذلك بل انه أخذ يفكر في الاستقلال والانفصال عن التي كانت في ذلك واضحا عندما طلب السلطان محمود الثاني إرسال الاسطول

(١) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤١ .

، عبدالرحمن الرفاعي ، عصر محمد علي ، ص ٢١٧ .

(٢) عايض حزام الروقي ، حروب محمد علي في الشام ، ص ٧٩ .

، محمد كمال الدسوقي ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) جورج أنطويوس ، بقطة العرب ، ص ١٢ .



القوات العثمانية في حرب روسيا ، فامتنع عن مد يد المساعدة وتلبية طلب السلطان <sup>(١)</sup> . وفي الوقت نفسه أخذ يحاول ارضاء السلطان بالمال ، كما أنه شرع في تقوية جيشه وأسطوله <sup>(٢)</sup> .

ولكن أثناء إعداد هذا الجيش لم تسعفه الموارد المالية التي كان يقدمها بسخاء للسلطان والجيش ، فلجأ الى فرض الضرائب الفادحة على الشعب المصري ، كما استخدم بعض العمال بالسخرة ، لهذا السبب فر من مصر أعداد كبيرة هروبا من سياسته التعسفية التي كان يعامل بها السكان <sup>(٣)</sup> .

وبعد أن استطاع بناء هذا الجيش والأسطول أصبح في وضع عسكري جيد يجعله ناعما للسلطان ، بل أصبح لديه جيش أقوى من جيش السلطان نفسه <sup>(٤)</sup> ، لذلك ازدادت مطامعه وصار يتحين فرصة الانقضاض على بلاد الشام وانشاء دولة عربية <sup>(٥)</sup> تشمل معظم الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية وتكون مصر رأس هذه الدولة ، خاصة وأنه كان يعرف الكثير من ضعف حكومة اسطنبول ويدرك كل الإدراك نوايا الدول الأوروبية نحو الدولة العثمانية ، لذلك اعتبر نفسه وريثا لقسم من أملاك الدولة ، وذلك بوصفه عثمانيا مسلما <sup>(٦)</sup> ، فعندما رأى علو قوته، وضعف الدولة العثمانية وارتباك احوالها عقب حرب اليونان وحرب الروس وامضاء معاهدة أدرنة معها ، اضافة الى كثرة الاضطرابات الداخلية بها

- 
- (١) عبدالرحمن الراجحي : عصر محمد علي ، ص ٢١٦ .
  - (٢) عايض حزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٣٨ .
  - (٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .
  - (٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٨-٤٤٩ .
  - (٥) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .
  - (٦) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ( بيروت ، دار الكتاب العربي ) ، ص ٢٢ .
  - (٧) نجلاء عز الدين : العالم العربي : ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ( الطبعة الثانية ، القاهرة ، الناشر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢م ) ، ص ١٠٧ ، ١٠٦ .

لمقاومتها بعض رعاياها حول معارضتهم ادخال بعض الاصلاحات في الدولة (١) ،  
ولذلك استغل هذه الظروف مجتمعة وأعلن الحرب على السلطان ، ويظهر ان  
تحركه هذا كان بايعاز من فرنسا التي كانت ترغب في اشغال روح الخلاف بين  
السلطان وواليه في مصر حتى تتمكن من تأسيس الامبراطورية التي عزم على  
تأسيسها في شمال أفريقيا ، وهي التي طلبت من محمد علي ان يشترك معها في  
الجزائر . حتى يزداد الخلاف بين السلطان وواليه علي مصر . فرفض سلطان  
السلطان العثماني ليس لديه الوقت أو المال الكافي لإنشاء جيش جديد أو  
بالأسلحة الحديثة والعمل على تنظيم موارده المالية . لشهد انقلابا في  
على الانكشارية .

وقد رحب محمد علي بفكرة الاشتراك مع فرنسا في حروبها في  
من الدولة العثمانية ، وكاد أن يتشارك معها ، لو أن دولته لم تكن  
المغامرة ، لأهدافها السياسية ، فتراجع محمد علي عن الفكرة  
بانجلترا (٢) ، لأنه يعرف أطماعها في المنطقة وهي تحركت  
أن فرنسا كانت له السند في حروبه في شبه الجزيرة العربية ،  
العميل الذي تعتمد عليه في تنفيذ أطماعها لمضايقة بريطانيا  
الى الخليج وبريطانيا تحاول منعها . وعندما فشلت فرنسا في  
جانبا أو عزت اليه بالمساعدة والمساندة اذا هو قادر بالاعتماد على  
مستغلا الخلاف الذي نشب بينه وبين والي عكا عبد الله الجزار الفارسي  
تسليم الفارين اليه من المصريين بدعوى أن الاقليمين تابعين له

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ١٠١

(٢) محمد ضياء الدين الرئيس : الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٦٤ ، ص ١٠١

أمر محمد علي في سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م بالتجهيز لحرب بلاد الشام وأسند مهمة قيادة الجيش لابنه ابراهيم باشا الذي سار وحاصر مدينة عكا برا وبحرا<sup>(١)</sup> وذلك بعد أن عقد محمد علي في وقت سابق معاهدة سرية مع بشير الشهابي أمير لبنان وبعض مشايخ الدروز ومشايخ جبل نابلس لمساعدته في الاستيلاء على بلاد الشام<sup>(٢)</sup>.

وفاطمه السلطان محمود الثاني بغزو محمد علي الشام أرسل اليه يأمره بذلك، عن تلك الحروب واخراج جنوده من الشام، وله بعد ذلك أن يرفع التكرار إلى الباب العالي ليحكم بينه وبين خصمه عبدا لله الجزائر، ولكن محمد علي لم يوافق ذلك ولم يعر اهتماما لأوامر السلطان، عندئذ طلب السلطان عقد مجلس مؤلف من مشايخ الأطباء وكبار المدرسين، وعرض عليهم خروج محمد علي عن البلاد فوافقوه جميعا بخروجه عن طاعة السلطان<sup>(٣)</sup>.

هنا طلب السلطان من والي حلب السير لحرب جيوش محمد علي واسترجاع مدينة عكا، ولكن ابراهيم باشا لم ينتظر ملاقاته في عكا، بل سار بملاقاته بعيدا عن عكا، فتقابل الجيشان في مدينة حمص، وانتهت المعركة بانتصار الجيش المصري، ثم عاد ابراهيم باشا إلى مدينة عكا وشدد الحصار عليها حتى استسلمت ودخلها في سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م وأسر عبدا لله الجزائر وأرسله إلى مصر ليتولى محمد علي أمره<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٥٠.

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٦٨٧.

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى، ص ٢٢.

(٤) اسماعيل سرهك : المصدر السابق، ص ٦٨٧.

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ٤٥٠.

(٦) اسماعيل سرهك : المصدر السابق، ص ٦٨٧.

(٧) كامل باشا : تاريخ سياست دولت عليه عثمانية، ج ٣، ص ١٣٠-١٣١.

وبمجرد وصول خبر سقوط عكا للسلطان أمر بجمع ما يمكن جمعه من الجنود المنتظمة ، وكانت تقدر بحوالي ستين ألف جندي ، فعين عليها حسين باشا والي أدرنه قائدا عاما ، وسار هذا الجيش الى بلاد الشام ، والتقى مع جيش ابراهيم باشا بمضيق بيلان (١) . فاستطاع ابراهيم باشا الفوز على الجيش العثماني في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م (٢) .

هذا الأمر استدعى السلطان الصدر الأعظم رشيد محمد باشا وهو من أعظم القواد وأشجعهم في تلك الفترة ، وكان ببلاد الأرناؤوط ينظم أحوالها عقب انفصال اليونان عن الدولة . فأرسله السلطان بجيش لصد خطر ابراهيم باشا الذي عبر جبال طوروس واحتل اقليم أطنه وهو في طريقه الى مدينة قونية وسار الى الأناضول ، فالتقى الجيشان في موقع بالقرب من مدينة قونية المذكورة ، وحدثت حرب طاحنة أسر الصدر الأعظم رشيد محمد باشا في يوم مطير كثير الغمام والضباب ، بينما كان يعد جيشه للقتال ، وذلك أنه دخل بين صفوف الجيش المصرية ظنا منه أنهم عساكره ، فأسروه ، وبانتشار خبر أسره احتل جيشه والبلاد أمام قوة الجيش المصري ، في الوقت الذي كاد أن يهزم فيه الجيش المصري . وبعد هذه المعركة تقدم ابراهيم باشا الى كوتاهية ، حيث تغلب على الجيش العثمانية ، وأصبح الطريق ممهدا أمامه الى اسطنبول (٣) .

ونتيجة لهذه الهزائم المتلاحقة لجيش السلطان ساد القلق مدينة اسطنبول وشكك السلطان من تقدم ابراهيم باشا بجيشه كما أن تلك الانتصارات أسعدت

(١) بيلان : أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والأناضول :

— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٠ .

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

(٣) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

كامل باشا : تاريخ سياست دولت عليية عثمانية ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

الدول الأوروبية ، وخشيت أن يكون قصد محمد علي احتلال اسطنبول ، فيختل التوازن الأوربي ، وكانت روسيا أشد قلقا من غيرها لخوفها من سقوط اسطنبول في يد من يمكنه الذود عنها بقوة أكثر من آل عثمان فلا يمكنها فيما بعد تنفيذ وصية بطرس الأكبر<sup>(١)</sup> .

وقد انتهزت روسيا هذه الفرصة فتقدمت الى السلطان تعرض عليه المساعدة وحمائته من خطر محمد علي ، فرفض السلطان في بادئ الأمر<sup>(٢)</sup> ، إلا أنه في هذه اللحظة الحرجة كان يبحث عن حليف له ، يصد عنه هذه القوة الجارفة من قوات محمد علي . فلقد وجد أن فرنسا تؤيد محمد علي وتساعدته كما سبق وبريطانيا لاتستمع الى نداءات السلطان ، ربما بسبب مشاغلها في المشكلة البلجيكية<sup>(٣)</sup> . ولذلك لم يجد السلطان أمامه سوى القيصر الروسي .

وما كان السلطان ليقبل هذا التحالف مع عدوه اللدود ، ولكن الظروف كانت قاسية ، وبعد المفاوضات عقد السلطان مع القيصر الروسي اتفاقية ( خنكار اسكله سي ) ( الميناء الملكي ) في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م التي حولت للقيصر الحق في ارسال جيش الى المضائق العثمانية للدفاع عن السلطنة العثمانية حتى لاتقع في أيدي محمد علي وفعلا نفذت المعاهدة ، ونزلت القوات الروسية على مقربة من اسطنبول ، الأمر الذي أزعج الانجليز وجعلها تحتاط للأمر<sup>(٤)</sup> .

فبما أن معاهدة خنكار اسكله سي قد أثارت العواصم الأوربية حيث أنها أخذت شكلا سياسيا آخر ، فانها أيضا كانت سببا في اهتمام اللورد بالمستون

(١) محمد فريدبك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٠-٤٥١ .

(٢) نخلاء عز الدين : العالم العربي ، ص ١٠٧ .

(٣) كنت تاترة على هولندا للاستقلال عنها لأنها صمت اليها في عام ١٨١٥م بموجب مؤتمر فيس في

أعقاب حرب نابليون وخلعه عن عرش فرنسا

(٤) عبدالعزير بوزار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٣ .

رئيس وزراء إنجلترا ، والأمير مترنيخ رئيس وزراء النمسا<sup>(١)</sup> ، اللذين توصلا من خلال تحليلهما للموقف الجديد الى حقيقة مهمة هي أن روسيا بعد معاهدة ( خنكار اسكله سي ) أصبحت القوة المواجهة لمصر ، وأصبحت في الوقت نفسه حامية للدولة العثمانية ، ولهذا عملت حكومة بالمرستون على تدويل القضية<sup>(٢)</sup> ، لأن أبواب الدولة العثمانية وفارس أصبحت مفتوحة أمام الروس ، هذا ماقاله الانجليز ، وهذه مبالغة ، كانت من أساليب الانجليز لاثارة الرأي العام ضد خصمهم اللدود روسيا<sup>(٣)</sup> .

لهذا أخذ اللورد بالمرستون ومترنيخ يتخابران مع فرنسا فاتفقوا جميعا على إلزام ابراهيم باشا بعدم التقدم ، مما اضطر محمد علي الى عقد الصلح مهموما والانصياع الى أوامر السلطان (٤) . وفي الوقت نفسه نصحت بريطانيا السلطان بتسوية المسألة ، ووعده بالتوسط بينهما ، فقبل السلطان بهذا التوسط . وبعد مخابرات دارت بين الطرفين المتنازعين ، اتفقا على أن يفتلي محمد علي منطقة الأناضول من جيوشه ، وترجع الى ماوراء جبال طوروس ، ويهبط الى بلاد محمد علي ولاية مصر مدى حياته ، ويعين واليا على ولايات الشام الأربعة ( حلب وطرابلس وحلب ودمشق ) وعلى جزيرة كريت . ويعين ابنه ابراهيم باشا على اقليم أظنه . وقد سمي هذا الاتفاق باسم ( معاهدة كوتاهية ) (٥) في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م<sup>(٥)</sup> .

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخير عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

(٢) عبدالعزيز بوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٣ .

، نجلاء عز الدين : العلم العربي ، ص ١٠٧ .

(٣) عبدالعزيز بوار : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٨٧ .

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

ولاشك في أن هذا التدخل الأوربي في تسوية المشكلة ليس حبا للدولة العثمانية ولا لمصر ، ولكن كل هذا من أجل المحافظة على مصالحهم في المنطقة وزيادة أطماعهم الاستعمارية فيها والرغبة في سد الباب أمام روسيا<sup>(١)</sup> حتى لا تزحف الى المنطقة فتضيع بذلك مصالح بريطانيا وفرنسا في البحار والأقطار التابعة للدولة العثمانية .

وفي الحقيقة ان حرب الشام الأولى ، كانت نهايتها مؤقتة ، اذ لم يقبل السلطان بهذه التسوية الا ليتمكن من ترتيب وبناء جيشه ، ليستطيع بعد ذلك استرجاع ما انتزع منه بالقوة . كذلك محمد علي لم يقبل بهذا الحل الا خوفا من أن تتخذ الدول الأوربية ضده موقفا يفقده من توسعاته الجديدة<sup>(٢)</sup> .

والواقع أن محمد علي تسبب فعلا في زيادة ضعف الدولة وارتباكها أمام دول أوروبا ، وأدخلها في متاهات كانت في غنى عنها ، وكان من المفروض أن يكون ساعدها الأيمن حتى تقف أمام أطماع هذه الدول التي أصبحت تملّي شروطها على الطرفين ، خاصة وأن الدولة قد فقدت جيشها الانكشاري وهي في طور البناء حتى تستطيع أن تحرر ممتلكاتها من أطماع أوروبا ومحمد علي .

ومنذ دخول قوات محمد علي بلاد الشام والسلطان محمود الثاني يفكر بالدرجة الأولى في استعادة هذه الولاية ، ولم يكن بد من ارجاعها الا باعادة تنظيم الجيش العثماني تنظيما أعمق من ذلك الذي جرى عقب نكبة الانكشارية وقد أخفق السلطان في توفير المدربين الأكفاء بسبب محاولة الدول العظمى عزل الدولة العثمانية ، وعدم تمكينها من تطوير مؤسساتها ، وذلك بخلق المشاكل والحروب المستمرة بينها وبين ولاياتها ورعاياها ، وفرض نظمها عليها حتى تبعدها عن شريعتها

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٢ ، ٤٥١ .

وإسلامها عن طريق إرسال البعثات عليها .

وفي صيف سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م وفد إلى اسطنبول في رحلته الثانية

قائدان بروسيدان محمد ( فون مولتكه ) و ( فون بروج ) فحاضروا إلى السلطان في

لغده ( سر عسكر ) على عهد نابيبت الخيرة في الكاوية لتطوير التعليم في

وحد السبطل بكلاه قنده . فطلب من ملك بروسيا أن يمدد في إرسال

تسليمه جيشه لغرضه . فغده كثر سفينة بتطويره في التعليم في

الأمم الأوروبية . كذا عهد محمد في حياضه في

بروسيا وغيرها

وأخذه فدا في ذلك حال السلطنة في عهد

الملك واستعد له رؤساء ارفعته في حياضه في

صين خروج محمد علي من بلاد الهند في

في محمد علي وحكومته حتى يتقدم في

وقد كانت أهم الأمور التي تشهدها

الثانية في الفصل الإنجليزي في اسطنبول

الدون الأوربية في جانب في هذه الحرب

وتدفعه إلى التمسك بهذه الولايات

العثمانية في حروب مع محمد علي

جواز هذه الحرب

١. كارل بروكلمان تاريخ شعوب الإسلام من الأندلس

٢. محمد كرد علي حطط الهند - طبعة دار الفنون

١٩٨٣م - ج ٣ ص ٦٢

٣. محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية

٤. حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في عصر الخليفة - طبعة دار الفنون

شوالعلم - ص ٢٢٢



ولعل ذلك ما أراد التلويح به اللورد بالمرستون ( Palmerston ) حيث كتب يقول : " ان مصلحتنا ان يسترد السلطان سوريا بل ومصر " (١) .

ويلاحظ أن محمد علي شعر بالتحركات التي تدور لاشغال حرب الشام مرة أخرى ، ولذلك اجتمع ببعض سفراء الدول الأوروبية في مصر وعرض عليهم بأن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولأولاده من بعده ، فأبلغ هؤلاء السفراء دولهم التي أبلغت السلطان على كفيات مختلفة ، فساندت فرنسا مطالب محمد علي باشا . بواسطة سفيرها في اسطنبول ، الذي أقنع الباب العالي بمناقشة هذا الاقتراح والتفاوض مع محمد علي ، لهذا أرسل السلطان سارين أفندي ، من موظفي الخارجية العثمانية الى مصر ، للتفاوض في هذا الأمر مع محمد علي ، وبعد مداولات استطاع محمد علي استمالة مندوب الدولة واقناعه ، فاتفقا على أن تكون ولايات مصر وبلاد العرب ارثا له ولأولاده من بعده ، وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته ، فلم يقبل السلطان العثماني بهذا الوفاق الذي حمله له سارين . بل أصر على أن تكون جبال طوروس ومفارزها في الأراضي العثمانية لا المصرية . فصمم محمد علي أن تكون التسوية على هذا الأساس ، لأن المفاوز أبواب الشام بأجمعها ، فلو احتلتها الدولة العثمانية أمكنها الغارة على بر الشام في أي لحظة ومتى تريد (٢) .

ونتيجة لاختلاف وجهات النظر بين السلطان ومحمد علي في أمر الشام عاد الخلاف من جديد ، وكل منهما يريد مبررا لاستئناف الحرب ، محمد علي تسانده فرنسا . والسلطان العثماني تدفعه بريطانيا للحرب ، فأضحت الحرب وشيكة الاندلاع بين الطرفين .

(١) عايض خزام الروقي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٠١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٣ .

ودخلت الأزمة في دورها الحاسم في سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م على الرغم من المحاولات التي بذلت من الدبلوماسيين الأوربيين في البداية لايقاف انفجار الحرب وازالة شبحها (١) ، الا أن الجيش العثماني عبر نهر الفرات بسرعة فائقة في أوائل سنة ١٢٥٥هـ الموافقة لسنة ١٨٣٩م وبعد عدة مناوشات ومفاوضات فشلت بين الجيشين ، كانت المعركة الحاسمة بالقرب من مدينة نصيبين المشهورة في الجانب الأوربية باسم ( نزيب ) ( Nizip ) في ١١ من ربيع الآخر سنة ١٢٥٥هـ الموافق ٢٤ من يونيو سنة ١٨٣٩م ، انتصرت فيها قوات محمد علي بن محمد علي بن العثماني بعد معركة حامية الوطيس ، وقد عرفت أثناء المعركة باسم نصيبين (٢) .

ولم يقدر للسلطان محمود الثاني أن يسمع بأمره قبل أن يلقى بغيره بجيوشه في نصيبين ، لأنه توفي في يوم ١٩ من ربيع الآخر سنة ١٢٥٥هـ الموافق ٢٤ من يونيو سنة ١٨٣٩م قبل أن تصل إليه أخبار هذه الهزيمة التي خلفته في السلطنة ابنه عبدالمجيد وكان اسم الأمير الجديد عشرة لا دراية له بأمر الحرب ولا بالسياسة في وقت توالت عليه هزات الدولة ، فقد أبحر الأسطول العثماني الى ثغر الأسكتلندية بعد الهزيمة في نصيبين

- 
- (١) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٩ .  
 (٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٢ .  
 ، اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .  
 ، صبحي وحيد : في أصول المسألة المصرية ( القاهرة ، مكتبة المشرق ، ص ١٨٠ ) .
- (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٥٤ .  
 ، اسماعيل سرهنك : المدر السابق ، ص ٦٨٨ .  
 ، محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

علي. وتذرع قائده بأن الأخبار التي أتت إليه أن اسطنبول قد بيعت للروس . لذلك فقدت الدولة في أقل من أسبوع جيشها وسلطانها وبحريتها وبدا كما لو أن محمد علي قد أصبح سيد الموقف بلا منازع (١) .

لذلك قررت حكومة السلطان عبدالمجيد أن تحسم النزاع مع محمد علي حقا لدماء المسلمين . فتناست الخلافات ، وبعث السلطان رسوله عارف افندي برسالة رسمية يطلب فيها تقديم الولاء والطاعة للسلطان منعا للتدخلات الأجنبية ، ووقفنا للحرب ، واستعدادا للمفاوضات لفض النزاع بين الطرفين ، ولما استلم محمد علي هذه الرسالة من مندوب السلطان بعث برسالة عاجلة الى ابنه ابراهيم باشا لوقف الحرب والمفاوضات ضد الجيش العثماني ، وخاصة عندما علم بوفاة السلطان محمود الثاني . ثم صرح محمد علي باشا للقنصل البريطاني في مصر بقوله: " انه واثق بأن كل الاختلافات سوف تحسم بدون تدخل القوى الكبرى، لأنه بصرف باحترام الكبير والخضوع للسلطان " (٢) .

ويبدو من ذلك أن القنصل البريطاني في مصر نقل الى اللورد بالمستون خرواطر محمد علي وتفانله بالصلح والتسوية دون تدخل أيد أجنبية . وقد برهن ( محمد علي ) على استعداده لذلك بأن طلب من ابنه ابراهيم باشا وقف الحرب وأن ذلك تم بمجرد تسليم جنود السلطان أوامر الانسحاب من حدود سوريا . كما صرح محمد علي في مقابلة مع القنصل البريطاني حول مصير

(١) محمد كرد علي : خطط الشام . ج ٣ . ص ٦٤ .

. أ. ج. جرات و احرون : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين . ج ١ . ص ٣٤٧ .

. محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . ص ١٨٠ .

(٢) Document : F.O.: 78/347. From Campbell to Palmerston No.:247.12-3- (٢)

1883.

الأسطول العثماني أنه سيعيده إلى السلطان حتى لو رغب قائده في التخلي عنه لنا<sup>(١)</sup>.

وبالفعل كاد الجانبان أن يتوصلا إلى اتفاق بينهما دون تدخل أجنبي، ولكن توقع محمد علي، وقد مان السلطان إلى أن يستجيب لمطالبه ويتنازل له عن مصر والشام وراثيتين، ولكن الدول الأوروبية لم تترك محمد علي فرصة لتعطيل مطالبه بل تدخلت لتفرض هي الصلح التي تريدها، لا كما يريدونه فوراً، فخدمة الاستراتيج ومصلحة السياسة والاقتصادية في المنطقة<sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت نفسه شعر بالمرستون بخطورة الموقف في الشرق الأوسط، فعمل تحت حكم قوي، خاصة بعد موافقة السلطان العثماني على توقيع معاهدة علي وراثتين، لذا قرر بالمرستون التدخل وانحرط إلى فتح مفاوضات مع محمد علي وهي تهديد طريق موصلات إنجلترا إلى الهند والشرق الأوسط، فعمل على إقناع شديد الحقد على محمد علي، ويهتبه عملاً بالمشاورين في مصر<sup>(٣)</sup>.

ويرى بالمرستون أن أطماع محمد علي في مصر وبلاد الشام، والروس إلى الدردنيل والبوسفور، وهو ما أصبح سبباً في ارتبكت الدول الأوروبية، وافترضت وقوع المسألة في يد محمد علي، فخطط لتمزيقها واقتسامها، عند ذلك هائلها قوة جيوشه في الشرق<sup>(٤)</sup>.

(١) - Foreign Office: Campbell to Palmerston No.: 247, 12-3-

1833

(٢) - محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمملكة العربية السعودية، ص ١٤٠.

(٣) - عايض خزام الروقي: حروب محمد علي بن المشرفين، ص ١٤٠.

(٤) - محمد كمال الدسوقي: المرجع السابق، ص ١٤١.

بإمكانه تجديد القوة الإسلامية لو أن الدولة وقعت تحت قبضته<sup>(١)</sup> ، ولانتشار أنباء كثيرة في أوروبا وبخاصة إنجلترا مفادها أن السلطان الصغير ، ربما يقدم محمد علي ما يطلبه<sup>(٢)</sup> .

لذلك أرسلت الدول الأوروبية إلى السلطان العثماني مذكرة مشتركة من سفراء كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا تنص فيها على وجوب عدم اتخاذ قرار فيما بين السلطان العثماني ومحمد علي إلا بموافقتها وتحت علمها<sup>(٣)</sup> .

هذا الأشتراك أو الوفاق رحبت به الدول المشتركة الخمس واعتبرته إحلالاً للهيمنة الدولية على الشئون الشرقية محل الهيمنة الروسية . كما أن هذا العمل يعتبر في نظرها تنويحاً لما عملته أو بذلته بريطانيا من جهود في السنوات الأخيرة ضد أطماع محمد علي وتوسعاته<sup>(٤)</sup> .

كما عرضت الدول الأوروبية استعدادها أيضاً للتوسط بين الفريقين فقبلت بهذا الدولة العثمانية حين استرجاع ما فقدته من جيشها وأسطولها . ولما علم محمد علي اشتراك الدول في المفاوضات ومن بينها حليفته

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٤ .

محمد شفيق غريال : محمد علي الكبير ( القاهرة ، دار الهلال ) ص ١٥٤ .

علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٤ .

(٢) عايض خرام الروفي : حروب محمد علي في الشام ، ص ٤٠٩ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

محمد شفيق غريال : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

علي حسون : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٤) محمد شفيق غريال : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

فرنسا<sup>(١)</sup> بدأ يستعد لصد هذا العدوان بتدريب الأهالي على استعمال السلاح، ثم استدعى جيشه من نجد والحجاز لمقاومة هذا الحلف، وتخلي عن بلاد العرب، وأصدر أوامره لابنه بضبط الشام الذي بدأ يتحرك ضده وقمع تحركاته. وبناء على طلب النمسا لحل المسألة المصرية عقد مؤتمر في لندن سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م حضره مندوب عن الباب العالي وذلك لمحاولة تدعيم الموقف الأوربي في هذه المسألة، ولكن هذا المؤتمر فشل لاختلاف أطماع الدول في الدولة مع اختلاف وجهات النظر بينها<sup>(٢)</sup>.

لهذا عرضت بريطانيا على السلطان العثماني الضبط على محمد علي لارجاع الأسطول مقابل ادخال سفنها الى البوسفور، ولما علم الخديوي ان بريطانيا الانجليز، أبدوا عدم التعاون معهم ضد محمد علي، وكانوا يريدون الاحتفاظ محمد علي بولاية مصر والشام له ولديريته من غير ان يتركها لبريطانيا في اعطائه الا ولاية مصر، ولكنها وافقت ان يعطى لبريطانيا باستثناء عكا مدى الحياة، الأمر الذي رفضته فرنسا، فبدأ الخلاف بين الانجليز والفرنسيين حول هذا الموضوع فتم توقيع معاهدة الشرق وبسط حمايتها على أكبر جزء من الدولة العثمانية، فبدأت حرية العمل لبريطانيا في مصر ضد محمد علي مقابل التواضع لفرنسا على البحر الاسود بحجة نجدة الدولة العثمانية في حالة تهيأتها من قبلها.

(١) ان حوادث التاريخ تعطينا أكبر العبر بأن العدو الخائف على الاسلام والتمسك بالاسلام للمسلمين في صف واحد وان تظاهر بذلك فسرعان ما يتسلف ويغدر ويغدر بالمسلمين الغادرة فهو دائما يسعى لضرب المسلمين بعضهم ببعض لاصحابه في ارضهم حتى يروا قلوبهم ديارهم التي تكون مطلقا لاعادة مجد الاسلام.

- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية من ١٢٥٠ . حاشية رقم (١)

(٢) علي حسون : المرجع السابق . ص ١٢٥-١٢٦.

. محمد شفيق غربال : محمد علي الكبير . ص ١٥٤.

قبل ابراهيم باشا .

ولكن انجلترا اقترحت عليها اعلان التنازل عن حقوقها في معاهدة ( خنكار اسكله سي ) فرفض الروس . وأجلت المفاوضات بشأن المسألة المصرية حتى سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م<sup>(١)</sup> .

ولمواجهة خطر روسيا . طلبت كل من فرنسا وبريطانيا من السلطان العثماني التصريح لمراكبها بالمرور في بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا . ومن جيوش محمد علي . وجاء قائد الأسطول البريطاني بنفسه الى اسطنبول للحصول على هذا التصريح . فأعلن في الحال سفير روسيا بأنه إذا دخلت مراكب الانجليز وفرنسا البوغاز فانه سوف يقطع علاقاته السياسية مع الدولة العثمانية .

لذلك كتبت النمسا الى وزارتي لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل للسلم في أوروبا . وأنه لو أمرا عليه فانها ستخرج من التحالف . فخاف السلطان من تفاقم الأزمة . ورفض طلب حكومتي فرنسا وبريطانيا على السواء . وطلب منهما ابعاد مراكبهما عن مدخل البوغاز .

ولأجل تلك الأسباب توقفت المخابرات . وتوقفت الدول عن مطامعها توقفت في المسألة المصرية لدراسة الوضع الحالي<sup>(٢)</sup> دراسة أوسع ووضع الحلول المناسبة للموقف .

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م عادت النمسا مرة أخرى وطلبت من الدول الأوروبية عقد اجتماع في مدينة فينا لتسوية هذه المسألة التي أقلق الجميع . فقبلت تلك الدول عقده في لندن . وطلبت فرنسا أن يكون

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٤٥ .

(٢) محمد فريد نت . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤٥٧-٤٥٨ .

للسلطان العثماني مندوب في هذا المؤتمر مراعاة لما له من السيادة العظمى  
على البلاد المتنازع عليها<sup>(١)</sup> . على أن لا يكون له أي صفة أو كلمة لأن زمام  
الأمر والمبادرة في يد هذه الدول الكبرى التي تتصارع حول أملاكه .

فلما اجتمع المؤتمرون طلبت فرنسا إبقاء الشام كلها تحت يدها كمنطقة  
باشا . فعارضتها إنجلترا وأصررت أن لا يعطى له إلا النصف الجنوبي من الشام  
لكنها قبلت أخيرا بناء على موقف فرنسا ادخال عمكا ضمن هذا القسم . فلو كان  
يكون له مدة حياته ولا ينتقل إلى ورثته بل إلى الدولة العثمانية .

وقد قبلت بذلك روسيا والنمسا والبروسيا . وقد علمت فرنسا  
استمراره لورثته من بعده . فشددت إنجلترا وضمومت النمسا موقفها  
موقفها وعدم الرجوع عنه . ونظرا لهذه الأسباب فتم إبقاء الشام  
على ما هي عليه .

ولما تولى ( تيير ) رئاسة الوزارة الفرنسية بدأ في سياسة  
يتبع خطة من سبقه . بل انفرد دون دول أوروبا الغربية في  
بمطالبة السلطان العثماني بترك ولايتي مصر والشام تحت يده  
الوقت نفسه إلى محمد علي بأن يقوى مركزه في الشام . فبدأ  
الالتفات إلى مهاترات إنجلترا . بل علي التاهب والتأخر في  
ومستعدة لخدمته ضد الإنجليز .

ولما عرف اللورد بالمستون بموقف فرنسا بالجزيرة العثمانية  
الفرنسية فخطط ليضرب ضربته . فقام بيدل مساهمي جريسا  
والنمسا والبروسيا . لارجاع محمد علي إلى حيدرآباد .

(١) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤٦٢-٤٦٣



الشام الذي يدخل ضمنه عكا ، والزامه بالقوة اذا لم يلتزم ، ولقد نجح بالمستشرقون في مسعاه واستطاع أن يعقد مع الدول المذكورة معاهدة في لندن في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م<sup>(١)</sup> . وتنص هذه المعاهدة على منح محمد علي باشوية مصر وراثية في بيته ومنحه جنوبي الشام مدة حياته<sup>(٢)</sup> وقد صدق على هذا الاتفاق مندوب الحكومة العثمانية<sup>(٣)</sup> .

وكان من ضمن شروط معاهدة لندن ، أنهم اشترطوا على السلطان العثماني أن يكون لسفنهم حق دخول البوسفور لحماية اسطنبول من جيوش محمد علي ، ولا يفتق دخول تلك المياه لأحد مادامت العاصمة غير مهددة .

وقد ألغت هذه المعاهدة معاهدة ( خنكار اسكله سي ) الروسية العثمانية ثم أصدرت الأوامر للأسطول الإنجليزي الذي تولى هذه المهمة ، وقام بحصار سواحل بلاد الشام لتنفيذ المعاهدة ، ولما وصل الاسطول الإنجليزي سواحل الشام عرض مندوبه علي محمد علي باسم الدول أن تكون له ولاية مصر ولذريته من بعده ، وولاية عكا له مدى الحياة ، وأفهمه بأن فرنسا لا يمكنها مساعدته كما عرفه بقبول الدولة العثمانية بهذا وتصميم الدول على تنفيذ هذه المهمة مهما تكن الظروف والعوائق ، وأعطى له مهلة قدرها عشرة أيام ، غير أن محمد علي رفض هذا الإنذار ، وانتهت المهلة<sup>(٤)</sup> فأبلغ بأنه فقد حقه في ولاية عكا بمضي المهلة وأعطى عشرة أيام أخرى ، ولكنه ظل مصرا على الرفض ، وعندئذ بدأت السفن البريطانية تطلق نيرانها على بيروت ، فاستولوا على بيروت وطرابلس وصيدا وصور ، واحتلوا عكا بالقوة ، وكان ابراهيم باشا يعتمد على عكا أكثر من غيرها

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٠-٤٦٢ .

(٢) محمد شفيق غريبال : محمد علي الكبير ، ص ١٥٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٦٢ .

(٤) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٧ .

لتحصينها القوي ، فانهزمت الجيوش المصرية وتقهقرت ، فاضطر ابراهيم الى العودة الى مصر<sup>(١)</sup> .

ثم توجه جزء من الأسطول الانجليزي الى ثغر الاسكندرية لتنفيذ مهندته حيث ألزم محمد علي قرار الدول بأن تكون له ولاية مصر والبرية من بعده وكان ذلك في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م ، فقبل الباشا بذلك ، وأرسل الأسطول العثماني الى اسطنبول ، وتم نسلمه للدولة العثمانية في أوائل ذي الحجة سنة ١٢٥٦هـ الموافق ٢٤ يناير سنة ١٨٤٠م ، لذلك أصدر السلطان عبدالمجيد المرسوم السلطاني الذي ينظم الوراثة العائلية لمحمد علي فتمتصلا على امتياز حكيم النظر ، بمصادقة الدول الأوروبية ، وبعد هذا المرسوم توجه محمد علي الى اسطنبول لعرض طاعته على السلطان<sup>(٢)</sup> .

وهكذا فان فكرة الدولة العربية التي رسمها جمال محمد علي ورعاها ابراهيم لم تلق في بلاد الشام التأييد اللازم مما جعل في القضاء عليها عناية بريطانية وبريطانيا وخاصة بالمرستون<sup>(٣)</sup> .

وهكذا أسدل الستار على أحياء شخصية محمد علي القوية بعد مرور المرسوم السلطاني ، وعاد تحت الطاعة كما كان سابقا ، أما السلطان فقد سار مواصلة الاصلاحات التي لفته مبادنها والده .

وتحت وطأة هذه الأزمة أصدر السلطان عبدالمجيد أول مرسوم من مراسيم التنظيمات ، وعرف هذا المرسوم باسم خط كلخانة<sup>(٤)</sup> ، وتفصيل ذلك هو التالي :

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩٠-٦٩١ .

(٢) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٦٩١ .

(٣) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٢٤ .

(٤) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٤ .

تسلم عبدالمجيد السلطنة بحوالي أربعة أشهر ، استدعى رشيد باشا السفير العثماني فوق العادة في لندن الى اسطنبول ليعين وزيرا للخارجية ، وما ان تسلم مقاليد منصبه حتى حمل معه الدعوة لنظام حكم برلماني دستوري ، مدعيا رفع الدولة الى مصاف الدول المتقدمة عن طريق دستور ينص على حقوق المواطنين والغاء عدم المساواة البارزة بين المواطنين<sup>(١)</sup> .

و كان رشيد باشا هذا قد عمل سفيرا في لندن وباريس ، وبطبيعة عمله السياسي ألم بسياسات الدول العظمى وتأثر بها ، فتحمس لتحديد سلطة السلطان تحميها للإصلاح ، وذلك بتطوير النظم وجعلها شبيهة بالنمط الأوربي الدستوري ، على أن تكون بداية الانطلاق هي مصلحة الرعايا المسيحيين وتحسين أحوالهم<sup>(٢)</sup> .

وقد استطاع رشيد باشا الوصول الى هذا العمل حينما استغل الأزمة التي سببتها هزيمة القوات العثمانية في نزيب من القوات المصرية للحصول على المساندة الرسمية لترسيخ مفاهيمه الغربية بعد أن وجد أن الدولة في وضع حرج تحتاج فيه الى مساندة الدول الأوربية ضد محمد علي ، فمن شأن اعلان هذا البرنامج التفريري أن يوضح للدول الأوربية أنه بإمكان الدولة العثمانية أن تحرز التقدم وأنها تستحق الانقاذ<sup>(٣)</sup> ، وأنها جديرة بأن تعامل معاملة الدول المتحضرة الحديثة<sup>(٤)</sup> . فأجرى رشيد باشا مشاوراته مع بالمرستون وغيره من المسئولين لحسم الأزمة لصالح الدولة العثمانية ، بل للحصول على المساندة الخارجية للإصلاحات التي كان على وشك

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٠ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٩٩ .

عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثرها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ص ٧١-٧٢ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٤) عبدالعزیز نوار : الشعوب الاسلامة ، ص ١٨٤ .

القيام بها ، وهدفه منها تقوية مركز الدولة (١) .

وكان السلطان عبد المجيد في تلك الفترة قد أفرغه الخطر الروسي الجاثم بجوار الدولة والذي يترصد حركاتها ويتحين الفرص لالتها مها ، إضافة إلى الانتفاضات المستمرة في البلقان بتحريض من الروس ، مما جعل السلطان يتوجسح إلى مساندة الدول الأوروبية التي جاءت معظم الخطوات التنظيمية المتخذة منها لتظهر الدولة أمام الرأي العام الأوروبي أيضا بمظهر البلد المتقدم (٢) .

وهذا استغلت أوروبا المسيحية فرصة الأزمة التي مرت بها الدولة العثمانية بسبب حروب محمد علي في بلاد الشام ، وضغطت على السلطان فصدر الوثيقة المعروفة بخط كلخانة (٣) .

وللاحتفال بهذه المناسبة نصبت نخيلاء كثيرة في عداة القصر في ١٢ من شهر المعروف باسم كلخانة ( دار الزهور ) حيث احتشد من كبار المسؤولين في الدولة ومثلي الدول الأجنبية ومن بينهم ولى العهد فرانسوا ( نيكولايف ) قائد العساكر النظامية في شوارع المدينة وهياكلها الخشبية ، وبعدها توجه السلطان عبد المجيد إلى مكان الاحتفال سمح لبطريكس الكنيسة الأرثوذكسية من حاخامات اليهود والوفود من مختلف الهيئات وأعضاء الحكومة لحضور الاحتفال . واتخذ كبار العلماء والضيافة أملاكهم التي قدمه الصدر الأعظم وعود الإصلاح التي تضمنتها الخطبة التي ألقى عليها وزير الخارجية الذي أعلنها بدور بصوت عال في ساحة السلطنة .

---

(١) عبدالكريم مشهداني . العلية وتاره على الأوصاف التاريخية . ص ١١٠  
(٢) محمد عبداللطيف البحراني : التاريخ المعاصر وعمل السلطنة العثمانية . ص ١١٠  
(٣) محمد عبداللطيف البحراني : المرجع السابق ، ص ١١٠

عبدالمجيد متضمنا أسس تنظيم الدولة (١) .

ومن جملة ما قال : " لا يخفى على عموم الناس ان دولتنا العلية من مبدأها وهي جارية على الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها . ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية أهلها وصلت حدالغاية . وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامثال للشرع الشريف وللقوانين المنيفة بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والأسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر . وبما أن الممالك التي لاتكون ادارتها بحسب القوانين الشرعية لايمكن أن تكون ثابتة ، كانت أفكارنا الخيرية الملوكية منحصرة في اعمار الممالك واتحاد ورفاهية الأهالي والفقراء من جلوسنا السعيد وصير التثبيث في الأسباب اللازمة بالنظر الى مواقع ممالك دولتنا العلية الجغرافية والأراضي الخصبة والاستعداد وقابلية أهاليها لتحصل بمشيئة الله تعالى الفائدة المقصودة في ظروف خمس أو عشر سنين " (٢) .

ثم سلم رشيد باشا الخط الشريف بعد قراءته الى الصدر الأعظم . الذي قبله ورفع الى جبهته وصدق عليه شيخ الاسلام وأطلقت المدفعية طلقات عديدة تحية من جميع بطاريات اسطنبول . ثم تقدم أعضاء الوزارة وأقسموا بيمين الولاء

(١) أنكدلارد : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية بك تاريخ اصلاحاتي : ترجمة على رشيد اسطنبول

قدعت كتب خاند سي ١٣٢٨هـ ص ٣٨-٣٩ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠٠ .

روحى بك الخلدى المقدسى : الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة . ( مجلة الهلال . ج ٢ ص ١٧ .

١٣٢٦هـ ١٩٠٨م . ص ٧٦، ٧٥ .

عبدالكريم مشهداني : العلمانية وأثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا . ص ٧٢ .

(٢) أنكدلارد : المصدر السابق . ص ٣٨ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية . ص ٤٨١ .

بتنفيذ هذا الخط . وانتهى الحفل (١) .

من الملاحظ وضوح الرؤية الصحيحة من وجهة النظر الاسلامية نظريا لدى السلطان الشاب . كما يظهر من اضطراره اصدار تلك التنظيمات التي وضعها رجال تربوا ونشئوا على حب الغرب ومبادئه التي استفحل خطرهما شيئا فشيئا حتى تحقق لدعاتها وحملتها ما يصبون اليه فيما بعد ، ومن بعدهم اسيادهم وهم المحركون لهم في الخفاء (٢) .

ويعتبر هذا الخط من أهم مظاهر الغزو الفكري في الدولة الأتية أول تنظيم أتاح للنظم الأوروبية أن تتسرب الى مؤسسات الدولة المختلفة وخاصة وأنظمة التعليم بصياغته واصداره مصطفى رشيد باشا ، سفير الدولة في باريس وأحد روادها في الخارجية في عهد السلطان عبدالمجيد الذي تصفه المراجع الأوروبية بالملك الذي تأثر الى حد بعيد بالأفكار الأوروبية (٣) .

وأخطر ما في خط كلخانة هو اعطاء الذميين أو الملتهمة كالمعتاد بهذا الخط هذا الخط يمثل بدء اصدار أوامر سلطانية لاستئناء الى جهة التي هي الدولة الإسلامية لهذا الخط . لهذا نص على تساوي رعاية الدولة أمام الأتراك المسلمين وغير المسلمين ، ولكن مع المحافظة على الشريعة الإسلامية والأحكام الشرعية رغم ما نص عليه الخط من أن مرجع ضعف الدولة هو عدم تعالينها بتعاليمها وتشريعاتها السماوية (٤) . ومع ذلك فقد كان هذا الخط خطوة كبيرة في تاريخ

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠٠ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٥٢ . حاشية رقم (١) .

(٣) محمد عبداللطيف البحراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته بالأزمة الخدمية . ص ٨٢ .

(٤) محمد عبداللطيف البحراوي : المرجع السابق . ص ٨٢ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٢٠١ .

، أنكدهارد : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية بك تاريخ اصلاحاتي . ص ٣٨ .

بالقوانين الوضعية حين قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم<sup>(١)</sup> . وتوفير الاخاء بين كل رعايا الدولة العثمانية بهدف تقوية الدولة عن طريق تعزيز ولاء سكانها المسلمين والمسيحيين لضعاف الروح الاسلامية<sup>(٢)</sup> .

وقد أكد هذا الخط على معالجة بعض الأمور الأمنية والادارية منها ضرورة إيجاد ضمانات لأمن جميع رعايا الدولة على أموالهم وأملاكهم وأرواحهم ، وبالتالي وجوب إعلان المحاكمات ومطابقتها للوائح ، والغاء نظام مصادرة الأملاك ، وأن تكون المحاكمة المجرمين علنية .

وإيجاد نظام ثابت للضرائب يحل محل الالتزام الذي وصفه خط كلخانه بأنه من الآلات الخراب في الدولة ومن أسباب تدهورها . ثم تحديد نظام ثابت للجندية بحيث لا تستمر مدى الحياة . بل تحدد مدتها بفترة تتراوح بين أربع أو خمس سنوات ، والغاء القطاعات العسكرية الغاء عاما<sup>(٣)</sup> .

وقد كلف مجلس الأحكام العدلية الذي أنشئ في عهد محمود الثاني لوضع التشريعات بإيضاح تفاصيل اجراءات الإصلاح . وبهذا بدأ عصر التنظيمات منذ سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ، واستمر حتى اعلان الدستور في سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٦م<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) عبدالعزير عوار : الشعوب الاسلامية . ص ١٨٥ .  
(٢) احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠١ .  
(٣) أنكدلخارد . الترك و تنظيمات دولة عثمانية بك تاريخ اصلاحاتي . ص ٣٩ .  
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٥١ .  
عبدالعزير عوار : الشعوب الاسلامية . ص ١٨٥ .  
احمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ١٠٢ .  
عبدالكريم مشيداني : العلمية واترها على الأوضاع الاسلامية في تركيا . ص ٧٢-٧٣ .  
(٤) أنكدلخارد . المصدر السابق . ص ٣٩ .  
احمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق . ص ٢٠١-٢٠٢ .

كما دعا هذا الخط أيضا إلى الحرية الشخصية والتملك الشخصي بحرية حتى لورثة الجناة التي تستلزم أعمالهم مصادرة أملاكهم ، فأصبحت لائمهات في التفت إلى التجنيد ، وقسم الجيش إلى ست فيالق ، اثنان في شبه جزيرة البلقان وفيلقان في آسيا الصغرى ، وفيلق في سوريا ، وآخر في العراق ، كما وضعت قوات في اليمن ، واستدعى الخبراء الفرنسيون والبروسيون لتدريب الفرق التي أحدثت النظم واستخدام الآلات الحربية الجديدة (١) .

ونتيجة لذلك استتب الأمن ، وتأسست المدارس العلمية والحرفية والفنية في وزارة المعارف ، وأعلن مبدأ التعليم المجاني الأساسي ، وأصبحت بلاد الأناضول إلى الولايات ، واستورد السلاح الجديد المتطور ، وأصبحت القوانين التي كانت تفرق بين الخبراء تستكمل تدريبه على أحدث الأساليب العصرية في التدريب ، وأصبحت السلطة المحلية والمركزية ، فكان الأكثر خطورة هو النظام السلطاني القديم الذي كان يترك السلطة القضائية ، ولم يبق تحت حكمة الشريعة الإسلامية إلا شؤون القضاء الشخصية كما ذكرنا (٢) .

ومن هنا أعرض العثمانيون عن الخط الإسلامي الذي كان ينادي بتطبيق حير الأوربيين ، لقوة الدولة وثباتها ، متمسكينا بكتاب الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وظهرت مظالم الضرر الفخرو المكسور ، فاستقرت وزعماءها يظنون أنهم سينقذون الدولة من الانحطاط وما دروا أن الخط الإسلامي في ابتعادها عن الشريعة الإسلامية .

(١) على حسون - تزيح الدولة العثمانية ، ص ١٥١ .

(٢) الكدفارد - تركية وتنظيمات دولة عثمانية ، ص ١٤١ .

(٣) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دولة العثمانيين ، ص ٦٤١ .

(٤) الكدفارد - المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٥) على حسون - المرجع السابق ، ص ١٥١ .



وبهذه الأعمال قطعت الدولة العثمانية شوطا شاسعا في طريق التغريب ،  
وأرسل الطلاب الى أوروبا لإتمام تحصيلهم العلمي (١) .

وازدادت الاتصالات بالغرب وعين الشبان العثمانيون الذين تعلموا في  
ديار الغرب في الوظائف الدبلوماسية في الدولة (٢) . وهكذا فتحت التنظيمات  
العثمانية الجديدة باب الدولة لتدفق الحضارة الأوروبية المادية عليها بأقصى سرعة  
ممكنة ، في الوقت الذي كانت فيه هذه الحضارة تستغل بشكل بشع الدولة  
العثمانية اقتصاديا ، وسياسيا ، كما أن ذلك فتح باب الأرساليات التنصيرية  
والمدارس الأجنبية على مصراعيه حتى عمت مختلف مناطق الدولة العثمانية  
ومدناتها (٣) .

إن هذا الخط بالرغم من موافقته لأهداف الدول الأوروبية فإنه لم يمر دون  
مصاعب ومتاعب فقد رفضه النصارى بدعوى أنه يجردهم من الامتيازات التي  
كانوا يزعمون بها عدة قرون ، والتي وفرتها لهم الحماية الأجنبية حيث كانوا في  
تبعه استقلال ذاتي ، فالكاثوليك كانوا تحت الحماية الفرنسية والأرثوذكس كانوا  
تحت الحماية الروسية ، أما البروتستانت فقد كانوا تحت الحماية الإنجليزية (٤) .  
وقد امتدح هذا الخط أيضا ثلة من الأوربيين حيث اعتبروه بمثابة " العهد  
الأعظم " بالنسبة للعثمانيين (٥) .

أما موقف المسلمين من صدور خط كلخانة ، فقد تدمروا بشدة حين رأوا

---

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩١ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥١ .

(٣) عبد العزيز بوزار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٦ .

(٤) خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة الممالك ( الطبعة الثانية ، تونس ، الدار التونسية للنشر  
١٩٨٦ م ) ص ١٤١-١٤٢ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠١ .

أن الدولة تساويهم بالنصارى واليهود ، ورأوا في رشيد باشا الصدر الأعظم آلة في يد الدولة الأوربية ، وأنه كثيرا ما يمالي النصارى على حساب المسلمين ، ثم أحدث اضطرابا شديدا ، خاصة بين موظفي الدولة في الولايات المختلفة ، وقد رأوا أن هذا الخط يضر مصالحهم الاقتصادية ويحد من حرياتهم التي ضمنها لهم الأسلاف . لهذا أعلنوا بين الناس أن " هذا شرع جديد مخالف لشريعة الإسلام " كما أصدرت الدولة أى ارسال شيخ الإسلام " عارف حكمت " إلى جهات الاضطراب ليرشدوا الناس وأمرهم بالطاعة والامتثال ، فخطب بذلك على المنابر ، وبين للناس أن التنظيمات ليست خارجة على المنهج الشرعي ، وهي التي ضيقت صدور النصارى التي كانت أهملت من قبل ، وأن لجوء الدولة إليها هي أحسن من لجوء النصارى ، وحفظ حقوق الأمة فهذأت الرعية ، وسكنت ، واستقر العيون ، وسائر الجهات يسير بقدر الامكان (١) .

وبعد أن أنهى الاتحاد الأوربي تسوية دستورية تركيا ، التي كانت في عهد علي ، لم تعد الدولة بحاجة ماسة الى الإصلاح باعتبارها دولة إسلامية ، اشتدت المعارضة للإصلاح نفسه (٢) ، واشتغل الرعايا المسلمون بالإصلاحيون ، وعلى رأسهم رشيد باشا ، والمحافظون على النظام على رأسهم رضا باشا . وتساعد الفنة الأولى انكلترا ، وتساعد الفنة الثانية السلطان فكان يتردد بين الفريقين ، حتى مال إلى المحافظين حلوا في سنة ١٢٠١ بعد أن كان مؤيدا للإصلاح ، وعزل رشيد باشا في سنة ١٢٠٢ لإصلاحه (٣) .

- (١) أنكدلنارد : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية تلك اصلاحاتي ، ص ١٠٤ .  
 خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، ص ١٠٤ .  
 (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٠٤ .  
 (٣) أنكدلنارد : المصدر السابق ، ص ٤٧-٤٨ .  
 عابدين حماده : تاريخ الشرق والغرب ( الطبعة الثالثة ، دمشق ، المطبعة الجديدة ) ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٠ .

ومما يظهر أن التفكير في عزل رشيد باشا وفي الوقت نفسه وقف مفعول  
خط كلحانه لم تكن أجهزة الدولة المضطربة هي المسنولة وحدها عنه ، بل لقد  
لعبت روسيا دورا كبيرا في عزل رشيد باشا لأنها كانت ضد سياسة التنظيمات ،  
لأنها ترى في هذا الخط حائلا دون تحقيق أطماعها ، وبريطانيا ترى فيه معينا لها  
على تحقيق أطماعها ، وعلى أي حال فقد توقفت الحركة الإصلاحية بعد عزل  
رشيد باشا مؤقتا ، ثم استعادت قدرتها على المسير مرة أخرى (١) .

ولمالم يكن لدى السلطان جهاز اداري يستطيع أن يدير وينفذ الإصلاحات  
عندما اتجه الى الإصلاح ، فقد أعاد رشيد باشا الى رئاسة الوزارة في سنة  
١٨٤٦م (١٢٦٣ هـ) ، وعندما أعاد رشيد باشا الى السلطة ، تابع حركته  
الإصلاحية لتدريب البيروقراطيين اللازمين لمتابعة إصلاحاته في موضع التنفيذ (٢) .  
وكان الذين كانوا على رأس العمل معه أو الذين سيخلفونهم ليواصلوا هذه  
الإصلاحات من بعده .

وأوجد رشيد باشا بعد موافقة السلطان تقسيما اداريا يشبه التقسيم  
الفرنسي ، إذ قسمت البلاد الى عدة ولايات ، فسناجق ، فأقضية ، ووضع ادارة  
كل ولاية بيد ثلاثة موظفين ، وهم الوالي ، والحاكم العسكري ، والغازن ، ثم أنشأ  
في كل ولاية مجلسا من الوجهاء لمراقبة ادارة الوالي ، وقد سعى رشيد باشا الى  
تحقيق الإصلاح المالي فلم يفلح ، ولكنه أنشأ المصرف العثماني ، ثم سعى في اصلاح  
الجيش فنجح في ذلك بشكل محدود .

(١) عبدالعزير يوز ، الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٧ .

(٢) ألكسندر : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك اصلاحي ، ص ٧٧ .

عبدنير حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٠ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٤ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

هذه الإصلاحات تم تنفيذها فقط على العاصمة اسطنبول وما حولها وكان لها تأثيرها هناك ، ولكنها لم تطبق في سائر ولايات الدولة لعدم استعداد الرأي العام لتقبلها (١) .

مع العلم أن الدولة العثمانية قد حظيت منذ القضاء على الخطر المصري في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م وحتى نشوب حرب القرم في سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م بفترة هدوء مكنتها من دعم الإصلاحات العسكرية التي تريدها من بعض بعض الإصلاحات الضرورية التي تحتاجها الدولة في نظر رشيد باشا (٢) إلا أن تلك الإصلاحات بقيت سطحية لأنها لم تفسح جوهراً للإصلاحات

كانت تظاهراً أمام أعين الناس ، وكان جيل اهتمام هذا الإصلاح الذي كان رشيد باشا ينصب على الاهتمام بأحوال الرعايا من النصارى في البلاد وليس تقدم المسلمين أو ادخال النظم الحديثة إلى بلادهم . كانت تلك الإصلاحات التي كانوا ولا يزالون يهتمون بانتشارها ، كما شغفت الأرياف التي كانت العاصمة الاسلامية وأعطى السلطان المثل بارتداء اللباس الأوربي في المناسبات وإقامة المناسبات والحفلات على ذلك الطراز الأوربي . ومن ثم لم تكن تلك الإصلاحات تكسب البلاد من وراء هذه الإصلاحات إلا الاخلال به الأتراك في محرماته ، ولذلك طالب أولئك المستغربون بأن يكون قصد الأتراك من هذه الإصلاحات كافة المواطنين دون اعتبار للدين .

ومع ذلك طالبوا بما ادعوه اصلاح الأصدقاء والعقول وثورتها التي يقولون دفة الحكم في الدولة ، وازداد تدخل الدول الأوربية في شئونهم

(١) عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) احمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ الاسلامي ، ص ٢٠٥ .

العثمانية تحت شعار انصاف النصارى والدفاع عنهم<sup>(١)</sup> .

بيد أن حرب القرم تعتبر احدى تلك الحروب العديدة التي تصارعت فيها الدول الكبرى الأوربية حول الشرق العثماني لأطماعها في توزيع ممتلكات الدول الاسلامية<sup>(٢)</sup> .

وكما تمخضت أزمة محمد علي في سنة ١٢٥٥-١٢٥٦هـ / ١٨٣٩-١٨٤٠م عن صدور خط شريف كلخانة ، فقد تمخضت حرب القرم في سنة ١٢٧٠-١٢٧٣هـ / ١٧٥٣-١٨٥٦م ، عن صدور خط اصلاحي جديد هو الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م .

فبعد القضاء على خطر محمد علي ، عادت روسيا الى سياستها العدوانية لتدمير الدولة العثمانية بأي شكل من الأشكال عن طريق الضغط العسكري وأثارت الاضطرابات في البلقان<sup>(٣)</sup> ، وخاصة عندما فقدت بمعاهدة لندن المنعقدة في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م معاهدة ( خنكار اسكله سي ) المهمة المنعقدة في ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م . فقامت بتحريض سكان البوسنة والمهرسك وبلغاريا ، وغيرها من الولايات التي تتطلع الى الاستقلال ، للمطالبة بالحكم المطلق<sup>(٤)</sup> . وفي مقابل ذلك وجد السلطان عبدالمجيد في شخص القائد عمر باشا قائدا ممتازا تمكن من قمع كل هذه الثورات والفتن التي تثيرها المناطق المذكورة بمساندة روسيا لمعارضة حركة الاصلاح في تلك الجهات والتي مهدت لحرب القرم<sup>(٥)</sup> .

وتمهيدا لحرب القرم فقد حدثت في أوروبا سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م الحركة

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٢ .

(٢) عبدالعزيز بوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٨٩ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تنظيمات ج ٥ ، ص ٥٠١ .

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

الدستورية التي بدأت في باريس بظهور الجمهورية الثانية بعد اسقاط حكومة (لويس فيليب) التي أشرنا اليها في الفصل الثالث ، اذ تسربت أفكارها الدستورية الى برلين وفيينا وبراغ ، فاضطرت حكوماتها الى استعمال القوة ، ومن ضمن تلك الدول روسيا التي قامت بارسال قوة لإطفاء حركة بولونيا الدستورية قبل استفحال خطرها ، كما ساعدت النمسا ضد المجر وقد فر بعض المجرين الى الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> . ولأن المجرين لجأوا الى الدولة العثمانية ، فقد طلبت روسيا من الدولة وبالخاصة تسليم زعماء المجر اللاجئين الى بلادها ، فامتنعت الدولة العثمانية وذلك طبقا للقوانين الدولية التي تنص على عدم تسليم اللاجئين السياسيين<sup>(٢)</sup> .

وكان من نتائج الحركة الدستورية تطلع كل من الأفلاق واليهود في رومانيا للدولة العثمانية الى الاستقلال والانضمام الى ترانسلفانيا لتكوين مملكة رومانيا جديدة ، فثار الأهالي على أميري الولاياتين فاضطروا الى الفرار واقام المتمردين في موقفة .

وردا على ذلك أرسل السلطان كعادته جيشا بقيادة محمد علي باشا استطاع إعادة الأمور الى نصابها كما كانت عليه من قبل ، وأخذ المتمردين يتحينون الفرصة - كما ذكرنا - على الدولة العثمانية ، فقاموا بقتل الجنود الى البغدان ، لأنهم كانوا يتربصون مثل هذه الأزمات ، فاجتازوا الى العثمانية والتدخل في شئونها ، فاحتلوا مدينة الأفلاق سنة ١٨٤٩م ، فبدأت الحرب أدى الى تازم الموقف بين الروس والدولة بسبب هذا التدخل من الجانب العثماني وشبكة الوقوع بين الدولتين لولا حدوث المخابرات بين الدولتين التي كانت

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٥٢ .

(٢) محمد فريد بك - تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤١٠ .

سماويل سرهنك : حقائق الاحبار عن دول البصرة . ص ٦٩٩ .

على حسون : المرجع السابق . ص ١٥٦-٧٠٧ .

باحفاظ السلطان العثماني بتعيين أمراء الولاياتين كما كان ، على أن تبقى البلاد تحت حكم مشترك عثماني روسي لمدة سبع سنوات حتى يستتب الأمن، وسمي هذا الاتفاق باتفاق ( يلطه لي مان ) وهو موقع تركي على ضفة البوسفور (١). فكانت هذه الحركة الدستورية بداية لحرب القرم وصدور الخط الهمايوني في سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م كما سيأتي .

وسبب ذلك أن روسيا كانت تطمح بأنظارها الى امتلاك اسطنبول في أي وقت كما يعلم الخاص والعام ، فكانت في كل فرصة ولو تافهة تسنح لها في الأراضي العثمانية أو تدنيها من قصدتها تشن الغارة على الدولة العثمانية لتقطع شيئا من ممتلكاتها ولتصل عن طريق ذلك الى تحقيق وصية بطرس الأكبر (٢) .

وفي سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م حاول القيصر نيقولا الأول أن يتفق مع بريطانيا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية ، التي وصفها الروس " بالرجل المريض " الذي لايرجى شفاؤه ، فاقترح أن تقوم روسيا بالاستيلاء على اسطنبول مقابل استيلاء بريطانيا على جزيرة كريت ومصر ، إلا أن بريطانيا رفضت هذا العرض خاصة وأنها كانت لاتزال متمسكة برأيها القديم وهو المحافظة على كامل أملاك السلطان من أجل حماية طريق الهند وتوفير حاجز في مواجهة التوسع الروسي ، وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الثالث . ولهذا السبب أصبحت بريطانيا تساند حركة الإصلاح العثمانية التي تعارضها روسيا (٣) .

---

(١) اسماعيل سرهيك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩٠ .

على حسون : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) عمر طوسون : الجيش المصري ، ( مصر : مطبعة المستقبل ، الاسكندرية ، ١٣٥٥هـ ) ص ٤٥ .

(٣) اسماعيل سرهيك : المصدر السابق ، ص ٦٩٣ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٩٣ .

وبالرغم من أن دولة روسيا كانت على يقين من أن الإصلاحات التي أدخلتها الدولة في حربيتها ، وتنظيم جنودها البرية والبحرية هي تلك الإصلاحات التي أدخلتها هي في جيشها وبها استطاعت تحقيق الانتصارات المتوالية على الدولة العثمانية . لهذا كانت روسيا تتمنى ألا ترى الدولة العثمانية في صفقاتها الأولى المتقدمة . لأن ذلك أصبح يتنافى مع سياستها وأمنيتها التوسعية في القسطنطينية الشرقية . فطلت روسيا تنظر الى الدولة العثمانية بعين الحقد ونور الحقد من أجل أن في إصلاحاتها العسكرية الفاتحة .

ثم ما لبثت روسيا أن تعللت بسبب الحقد الذي كان يراعى في

مستغلة ما عرف باسم " أزمة البقاع المسيحية " في ذلك التاريخ الذي

حد ذاتها قليلة الأهمية في نظر السلطان عبد الحميد الثاني . وكان

فترة نهاية الحروب الصليبية حين أصبحت الإمبراطورية البيزنطية

ملكاً مشتركاً للطوائف المسيحية في حين أن الكنائس الشرقية

الكنائس المسيحية في داخل الدولة العثمانية . في سنة ١٤٥٤م

مليون من رعيا السلطان الذين ادعت روسيا أنها تملك

للكاثوليك<sup>(٢)</sup> . فروسيا تسعى لتحرير الكاثوليك من يد

الكنائس التي في ممالك الدولة العثمانية وإعطائهم للأراضي

الدولة .

وبالرغم من أن المعاهدات المتوقعة مع الدولة العثمانية

(١) سماعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دول البحر المتوسط .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٧ .

، احمد عبدالرحيم مصطفى في أصول التاريخ الإسلامي ، ص ١٤٧ .

، علي حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٤٧ .



على مثل هذه الحماية فان الدولتين حاولتا تأكيد نفوذهما بين رعايا السلطان غير المسلمين بتوفير حماية خاصة لكهنة كل من الفنتين ، وبالتالي تكون مقاصد روسيا بمثابة آلة صماء يحركونها كيف يشاءون ضد الدولة العثمانية (١) .

ففي منتصف القرن الثالث عشر الهجري الموافق لمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي وقع خلاف بين الكهنوت الكاثوليكي والكهنوت الأرثوذكسي للاستيلاء على مفتاح الأماكن المقدسة في فلسطين ، واشتد الخلاف ، فتدخلت على اثر ذلك الحكومة الفرنسية للدفاع عن الكاثوليك والحكومة الروسية للدفاع عن الأرثوذكس (٢) ، وهكذا اشتد الاحتكاك بين روسيا وفرنسا بحيث حاولت كل منهما الضغط على السلطان الذي لزم الحياد على الرغم من تهديد روسيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية معه اذا استسلم للضغط الفرنسي (٣) ، ثم أخذت كل منهما تطالب من الحكومة العثمانية منح امتيازات الأماكن المقدسة للفئة التي تحت رعايتها ، فرفضت الحكومة العثمانية ازاء ذلك حائرة مترددة (٤) . إلا أن حجة الكاثوليك كانت أقوى بموجب الامتيازات الممنوحة لفرنسا في سنة ١١١٣هـ / ١٧٤٠م من الدولة العثمانية والتي تخولهم الحصول على امتلاك الكنائس فيها ، وكان الروس يسمعون جماهدين لسلبهم تلك الامتيازات واعطائها للأرثوذكس بسبب حمايتهم لذلك المذهب ولنشر نفوذهم في الدولة عن طريق تحريك رعاياهم في البلقان وضرب الدولة بهم .

لكن عندما شغلت فرنسا بحروب نابليون والثورة لم تتمكن من المحافظة

(١) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٦٩٣ .

. احمد عبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ الاسلامي ، ص ٢٠٨ .

(٢) عابدين حماده : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢١ .

(٣) احمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) عابدين حماده : المرجع السابق ، ص ٢١ .

على مركزها في الأراضي المقدسة فسيطر الأرثوذكس على مراكز النفوذ. فقتل نابليون الثالث بمحاولة لاعادة الوضع وذلك لارضاء الرأي العام الفرنسي بالتدخل لدى الباب العالي لنقض الخلاف . وقد أحال السلطان هذه القضية على لجنة تحل هذا الخلاف . وبعد عدة اجتماعات قرر المجتمعون بأحقية الكاثوليك في امتلاك عدة كنس وأديرة هم فيها حق الأولوية فعارض الروس وهددوا السلطان فينبغى نفذت هذه القرارات ولكن الدولة العثمانية كانت حريصة ولم تنفذ عن شروطها وبالرغم من تهديد روسيا فقد قرر السلطان سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م أن يفتح الكاثوليك بعض الامتيازات التي أقرتها اللجنة وأهمها السماح لهم بالدخول في الأماكن الخاصة بالأبواب الرئيسية لكنيسة العذراء وبيت المسرة والبيت المقدس الذي كان المهدي في بيت لحم . لذلك ارتاح السفير الفرنسي في استنبول من جراء فئات تائرة الأرثوذكس . كما استاءت روسيا لعدم زخمها من امتيازات فعزم قيصر روسيا على الانتقام من الدولة العثمانية وأرسلها رسالة متخذا من هذا الخلاف ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الأكبر في استنبول استنبول سفيراً فوق العادة يدعى منتسكوف ( Mentchikov ) الذي السلطان منح قيصر روسيا حماية الرجعية الأرثوذكس في استنبول والى السلطان هذا الطلب الذي يمس كرامة وسيادة الدولة العثمانية

- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤٩١-٤٩٧ .  
 . علي حسون : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٥٣ .  
 . اسماعيل سرهنك : حقائق الاحبار عن دول البحر . ج ١ . ص ١٥٧ .  
 (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى . في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠١ .  
 . محمد فرد بك : المصدر السابق . ص ٤٩١-٤٩٢ . علي حسون : المصدر السابق . ص ١٥٧ .  
 (٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٤٩٢-٤٩٣ .  
 . أحمد عبدالرحيم مصطفى : المصدر السابق . ص ٢٠٩ .  
 . علي حسون : المصدر السابق . ص ١٠٨ .

والحقيقة لم يكن يقصد من ارساله الا ايجاد أسباب الشقاق للتوصل في النهاية الى اعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول . وبالفعل حصل ما كان متوقعا ، اذ وقع صدام شديد بين منشكوف وبين وزير خارجية الدولة العثمانية القوي فؤاد باشا . وقد نتج عن هذا اللقاء أن صفع فؤاد باشا منشكوف صفعة قوية ألقته على الأرض لإخلاله بأصول القواعد المتبعة أثناء مقابلة السلطان مما زاد الموقف تازما . ولتأزم الموقف طلب السفير الروسي تغيير هذا الوزير بآخر يدعي (رفعت باشا ) فلبى طلبه (١) وهذا ما كانت تريده روسيا وهو التخلص من هذا الوزير القوي الذي كان يكره روسيا ويميل الى بريطانيا .

وقد خشيت فرنسا من وقوع الحرب بين الدولة والروس ، لتصرفات هذا الوزير الروسي ، لأن الإمبراطور نابليون الثالث يميل الى السلم ، فكلف سفيره في اسطنبول باخبار السلطان باستعداد فرنسا لتنازها عن قسم كبير من الحقوق التي كان قد منحها السلطان الى الكنيسة الكاثوليكية . وعلى اثر ذلك اتفق منشكوف مع رئيس الوزراء التركي الجديد ( علي باشا ) على منح روسيا حق الاشراف على المذهب الأرثوذكسي في الدولة العثمانية ومنح الأرثوذكس الحق في ممارسة دينهم بحرية تامة ، واعتقد الرأي العام زوال شبح الحرب (٢) .

لذلك بدأ منشكوف ببذل جهده لدى السلطان لإحياء معاهدة ( خونكار اسكله سي ) القاضية بأن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الموجودين بين رعايا الدولة ، وكان السلطان العثماني يتردد في الاجابة وفي هذه اللحظة أعاد رشيد باشا الى الصدارة ، لأنه سبق عزله ارضاء لروسيا ومنعاً لأسباب الشقاق فظهر من ذلك أن السلطان قد عدل عن سياسة اللين والمسالمة وعزم على رفض

(١) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٢ .

(٢) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

مطالبة روسيا وأيده في ذلك عدوها اللدود رشيد باشا<sup>(١)</sup> .  
ومهما يكن فلا بد أن ندرك الدور الذي لعبه سفير بريطانيا في اسطنبول  
(ستراتفورد كاننج) المشهور باسم ( لورد اتفورد دي ريدكليف كاننج ) فهو  
السبب في وقوع حرب القرم ، وكان هذا السفير يدرك حقيقة الكراهية الشديدة  
التي كان يكنها الشعب الإنجليزي للروس بسبب تصادم المصالح في أكثر من  
منطقة. وكان هذا الرجل له مكانة كبيرة لدى السلطان عبدالمجيد ، حتى لقاه  
وصف بأنه "السلطان العثماني" غير المتوج . لذلك كان كاننج يدرك أن روسيا  
بلغت من القوة الدرجة التي أصبحت قوة خطيرة تهدد القوة البريطانية ، وأن تقليل  
أظافرها في وقت مبكر خير من تأجيل الحرب التي لا بد من أن تقع في يوم ما .  
وكانت ظروف بريطانيا مواتية تماما حيث أن نابليون الثالث - امبراطور فرنسا -  
كان قد عقد العزم على أن لا يصطدم ببريطانيا ، وأن تكون أجهادها العسكرية  
بالتعاون مع بريطانيا ضد روسيا أو النمسا<sup>(٢)</sup> .

وعندما عاد السفير البريطاني من رحلته الى بريطانيا استغل هذه الظروف  
لما يتمتع به من نفوذ قوي بسبب مسانده له للدولة وللبرامج الإصلاحية . فاقنع  
السلطان برفض المطالب الروسية<sup>(٣)</sup> ، وحثه على ابعاد علي باشا عن رئاسة  
الوزارة ، وتعيين رشيد باشا صديق إنجلترا وعضو روسيا التي كانت لها دور في عزلته  
من وزارة الخارجية كما سبق<sup>(٤)</sup> .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٢) عبدالعزيز نواز : الشعوب الاسلامية . ص ١٩٠-١٩١ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٤٩٣-٤٩٤ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢٠٩ .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٤٩٥ .

عابدين حماد : تاريخ العرب والشرق . ص ٢٢ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٦٩٣ .

ولما رأى منشتكوف عدول السلطان عن إعطائه هذه الامتيازات أرسل اليه بلاغا نهائيا في ٢٦ من رجب ١٢٩٦ هـ الموافق ٥ من مايو سنة ١٨٥٣ م بطلبات دولته ، وطلب الاجابة في مدة أقصاها خمسة أيام ، لكن السلطان لم يلتفت الى هذا البلاغ ، ولما انقضت المدة بدون الاجابة على طلبه انتظر ثمانية أيام أخرى على أمل أن يرد عليه السلطان ، فما كان من السلطان الا أن صمم على رفض طلبات الروس ، لذلك قطع السفير الروسي في ١٧ من شعبان ١٢٦٩ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٨٥٣ م العلاقة مع الدولة العثمانية مهددا الدولة باحتلال جنوده لأراضي الأفلاق والبغدان <sup>(١)</sup> . فتدخل رئيس وزراء النمسا لمنع نشوب الحرب ، وكاد أن يصل الى اتفاق بين الطرفين لمنع الحرب لولا السفير البريطاني المذكور الذي حان دون ذلك بالإيعاز الى رشيد باشا بالتصلب في موقفه وعدم التساهل ، وهكذا قضى كاننج على آخر أمل بالسلم <sup>(٢)</sup> .

فتقدمت الجنود الروسية الى الأفلاق ، ودفع الانجليز ومن ورائهم الفرنسيون الدولة العثمانية باتجاه الحرب ، ولوحوا لها بالمساعدة ، فأعلن السلطان الحرب على روسيا في سنة ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م <sup>(٣)</sup> وأنذر الروس باخلاء الأفلاق والبغدان خلال خمسة عشر يوما . وأمر السلطان عمر باشا بعبور الدانوب بعد أن تجاهلت روسيا الإنذار العثماني ، فاستطاع القائد العثماني عمر باشا تحقيق النصر على الروس ، فتقهقر الجيش الروسي عن الضفة اليسرى للدانوب <sup>(٤)</sup> .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٩٥ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩٤ .

(٣) عبيد حماده : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٣ .

(٤) محمد فريد بك المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(٥) عبيد حماده ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٦) علي حسون : العثمانيون والروس ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٧) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٩٤ .

لذلك أبحر الأدميرال الروسي ( نشميون ) حالاً باتجاه الجنوب ليهاجم القاعدة البحرية العثمانية في " سينوب " (١) . ففاجأته السفن العثمانية هناك . وأطلقت العديد من السفن الحربية الروسية المجهزة قذائفها السريعة فأصابته هذه القذائف السفن الحربية العثمانية أصابات أدت إلى تدميرها واغراقها ، والجدير بالذكر أن الروس كانوا قد تعهدوا لفرنسا وانكلترا بعدم الاعتداء على البحر الأسود وكان ذلك في سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٣م (٢) . ولأجل ذلك تدخل الأسطولان الإنجليزي والفرنسي البحر الأسود وطلبوا من الأسطول الروسي الانسحاب إلى سيواستوبول ( اسباتوبول ) ، فاستاء القيصر لهذا الطلب الشديد شأنه أن يظهر ضعف روسيا المسيطرة على البحر الأسود منذ عهد بطرس الأكبر لكنه لم يعبا بهذا الإنذار الذي أرسلته فرنسا وانكلترا مما أدى إلى انهيار المفاوضات من قبلهما على روسيا في سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٤م . وتوجهت حملة فرنسية إلى غاليبولي للدفاع عن اسطنبول (٣) ، لأجبا في الدولة والوطن عن التدخل نفوذ روسيا وبسط سيطرتها على اسطنبول (٤) .

هذا التدخل كان بعد عدة معارك عظيمة دارت بين روسيا العثمانية لاحتلال سينوب ، وكانت النتيجة التي تم بها احتلالها ، والمداولات بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية التي قررت الدول الأوروبية المشاركة في المعركة إلى بلاد القرم والاستيلاء على المرفأ الروسي سيواستوبول التي كانت

(١) سينوب : بلدة تركية على الساحل الجنوبي من البحر الأسود ، تقع على بعد ١٠٠ ميل عن اسطنبول .

- على حسون : العثمانيون والروس ، ص ١١١ ، حاشية رقم ١٠٠ .

(٢) على حسون : المرجع السابق ، ص ١١١ .

، اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ص ٢٧٥ .

، محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٩٨ .

(٣) عابدين حماده : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٢-٢٣ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٤٩٨ .

اذ تم حصار سيوستوبول الذي دام حوالي سنة كاملة ودخلت هذه الحرب أيضا (البيمونت ) مع الحلفاء ضد روسيا ، وذلك للتقرب من نابليون لمساعدتها على الوحدة الايطالية . فاستولى الحلفاء على سيواستوبول بعد تحطيم الاسطول الروسي وبعده مذابح وأهوال عديدة وتضحيات جسيمة حتى أتت سنة ١٢٧٢هـ الموافقة لسنة ١٨٥٥م فمال الفريقان الى السلم بعد أن توسطت النمسا بينهما (١) .

وكانت الأسباب الرئيسية لعقد الصلح ، أن حقق الانجليز والفرنسيون هدفهم . وهو تحطيم الأسطول الروسي ، وبذلك لن يكون في استطاعة الروس القيام بدور في البحر الأبيض المتوسط بعد أن ثبت للحلفاء السيطرة البحرية الكاملة في البحر الأسود الذي كانت روسيا تسيطر عليه ، فاكفى هؤلاء الحلفاء بهذا النصر ، ورفضوا التقدم الى ماوراء سيواستوبول ، مع أن بريطانيا كانت تريد الاستمرار حتى تذل روسيا اذلالا كاملا يقضي على دورها في السياسة الأوربية . ولكن نابليون اختلف مع بريطانيا في استمرار الحرب وأمر قواته بوقفها ، الأمر الذي أرغم الانجليز على وقفها ايضا (٢) .

وبعد مداوولات ومخابرات تم الاتفاق بين النمسا وبريطانيا وفرنسا على شروط قدمتها النمسا الى روسيا في سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م على شكل انذار بانضمامها الى الحلفاء في حالة رفض روسيا هذه الشروط (٣) .

وهذه الشروط التي وضعت لايقاف الحرب بين المتحاربين كانت كمايلي:

أولا: وضع المقاطعتين ( الافلاق والبغدان ) التابعتين الى تركيا العثمانية تحت

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٠٨ .

عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٣ .

اسماعيل مرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٠٠-٧٠١ .

(٢) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٩٢ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢١٠ .

حماية الدول الأوروبية ، بدلا من حماية روسيا وحدها .

ثانيا : حرية العبور في نهر الدانوب .

ثالثا : اعادة النظر في اتفاقية المضائق المعقودة في عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م

لمصلحة التوازن الأوربي .

رابعا : حماية رعايا السلطان المسيحيين على أن لا تمس هذه الحماية بسيادته .

فقبلت روسيا هذه النقاط الأربع . وتم الاتفاق على عقد معاهدة باريس في

سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م<sup>(٢)</sup> لإنهاء المسألة الشرقية . أو لإنهاء هذه الحرب بين

روسيا والدولة العثمانية .

وفي باريس تقرر عقد هذا الصلح بين الدولتين في ١٩ شعبان ١٢٧٣هـ

جمادى الآخرة سنة ١٢٧٣هـ الموافق ٢٥ من شهر ربيع الثاني ١٨٥٦م

وكان أهم البنود التي جاءت في نصوحها ما يلي :

- ١ - تعهد الجميع بحفظ استقلال الدولة العثمانية الإسلامية .
- ٢ - المصالحة بين الفريقين المتحاربين وانحلال ما احتلته قواتهم
- ٣ - اعادة المواقع العثمانية التي احتلتها روسيا الى الملاك العثماني .
- ٤ - اعلان العفو التام وإعادة الأسرى .
- ٥ - اعتراف الدول الأوروبية باشتراك الباب العالي في جميع الشؤون الأوروبية والأوروبية واحترام استقلاله واخفاضة عليه ذلك
- ٦ - تعهد الدول المتعاهدة بالتوسط لمنع الحرب بين روسيا والدول الأخرى .
- ٧ - اصدار منشور عثماني لصالح النصارى التي لا يدينونهم

١١ - أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول تاريخ الخديوي محمد الثاني ١٩٠٤

١٢ - عدنان حمدة : تاريخ الشرق والعرب ١٩٢٣

١٣ - علي حسون : العثمانيون والروس ، ص ١١٦ - ١١١



واتفق لقبول العثمانيين ضمن المجموعة الأوروبية أن تنفذ البند السابع من المعاهدة ، وتصدر خطا جديدا يضع برنامجا واضحا للاصلاح أكثر اتساعا ودقة من خط ( كلخانة )<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا الأساس صدر خط " همايون " في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م وهو تأكيد على ما جاء في خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مع اضافات جديدة تتعلق بحقوق النصارى والتنظيمات الادارية الجديدة . فكان أكثر دقة من الخط الأول ، حيث تميز بوضع حد للقوة المتناهية لروسيا ، ولايقاف مطامع الروس المتزايدة في أراضي الدولة العثمانية خاصة بعد أن منى الروس بالهزيمة في سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م وتحطم أسطولهم<sup>(٢)</sup> .

وبالرغم من أن الخط الهمايوني جاء نتيجة للضغط الخارجي ، ومن ضمن شروط الصلح على عكس خط كلخانه فقد تشابه الخطان في كثير من النقاط . إلا أن صيغة الخط الهمايوني كانت أكثر عصرية وأكثر اقتباسا عن الغرب بصورة لم تشهد من قبل في الوثائق العثمانية ، فهو لم يستشهد بآية قرآنية واحدة أو بقوانين الدولة العثمانية القديمة وأمجادها وكان ذلك أمرا خطيرا من الناحية النفسية ، لأن هذا المرسوم يتطلع الى التغريب أكثر مما يستوجب الرجوع الى الشريعة<sup>(٣)</sup> وأخذ كل اصلاح يوافق الشريعة ورفض كل اصلاح ينافي الشريعة الاسلامية ، لارفض كل شيء ، ولاقبول كل شيء ، ولكن حسب المعايير المحددة في الدين الاسلامي الحنيف .

(١) عبدالعزيز بوار: الشعوب الاسلامية ص ١٩٣ .

(٢) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا . ص ٧٥ .

أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢١١ .

محمد عبداللطيف البحرأوي : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالأزمة الحديثة . الدارة . ع ٢٤ .

س ١١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ص ٨٢ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢١٠-٢١١ .

معنى ذلك كما هو واضح أن هذا الخط قد مس التقاليد العثمانية مسا خطيرا ، وتناول الشريعة بالتحريف ، ومعناه من الناحية التاريخية انحراف الدولة عن قواعدها الأصلية (١) .

ويتضح من هذا الخط التركيز على المساواة الدينية ، وفصل حقوق معينة للنصارى ، منها أن المسائل المدنية تكون العهدة في إدارتها على مجلس مختلط بين المدنيين ورجال الدين النصارى ينتخبه الشعب بنفسه ومنها عدم إكراه المسلمين الذي يعتنق النصرانية على الرجوع إلى الإسلام بل يسمح له بالردة عن الإسلام واعتناق النصرانية (٢) .

لذلك كان صدور هذه التنظيمات التي أصدرتها الدولة العثمانية (٣) (التنظيمات الخيرية) ، أو إنشاء المحاكم المختلطة ، وتطبيق القوانين والنظم الأوروبية في الدولة وولاياتها كما جاء في هذين الخطين ، كان يناهز الإسلام في الدولة ولضعف الدولة والخلل الذي أصاب العلماء والسلاطين كما أن ذلك ساهم في إضعاف التشريع الإسلامي في نظم الدولة العثمانية والتي كانت تنظر إليها إرثا من عاصمة الإسلام ، فقد تغيرت هذه النظرة من الإحسان بالثقافة الإسلامية بالضعف عندما كفلت الدولة حرية العبادة وبناء المدارس علمي أن تضم في المقررة في الدولة ، وسمح للأجانب بامتلاك العقارات وفي شؤون الدولة الخط ضرورة إنشاء مجالس الولايات ، وكان من قبل تطبيق على نظام التعليم ثم فتحت أبواب معاهد التعليم الرسمية ، وبالتالي وظلت الدولة الإسلامية المسيحيين الذين فرضت عليهم الخدمة العسكرية رسميا ، ووجهاوا طرقات

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : التاريخ المعاصر وعلاقته المصرية بالأرستقراطية العثمانية ، الجزء الثاني ، ص ٨٢ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦١ .

(٣) عبدالعزيز نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ١٩٣ .

في مجالس الولايات والمجالس المحلية ، ووعده السلطان بإيجاد نظام ضريبي أكثر عدالة كما وعد بتحديد ميزانية سنوية ، وإنشاء البنوك ، والاستعانة برأس المال والخبرات الأوروبية ( اليهودية ) بهدف تطوير اقتصاد الدولة وتبويب القانون الجنائي والتجاري ، وإصلاح نظام السجون ، وإنشاء محاكم مختلطة في القضايا الخاصة بالمسلمين وغير المسلمين ، وقد أعلنت الدول الأوروبية مساندتها التامة لهذا الخط لضمان تنفيذ العثمانيين لوعودهم (١) .

وبعد صدور هذه القوانين الجديدة وافتتاح المحاكم المختلطة ظهر المحامون الذين يرافعون بموجب تلك القوانين العلمانية ، وقد كان المحامون قبل هذا من العلماء ، أما الآن فقد أصبح الصحفيون والمحامون والضباط موظفين مدنيين قاموا بدور كبير في الحياة السياسية وتطبيق الأساليب والأفكار الغربية الجديدة (٢) التي حذر منها السياسي النمساوي ( مترنخ ) العثمانيين ومن خطرها الكامن وراء استتارة أساليب الحضارة الأوروبية المتعارضة مع الحضارة الإسلامية العثمانية (٣) .

وقد فهم هذا الخط من زوايا متعددة ففسرته كل جماعة حسب مصالحها فالغالبية العظمى من مسيحيي الدول العثمانية كانت ترى في صدور هذا الخط مظهرا من مظاهر ضعفها وتطلع بعض زعمائهم الى الدول الأوروبية وتمسكوا بما جاء في الخط الهمايوني من حقوق لهم ، تاركين مابه من التزامات وواجبات عليهم ، بل تمسكوا في نفس الوقت بما كان لديهم من امتيازات سابقة تتعارض مع الخط الهمايوني ، أي تمسكوا بكل الامتيازات الواردة في الخطين التي تخصهم - دون

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني . ص ٢١١-٢١٣ .

(٢) عبدالستار فتح الله سعيد : الغزو التركي ( الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الوفاء ،

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ) ص ٥٨ .

(٣) عبدالعزيز بواز : الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٥ .

النظر الى التزامهم نحو دولتهم وما عليهم من واجبات وأخذوا يساومون الدولة على ذلك (١).

وعلى الرغم من انتقاد شيخ الاسلام هذا الخط الهمايوني كما انتقله رسل الإصلاح رشيد باشا وقال : " انه سار اشواطاً بعيدة الى الأمام ، لأنه جاء كمنظومة بدلا من النص على تنفيذ الإصلاح بالتدريج ، وإن الحاقه بصلاح ياريس يشكك خطراً على السلطان والدولة " .

وتبع هذه الانتقادات انتقادات أخرى من كبار رجال الدولة العثمانية التي ادى الى نشوب الاضطرابات في الشام . كما ان ضمانات الدول الكبرى لرجال التنظيمات من خوف التدخل الأجنبي (٢) جعلت من الإصلاح ، إلا أنه كان من المعروف أن أوروبا من وراء حجابها كانت تتطلع مسيحيي الدولة يتطلعون الى مزيد من التدخل الأجنبي (٣) بدلا من تطلعهم الى السلطات العثمانية .

والحقيقة أن عالي باشا وفزاد باشا ربما كانا يهدفان الى إصلاح الهمايوني الى الكسر من حدة التدخل الأجنبي وإبقاء نظامهم القديم لهذا انتشرت الشائعات عن الدول الأوروبية بالوقوف على مسيحيي الدولة لو ثاروا ضدها . وقد ساعد ذلك على رفض الأوروبيين بين الدروز والمسيحيين المارونيين ليسير لبنان في اتجاه الحكم الذاتي الذي عرف بالمتصرفية وهذا النظام كان يتعارض مع خططه الدولة العثمانية في البلاد العثمانية تحت نظام واحد يعتمد على الخط الهمايوني (٤).

(١) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية - ص ١٦٤ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ لشمسي - ص ٢١٢ .

(٣) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وهكذا نرى أن الدول الأوروبية أخذت في غزوها الفكري للدولة مسألة الطوائف غير المسلمة ذريعة للتدخل المستمر في شئون الدولة (١).

وقد أعقب صدور خط كلخانه والخط الهمايوني مجموعة من القوانين التنظيمية التي مست المجتمع العثماني . وقد صدرت هذه القوانين في أوقات متفاوتة . كان أولها صدورا هو القانون التجاري الذي صدر في سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م . وكان معظمه مأخوذا من القانون الفرنسي . ثم القانون الجنائي الصادر في سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م . وقانون التجارة البحرية الصادر في سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م . ومجموعة القوانين التجارية الصادرة في سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م . وكل هذه القوانين كانت أيضا مقتبسة من القانون الفرنسي.

وكذلك صدرت فرمانات أخرى حول تأسيس بنك الدولة والأوراق النقدية وإنشاء جامعة عثمانية (٢).

كما صدر قانون الأراضي ( الطابو ) في سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م . وقانون الولايات من سنة ١٢٧٧ - ١٢٨٠هـ / ١٨٦٠ - ١٨٦٣م . وكان الغرض من إصدار قانون الأراضي هو التخلص نهائيا من نظام الالتزام . والاقطاعات العسكرية وتحسين حال الفلاح بتمليكه قطعة من الأرض تملكها غير مطلق ليرتزق منها . وعندما وضع هذا القانون موضع التنفيذ جاءت نتيجته على غير ما كان متوقعا منه . فقد كان الفلاح فقيرا لا يستطيع دفع قيمة الأرض . بينما كان لدى الملتزم المال والخبرة . فسجل الملتزمون باسمهم مساحات واسعة من

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي . التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالآزمة الحديثة . (الندارة . ج ٢ . س ١١٠ . ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) . ص ٨٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية . مادة تنظيمات . ج ٥ . ص ٥٠٣ .

عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوصاف الإسلامية في تركيا . ص ٧٤-٧٥ .

الأراضي وتحول الفلاح أجيراً لدى هؤلاء الملاك وبذلك لم تحل المشكلة (١). أما قانون الولايات ، فيعتبر المحاولة العلمية لاصلاح حال الولايات من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتأكيد خضوعها للدولة. فقد حدد هذا القانون نظام الادارة واختصاص الوالي ، وطريقة انتخاب أعضاء مجلس الولاية ، وكان من أهداف هذا القانون اشراك الأهالي في إدارة أمور بلادهم حسب الإصلاحات الجديدة التي أدخلت في مختلف المرافق العامة. كما كان من أهداف هذا القانون أن يتمشى مع أحوال كل ولاية. إذ أفردت له لوائح خاصة للولايات العثمانية تختلف عن بعضها اختلافات جوهرية أساسية ، وأما في ما يخص وضع قانون موحد ينظم القوميات المسيحية الواقعة تحت الحكم العثماني في الجبلين وعشائر العراق وعصبيات الشام وغرب آسيا الغربية والبلقان ومسلمي البوسنة والبنيا .

هذا القانون وضع السلطة في يد الحكومة المركزية في عاصمة الدولة. حكومة اسطنبول هذه التنظيمات اعتقاداً منها أن شأن الدولة لا يتغير بالمستول عن عدم تحسين أحوالها ، وأنه لهذا السبب كبر الأعباء التي تقع على رؤسائه في اسطنبول فقط ، يرجع اليه في أمور الولاية التي هي على ذلك في تلك الفترة استخدام الخطوط البرقية في الاتصالات التي تزداد واسع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري الموافق لـ ١٨٥٠-١٨٥١ الميلادي (٢).

وبدراسة تلك التنظيمات وأسباب فوضىها ظهرت أسبابها التي أصدرت هذه التنظيمات إرضاء لأوروبا ، ولأسيما إنجلترا ، التي كانت قد

(١) عبدالعزيز بوار : الشعوب الاسلامية ، ص ١٩٤-١٩٥

(٢) عبدالعزيز بوار : المرجع السابق ، ص ١٩٥

التنظيمات ، ولامعنى تأمين الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، كأن  
الشريعة الإسلامية دستور الدولة العثمانية منذ تأسيسها تبيح التجاوزات والتعدي  
على المال والأرواح والأعراض ، حاشا لله . وكان كل البلاء ليس سببه الابتعاد  
عن الشريعة الإسلامية حتى يزول باصدار هذه التنظيمات ، وإنما السبب في ذلك  
هو الاستبداد المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم  
تكن شيئا مذكورا بجوار الحرية التي منحها القرآن للإنسان ، لكن الاستبداد الذي  
آل إليه سلاطين عصر الدولة الثاني جعلهم يجهلون تطبيق الشريعة الإسلامية <sup>(١)</sup> .  
فانفسسوا في الشهوات والملذات الدنيوية ، ونسوا بناء دولتهم حتى آلت الى ماهي  
عليه . ولم يعتبروا بأسلافهم الأول الذين طبقوا الشريعة الإسلامية في كل أعمالهم  
حتى سحت الدولة ، ووصلت الى أقصى المد الحضاري في عهد السلطان سليمان  
الأول . فانهبت بتطبيقه أوروبا ، ودخل النظام تحت لواء هذه الدولة لما وجدته من  
تسامح في تطبيق هذه النظم الإسلامية على أهل الذمة ، الذين لم يجدوه في أوروبا  
نفسها .

وقد جاء هذا التشريع العلماني أو الغزو الفكري الحديث نتيجة لعدد من  
العوامل منها : وقع الفكر الغربي على الدولة العثمانية ، والضغط السياسي الذي  
كانت الدول الغربية تمارسه في علاقتها مع الأتراك العثمانيين لضعفهم ، والمحاولات  
المختلفة التي قام بها الأتراك أنفسهم لادخال الإصلاح الغربي الى مؤسسات الدولة  
العثمانية لاسيما " التنظيمات " عدا الأحوال الشخصية ففقد بقي  
هذا النظام خاضعا لأحكام الشريعة الإسلامية <sup>(٢)</sup> . وما عداه فقد انزل نحو

(١) زوحى الخالدي - الانقلاب السياسي العثماني ( ج ١ ، ص ١٧ ، مجلة الهلال ، ١٩٠٨ م ) ص ٧٦ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٣٥ .

العثمانية ، وخاصة بعد صدور الخط الهمايوني الذي استتبطت قوانينه من القانون الفرنسي .

والحقيقة أننا لانعرف أحدا من سلاطين الدولة العثمانية الذين أصلهم روا " الخط الهمايوني " كان يفكر جديا في أن يصبح هو نفسه ذات يوم دستوريا ، وكان يرضى بأن يرى الدول الغربية تتدخل في شئونه الداخلية فكيف كان للسلطان أن يوافق على وضع قيود تحد من سلطته ، وهو أمر يتنافى مع مركزه السامي والقابلية العديدة (١) .

ولكننا لو أمعنا النظر في معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م لوجدنا معناها دخول الدولة العثمانية تحت مظلة كفالة الدول الأوروبية ، واضعافها وتقليصها والحاجة الى حماية الدول الأوروبية ، تحت أهم بند في المعاهدة وهو البند الذي يحمي الذي يعد المسيحيين بحرية ليس لها ضوابط ، والغريب في الأمر أن التطور الذي حدث والنمسا هما أول من تنبه الى خطورة هذا البند ، وخشيت عواقبه التي قد تلحق بالدولة العثمانية في المؤتمر لأنهما خشيا سريان هذه الحربية الفروخية التي كانت اللتين تضمنان عناصر وأديانا ولغات مختلفة ، لذا نرى أن نقل البند الى نص توقيع المعاهدة : " بعد بذل كل الأنفس والأموال في هذه الحرب التي استمرتها الشرقية على أساس ثابت لقد أشركنا الدولة العثمانية في محاسن هذه الحرب ... حسنا ولكن ما هو الفرق بين أن نقول لها : " نعماني البند الذي تضمن المعاهدة أو نقول لها التحري !!! (٢) .

ان قيام القوميات داخل الدولة العثمانية التي تضمنها البند الذي تضمنه الدولة العثمانية ، والقضاء على وحدتها من الداخل بامتدادها الى خارجها

(١) رين مور الدين رين : شعوب القومية العربية ص ٣٥

(٢) أورخان محمد علي : حياة السلطان عبد الحميد الثاني ص ٣١ - ٣٢



المسلمة داخل الدولة ، وهذا من السياسات الخطيرة التي فرضتها الدول الأوروبية في معاهدة باريس لإثارة هذه الأقليات ضد الدولة ، وهذا ما حدث بالفعل خلال تلك الفترة حين حدثت الفتنة بين الدروز والمارونيين في لبنان ، ولاشك في أن هذا البند كان لعبة سياسية ماهرة ضد الدولة العثمانية الغاية منه جرّها الى أزمة مخيفة حسب تعبير ممثل روسيا الذي صرح هو أيضا عقب توقيع المعاهدة قائلا : " أعتقد أننا لم نعمل هنا الا لتعقيد المسألة الشرقية أكثر من السابق ، فبينما سقنا الدولة العثمانية المتألّفة من اثنين وثلاثين مليوناً الى أزمة مخيفة حرّمتنا روسيا ذات الثمانين مليوناً من امكانية الدفاع عن حدودها الجنوبية .

ان عهد وجود الحرية دون ضوابط سوف يزلزل الدولة العثمانية أمام المطالبات الجديدة للبحر الأسود ، ومن هذه المعاهدة ستندفع روسيا الى البحث الدائم عن فرصة للحرب ، وأحسب أن هذه الحرية السائبة سوف تخلق في الدولة العثمانية أسبابا طيبة لإعلان حرب جديدة عليها ، مثلا بحجة حماية ومعاونة المسيحيين الذين سوف تأخذهم همى الحرية<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن معاهدة باريس هي التي مهدت لتمزيق الدولة العثمانية بقصد الحماية لرعاياها ، وهو ما أشار اليه ممثل روسيا والنمسا دون أن تتبّه الدولة العثمانية نفسها ، ولكن الذي حصل أن الدولة العثمانية أصبحت في حالة الدفاع عن النفس تنتظر مصيرها المحتوم باستقلال كثير من ممتلكاتها في أوروبا ، وتنتظر الى توزيع أملاكها في أفريقيا وفي آسيا دون أن تحرك ساكنا لضعفها وعجزها المالي والدفاعي أمام الغزو الأوربي الحربي والفكري ، وذلك لتغلغل الامتيازات الأجنبية فوق أرضها حتى أصبحت الدول الكبرى تتصارع ، وتمارس سيادتها التشريعية والقضائية بكل حرية لرعاياها داخل الدولة الاسلامية العثمانية بعد أن كانت هذه

(١) أورخان محمد علي : حياة السلطان عبدالحميد الثاني ... ص ٣٢-٣٣ .

الدول لا تجرؤ على الاقدام على مثل هذه الأعمال في عصر الدولة الأول إلا باذنها  
وفي قضايا محددة .

ولكن عقب حرب الروس والدولة العثمانية سنة ١٢٧٠هـ -  
١٢٧٢هـ / ١٨٥٣-١٨٥٥م والتي انتهت بمعاهدة باريس كما مر بنا سطر  
١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م استطاعت فرنسا وبريطانيا دفع الدولة العثمانية الإسلامية إلى  
منزلق الإصلاح والزامها باصدار خط كلخانه والخط الهمايوني اللذين أخرجا  
الدولة عن أصولها وقواعدها الإسلامية كما كانت تطبقها في عصرها الأول ، حتى  
سقطت في الحرب العالمية الأولى .

ج - التغريب : مدحت باشا وزملاؤه :

في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، انصبت اصلاحات السلطان محمود الثاني في الحصول على المال والقوة وايجاد القوات المسلحة القوية والحديثة ، وكان هذا ديدن من أتى بعده.

ولكن ما ان أصبحت الاصلاحات تسير على النمط الأوربي حتى سحبت خلفها الأفكار ونظم الحكم ، وأساليب الحياة الأوربية . وخاصة بعد صدور التنظيمات التي تطبعت بالمبادئ الأوربية العلمانية الخاصة بحرية العقيدة وسيادة القانون ، وهذا ما رأيناه في نصوص الخط الهمايوني الذي صدر في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م<sup>(١)</sup>.

وقد قام المهتمون بالحركة الدستورية بترجمة كتب رفاعه الطهطاوي من العربية الى التركية في سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م والعمل على رواجها لأن فيها وصف لمشاهداته في فرنسا وحديثه عن النظام البرلماني والدستور والقوانين الأوربية، وغيرها من الأفكار الغربية الضالة التي وافقت هوى نفوس بعض الشباب العثماني المتطلع الى الاصلاح<sup>(٢)</sup> وسن القوانين الوضعية.

وخلال هذه الفترة برز على مسرح الأحداث مدحت باشا المستغرب الذي تنقل الى كل من لندن وباريس ، وبروكسل ، ودرس وشاهد هناك هذه الأنظمة والدساتير الوضعية البعيدة كل البعد عن الشريعة الإسلامية والحضارة الإسلامية<sup>(٣)</sup> ، فصمم على إيجاد دستور وضعي يسير وفق الأحكام الغربية بغية

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٤ .

(٢) عبدالكريم مشهداني : العلمانية واثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ، ص ٧٩ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد منها ، ولكن السلطان عبدالمجيد وافاه  
الأجل في ١٧ من ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م . فسحقت الفرصحة بمدحت  
باشا لتحقيق ما يصبو اليه (١) .

ومدحت باشا هذا من تلاميذ رشيد باشا زعيم حركة الإصلاح الذي أصدر  
الصدارة العظمى ست مرات . ووزارة الخارجية ثلاث مرات ، حتى وافاه الأجل  
في سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م . فواصل تلاميذه الإصلاحات من بعدهم أشهرهم  
محمد أمين وعالي باشا ، ومحمود باشا ، وكان مدحت باشا الذي كبروا  
أبرزهم . حين ساند الحركة الدستورية التي أنهت عصر التطرقات (٢) .

والحقيقة أن غالبية السلاطين العثمانيين كانوا يخلعون قلوبهم على  
عهود لرعاياهم . ولكن بازدياد صعوبات الدولة المالية وظهور السلطنة  
محل السلطان عبدالمجيد في سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م نشأت في  
الستينات بوسائل الحد من سلطة السلطان المطلقة . وهي الوسائل التي  
سبقتها الخاصة بقبول أو رفض الإصلاحات المستوحاة من التيارات

تلى ذلك في سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م إعلان بشاري الدستور  
الدستور . وهو أول دستور في البلاد الإسلامية حيث كانت غير موجودة  
تابعة اسما للدولة العثمانية (٣) . إلا أن السلطان عبدالعزير أراد أن  
قام في مستهل أعماله بتعيين نامق باشا وزيرا للجهاد بدلا من دمجها بالوزارة  
أمره الى الصدر الأعظم آنذاك عالي باشا لمتابعة السير في تنفيذها (٤) .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٢

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٢-٢٠٧

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣

(٤) عبدالكريم مشهداني : العثمانية وازدهارها على الأوصاف الإسلامية في تركيا ، ص ٧٩

الضرورية مع الالتزام بالأمر الشرعية في النظام والقانون والاستقامة والاخلاص .  
وحض على اعطاء الرعايا النصارى الدقة في العدالة حسبا جاء في الخط  
الهمايوني (١) .

ويفهم من هذا أنه كان يود اعطاء الرعايا النصارى أكثر من حقهم حتى  
يضمن عدم تدخل الدول الأوربية (٢) .

وقد تمكن السلطان عبدالعزیز في السنوات الأولى من حكمه تخلص بلاده  
من الضائقة المالية حيث بذل جهوده للإصلاح وأحاط نفسه بوزراء أكفاء ولعل  
صعوبة المشاكل التي كانت تنبها الدولة العثمانية وكثرتها وصعوبة حلها أوقعته  
في اليأس والقيوط . والسطور التالية من مذكرات جودت باشا تصور الوضع  
الاقتصادي في اسطنبول في السنوات الأولى من حكم السلطان عبدالعزیز والتي  
كانت من أهم العوامل التي ساعدت على تغلغل الغزو الفكري الأوربي حيث  
يقول : " كانت الخزينة في وضع مالي سيء جدا ويزداد سوءا مع مرور الوقت . وفي  
أحد الأيام وقبل أن يصل فواد باشا الى اسطنبول كان الذهب الذي قيمته مائة  
قرش بالنقود الورقية المسماة " القائمة " قد ظفر وأصبح بثلاثمائة قرش . وفي اليوم  
التالي تجاوزت الثلاثمائة قرش ثم ما ان وصلت القيمة الى أربعمائة قرش حتى  
أصبحت هذه الأوراق المالية لاتساوي شيئا . وأصبح البقال والحجاز والقصاب  
لايقبلها . بينما لم يكن في أيدي الشعب سوى هذه الأوراق المالية . لذلك بقي  
الكثيرون جياعا . والذين كانوا يملكون النقد اشترؤوا الخبز لثلاثة أيام لذا فقد نفذ  
الخبز ولم يجدده الآخرون في السوق .

(١) على حسون . تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٦٣ .

إسماعيل سرهنك : حقائق الأجر عن دول البحار . ج ١ . ص ٧٠٦ .

(٢) على حسون . المرجع السابق . ص ١٦٣ .

وقد حاول البعض أخذ الخبز بالقوة من أيدي الذين اشتروه بكمية كبيرة ،  
وظهرت في بعض الإمارات الفوضى بسبب نهب الخبز في الطرقات ، الأمر الذي  
دعا الكثيرين الى حمل السلاح والعتاد ، واستولى على اسطنبول جو من الرهينة  
واستولت الخيرة على الجميع (١) .

فقام السلطان عبدالعزيز بتعديل في الجهاز الحكومي ، حيث عزل عمالي  
باشا في سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م ، وعين مكانه فؤاد باشا صدرا أعظم ، فقام فؤاد  
باشا أولا باصلاح المالية ، اذ كانت البلاد تن من الافلاس بسبب الديون الهائلة  
من عهد السلطانين محمود الثاني ، وعبدالمجيد (٢) .

ولبيان ذلك : أنه عندما نشبت حرب استغلال اليونان ودمرتم البلاد  
الأوربية أسطول الدولة العثمانية ، قامت الدولة باصدار الفوائض المالية  
أجل الحصول على المال لتجديد مراكبها وتقوية جيوشها فأصدرت في سنة  
١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م أوراقا بمبلغ اثنين وثلاثين ألف ليرة بفائدة زائدة عن  
في المائة سنويا ، تسدد في ثمان سنوات ، وبسبب حروب الشاه بين  
العثمانية زاد العبء المالي حيث أصدر السلطان أورافا بطلا فائدة زائدة  
الدولة عن دفع فوائد القرض الأول ، وتوالى بعد ذلك إصدار الأوراق  
دون رصيد لها .

ولما جلس السلطان عبدالمجيد على السلطنة ، أراد إصلاح الأوراق المالية  
واصلاح الناحية المالية ، إلا أن حرب القرم وما جرته على الدولة من  
الباهظة منعه عن تميم مشروعه الإصلاحي ، واضطرت الأوراق المالية

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالمجيد الثاني ، ص ٤٤-٤٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

، اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .

أوروبا للقيام بأعباء الحرب المذكورة ، ثم استهلكت الحرب كل القرض ، فأصدر أوراق فوائد جديدة ، واستمر الحال أيضا على هذا المنوال ، حتى ولى السلطان عبدالعزيز فؤاد باشا منصب الصدارة كما سبق ، فأقنع السلطان بضرورة إبطال أوراق الفوائد وتسوية جميع الديون ، فأصدر السلطان مرسوما سلطانيا بتاريخ ٢٠ من رجب سنة ١٢٧٨ هـ الموافق ٢١ من يناير سنة ١٨٦٢م لفؤاد باشا باصلاح المالية ، وإبطال أوراق الفوائد ، وتسوية جميع الديون بكيفية منتظمة ، وعمل ميزانية لأيرادات ومصروفات الدولة سنويا <sup>(١)</sup> . فاقترضت الدولة ثمانية ملايين جنيهها انكليزيا ، ثم اقترضت ثمانية ملايين أخرى بواسطة البنك العثماني ، ولكثرة الديون وتراكمها صار دفع الفوائد حملا ثقيلًا على عاتق ميزانية الدولة، فأمر السلطان عبدالعزيز بالاقتصاد حتى في أموره الشخصية ، وقد استقرت بعد ذلك أحوال الدولة المالية <sup>(٢)</sup> ، وأصبحت المعاملة بالنقود في كافة الولايات <sup>(٣)</sup> .

وبعد أن استقرت الأحوال المالية أو كادت تحركت الفتن السياسية ضد الدولة العثمانية ، فنارت جزيرة كريت ، وكانت اليونان من ورائها وتسعى لضمها إليها ، ولكن امكانيات الدول البحرية آنذاك لم تسمح لهم في هذه المرة بتأييد مطالب اليونان بل كلها كانت تعارض سلخ هذه الجزيرة عن أملاك الدولة العثمانية ، ولذلك منعت الدول مملكة اليونان من مساعدة جزيرة كريت الشائرة <sup>(٤)</sup> في الوقت الذي أرسلت فيه الدولة العثمانية جيشا لقمع ذلك التمرد .

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخير عن دول الحجاز ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

، على حمسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٣ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

وفي هذه الفترة استقال رشدي باشا من منصب الصدارة<sup>(١)</sup> ، فأعيد عالي باشا، كما أعيد فؤاد باشا الصدر الأسبق ناظرا للخارجية ، وعين محمد رشدي قائدا للجيش ، وعين في ذلك الوقت عمر باشا بطل القرم قائدا عاما للجيش المقاتلة فحارب كل المتمردين .

ولكن الدول لم يرضها ذلك العمل ، فتدخلت وطلبت ارسال لجنة دولية الى الجزيرة لتسوية أزمة القرم ، فرفض السلطان العثماني هذا الطلب واقترح اقتراحات محددة<sup>(٢)</sup> ، وأرسل الصدر الأعظم عالي باشا الى الجزيرة حيث استلم تسكين كبار الثوار في الجزيرة بمنحهم الرتب والنياشين وعين عونسي باشا قائدا للجزيرة ، وعاد الى اسطنبول بعد أن اضطرت المخابرات النمساوية شيلا القرم الى مملكة اليونان لمساعدة الثائرين ورغبتها في ضم الجزيرة بأني طريقه الى دول الحرب الى الحرب ، ولكن الدول لم تساعدتها في ذلك ، بل أظهرت انزعاجها وهددتها لو أثارت نار الحرب<sup>(٣)</sup> .

لهذا انعقد في باريس مؤتمر بهذا الخصوص من قبل الدول العظمى في معاهدة باريس في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م كان من نتائجه ان اعيد عالي باشا قرارا بمنح الجزيرة بعض الامتيازات في عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م على ان يتنازل عن دفع الأموال والخدمة العسكرية ، وبذلك انتهت الثورة بوقت قصير .

(١) عين في الصدارة عقب فؤاد باشا

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٣-١٦٤ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحر ، ص ١٠٧ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٤٥ .

اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ١١٢-٧١٣ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٤٧ .

علي حسون : المصدر السابق ، ص ١٦٤ . اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٧١٤ .



ولكن بعد وفاة عالي باشا وفؤاد باشا ، مارس السلطان عبدالعزيز حكمه الشخصي وعين في منصب الصدارة العظمى شخصيات محافظة من أبرزها محمود نديم . وعلى أثر وفاة عالي باشا في سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ظهر فريقان سياسيان عثمانيان يتصارعان حول مسألة الإصلاح ونظام الحكومة ، فهناك من كانوا يسعون الى متابعة سياسة عالي وفؤاد كما وجد المحافظون ، وقد مس الخلاف بين هذين الفريقين كثيرا من المسائل ربما أهمها مايلي :

الفريق الأول : كان يسعى جاهدا الى انهاء حكم السلطان المطلق ، ومنح حقوق مدنية وسياسية لغير المسلمين تجعلهم مساوين للأغلبية المسلمة ، على اعتبار أن ذلك ضرورة أساسية لقيام حكومة منظمة ، والحفاظ على تمام الدولة متأثرين بالتعلمانية الأوروبية .

الفريق الثاني : اتجه الى الامتناع عن القيام بأي إجراء من شأنه إضعاف سلطة العاهل وسيطرة العناصر الاسلامية ، وهما الشرطان الأساسيان للحفاظ على تماسك الدولة العثمانية (١) .

و حين تولى محمود نديم الصدارة العظمى وفر الفرصة لفريق المحافظين لكي يسيطر على شئون الدولة ، ويعزز نظام الحكم المطلق والحكومة المركزية ، وانتهر السلطان عبدالعزيز الفرصة ليعيد الحكم المطلق ويؤكد خلافته كوسيلة لمساندة اتجاهاته لكسب رأي العالم الاسلامي في الدولة . واشتد سخط الفريق الأول على ممارسات السلطان السلطة المطلقة فازدياد السخط أدى الى انتشار أفكار الدستور والبرلمان في الأفكار التي روج لها مدحت باشا وغيره وجرت مناقشتها على صفحات الجرائد (٢) .

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

في تلك اللحظة كان مدحت باشا والياً لبغداد ، حيث كان الصدر الأعظم محمود نديم باشا ، وكان كثير العزل والتبديل ، فنقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى أدرنه لسوء التفاهم حول التعارض في سياستهما ، فمر بالسلطان في طريقه الى أدرنه وقابله ، وأبدى له في هذه المقابلة سوء الخلل ، وسوء الإدارة ، وعاقبة الأمور اذا تركت على هذه الصفة ، فاستحسن السلطان عبدالعزيز قول مدحت ، وأخذ به ، وعزل السلطان محمود نديم ، وعين مدحت باشا صدرا أعظم بدلاً عنه ، لذلك استغل مدحت باشا ، صدارة الدولة ، وحاول اقتناع السلطان عبدالعزيز بوضع دستور مشتق من النظم الأوروبية ، فكتب له باصلاح الرضوخ فما كان من السلطان عبدالعزيز الا أن غضب غضباً شديداً ، وأصدر إمرامه بتعيين مدحت باشا من الصدارة فوراً وابعاده ، فتم تعيينه والياً لسلاطية (١) وبعد أن عزل مدحت باشا كثير تبديل الصدور حتى بلغوا ثمانين خلال سنة ونصف ، ثم أعيد الى الصدارة محمود نديم (٢)

أما السلطان عبدالعزيز فقد قام باصلاحات عديدة منها تعيين القاضي القاضي بجواز انتقال الميرية ( أي الخراجية ) الموقوفة لورثة مناصريه في الأحكام الشرعية في سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٩م للعمل بهذا في سنة ١٢٨٥هـ أنشئت (٤) ، وهي محاولة لجمع قانون الملكية وقانون الضمان الصادر في الحنفية ، وقام بهذا مجلس برئاسة أحمد جودت باشا (٥)

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ... ( مجلة الفلاح ، ج ٣ ، ص ١٢٧ )

هـ ١٩٠٨ م) ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٣) روجي الخالدي : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) علي حسون : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٤٦ .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تنظيمات ، ج ٥ ، ص ٥٠٣ .

وبعد مدة قصيرة أعيد مدحت باشا الى اسطنبول ، وعين وزير دولة في حكومة السلطان ، فاتفق مع حسين عوني باشا قائد الجيش ( سر عسكر ) الدولة على خلع السلطان عبدالعزيز (١) .

وكان السلطان عبدالعزيز يدرك سوء نوايا الدول الأوربية المتحالفة مع الدولة في حرب القرم وما بعدها وانها لم تفعل ذلك الا لضعافها بالتدخل في شئونها الداخلية ، ومساعدة مناهضة الطوائف الخاضعة للدولة على بث روح الفتن والفساد تحت اسم نشر الحرية والعلوم ، فرأى السلطان أن الأولى به هو الابتعاد عن الدول الأوربية الغربية والتحالف والتقرب من الروس وأيده في ذلك الصدر الأعظم محمود نديم ، وقيل كثرت اجتماعات السلطان العثماني مع سفير روسيا في اسطنبول الجنرال أغناتيف ، وقد تواتر هذا القول وشاع ولكن لم يثبت في أوراق رسمية بين الطرفين أية معاهدة هجومية أو دفاعية يكون من أهم بنودها ضم جميع بلاد المشرق التي تتبع الولايات الإسلامية أو التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية ، واختصاص جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها العنصر المسيحي لروسيا (٢) .

ولما شاع هذا الخبر ، لجأت الدولة الأوربية خوفا على مصالحها في المشرق وخفاصة إنجلترا للدسيسة وتآليب الموقف ضد السلطان عن طريق عمالهم وسفرائهم في اسطنبول السريين وغير السريين متهمين السلطان بالتبذير والاسراف وعدم الأهلية لإدارة مهام الملك . حتى أقنعوا بوسانلهم المتعددة الوزراء بوجوب عزله وان إقالته من الأعمال الواجبة (٣) .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١٦٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٥٧٥ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٥٧٥-٥٧٦ .

، علي حسون : المصدر السابق . ص ١٦٥ .

ويبدو أن هذه الدول افتعلت هذه الاشاعة التي لم تدون بمعاهدات مكتوبة، لأن السلطان حينما حاول الرجوع والعمل على استقرار الدولة، أبت عليه أوروبا واتخذت من الأزمة المالية عاملاً جديداً، أو سلاحاً جديداً للتدخل في شئون الدولة العثمانية<sup>(١)</sup>. لا سيما وأنها قامت بتقوية الأسطول والجيش، وكان هذا هو هم السلطان وشغله الشاغل بحيث أصبح أسطوله يأتي بالمرتبة بعد الأسطول الانكليزي. ولم يكن ينافس هذا الجيش سوى الجيش الروسي، وهذا ما أقلق بريطانيا، لذلك رأت بريطانيا أنه لا بد من إضعاف هذا الجيش، إما بدفعه إلى الحرب مع روسيا لاستنفاد قوته، أو تدبير انقلاب للأطاحة بالسلطان ولم يكن دفعه إلى الحرب ممكناً مع روسيا، فقد اتبع السلطان سياسة حيادية أتت إلى الصدارة محمود نديم الذي أشيع عنه أنه صديق روسيا<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل حال لما تسلم زمام الدولة حزب ملاحيت باشا وشاه قبل المناصب الهامة في الدولة<sup>(٣)</sup> بدأ رجال هذا الحزب في عقد الاجتماعات لعزل السلطان عبدالعزيز وكانت أركان المؤامرة هم المصدر الأعظم محمد رشدي، وحسين عوني ناظر الحربية وأحمد باشا قيصرلي ناظر البحرية، ومدحت باشا، وشيخ الإسلام حسن خير الله أفندي<sup>(٤)</sup>. وكان حسين عوني هو الرأس المدبر وقائد هذه المجموعة قد اشترك في معارك عديدة، وأبدى بطولات فيها، وترقى في المناصب حتى وحصل

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : التاريخ المعاصر وعلاقتهم العثمانية بالأزمدة الحديثة، الصادرة في ١٩١١، ١١، ١٤، ١٤، ص ٨٢.

(٢) أورهان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني، ص ٧٠.

(٣) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني (مجلة الهلال)، ج ٢، ص ١٧، ص ١٨، ص ١٩، ص ٢٠، ص ٢١، ص ٢٢، ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٢٥، ص ٢٦، ص ٢٧، ص ٢٨، ص ٢٩، ص ٣٠، ص ٣١، ص ٣٢، ص ٣٣، ص ٣٤، ص ٣٥، ص ٣٦، ص ٣٧، ص ٣٨، ص ٣٩، ص ٤٠، ص ٤١، ص ٤٢، ص ٤٣، ص ٤٤، ص ٤٥، ص ٤٦، ص ٤٧، ص ٤٨، ص ٤٩، ص ٥٠، ص ٥١، ص ٥٢، ص ٥٣، ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٥٦، ص ٥٧، ص ٥٨، ص ٥٩، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٢، ص ٦٣، ص ٦٤، ص ٦٥، ص ٦٦، ص ٦٧، ص ٦٨، ص ٦٩، ص ٧٠، ص ٧١، ص ٧٢، ص ٧٣، ص ٧٤، ص ٧٥، ص ٧٦، ص ٧٧، ص ٧٨، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٢، ص ٨٣، ص ٨٤، ص ٨٥، ص ٨٦، ص ٨٧، ص ٨٨، ص ٨٩، ص ٩٠، ص ٩١، ص ٩٢، ص ٩٣، ص ٩٤، ص ٩٥، ص ٩٦، ص ٩٧، ص ٩٨، ص ٩٩، ص ١٠٠، ص ١٠١، ص ١٠٢، ص ١٠٣، ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦، ص ١٠٧، ص ١٠٨، ص ١٠٩، ص ١١٠، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١١٣، ص ١١٤، ص ١١٥، ص ١١٦، ص ١١٧، ص ١١٨، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ١٢١، ص ١٢٢، ص ١٢٣.

(٤) اسماعيل سرهك : حقائق الاختيار عن دول البحر، ج ١، ص ٧٢٢.

محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ٥٧٦.

الى وزير الحربية " سرعسكر " ولكنه تعرض لغضب السلطان بمكيدة من الصدر الأعظم نديم باشا في سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م حيث عزل من منصبه ، وجرّد من أوسمته وألقابه ، ونفى إلى بلدة " اسبارطه " (١) ، وتم ابلاغه أمر ذلك النفي في منتصف الليل ، ولكنه غادر العاصمة في الصباح الباكر الى منفاه ، وبقي هناك حوالي أحد عشر شهرا ، ثم عفى السلطان عنه وجعله على ولاية آيدين ، ثم وزيرا للبحرية (٢) . ولكن الباشا لم يعف عن السلطان ، وقد قرر الانتقام منه . وفي سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م طلب اذنا من السلطان للذهاب الى الخارج للعلاج فأذن له السلطان . وفي باريس عقد حسين عوني بعض الاجتماعات السرية ، فاجتمع مع رئيس الجمهورية فرنسا المارشال ( مكمهون ) على انفراد ، وهذه الزيارة كانت لخارج البروتوكول ، وكانت زيارة سرية تحت ستار العلاج . دون أن يعلم بها سفير الدولة العثمانية في باريس .

وكان حسين عوني يحاول جاهداً أن يضمن اعتراف فرنسا بالحكومة الجديدة بعد الانقلاب . لذلك فقد بدأ حسين عوني يلوح بمسألة " الكوبونات " على الدوام لمعرفة مدى اهتمام فرنسا حول تأمين دفع أقساط الفائدة على قروضها للدولة العثمانية .

وبينما كان حسين عوني باشا يتصل في باريس سرا بالحكومة الفرنسية كان مدحت باشا يتصل سرا بالسفير الانجليزي السير ( هنري اليوت )

(١) يحي بروسة

مذكرات مدحت باشا : تعريف يوسف كمال بك حاتة ( الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة هندية تنصر . ١٣٣١هـ - ١٩١٢م ) ص ١٣ .

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد : ترجمة محمد حرب عبدالحميد ، الطبعة الأولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ) ص ٢٦ .

مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق ، ص ١٣ .

للتباحث معه حول خلع السلطان عبدالعزيز (١).

وقد اعترف السفير الانجليزي " هنري اليوت " في المقالة التي كتبها في مجلة " القرن التاسع عشر Nineteenth century " بدوره في التحريض على تسمية السلطان عبدالعزيز اذ قال " لكوني قد قضيت في تركيا سنوات عديدة " (٢) فإني كنت أعلم أن الدولة العثمانية في حاجة الى اصلاحات كثيرة ، وكنت أعلم أنه ما لم يتم تشكيل مجلس يراقب السلطان ووزرائه فإنه لا فائدة من أي اصلاح ، وأتيت فرحت كثيرا عندما بلغتني المحاولات التي يقوم بها مدحت باشا ، وقد بدلت رأيي وسعى لحثه وتشجيعه على ذلك " (٣).

وعلى أية حال ، فبعد هذه الاتصالات وجدنا رجال مصر من الكادحين والاعمال الصالحين في الصدر الأعظم محمد رشدي باشا ، وحسين عوني ناظر البحرية ، وقيصرلي ناظر البحرية ، ومدحت باشا ، وشيخ الإسلام حسين كاشغري ، والتشجيع من قبل فرنسا وانجلترا على تنفيذ مفاوضات خلع السلطان ، حتى سبق أن لوحوا بها من قبل واتهموه بالاسراف والضياع ولكن قبل الشروع في تنفيذ خلع السلطان ، أخذت فرنسا بوجوب خلعه (٤) ، ووضعها في جيبه منتظرا ساعة الصفر ، وكان الأمير مراد الخامس على علم بهذا الانقلاب ، فكان يدعو للتصديق على

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١٨ - ١٩.

(٢) كان سير ( هنري اليوت ) قد عين سفيراً للبلاد في اسطنبول في سنة ١٨٥٧ م ، وهو الذي كان

تسع سنوات من سفارته عمده تم عزل السلطان عبدالعزيز

- أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧١.

(٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧١.

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٧٦.

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق.

(٦) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٤.

؛؛ لانتمايه الى هذا الحزب حزب اللامر كزية وليمه الى اصدار الدستور .

ثم اناطوا الى حسين عوني باشا ناظر البحرية بأمر خلع السلطان عبدالعزیز، وشیخ الاسلام وباقي الوزراء بمبايعه السلطان مراد .

ففي يوم الاثنين ١٢٩٣/٥/٦ هـ / الموافق ١٨٧٦/٥/٣٠ م أخذ ناظر البحرية في تجهيز مراكبه لحصار السرايا السلطانية بحرا ، فاستغرب السلطان حصول هذه المناورات البحرية بالبحر تحت شبابيك قصره . من دون علمه ، فأرسل يستطلع الخبر ، فأجيب على سؤاله بأن ما يحدث هو من دواعي الحال ومقتضياته أوجبت ذلك <sup>(١)</sup> ، ثم أخبر أحمد باشا قيصر لي الصدر الأعظم ومدحت باشا بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ الأوامر اللازمة لخلع السلطان في مساء ذلك اليوم خوفاً من أن يكون قد شعر بشيء من قصدهم <sup>(٢)</sup> . وبما أن الأحوال تحتهم وجوب كتم المسألة عن العامة لذلك اتفق رشدي باشا ومدحت باشا وخير الله أفندي شيخ الاسلام على احضار ولي العهد الى الباب الهمايوني عملاً بالأصول القديمة لإجلاسه على العرش . وقبل الموعد بيومين أرسل السلطان عبدالعزیز رسولا الى عوني باشا للحضور الى سرايا (القصر) ، فتنصل ببعض الأعدار ، وظن أن السلطان قد وقف على جلية الأمر <sup>(٣)</sup> ، ومهما يكن من المواقف التي دائما ماتصاحب هذه العمليات فقد كلفوا رديف باشا بحصار السرايا براً ، بينما حاصرها أحمد باشا قيصر لي بحرا، واجتمع بعد ذلك المتآمرون بعد غروب الشمس في ذلك اليوم في ديوان قيادة الجيش وتوجه رديف باشا مع آلاف من

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٥٧٦-٥٧٧ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : تعريب كمال يوسف كمال بك حناتة . ص ١٣ .

محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٥٧٧ .

(٣) مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق . ص ١٣-١٤ .

الجند ، وأمر سليمان باشا رئيس المدرسة بحراسة باب السراي مع مائة من تلامذة المدرسة الحربية على ظهور خيولهم مدججين بالسلاح<sup>(١)</sup> . ولما تم لهم حصار سرايا السلطان برا وبحرا ، توجه حسين باشا في عربة الى مقر ولي العهد مراد ، وأركبه معه وعادا معا الى قيادة الجيش حيث كان بانتظارهما شيخ الاسلام ، وجميع أعيان الدولة من عسكريين ومدنيين ، وطوقت السرايا فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج ، ثم تمت بيعة السلطان مراد الخامس بالسلطنة من الحاضرين<sup>(٢)</sup> .

ودخل أيضا حسين عوني الى مقر السلطان عبدالعزيز ، وأخذه معه الى قيادة الجيش ، وأبلغه هناك أن الأمة عزلته ، وسلمه صورة فتوى الشايخ الذي عزلته هذا الخبر ، الا حينما رأى القوة تحاصره ، وتحيط به من كل جانب مستسلما ، وأحاط به الجند<sup>(٣)</sup> ، ونقل مع عائلته الى سراي طرابزون التي كانت بيت في " أورطه كوي " في اسطنبول<sup>(٤)</sup> ، وأطلق المدافع من السراي على جلع السلطان عبدالعزيز وتويع السلطان مراد الخامس<sup>(٥)</sup> .

يقول السلطان عبدالحميد في مذكراته : " أتت المدينة في ١١ من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٧٠ هـ ، فدخلها السلطان عبدالعزيز أول ما تولدت عند حسين عوني بوقت ، وبعث به في القطار قبل الى أسبرطه ، وكان المرحوم عمي وفيرا ، وكان أكبر مني بالسن عفا عن رجل حقود مثل عوني ، وبعد فترة قليلة بعث به في القطار "

- (١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٧٧ .
- (٢) علي حمون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٦٥ .
- (٣) مذكرات مدحت باشا : تعريف يوسف كمال بك محمد فريد بك ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .
- (٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .
- (٥) اسماعيل سوهيك : حقائق الاحرار عن دول العثمانيين ، ص ١٢٦ .
- (٦) علي حسون : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
- (٧) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٢ .
- (٨) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٥٨٠ . اسماعيل سوهيك : المصدر السابق ، ص ٧٢٢ .



عمي ضحية خطئه هذا باشارك مدحت باشا في عملية الخلع ، فانتقل بذلك من مصاف رجال الحكم الى عداد الثوار .<sup>(١)</sup>

وهكذا تم الخلع دون مقاومة من الدول الأوروبية ودونما أي احتجاج على تلك الثورة الداخلية ، بل كانت مشتركة فيها أصابع الدول ، وخاصة إنجلترا وفرنسا كما سبق ، بل كان لدى جميع القناصل علم بهذه المؤامرة ، وكان باتفاقهم ان لم يكن قد اشترك بعضهم فعلا في خلع السلطان<sup>(٢)</sup> . ويؤكد ذلك أن مدحت باشا قد بعث بمذكرة مفصلة الى دول أوروبا قبل تنفيذ المؤامرة عدا روسيا ، وأعلمهم فيها بأن خلع السلطان يختمه الشرع الاسلامي الذي يقضي بأن يكون رئيس الدولة مالكا لقواد العقلية . وهكذا باتفاق الدول الأجنبية الكبرى أطاح المتآمرون بالسلطان لرفضه الانصياع لرغباتهم في سن دستور للدولة الإسلامية مستعمدا من النظم والأفكار الأوروبية<sup>(٣)</sup> بعيدا عن الشريعة الإسلامية .

يقول مدحت باشا في مذكراته : " لم نقصد بخلع السلطان والدخول في المآزق المخرجة سوى تخليص الدولة من أزماتها واتخاذ مسلك ثابت للإدارة ، والدواء الوحيد لهذا الداء هو اتباع قواعد الشورى بتأسيس حكومة دستورية يعيش فيها أفراد الأمة الأحرار متساوين وكانت هذه المسألة قد ارتسمت في فكري حين كنت واليا في ( الطونه ) فكتبت قانونا موافقا لروح العصر ، وحين وقت العمل به ، ولكن إعلانه كان يقضي موافقة أقراني على محتوياته ، فتباحثنا في مواده في الليالي التي قضيناها في السراي ، فقال حسين عوني باشا : ان القانون الذي سنعمل به سيخالف هذا القانون في بعض مواده الأساسية ، فيجب أن نهمل ذكره في الخط الممايوني الذي سنشره ، فاكتفينا بتنزيل مرتبات السراي

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٦ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٨٠ .

(٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

السلطانية الى ٦٠ ألف ليرا وألحقنا معدن فحم ( اركلي ) وبقية المعادن والاراضي المسماة بالشفالك الهمايونية بنظارة المالية وباجراء مقدمات الاصلاح ، ولكن الأساس الذي يجب النظر اليه هو اختلال ادارة الحكومة واذا استمر الحال على هذا المنوال فلا يتم البرء من الداء الا بالشورى التي ينتظرها الناس بفروع حرة ، وقد جلس السلطان على تخت أجداده وهو عازم على تأسيس حكومة شورية كما يباللعب . هل الشورى بادخال القوانين والدساتير الوضعية مستعدة ان بتطبيق النظم الاسلامية في المعاملات والعبادات . نسي هؤلاء ان أسلافهم وأسلافهم بتطبيق الدستور المستورد ، ان الدولة العثمانية في عصرها الأول بتطبيقها الشورية السمحاء وصلت الى قلب أوربا وأرهبت ملوكها ، واطبقن الديار الإسلامية معاملة أهل الذمة الذين عاشوا في الدولة العثمانية والذين ضحكوا على حقوقهم وحرية معتقداتهم ، وقد هرب كثيرون من النصارى من بلادهم في الدولة العثمانية والتسامح الإسلامي المفقود في بلادهم ، ويواصل مدحت باشا حديثه في مذكراته فيقول : " فزاد انتشار فكرة الشورى بين الأحرار ، وقرروا انهم يريدون الانتهاء من حفلات الجلوس ، والعمل بقراراته بعد البيت بساعات قليلة من الشورى ... وتوجه الموظفون الى مناصبهم ، واشتغل كل بمهنة ، وساءت حالهم على عبدالعزير وانتحر في يوم الأحد وهو اليوم السادس من الشهر الثاني من أحد خازن داراته مقرظا وقطع به شرياني ذراعيه فمات . وانتم في هذه الأوقات الناس ، ولكنه لم يصلني الخبر الا بعد زمن ، لأنني كنت أقيم في مدينة أخرى " (٢) .

(١) مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال ، دار حنيفة ، ص ١٦ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : المصدر السابق ، ص ١٦ .

ولكن هيئات فقد اختلفت الأقوال في الوفاة وأسبابها ، فمن قائل انه انتحر لعدم انتظام قواه العقلية بسبب خلعه ، ومن قائل : ان المتآمرين قضا عليه خوفا من رجوعه الى الحكم والتنكيل بهم<sup>(١)</sup> .

لهذا اکتف وفاته شيئا من الغموض إلا أن الأدلة والقرائن تثبت أن الانقلابيين كان لهم دور كبير في ذلك، فعندما خلعوا السلطان عبدالعزيز أبقوا الى جميع وحدات الجيش في أرجاء الدولة يزفون اليهم الأمر ، ولما لم يكن لدى وحدات الجيش خبر هذا الانقلاب فقد انصاعت للأوامر وأرسلت جميعها برفقيات التأييد، ولكن رغم ورود هذه البرقيات إلا أن بال الانقلابيين لم يكن مرتاحا فقد تأخر قائد جيش " روملي " أحمد مختار باشا في إرسال برفقية التأييد ، وكان من أنصار ومحبي السلطان ، وموقعه قريب من اسطنبول ، وجيشه في نفس الوقت من أقوى الجيوش ، وليس لدى المتآمرين قوة تستطيع رده لو هجم على العاصمة ، لذلك دام صمته ثلاثة أيام ، فأقض هذا الصمت مضجع حسين عوني باشا وأعوانه ، وقد خشوا أن تتكرر وقفة العلمدار مصطفى باشا<sup>(٢)</sup> ، لذلك تقرر قتل السلطان وإعلان الخبر بأن السلطان انتحر لكي يسدوا الطريق على أي أمل بانقاذ السلطان وإعادةه الى العرش ، إضافة الى حقد عوني باشا على السلطان عبدالعزيز<sup>(٣)</sup> .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٦ .

(٢) عندما تآمر الجيش الانكشاري بخلع السلطان سليم الثالث ونجحوا في تحيته عن العرش عام ١٨٠٨ هـ كان العلمدار مصطفى باشا قائدا في منطقة الداوب ، وعندما سمع بخلع السلطان سار بجيشه الى اسطنبول لانقاذ السلطان ، ولكن في أثناء دخوله القصر قام الانكشاريون بقتل السلطان وقد قض العلمدار مصطفى باشا على أعداء السلطان سليم الثالث فعزل السلطان مصطفى الرابع وأجلس محمود الثاني على العرش .

- أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٣ حاشية رقم (٧٦) .

(٣) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٢-٧٣ .

وَمَا يوجب الشك في دعوى اتحاره ما كتبه عبدالعزيز للسلطان مراد قيسل  
وفاته بيوم واحد طالب منه نقله من ( طوب قبر ) وهذا ما ثبت أن قواد العقابية  
سليمة حيث قل : " بعد اتكالي على الله ، وجهت اتكالي عليك ، فأهنتك  
بجلوسك على تخت السلطنة ، وأبين لك حالي من الأسف على أنني لم أقدر على أن  
أخدم الأمة حسب مرادها ، فأمل أنك أنت تبلغ هذا الأرب وأنتك لا تنسى أني  
تثبتت بالوسائل الفعالة لصيانة المملكة ، وحفظ شرفها وأوصيائك أن تتذكر أني  
صيرني إلى هذه الحالة هم العساكر الذين سلحتهم أن بيدي ، وحيث أن من قبل  
داند الرفق بالمظلومين وشملتهم بالمعروف الذي تفتضيه الإنصافية الزائدة في  
تفقدني من هذا المكان المعنى الضيق الذي صرت إليه ، ولهم في شأنهم  
وأهنتك بأن الملك انتقل إلى ذرية أخي عبدالحميد ، وهذا  
وهذا دحض قوي لادعاءات خصومه الذين كانوا يريدون  
زيادة في إيهاه الناس بأنه قتل نفسه قام الوزراء بالمشورة  
اسطبول أيضا لتأكيد اتحاره معتقدين أن الأمة لا تصدق في  
حجتهم بالكشف الطبي المصدق عليه من أطباء السفارات في  
لروايتهم ٣٠

ان رواية مدحت باشا التي رواها في هذه كوائمه من التتبعين  
عبدالعزيز وروجها حزب الأحرار ، كما سبق تمهيداً إلى التريفة  
باشا ان لا يعرف عن موت السلطان الا بعد ثلاثة أيام والسماعان

١. محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٨٠ - ٥٨١

٢. علي حمون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٦

٣. علي حمون ، المصدر السابق ، ص ١٦٦

٤. محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ٥٨١

بسته أيام فقط ، كما يقول ، وكيف يذهب الى مصيفه البعيد عن اسطنبول ؟ ومتى ذهب الى هذا المصيف ؟ ولماذا ؟ وهو أهم أعضاء رجال الانقلاب ، ومتى غادر اسطنبول ؟ وهل يعقل أنه غادرها بتلك السرعة ، اذا علمنا أنه الرجل الثاني بعد حسين عوني والاثنان غايتهما واحدة خاصة وأنهما تعرضا لطرده السلطان في يوم ما ، والأهم من ذلك أن الدولة لازالت في حاجة الى خدماته ، وكان يخطط مع حسين عوني وغيره لوضع الدستور ، اذا علمنا كل هذا أدركنا التناقضات التي أوردتها مدهحت باشا وأنها تضيف دليلاً آخر على ما سبق قوله وهو أنه مات متأولاً .

والجدير بالذكر أن حادثة الانقلاب التي دبرت للسلطان عبدالعزیز مهمة جدا ليس لأنها أدت الى تغيير سلطان بل لكون ذلك أول انقلاب دبر بمساعدة الدول الأجنبية ، بحيث أصبحت الدول لم تعد تكتفي بالتدخل بجواسيسها وأعوانها في تغيير الفتن الداخلية في أنحاء الدولة ، بل زادت في هذه المرة جراتها وشملت محاولة تغيير السلاطين ، والذي يشهد الانتباه أكثر ان هذه المحاولة نجحت بكل المساعدة وبهذه الصورة وبمساعدة رجال الدولة أو حزب الأحرار الذين كانوا يتطلعون الى مثل هذا الحدث في الوصول الى أهدافهم لفرض الدستور الذي كانوا يحلمون به منذ أواخر عهد السلطان عبدالحميد . وكان أشد السفراء سرورا هو السير هنري اليوت سفير انكلترا ، وأكثرهم غما الجنرال اغنايف سفير روسيا الذي كان يعارض سياسة الانجليز ، وكما يقال كان صديقا للصدر محمود نديم الذي كان يعارض سياسة حزب الأحرار (٢) .

(١) أوزون محمد علي ، سلطان عبدالحميد ، ص ٦٤-٦٣ .

(٢) روجي الخالدي القديسي : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ج ٣ ، ص ١٧ .

١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ، ص ١٣٣ .

وقد ظهر ذلك بوضوح عندما تمت بيعة السلطان الجديد مراد الخامس بحضور الملايين من الشعب ووردت التلغرافات الى أوروبا وإلى الولايات لإعلامها بتوليته ، ونادى المنادون في اسطنبول معلنين جلوسه ، فرفعت سفن الدول الأجنبية الرايات وانارت المصابيح . ولكن السفن الروسية لم ترفع راياتها إلا بعد يومين . وقد استاء الروس من عزل نديم باشا ، وزادهم خلع السلطان عبد العزيز غمًا ، فأجاب امبراطور روسيا علي تلغراف تعيين السلطان مراد بتلغرافات أسفرت عن سفارة الروس في اسطنبول وأخبر إلى ناظر الخارجية الدول العظمى بالخطوات التي تأسفه من جرأة قائد الجيش حسين عوني علي خلع السلطان وخروج السفن وهكذا ذهب السلطان عبدالعزیز خلعاً من قبل مراد الخامس المشروطة التي فرضت في عهد السلطان عبدالحميد . فبدأت الدولة العثمانية كان هذا درساً بليغاً للسلطان عبدالحميد الذي تولى السلطة في 1876 فعندما تولى السلطنة أنشأ جهازاً قوياً للأمن الداخلي والخارجي والاستخبارات الأجنبية بكفاءة كبيرة وحفظ بلاده من أي خطر خارجي (٢)

كما سبق رأينا التدخل السافر من الدول الأخرى في شؤون الدولة العثمانية بتدبير خلع السلطان عبدالعزیز من السلطنة في الخامس الموافق لهواهم بدلا عنه .

ومما يسترعي الانتباه ويشد الباحث هو سهولة تدخل الدول الأجنبية في شؤون الدولة نفسها وبمساعدة رجال الدولة وعلي رأسهم رؤساء القضاة

(١) مذكرات مدحت باشا : تعريب كمال بك مدحت ، ص ٤٠٤

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٢

والذين تأثروا بالأفكار الأوروبية، وحاولوا تطبيقها في الدولة، وكان رفض السلطان المتكرر لمطالبهم واصداره مجلة الأحكام العدلية جعلهم يصممون على خلعهم، لازاحته عن طريقهم، ولإدخال الدساتير الوضعية الأوروبية، ونبذ النظم الإسلامية في المعاملات والعبادات، فنسوا تطبيق أسلافهم لها، وأعجبوا بتطبيق الدستور المستورد، والذي قادهم فيما بعد إلى العلمانية عن علم أو بدون علم كما سيأتي الحديث عنه.

د - المشروطية الأولى والثانية :

أشرد فيد سبق أن المؤامرة التي ألقت حكم السلطان عبدالعزيز . وولت السلطان مراد الخامس عرش الدولة العثمانية في سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م . ولكنه لم يدم في الحكم سوى ثلاثة شهور . لذلك يجب أن نخلص أولاً شخصية السلطان مراد الخامس قبل وبعد توليه السلطة .

لقد ظهرت علامات شخصية مراد الخامس في شبابه فلهذا نجد أنه لم يترك في أي زيارة التي قام بها عنه السلطان عبدالعزيز عام ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م في حين كان يرافقه في تلك الرحلة . ففي هذه الزيارة في تركيا التقى السلطان مراد الخامس مع السلطان عبدالعزيز من قبل ولي عهد الخليل الثالث في إسطنبول . صداقة حميمة نشأت بسرعة . وسبب ذلك أن ولي العهد مراد الخامس كان في الغرب وحضرته . وقد قيل أنه أصبح محباً له في هذه الزيارة . الكثير المسوني الذي كان مرتبطاً بحل الأزمات كان مرتبطاً به في إسطنبول . وسبب ذلك أن الكثير يوقفت محبته . كما أن السلطان مراد الخامس كان يملكه في إسطنبول .

ولما كان الأمر على السلطان عبدالعزيز مراد الخامس رأى فيه خير وسيلة لتحقيق أهدافهم .

وهؤلاء هم جمعة تركيا الفتاة . هذه الجمعة كانت من قبلها لا في نظام برليني بالمعهد الأوربي . فبدأت في إصلاح التعليم في إسطنبول . حوالي سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م في تشكيل أفرادها .

١- مذكرات السلطان عبد الحميد محمد حرم عبد الحميد محمد حرم

٢- أورخان محمد علي السلطان عبد الحميد محمد حرم

٣- أورخان محمد علي المرحوم السلطان محمد حرم

٤- مذكرات السلطان عبد الحميد ناصر محمد حرم



وقد وجد أعضاء هذه الجماعة في مراد أملهم في تحقيق أهدافهم ودفعت عجلة تطور في الدولة على درب أوربا ، ذلك لأن ثقافته وكل انتماءاته فكرا وسلوكا كانت أوربية<sup>(١)</sup> ، فاتجهت تحركاتهم الى افهام مراد بأن هذه الأحوال لايمكن أن تعالج الا باصدار قانون أساسي يفهم السلطان بأن سلطته ليست مطلقة ، بل مشروطة بقيود وحدود يعينها ويقررها هذا القانون أو الدستور . وقد سمي الأتراك العثمانيون هذا الدستور باسم ( القانون الأساسي ) ، كما اصطلاحوا على تسمية ( العهد الدستوري ) بـ ( عهد المشروطة )<sup>(٢)</sup> .

ولهذا بادرت هذه الجماعة في استمالة مراد وضمه الى صفوفهم فأصبح يعتقد معهم الاجتماعات السرية على تنفيذ هذه المشروطة ، فكان على صلة قوية بأعضاء جماعة تركيا الفتاة<sup>(٣)</sup> بل اعتبر عضوا رئيسيا بها .

وقيل ان الأمير عبد الحميد الثاني كان على علم بهذه الاجتماعات اذ حاول مدحت باشا وزملاؤه جره الى صفوفهم ، ولكنهم لم ينجحوا في محاولاتهم<sup>(٤)</sup> . الا أنني أشك في هذه الرواية ، وبدوري أتساءل : هل من المعقول أن يكون السلطان عبد الحميد الثاني يعرف شيئا عن هذه المؤامرة التي انتهت بالاطاحة بعمه عن الحكم ويلتزم الصمت ، ويترك هؤلاء الجماعة العمل بحرية تامة حتى تمكنوا من خلع السلطان عبدالعزيز دون حراك ، اني أشك في مثل هذا القول حيث أنه لايمكن أن يعلم عبد الحميد الثاني بهذه المؤامرة ولا يبلغ عمه السلطان ليتخذ

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٥ .

، أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ... ص ٧٧ .

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٤ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٥ .

، أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

الاجراءات الكفيلة بالتخلص من هذا الحزب الفاسد ، ولكن هذا الاحتمال ضعيف جدا .

لقد كان مراد ميالا للإصلاح حسب النهج الأوربي ، ومحبيا للمساواة بين أفراد رعيته ، مقتصدا في مصروفة غير مبال للسرف<sup>(١)</sup> ، صاحب انحرافات ومفاسد لا تؤهله أن يصبح سلطانا<sup>(٢)</sup> .

الا أنه في الوقت نفسه كان على اتصال بالانقلابيين قبل توليه الحكم ، وأنه كان محور اهتماماتهم ، والشخص الذي انعدمت عليه أسنم في تنفيذ المخططات ، وذلك لأنه الشخص الذي انبهر بحضارة العرب والثورة الفاتمية ، محاذاتهم وكان على علم بتاريخ الانقلاب ، ولكن المكلفين بتنفيذها الى تقديم موعد الانقلاب على السلطان<sup>(٣)</sup> ، ثم داندن عبد العزيز عبدالعزیز قبل تنفيذ المهمة بيومين رسولا الى عونى باشا وزير الخزانة الشخصية البارزة في تنفيذ الانقلاب لصالح بعية رفق بها الفاتميين ، فتنصل ببعض الأعداء ، وظن أن السلطان قد وقفهم على ما يريد ، الرسل ليدعوا أركان المؤامرة ، فاجتمعوا سرا ، وانقسموا الى فريقين ، لخلع السلطان<sup>(٤)</sup> ، دون أن يتم ابلاغ مراد بما استحدث من المخطط ، لهذا ذهب حسين عونى باشا ليخبره بنجاح هذا المخطط ليلا ، فأيقظ السلطان من نومه ، وطلب منه أن يورثه الخلافة ليلا .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥٨٤ .

، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ .

(٢) هيئة التحرير : عبد الحميد الثاني في أول شبانه قبل توليته الحكم ، ص ١٠٤ .

س ١٧ ، ١٩٠٩ م) ص ٥١٨ .

(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٨ .

(٤) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حقاته ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٥) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

مراد من هذا . وخاف أن يكون السلطان قد أنفذ حسين باشا للايقاع به والقبض عليه . فسأله ماذا تريد ؟ قال : اننا طوقنا القصر ، ولا يمكن لعمك الفرار وسيعلم بعد قليل عن خلعه . وان مراد الخامس هو وريثه الشرعي ، فلم يطمئن مراد لهذا الجواب . فدفع اليه حسين عوني سلاحه وقال : " اذا كنت تخشى خيانة مني فخذ هذا واطير به رأسي " فافتنع مراد الخامس قليلا ، واستعد للخروج معه حيث استقلا قاربا بانتظارهما ، فتوجهها بالقارب نحو مدرعة بناء على أمر حسين عوني ليبلغه أمرا كان نسيه .

فهناك تعاضم قلق مراد وظن أن هذه المدرعة هي سجنه الأبدي ، ولكن حسين عوني عاد وأمر البحار بالتوجه نحو مقر الجيش حينئذ اطمأن قلبه (١) . ولكنه عندما رأى تألب الجموع للبيعة كما سبق أن أشرنا اليه سابقا حصل له وهم اضطره الى اصدار اراده سنية قاضية بابقاء النظار ، حسين عوني ، ومدحت باشا ، وخير الله افندي ، ورشدي باشا ، ثلاث ليل في السراي امثالا لإرادة السلطان الجديد مراد الخامس (٢) .

وزاد ذلك تتابع الحوادث بعد توليه السلطة ، ساعدت على زيادة ارهاق أعصابه ، اذ لم تمض أيام من جلوسه على العرش حتى نعي اليه عمه السلطان عبدالعزیز ، وسواء أكان مشتركا في قتل عمه أم أن جماعة الانقلاب " تركيا الفتاة " هي التي قامت بذلك دون علمه فان هذه الحادثة قد هزته كثيرا (٣) ، خاصة وأن

(١) سليم سر كيس : كتاب سر مملكة ، ( طبع في مصر ، ١٨٩٥ م ) ج ١ ، ص ١٣٣-١٣٤ .

اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧ .

(٢) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حناتة : ص ١٥ .

هيئة التحرير : السلطان عبدالحميد في أول شبابه ... ( مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩ م ) ص ٥١٨ .

(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ... ص ٧٨ .

السلطان مراد الخامس قد تعهد لعمه السلطان عبدالعزيز أن يحسن معاملته حين  
تسلم رسالته . فلما بلغه خبر موته صاح بأعلى صوته " خنتني يا حسين عونني ، وفاء  
البيستموني ثوب عار لا يفني الى الأبد ، لأنني تعهدت له أن أحفظ حياته ، فباللعمرك  
وأوقع السلطان التهمة على حسين عونني <sup>(١)</sup> .

لذلك كان كثيرا ما يقول لمن حوله في أسف : " سيظن الناس أنني أنا الذي  
قتلته " وكانت والدته تقول له : " انظر ماذا سيكون حالنا ، انظر فقد قتلنا عماد  
أيضا .

ويقول السفير الانجليزي ( السير هنري اليوت ) : " كان السلطان مراد الخامس  
رجلا وجلا وغير متزن ... يشرب الخمر كثيرا ... ولكنه في الأثناء لم يترك  
حلج السلطان عبدالعزيز ترك نفسه تماما للشرب ، وكان ذلك سببا في  
وخوف شديد من افتضاح أمر المؤامرة ، ثم كان يعني انه يؤمنهم في  
كان منكبا على الشراب ... كمن فقد رشده ، ويقتدر على ان يترك  
عبدالعزیز ارتج من أعماقه وفقد عقله تماما <sup>(٢)</sup> .  
كأنني أرى من هذا النص اتهاما موجها لي في نفس السطر  
بأنه علي علم بقاتله ، والحق أنه متواطئ من التنظيم الأول من  
نظام الحكم على عمه ، ولكن بعد تنفيذها يبدو انه يفتخر بما فعله  
في عملهم الشنيع الذي أقدم معهم عليه مع العلم أنه لم يبرأ من  
السلطنة بعد وفاة عمه ، أجلا أو عاجلا .

وهنا أتت القشة التي قصمت ظهر الجمل ، لهذا أتت القشة

(١) سليم سر كيس ، كتاب سر ملكة ، ص ١٣٧ .

(٢) نورجان محمد علي : السلطان عبد محمد ، ص ٧٨ .

قتل رجل الانقلاب القوي حسين عوني ووزير الخارجية رشيد باشا ومعهما آخرون برصاصات أطلقها عليهم حسن الشركسي ، شقيق زوجة السلطان عبدالعزيز الثانية ( مهري ) لأخذ ثار السلطان عبدالعزيز منهما ، لذلك اضطر الجيش الى مضاعفة حراسة القصر باستقدام جنود آخرين <sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من إبلاغه بمضاعفة عدد الحرس ، إلا أنه لما سمع خبر قتل الشركسي المذكور لناظر الخارجية والحربية المذكورين وكان في هذه اللحظة يتناول الطعام فازداد اضطرابا وتغير لون وجهه ، فترك الطعام وقام فأغشى عليه .  
وبعد بضع ساعات لا يزال بين وزير و آخر ، ومع ذلك فقد كان الصدر الأعظم رشدي باشا يجتهد مع بقية الوزراء ورجال البيت المالک في اخفاء هذا الأمر في أوله ، وقد استاءوا الأطباء لهاجته ، واستمر في تسيير شئون الحكم الا أن امتناع السلطان عن حضور الاحتفالات الرسمية وتقلده السيف حسب عادة سلاطين آل عثمان ، وكذلك مقابلاته للسفراء لتقديم أوراق اعتمادهم الرسمية لديه بقائهم في مراكزهم كالمعتاد لمدة شهرين كان موضع شك من السفراء مع ارتياب الأوضاع ، فذاع خبر مرض السلطان <sup>(٢)</sup> . في الوقت الذي كان يحاول فيه مدحت باشا إعلان الدستور الوضحي بدلا من الشرع أثناء مرض السلطان مراد ، كما كان يدرس القوانين والنظم الغربية ، ويتصل بأعوانه حتى استطاع اعداد هذا الدستور بشكل جاهر <sup>(٣)</sup> . إلا أن وطأة المرض لم تخف بل اشتدت على السلطان ، وانتشر

(١) سليم سرهنگ : كتاب سرهنگ ، ج ١ ، ص ٥٥ .

، نورجان محمد علي ، السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٩ .

، هيئة التحرير : عبدالحميد الثاني في أول شبابه ، مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩ م ، ص

(٢) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧ .

(٣) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ .

خبره في اسطنبول وخاصة حينما كان يمشي مع حرسه في بستان القصر ، فرمى نفسه في حوض البستان ، فانقذوه من الغرق <sup>(١)</sup> . ولما تناقلت الصحف الأوربية خبر مرضه حينئذ أبلغ ناظر الخارجية السفراء بالحالة ، وأخبرهم بلزوم خلعهم ، ثم استدعى الوزراء في محاولة أخيرة الدكتور ( ليد روزف ) السيد اوجي وزير مستشفي ( فينا ) الشهير في الأمراض النفسية . وطلبوا منه الكشف على السلطان وتامل حالته الصحية ، وعندما وصل هذا الطبيب الأزمدة عمدة أربلا بوزنر في إسطنبول وسكناته ، واستعلم عن كيفية معيشته في أيامه الماضية ، فكلمه ألفرد في ذلك مرضه هذا كان مقرونا بالخطر ، وقد يدل الجهل في معاداة السلطان في سبب نسيم البحر ، فصار حراسه يخرجونه في بخته الى البوابة الغربية حتى ظهرت عليه علامات غريبة حيث كاد في أسبوعه أن يموت ، حتى انتهى احدى يوافد القصر ، فتشاور الوزراء في تسمية من يتولى شؤون السلطان عبد الحميد الثاني ، وعليه أن يستلم مقاليد الحكم ، فاتفقوا على ان يولي في الأمور ، ولما كانت بعض الدول تلح بإحاطة السلطان بالسلطة في الدولة ، فقد عينت لجنة من الأطباء لانتظار ما يفتقر اليه من صلاحيته لحكم البلاد ، فقرروا جميعا اعتماد نظام السلطنة ، وبعد أن ذهبت جميع المحاولات في استنقاذ السلطان ، فمدحت باشا مناص من خلعه <sup>(٢)</sup> ، ولكن مدحت باشا لم يوافق على المواتيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرر زوال السلطان عن العرش <sup>(٣)</sup> .

(١) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حقاته ، ص ١٧ .  
(٢) اسماعيل سرهيك : حقائق الاحبار عن دول البحر ، ص ١٠٠ .  
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٠ .  
هيئة التحرير : السلطان عبد الحميد الثاني في أول مساعده ، مجلة الشلال ، ص ١٠١ .  
(٣) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٨٠ .

الأمير عبد الحميد الثاني ، ويستطلعه عن رأيه في الاصلاح الذي كاد أن يتم تطبيقه لولا مرض السلطان مراد، من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك عرضوا السلطنة على أخيه رشاد الذي سبق أخذ موافقته .

أما شروط هؤلاء التي عرضوها على الأمير عبد الحميد الثاني ليلتزم بها اذا تولى السلطة فهي :

- (١) ان يعلن الدستور حالا .
  - (٢) أن لا يستشير في أعمال الدولة الا اعضاء الحكومة الرسميين .
  - (٣) أن يعين رضا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين له مع سعدا لله رئيس السكرتارية ( الباشكاتب ) .
- فأجاب السلطان مطالبهم بكل رضا ، ووعد بأن يوسع النظام الدستوري أكثر مما يطلبون (١) .

فرضما بك وكمال بك كانا من الحريصين على إجراء أحكام القانون الأساسي ومُن اشتغلا في تسويده وتنقيحه (٢) .

وعاد مدحت باشا بموافقة السلطان على إعلان الدستور ، فاجتمع الوزراء واستقر رأيهم في ١٠/٨/١٢٩٣هـ الموافق ٣/٨/١٨٧٦م ، على مبايعة السلطان عبد الحميد الثاني ، ثم أرسلوا بلاغا الى والده السلطان يبلغونها فيه مع الأسف الشديد ما استقر عليه رأي الوكلاء والوزراء ، فأرسلت الى الصدر الأعظم كتابا أظهرت فيه قبولها ، فاستفتوا في ذلك شيخ الاسلام خير الله أفندي (٣)

(١) هيئة التحرير - عبد الحميد الثاني في أول شبابه ( مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩م ) ص

(٢) زوحي الخالدي المقدسي ، الانقلاب العثماني ... ( مجلة الهلال ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ١٩٠٩م )

(٣) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٧-٧٢٨ .

بالسؤال التالي وهو : " اذا جن إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة فهل يصح حل الامامة من عهده ؟ " فافتاهم بقوله " يصح والله أعلم " (كتبه الفقير حسن خير الله) (١) . وعلى ذلك تقرر مبايعة السلطان عبدالحميد الثاني (٢) . وحضر الى سراي ( طوب قيو ) ، ومنها الى سراي بشكطاش حيث بايعه جميع من حضر من رؤساء وأعيان الشعب ، كان ذلك في يوم ١٨/٨/١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦/٩/٧ م وتقلد السيف في مسجد أبي أيوب الأنصاري . كما كانت تجري مراسيم آل عثمان . وأظهر للوزراء رغبته الأكيدة في الإصلاح (٣) .

وكان عبدالحميد قد قرأ نسخة القانون الأساسي ( الدستور ) وقال : " ان الدولة لا تتخلص من مشاكلها الحاضرة الا اذا عملت حكومتها به " فاجاب بالقبول على كرسي العرش جلس وهو مصمم على اعلانه كالسلطان مراد . أما مواد هذا الدستور الأساسية أو المهمة فقد كانت تقضي بمساواة جميع الدولة واتحادها تحت العلم العثماني ، واعطاء كل فرد حريته التي يريها في القانون . وملاحظة رفع قوة الدولة . والمقارنة بين دخل الحكومة والقانون . وقد كان المؤيدون لهذا الدستور ينتظرون اعلان القانون بطريق التمسك بالمعارضون فقد استنكروا صدور هذا القانون قائلين : انه يحسب شذوذا في الدستور ويقلب الحكومة الى جمهورية لا تحكم بكتاب الله وسنة رسوله الكريم . وكنه في هذه الخلافات أن ينتج عنها ثورة في اسطنبول بين الطرفين لولا بقاء الحكومة (٤) .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٥٨٧ .

(٢) اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحر . ج ١ . ص ٧٢٧-٧٢٨ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٥٨٧ .

(٤) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حقاته . ص ٢٣ .



وعلى الرغم من أن السلطان عبدالحميد قد وعد مدحت باشا قبل جلوسه على العرش باصدار القانون (الدستور) الأساسي<sup>(١)</sup> ، فإنه بادر بتعيين سعيد بك رئيسا للكتاب وليب بك كاتباً للقصر كخطوة أولى لاحاطة نفسه بالرجال المخلصين له ، لأن رجال الانقلاب لايزالون حوله ، ثم لم يلبث أن أقال القائد العام رديف باشا وعين بدلا عنه عبدالكريم باشا<sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء كانوا كلهم ضد اصدار القانون الأساسي ، لذلك عينهم في ديوان القصر السلطاني لتقوية مركزه مع سعيه لاستمالة الرأي العام لإبطال الدستور<sup>(٣)</sup> . تمت هذه التعيينات بارادة السلطان الشاب ، والتي أظهرت بأنه لايرضى أن يكون أسيرا أو لعبة رجال الانقلاب ، وقد ثار لهذا الصدر الأعظم رشدي باشا وقدم استقالته ، ولكن السلطان رفض استقالته ودعاه لمقابلته حيث طيب خاطره . وعندهما تولى السلطان عبدالحميد السلطة كان هناك تيار قوي يطالب باعلان الدستور ، ويعتقد دعائه بأن شفاء أمراض الدولة العثمانية لا يتم الا عن هذا الطريق ، وأن اعلان هذا الدستور سيكون جوابا حاسما للدول الأجنبية التي كانت تطالب وبالخاج باصلاح الأوضاع في الدولة العثمانية .

لذلك أصدر السلطان فرمانا بتشكيل لجنة برئاسة مدحت باشا تضم هذه اللجنة ثمانية وعشرين عضوا ، وتتألف من عشرة علماء ، وستة عشر مدنيا ، واثنين من العسكريين ، كما انها تضم أشهر الشخصيات الداعية الى اعلان الدستور مثل نامق كمال وضياء بك وممثلين عن الأقليات غير المسلمة منهم جاميح أوهانيس وأوديان أفندي ، وقد قدمت هذه اللجنة مايقارب عشرين مشروعا حول

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٧٠٣ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٩٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٧٠٣ .

الدستور ، وكان دستور مدحت باشا أحدها (١) .

لهذا قال السلطان عبد الحميد في مذكراته : " ان مدحت باشا لم ير غير فوائد الحكم المشروطي في أوروبا ، ولكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطية ولا تأثيراتها الأخرى ... وأظن أن أصول المشروطية لاتصلح لكل شعب ولأجل بضعة قومية . كنت أظن أنها غير مفيدة ، أما الآن فاني مقتنع بضرورها " . لم يكن مدحت باشا قد درس أي قانون أساسي في أية دولة من الدول عندما اقترح علي في أوروبا اعلان القانون الأساسي ، ولم يكن لهم في هذا الموضوع فكر متأصل . كان أوغوست افندي استاذة الفكري . وأوديان افندي هذا لم يكن في ذلك الوقت استاذة الفكري عندنا ، خاصة أنه لم يكن يعرف البلاد . وأظن أن عدم المعرفة به من قبل مدحت باشا حتى قلعة الطائف " (٢) .

ويواصل السلطان حديثه فيقول : " في عام ١٨٧٩ ، كان مدحت باشا وكماال بك وعابدين لانحة القانون الأساسي . كما انهم كانوا من " سعيد باشا " لانحة ، وناظر المدارس الخيرية المشيخة التي انشأها في مصر ، وقدموا لي هذه اللوائح ، ولم يكن بين هؤلاء المساندة لوالدي الأتراك ، بل بك معارضا لمدحت باشا ، ومعارضاً مع أصحابنا في مصر ، وقد قدم لي مايقارب عشرين عريضة ...

لكن المعارضون للقانون الأساسي هم من طيف واسع من الأتراك ، منهم المؤيدين كان أدهم باشا وكثير من الوزراء الأتراك ، وأصحابنا في مصر ، والدولة ضد اعطاء حرية كاملة لشعب من الشعوب دون أن يكون لها وزيراً جريئاً في الحق مثل خير الدين باشا التونسي فقال في ذلك الوقت : " ...

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٩٥ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حبيب عبد الحميد ، ص ٢٩ .

، أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

الصدارة العظمى : " ينبغي التفكير كثيرا قبل تسليح الأجلاف بالقانون " . وهو نص تعبير خير الدين باشا (١) .

وقد جاء في التقرير الذي أرسله الماركيز سالسبوري ( Salisbury ) السفير البريطاني الى بلاده قوله : " ان هناك ضغطا شديدا من جانب المبعوثين السياسيين الأتراك ، وكذلك من جانب الصدر الأعظم ( مدحت باشا ) بشأن اصدار الدستور الذي وعد به السلطان عبدالحميد قبل جلوسه على عرش الدولة ، وكان الثوار ينظرون الى اعلانه كضمان كاف لوقف المظالم السابقة ، وأن وعود الإصلاحات التي أهملت من قبل سوف تتحقق فعلا بصدوره " (٢) .

لهذا يقول السلطان عبدالحميد : لم أكن أستطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد وقلت : " مادامت الأمة تريد تجربة مسؤوليتها عن مقدراتها وحكم نفسها فليكن ماتريده الأمة " واخترت من بين لوائح القوانين الأساسية لائحة مدحت باشا .

ويواصل السلطان عبدالحميد حديثه عن الدستور لبيان السبب في اختيار لائحة مدحت باشا فيقول : " كنت مجبرا في البداية على تفضيل لائحة مدحت باشا على لوائح الآخرين ، فقد كان من الضروري أن نقدم لشعب مريض أفصح بأن اسم (مدحت) يساوي بحساب الجمل " دواء الأمة " أن نقدم له الدواء الذي طلبه ولم أكن أستطيع اسكاته بصورة أخرى " (٣) .

كانت لائحة مدحت باشا مكونة من مائة وأربعين بندا أحالها السلطان

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٢٩-٣٠ .

(٢) F.O. : 424/37. The Marquis of Salisbury to the earl of Derby , No.: (210),1877.

(٣) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

بدوره الى مجلس الوزراء ( المابين ) مناقشتها ، ثم اصدر اوامره ايضا بتشكيل مجلس النواب ( مجلس المبعوثان ) وأكد عليه تجنب ما لا يتفق اولاً مع عادات وتقاليده الامة وان تقدم دراسة حول هذا الموضوع الى السلطان (١) .

وأرسل خطاب الى مدحت باشا يخبره فيه باختيار لائحة الدستور ووضعه على بساط البحث بين أيدي الوكلاء لتحريرها ، وطلب منه سرية هذا الكلام حتى صدوره (٢) .

أما مجلس الوزراء أو أعضاء الدولة فبعد دراسة مسودة الدستور وبيان بعض التعديلات وأحرف السلطان على ثلاثة من مستشاريه وهم الفريقين سليمان باشا ، ورئيس الكتاب سعيد بك ، مع اقتراحه بزيادة اللائحة يعطي للسلطان صلاحية نفى المشتمه به الى تحرير لائحة الدستور ولان دليل الاقتداء . وقد انقسم مستشاروه الى فريقين : الفريق الأول والفريق الآخر يعارضه . وبعد تردد أصدر السلطان فيما صدرت هذه المادة الى الدستور . وقد استغل السلطان هذه المادة لزيادة باشا (٣) .

وكان الثوار لا يرغبون في أن تكون للسلطان هيمنة على الشعب وتميزه عن بقية الأعضاء . لأن هذا فيه مسخ لوظيفة السلطان . كانوا لا يريدون اللامركزية ، ويؤيدون سلطة السلطان ويطلبون إلغاء الانسياب وترك النظام بيد الثوار ، وحتى لا ينسبون بالثوار المساءلة والقانونية للمسلمين وينساقون خلف العادات والأظمة العربية

(١) أورهان محمد علي : السلطان عبد الحميد ص ٩٠

(٢) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال عند جده ص ٩٩

(٣) أورهان محمد علي : المرجع السابق ص ٩٦-٩٧

ولعل أغرب ما حاوله مدحت باشا هو محاولة اشراك الدول الأوروبية في مسألة الدستور ، وجعلها طرفا ضامنا بينه وبين السلطان عبد الحميد . فقد أرسل لهذه المهمة أستاذه " أوديان أفندي " الذي كان مستشارا في وزارة الشؤون الاجتماعية إلى الدول الأوروبية في مهمة خاصة .

ويتحدث أحمد صائب عن هذه المهمة فيقول : " استطاع " أوديان أفندي " لقاء وزير خارجية انكلترا اللورد " دربي " حيث ذكر له بأن القانون الأساسي الموضوع الآن في الدولة العلية سيؤمن ويحقق أمن المسيحيين ويوفر لهم حقوقهم . وأن الإدارة في الدولة العلية لا تمنع في وضع إدارة المشروطة بشكل معاهدة دولية وهي مستعدة لإعطاء جميع الضمانات التي تطلبها هذه الدول . لذلك فلا داعي لأي قرار يتخذه المؤتمر بشأن " روملي " .

استمع اللورد " دربي " لحديث أوديان أفندي بكل اهتمام ثم ذكر له بأنه لا يستطيع إعطاءه جوابا قطعيا ، ولكنه بعد أيام ذكر له بأن مسألة القانون الأساسي مسألة داخلية لا يمكن أن تتدخل فيها الحكومات الأوروبية " (١) .

ومهما يكن فقد أتى السلطان عبد الحميد الثاني إلى الحكم ، والدولة مضطربة في تلك الفترة . فالأوضاع في البلقان تغلي ، والثورات قائمة في البوسنة والهرسك وفي الجبل الأسود وبلغاريا بتحريض من الدول الأوروبية وروسيا خاصة للمطالبة باستقلالها (٢) .

ونتيجة لذلك أصدر السلطان أوامره بسرعة إرسال الجنود إلى ولايات البلقان والصرب ، والجبل الأسود والبوسنة والهرسك لقمع ثوراتهم ، فانتصر العثمانيون في أغلب المواقع ، وشدد القائد العثماني عبدالكريم نادر باشا الحصار

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٩٦-٩٧ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٧٠٣ .

على الصربيين ، وهزم قاندهم الروسي الجنرال جرنایف الذي كان متقلدا قيادة الجيوش الصربية التي تقدمت لحرب الدولة العثمانية وذلك بايعاز من روسيا التي كانت تسعى في اثاره الطوائف المسيحية على الدولة كما هي عاداتها وعمادة بعض الدول الأوروبية الأخرى .

وانتصر العثمانيون على جيوش الصرب بقيادة لاشانين ، وقد صمدت تقاربات وتقدمت جنود الدولة الى بلغراد عاصمة الصرب . فانهمزم جموع الصربيين . وقد أظهرت هذه الانتصارات العثمانية خوف الأمم أوربا من تدخلها في الحرب . والتوسط في الصلح بين الطرفين الصرب واليونان . والى ذلك تدخلت الدول وطلبت من الدولة هدنة لمدة شهرين وسمحوا للدولة ووافق السلطان عبد الحميد الثاني على عقد هدنة اثناسين لمدة شهرين أو ذخائر أو قوات عسكرية الى ثوار اليونانية واذ ساءت الحالة في أثناء الهدنة ، الا أن الدول رفضت شروط المساطنة . وأرسلت في اليوم الخامس من أكتوبر سنة ١٨٧٦ لاشانين الى السلطان العثماني بضرورة عقد هدنة بأول ايام شهرين وأن تمنح الدولة العثمانية استقلالاً ادارياً لبعض الولايات التي في الدول الأوروبية حقوق سكانها المسيحيين . فوافق المساطنة على هدنة بينه وبين الروس على عقد هدنة لمدة شهرين<sup>(٢)</sup> .

وكان الباعث على قبول السلطان عميد الحميد لاشانين الهدنة كسب الوقت لاستكمال استعداداته الحربية . ورضي من قبله في

(١) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاخبار عن دول البقار . ج ١ . ص ٧٢٨-٧٢٩ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية معنوية عليها . ج ٢ . ص ١٠٦٧ .

العسكرية التي طلبها من الولايات .

إلا أن بريطانيا حاولت تخفيف حدة الأزمة خشية قيام حرب بين الدولتين لأن روسيا كانت مصممة على حرب الدولة العثمانية لتحقيق أطماعها التوسعية في الدولة تحت شعار الانتصار للشعوب المسيحية في الولايات البلقانية<sup>(١)</sup> .

ولخوف بريطانيا من انفراد روسيا بالدولة العثمانية، وتحقيق أطماعها التوسعية وابتلاع الدولة فقد أوعزت إلى سفيرها في روسيا بمقابلة القيصر في روسيا لمعرفة النية الحقيقية تجاه هذه المسألة التي تنوي روسيا السير فيها. وكان جواب القيصر واضحاً حيث قال : " إن على الدول الكبرى أن تعقد على الفور مؤتمراً لبحث المسألة الشرقية والقضية البلقانية ، وإذا لم تقدم الدول الكبرى على هذه الخطوة فإن روسيا ستضطر عندئذ إلى إنجاز هذه المهمة وحدها"<sup>(٢)</sup> .

بعد هذه المقابلة أخذت إنجلترا على عاتقها مهمة دعوة الدول الكبرى إلى مؤتمر في اسطنبول ، تشارك فيه الدولة العثمانية لبحث هذه المشكلة .

ووافقت الدول على هذا الاقتراح ، إلا أن روسيا أضافت مطلباً جديداً وهو وجوب عدم اكتفاء الدول بعودة الدولة بالاصلاحات ، بل يجب أن يكون هناك ضمان قوي . ولا يمكن حصول هذا الضمان إلا بوجود وحدات عسكرية من هذه الدول داخل الدولة العثمانية لمراقبة مدى تطبيق هذه الاصلاحات .

ولكن هذا الشرط اعترضت عليه إنكلترا قائلة ليس هناك مبرر لمثل هذا الضمان إذ يكفي أن تعد الدولة باجراء الاصلاحات<sup>(٣)</sup> .

وتقرر عقد مؤتمر اسطنبول لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين التحركات في

(١) عبدالعزير الشسوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . ج ٢ . ص ١٠٦٧ .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٧٠٣-٧٠٤ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبداحميد الثاني . ص ١٠٦-١٠٧ .

(٣) أورخان محمد علي . المرجع السابق . ص ١٠٧ .

البلاد واصلاحها ، وكان المؤتمر يضم أحد عشر مندوبا : اثنين من بريطانيا وهما سفيرها السير هانري اليوت ( Elliot ) واللورد سالسبوري ، واثنين من كل من فرنسا واطاليا والنمسا وواحد من هنغاريا ، ومن روسيا واحد هو اغناتيف ، وواحد من ألمانيا ، واثنان من جانب الدولة العثمانية وهما صفوت باشا ، وأدهم باشا (١) . فعقد المؤتمر جلسته الأولى بتاريخ ٦ من ذي الحجة عام ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٣ من ديسمبر سنة ١٨٧٦م للنظر في الاصلاحات الواجب ادخالها لتحسين أحوال المسيحيين في الدولة العثمانية والتي كانت أوروبا تطالب بهذا فترة طويلة (٢) . عقدت هذه الجلسة الأولى من المؤتمر في اليوم الذي تربت فيه أصوات المدافع ايذانا باعلان القانون الأساسي . فقام صفوت باشا مندوبا عن الاموال في المؤتمر وقال : " أيها السادة ان أصوات المدافع التي تسمعونها هي اللافتة الى اعلان القانون الأساسي من جلاله سلطاننا الأعظم وهذا القانون هو كرامة الحرية والحرية المعترف بها لجميع رعايا الدولة العثمانية بلا استثناء ، وبمسئولته العظمى فأعمال المؤتمر في ظني تكون لافائدة منها (٣) .

وقد علق الجنرال اغناتيف بقولسه لأعضاء المؤتمر : " ان الدول الأوروبية والارادات تلو الأخرى ، ولكنها تبقى حبرا على ورق ، وسيفكرن المصالح المفعول كغيره من اللوائح والقوانين الاصلاحية في الدولة العثمانية (٤) . وقد واصل المؤتمر أعماله باجتماع ممثلي الدول الأوروبية في النمسا والروسية دون اشراك ممثلي الدولة العثمانية اللذين انسحبوا حين صدور الدستور

(١) روجي الخالدي المقدسي . الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ) ، ج ٢ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

روجي الخالدي المقدسي . المصدر السابق ، ص ٧٢٥ .

(٣) روجي الخالدي المقدسي . المصدر السابق ، ص ٧٣٥ .

(٤) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حقائق ، ص ٢٧ .



واستمر هذا الاجتماع حوالي عشرة أيام<sup>(١)</sup> عقد خلالها تسع جلسات والباب العالي ينتظر بقلق نتائج هذا المؤتمر واخيرا قدمت هذه الدول خلاصة مباحثها<sup>(٢)</sup> حول تسوية لمشكلات الولايات البلقانية على الشكل التالي :

- (١) يحتفظ الصرب بوضعه قبل الحرب .
  - (٢) منح الجبل الأسود بعض الأراضي من الهرسك ومن البانيا .
  - (٣) منح البوسنة والهرسك استقلالاً ادارياً وأن يعين الباب العالي لهما حاكماً مسيحياً لمدة خمس سنوات .
  - (٤) منح الاستقلال الداخلي لبلاد البلغار .
  - (٥) تشكيل جيش مختلط مسلح من المسلمين والمسيحيين لحفظ أمن هذه البلدان .
  - (٦) ان تعدد اللغات الرسمية يعتبر لغة بجانب اللغة التركية .
  - (٧) حرية انتخاب مشايخ القرى والقضاة والعسكريين وغير ذلك في اقاليم فلبه ومقدونيا العليا المجاورة للبلاد .
- أما الشروط المؤقتة فهي :
- (١) تكوين لجنة مراقبة دولية من ست دول أوربية تقوم بمراقبة الاصلاحات لمدة سنة كاملة .
  - (٢) وأن تكون من ضمن هذه القوات قوات بلجيكية قوامها خمسة آلاف جندي تتحمل مصاريفها الدولة<sup>(٣)</sup> .

(١) وقيل عشرين يوماً .

- اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البهار ، ج ١ ، ص ٧٣١ .

مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حناته ، ص ٢٧ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ... ص ١٠٨ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٧٣١ .

(٣) تنتهي هذه الشروط المؤقتة بتنفيذ الاصلاحات المعلنة .

وفي أثناء هذه المباحثات حدث ما كان منتظرا اذ قام السلطان عبد الحميد بتقديم ختم الصدارة الى مدحت باشا الذي كثف جهوده منذ عدة أشهر حول اصدار القانون الأساسي ( الدستور أو المشروطة ) وقطع فيه مراحل حتى وصل الى مراحلها الأخيرة اذ تم اعلانه في يوم ٦ من ذي الحجة سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٣ من ديسمبر سنة ١٨٧٦ م<sup>(١)</sup> .

ولنتوقف قليلا عن الحديث في الدستور لمناقشة مواد المؤتمر الثاني التي وزاؤه ابلاغ مواده للسلطان عبد الحميد الثاني الذي قال موضحا رؤيته للمؤتمر :  
لقد أرسلوا انذارا الى دولتنا ، فاما ننفذ ما قالوه بالخرف الواسع الذي هو  
الحرب معنا بالتعاون مع روسيا ضدنا " (٢)

وقد أثارت هذه الطلبات الغربية الاحساس والاضطراب في القلوب  
العثمانيين الذين تهيؤوا جميعا لرفضها لأن أوروبا لا تحب ان تترك  
انتصاراتهم وفتوحاتهم ، وكيف تعاملهم كعقوليين على أنهم  
ذلك (٣) .

لهذا اعترض الباب العالي على بعض فقرات هذه القوانين  
فقرة الولاية المسيحية ولجنة المراقبة ، وأرسل السلطان رسالة الى  
الشان سعيد باشا سرا الى مندوب انكلترا اللورد سالسبورى تطلب منه ان يشرح  
حيث استطاع حذف اقتراح الجنود البلجيكين ، كما حرر الاتفاقيتين اللتين  
الولاية المسيحية ، وجعلت موافقة الدول على اختيارهم شرطاً لاصلاحات

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٩٠ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ١٥٠ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣١ .

(٤) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

ولكن مدحت باشا قال : ان الانجليز والفرنسيين سيقومون معنا مؤيدون  
حرباً ضد روسيا ودون البلقان .

ويقول السلطان عبد الحميد : واذا بقي في نفس الوقت اتلقى عن طريق  
موظف خاص من السفارة الانجليزية رسالة من سانسوري وزير الخارجية الانجليزية  
يقول في فيها بصراحة : انه في حالة قبولنا الحرب ضد روسيا فانهم لا يستطيعون  
تقديم أي عون لنا .

ولكن مدحت باشا وانصاه ان يكونوا في مستوى من يدرك الخطر  
الكبير الذي يجابه الدولة العثمانية ، واجو السياسي الملتبب الخوي الذي كان يحتم  
تصرف بعض العرونة ، وخاصة حين نرى ان الكلترا التي دائما تساند الدولة  
العثمانية تجرد في هذه المرة تتخلي عنهم في أحلك الأوقات وأقساه .

كان جواب مدحت باشا الصدر الأعظم وانصاه كان الرفض لكل  
الاقتراحات المقدمه من الدول ، دون تقديم البديل ، وكانت حجبتهم في ذلك انه  
لا يستطيع قبول هذه الشروط لأن ذلك خارج صلاحيتهم ، وأن مجلس الشعب  
الذي سيختص ، بعد أن تم انتخابه ، هو الذي يملك صلاحية قبول مثل هذه  
الاقتراحات ذلك لأن الشعب أصبح الآن هو مصدر السلطات .

هذا الأمر عرض السلطان عبد الحميد الثاني على قرار مدحت باشا الصدر  
الأعظم ووزراءه الذي قرر فيه رفض اقتراح الدول الكبرى ، وهذا يعني الحرب .  
ولعده ترووي مدحت باشا في هذا القرار ، فقد استدعى السلطان مدحت  
باشا الى القصر السلطاني في عجل لبحث هذه الأمور وطلب منه عقد مجلس عام  
من كبار رجال الدولة قبل اتخاذ أي اجراء بإبلاغ الدول الكبرى بقراره موبوء مثل

١- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤١ .

٢- أورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١١٢-١١٣ .

٣- أورخان محمد علي ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

هذا القرار ومن الباب العالي " مجلس الوزراء " (١) " فما كان من مدحت باشا (الصدر الأعظم) إلا الانصياع لأمر السلطان ، وعقد مجلسا عاليا مؤلفا من الوزراء ورجال الدولة والمشيرين وأعيان المسلمين والمسيحيين ، وعرض عليهم لائحة المؤتمر . وتلا عليهم مطاب الدول الأوربية . وأن ردها يؤدي إلى الحرب ، فتشاوروا وأبدى كل منهم رأيه ، فقال رؤوف بك رفعت باشا ناظر بخارجية سابق : ان الحرب كداء الحمى يمكن أن نتخلص منه ، ولكن هذه الشروط كداء السل عاقبته القبر لا محالة ، فللبس الصوف ، ونوقد الشمع ، ونحارب العدو . وقال آخر في خطبة طويلة : نختار الموت على الإهانة . وقال بطريق الأرمين الكاثوليك : يجب رفض اقتراحات المؤتمر ، وأخيرا وافق المقررون برفض مقترحات المؤتمر . ويظهر من هذا اتفاق وجهة نظر المسلمين والمسيحيين واليهود في ذلك واتحادهم على محبة الوطن والغيرة على منافعهم ، وكان أشدهم اتحادا الروم الكاثوليك من الكاثوليك حتى أن الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة عازمة على تحرير الجنود العثمانيين لأن استقلال الأمم البلقانية من الصرب والبوسنة والهرسك مضر بمصالح الروم لخروجهم عن الكنيسة الأرثوذكسية التي هي تحت حمايتهم في الروم في اسطنبول ورفضهم استعمال اللغة والأدب اليونانية التي هي لغة ويظهر من اتفاق وجهة نظر المسلمين والمسيحيين قسوس اسطنبول الأتراك الأجنبي وماتدعيه الأوساط الأوربية من مفتريات في حق الدولة العثمانية التي لا بد يدحضها هذا الموقف من رعايا الدولة .

ولكن السلطان عبد الحميد يعلق على هذا الاجتماع بكلامه الذي يدل على أنه يهمل الاستعداد لاتخاذ قرار يريدده هو ، فأخذ الكلمة الأولى في الاجتماع

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حبيب عبد الحميد ، ص ٤١-٤٢ .  
(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، (مجلة الهلال) ، ج ٣ ، ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ص ١٣٦ .

السابق محمد رشدي رفيق دربه في عملية خلع السلطان عبدالعزيز حيث قال :  
ليس لأرباب الشرق الا طريق واحد وأنا أؤيد الرفض القطعي لاقتراحات هذا  
المؤتمر" قالها وخرج ، فصدر كما أراده مدحت باشا (١) .

وقد انتهت مناقشاتهم بالصيغة التالية وهي :

" ان القانون الأساسي قد قيد حركتنا ، فاذا لم تجر الانتخابات ويجتمع  
المجلسان (٢) فاننا لانستطيع البحث في هذا الموضوع "

وبناء على قرار المجلس العالي أجاب السلطان في ٢ كانون سنة ١٨٧٧م  
الموافق لسنة ١٢٩٤ هـ رفض شروط الدول ، وانفض المؤتمر وغادر مندوبو  
الدول وأدنا صلها اسطنبول .

ويعتبر هذا الموقف اشارة من الدول الى قطع علاقاتها مع الدولة العثمانية  
الدولية والودية (٣) . كما أن هذا يعني جعل الدولة في عزلة تامة من بقية دول العالم  
مع احتمال حرب ضروس مع روسيا وحليفاتها في البلقان .

وأما هذا الخطر المحدق دعا السلطان وزراءه الى الاجتماع في مساء اليوم  
نفسه ، وطلب منهم أثناء الاجتماع اعطاءه تقريراً كافياً عن الوضع الحالي  
العسكري والمالي في الدولة، وقد جاءت اجابات الأعضاء متناقضة (٤) فقائد الجيش  
يقول : ان لديه مائتي ألف جندي تحت السلاح جاهزين لأي غزو محتمل يأتي من

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٤٢ .

(٢) يعني ذلك مجلس النواب ومجلس الأعيان

(٣) يوسف اصناف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٤) روجي الخلدني المقدسي : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ ، ص ١٩٠٨ ،  
ص ١٣٦ .

(٥) مذكرات السلطان عبدالحميد : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

أورحان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١١٤ .

جانب العدو ، وفي الوقت نفسه تلقى السلطان برقية من الغازي أحمد مختار باشا قائد جيش "الروملي" يفيد به بأن لديه وتحت يده ثلاثين ألف جندي وأنه لا يستطيع بقوة صغيرة مواجهة قوات العدو التي تبلغ مئات الألوف بناء على طلب السلطان. لذلك استدعى السلطان الصدر الأعظم مدحت باشا وقائد الجيش علي باشا إلى مجلسه بالقصر وأطلعهما على البرقية ، فتهرب الصدر الأعظم من الموقف بأنه كان لا يعرف استعدادات الجيش ، وارتجح علي باشا قائد الجيش وهو كرماني السلطان أنه من الجنون والمخاطرة دخول الحرب مجازفة دون تخطيط ، وانه ان هذه الحادثة لاشك في أنها تنم عن مؤامرة دارها هدفها إضعاف الدولة لإفحام الدولة في الحرب دون التأكد من قوتها ، واستعداداتها من حيث السلاح ومعنوياتها ، مما يدل على أنه عميل للإنجليز ماسوق في كبره في السياسة الخارجية والالتفات في إصدار حكمه وضمحي ببعض الشرور التي تهدد الدولة ، ولما أقدمه على هذا العمل ينافي ميوله للإصلاح كما يلاحظ في كتابه "تاريخ الدولة العثمانية" وعلى أية حال فحين رفضت الدولة عرض علي باشا في ١٢/١٠/١٨٧٧م الروسي غورشاكوف يكتب إلى سفراء روسيا في القسطنطينية في ١٤/١٠/١٨٧٧م الموافقة لسنة ١٢٩٤ هـ ، وطالبها بالانسحاب من الدولة العثمانية لقرارات مؤتمر اسطنبول من أن الدول الأجنبية الدول ازاء الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> وطلب منها سحب قواتها من مناطق الإصلاحات في ممالك الدولة العثمانية منطقتي النزاع بين الدولة العثمانية واتخاذ الإجراءات الكفيلة بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد رد عليه صفوت باشا ناظر مختار مدينة القسطنطينية

- (١) مذكرات السلطان عبد الحميد - محمد حبيب عبد القادر - دار الفكر - بيروت - ١٩٦٤
- (٢) اسمعيل سرهك - حقائق الإحصاء عن دول الشرق الأوسط - دار الفكر - بيروت - ١٩٦٤
- (٣) روجي الخاندي المقدسي : الأشغال العثمانية - رحلة إصلاح - دار الفكر - بيروت - ١٩٦٤

مماثلة الى سفراء الدول الأوروبية ، موضحا فيها موقف الدولة العثمانية من هذه الشروط ، وكذلك عدم مشروعية انعقاد المؤتمر في اسطنبول لعدة جلسات دون حضور مندوب الدولة العثمانية تلك الاجتماعات ، حتى كأنه لم يعقد بطريقة رسمية الا لعرض أمور قد اتفق عليها مسبقا من قبل هذه الدول والتصديق عليها في اسطنبول فقط ، وقال : ان الدولة لا يمكنها أن تقبل بمثل هذه الشروط أصلا لأنها تحط من قدرها . فكان موقف الدول الأوروبية هو تجميد جواب الروس والدولة العثمانية على السواء (١) .

أما السلطان عبدالحميد الثاني فقد حاول الوقوف بصلافة أمام جر الدولة العثمانية الى الحرب اذ كان يعلم علم اليقين أن الأوضاع الخارجية والداخلية للدولة لا تسمح لها أبدا بالحرب مع روسيا القيصرية وكان يشاركه في هذا الرأي سعيد باشا . لكن مدحت باشا خلق حواليا جوا معينا يجعل من يعارض الحرب متقاعسا ويعده خائنا ، وقدوجه تهديدا غير مباشر الى السلطان عبدالحميد . وذلك عندما اتهم سعيد باشا بالخيانة وسقوط الهمة لمعارضته للحرب ، ولم يكتف مدحت باشا بهذا بل قام بتحريض طلبة المدارس الدينية للقيام بمظاهرات صاخبة لتأييد الحرب باسم الجهاد .

وكانت سياسة مدحت باشا وأنصاره في مثل هذه الظروف القاسية متجاهلة القدرة المالية والبشرية للبلاد وقدبرروا مواقفهم بقولهم : ان العبرة لا تكون في القوة العسكرية ولا بالاستعدادات ، فكما جئنا الى الأناضول ونحن أربعمانه فارس فاننا مستعدون أن نحارب الى أن يصل عددنا الى أربعمانه أيضا . ان هذا الكلام في الواقع يفتقر الى الشعور بالمسئولية أمام هذا الوضع الخطير الذي قد يجر الدولة

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٣٢ .

الى الدمار (١).

لكن الشعب متعلق بمدحت وينتظر منه المعجزات ، وابعاده سيكون خطأ من الدولة ، ولا يمكن احراز أي نصر بتجاهل عدد جنوده واستعداداته . بل يمكن عن طريقه تأكيد الهزيمة (٢).

وخروجا من هذا المأزق فقد صالح السلطان عبدالحميد دولة الصرب لمعالجة الموقف على حساب الدولة العثمانية ، ولضعف موقفه ، بشروط أهمها : خروج الجند العثماني من الصرب ، وأن لا تبني الصرب قلاعاً جديدة ، وأن يرفع العلم العثماني الى جانب العلم الصربي ولم تعقد المصالحة مع أهل الجبل الأسود إلا بعد أن تنازل لهم الدولة عن قطعة من أراضيها (٣).

فقرر السلطان عبدالحميد الثاني أن يقطعهم أرضهم من الأقاليم التي كانت تابعة لجهة ( سوترينه ) ولكن دولة النمسا عارضت إعطائهم تلك الأقاليم ، وأخيراً وضعت هذه المسألة على بساط البحث في مجلس الوزراء ، وقال مدحت باشا في هذا الصدد انه بعث راجعاً الى

انجلترا لاستطلاع وجهة نظر رجال السياسة في باريس وأستعمل في ذلك (بيكونسفيلد) رئيس الوزارة واللورد دريسي ، فظهر الخبر جيداً ، وكتب من هناك برقية قال فيها : " انهم متفقون على تمكيننا من هذه الدولة العثمانية من هذا المأزق بلا خطر ، وأرسل برقية شكرية الى الانجليز والفرنسيين يقولون بوجود مصالح الصرب في الجبل الأسود ، وبعض مطالب البلغاريين ويحبذون الأحكام الدستورية ، والذين

(١) أورخون محمد علي - السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١١٥ ، ص ١١٦ .

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد ، محمد حرب عبدالحميد ، ص ١٧٠ .

(٣) اسماعيل سرهنگ : حقائق الاحرار عن دول العجم ، ج ١ ، ص ٧٣٢ .

(٤) مذكرات السلطان عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .



الاسراع بانفاذها (١) .

معنى ذلك أن مدحت باشا عاد الى سياسة السلطان عبدالحميد الثاني ولكن ذلك تم بعد مشاورة الانجليز للتخلص من غلطاته الجسيمة .

انا نرى هنا أن هذا العميل الانجليزي يلجأ الى اسياده ليلقنوه الحل الذي غاب عنه . وقد سبق للسلطان أن طلب منه عدم التسرع في دراسة شروط الدول السابقة . ولكنهم أكدوا عليه سرعة تطبيق الدستور .

ويتضح من ذلك أنه يعمل لحساب أوروبا مما جعله يرفض هذه الشروط ليقود الدولة لحالة الحرب لشيء في نفسه .

وقد أخذ السلطان يفكر جدياً في عزل مدحت باشا بعد هذه الأعمال . ولكنه كان ينتظر الفرصة لتثبيت سلطته وهيمنته على الدولة لتخليص نفسه من كونه العروبة بين مدحت باشا وأعدائه ودعوى عدم صلاحيته (٢) .

وهذا التقرير من اليوت ( Elliot ) يؤكد أن مدحت باشا كان على اتصال بالسفارة البريطانية في اسطنبول فقد أكد لسانديسون ( Sandison ) بتقرير موثق أقر فيه مدحت باشا بأن السلطان عبدالحميد الثاني قد أعطى موافقته على الاصلاحات المختلفة . لذلك أملى عليه سانديسون تعليمات أساسية وعد مدحت بتنفيذها بنفسه . وقد كرر مدحت باشا ما كان ينوي فعله مثلما ذكر لسانديسون ( Sandison ) تماماً . فقد قال لي مدحت باشا بالرغم من أن المسيحيين قد يشغلون مناصب مثل نائب الحكم أو المحافظة في الولايات الا أنه قرر في نفسه أن يشغلوا مناصب أعلى مقاما .

أما عن قانون الولايات الحالي فقد قال بالغائه ليحل محله قانون آخر يعطى

(١) مذكرات مدحت باشا : يوسف كمال بك حنانه . ص ٢٩ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني . ص ١٢٠ .

للناس فرصة حقيقية للاشتراك في ادارة المقاطعات أكثر مما سبق . وأن يتم انتخاب أعضاء مجالس المقاطعات عن طريق السكان الذين لهم حق الانتخاب ، وبالنسبة لحق الامتلاك فسوف يكون المسيحيون على قدم المساواة مع المسلمين وسوف يلغى النظام القديم .

وعن المحاكم الشرعية فقد قال عنها : ان صفة المحاكم الشرعية سوف تقتصر على القضايا المتعلقة بها .

أما القضايا الأخرى فسوف تعرض على المحاكم المدنية . وهذه التغيرات في غاية الأهمية بالنسبة للمسلمين لأن المحاكم الشرعية أصبحت الآن في يد المسيحيين . لذلك فإن المسيحيين يأملون في تغيير هذه الأوضاع في المستقبل . وأنا لنلمس العلمانية من خلال هذه التغيرات في مصر كما لملمس العلمانية التي فتحت المجال للغزو الفكري الأوروبي الذي نتج عنه إلغاء الشريعة الإسلامية وأخذوا في تطبيقه من خلال الدستور الذي قدمه إلى السلطان . بل لقد ذهب مدحت إلى ما هو أكثر من ذلك ، فقد سحب الشريعة الإسلامية وأعطاهم فيه بعض البنود التي تضمن لهم الحرية في كل شيء . وأصبح هو نفسه العوبة في يد الإنجليز يوجهونه لتدمير الأمة الإسلامية . وأنصاره قد وصلوا إلى ادارة دفة الدولة ، فظن أنه سيبلغ طموحهم في مصر . وصل إلى ماتريد أوربا عن طريق تطبيق الدستور السلطاني باستخدامه القاطعة في السياسة الأوروبية .

ولهذا ظل مدحت باشا يعمل على طلب اجتماع مجلس النواب في القاهرة وتأييده من الأحرار والمابين<sup>(٢)</sup> ، حتى ضاق صدره محاولته .

(١) F.O.: 424/39.Sir H.Elliot to the Earl at Derby, No.572.20-11-1875.

(٢) رجال القصر السلطاني .

قطع على نفسه تنفيذ أوامر بريطانيا في تطبيق الدستور وأعطاهم حقوقاً تتم عن ماسونيته والسلطان يحاول تأخيرها لعزله عن الصدارة . فكتب الى السلطان كتاباً هذا نصه : " لم يكن غرضنا من اعلان القانون الأساسي الا قطع دابر الاستبداد وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم حتى تنهض البلاد الى معارج الارتقاء<sup>(١)</sup> واني لفي غاية الاحترام لشخص جلالكم . لكن بالنظر لأحكام الشرع يجب على أن لا أطيع أوامركم اذا لم تكن موافقة لمنافع الأمة .. " .. ياللعجب فالسلطان سياسته معروفة وهو حكمه بالشرع ليس له مطلق الحرية ولا مطلق التصرف بأموال الناس وحقوقهم الا حسب ما تمليه الشريعة السمحاء<sup>(٢)</sup> .

فغضب السلطان من هذه الجراءة وعزل مدحت باشا ونفاه الى ايطاليا<sup>(٣)</sup> . وتبين أدبهم باشا مكانه في الصدارة . وكانت صدارته أقل من شهرين حيث عزل في ١/١/١٢٩٤ هـ الموافق ٥ فبراير ١٨٧٧م قبل أن يرى الهيئة البرلمانية التي حاول فرضها في البلاد العثمانية<sup>(٤)</sup> .

وتشير هذه الوثيقة البريطانية الى أن اقالة مدحت باشا الصدر الأعظم من الوزارة كانت ظاهرة جديدة في سياسة السلطان عبدالحميد الثاني لأنه الشخص الوحيد الذي يعتمد عليه . والذي ينظر اليه عامة الشعب على أنه قادر على حل مشاكل الدولة . وكذلك فإن أي مشروع للإصلاح يرفضه معناه لن يأخذ ثقة الشعب وسوف ينتج عنه عدم الرضا<sup>(٥)</sup> .

وهنا يقول السلطان عبدالحميد الثاني مانصه : " واني لو اثنى لو كان

(١) يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ن ج ٢ . ص ١٦١ .

(٢) زوحي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . ( مجلة الهلال ، ج ٣ . ص ١٧ . ١٩٠٨ ) ص ١٣٧

(٣) يوسف اصاف : المصدر السابق . ص ١٦١ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٥٩٣ .

(٥) F.O.424/39 Sir H. Elliot to the Earl at Derby, No.:572.20-11-1875. (٥)

مدحت باشا صدرا أعظم حكيمًا ومحنكا لكان ولاشك قد استمر في الصدارة حتى ختام الحرب الروسية ، وجدته ينصب من نفسه ومنذ اليوم الأول أمرا علي ووصيا ، وكان في معاملته بعيدا عن المشروطة وأقرب الى الاستبداد" (١) .

وَمَا عَجَل عزله أنه كان يريد تنفيذ مايريده في الحال ، مع ما كان يعلمه السلطان من أن كمال بك وضياء بك ورشدي بك وآخرين من رفاقهم يجتمعون كل مساء في قصر مدحت باشا يشربون الخمر . وذات مرة قال مدحت باشا : " ليس من الأسرة المالكة العثمانية خير يرجى ، ولم يبق الا الاتجاه نحو الجمهورية ، ترى كيف يمكن هذا ؟ ان عدة أشخاص متلكم يفهمون المسألة الآتية : يوجد في العالم حتى الآن ما يسمى بآل عثمان . ماذا يحدث لو ظهر ما يسمى بآل مدحت ؟ " ويستمر السلطان في الحديث حول مدحت باشا حيث يقول " ... ككافة المجترأ دابة على تسير الفتن عن طريق الماسونية . وكان مدحت باشا ماسونيا في ذلك الوقت . يكتف باثارة ما أثار من مشاكل ، فهو من ناحية يريد خلق أزمة في الأناضول من ناحية أخرى يريد الزج بالبلاد في أتون الحرب . وقد حاول سجن بعض الأتراك التي لا يتصورها العقل مثل تعيين ولاية من الأقلية في ولايات الأعليية فيرى ما سار به ، وقبول طلبة من الأروام في المدرسة الحربية التي هي عماد الجيش . أممنا هذا هذه يمكن أن تؤدي الى تفويض الدولة من أساسها لذلك رفض السلطان الترتيب على مثل هذه القرارات (٢) .

وهذا فعلا ما حدث ، فقد وعد مدحت سانديسون ( Sanderson ) المسيحيين سيشغلون مناصب عليا في الدولة ، وسيعين الولاية لبعضهم البعض ، والأقليات النصرانية ، وهذا ماتنبا به السلطان عبد الحميد وقطاع دار السلام .

(١) F.O.: 424/39, Sir H. Elliot to The Earl of Derby, No.: 572, 20-11-1875.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) Op.cit.

وقد تأثرت الدول الأوروبية وحدث فيها رد فعل فقامت الدنيا وقعدت وخاصة في إنجلترا . وكتبت الصحف هناك بأنه لا يمكن توقع شيء من الإصلاح في الدولة العثمانية على الاطلاق لاقالة مدحت باشا . يقول السلطان : " كنت أعرف أن هذا سيحدث و كنت أتوقعه .. "

وقد تعاون مدحت باشا مع الانجليز وأيدها . وكان الانجليز يعرفون أن الإصلاحات التي يوصون بها من شأنها أن تغرق الدولة العثمانية سريعا . تماما مثلما أعرف أنا . فهل ياترى كان مدحت باشا يعرف هذه الحقيقة ؟

إذا كانت الإصلاحات هي الأمر الذي ينقذ الدولة العثمانية فقد أحيطت الدول الكبرى علما وكتابة بالإصلاحات المتصور قيامها والمعلنة في الدستور الأتومي وذلك أثناء مباحثات هذه الدول في " الترسانة " على هذا كان يجب على إنجلترا وهي تنظر الى فم السفير الروسي ألا تطالبنا باستقلال بلغاريا واعطاء الأناضول للصرب والجبل الأسود لأننا قبلنا كل ما أوصت به وبدأنا تطبيقه " . . . . . اليس هذا كافيا ؟ ولكن أطماع الدول الأوروبية التوسعية هي الغاية والهدف الذي تدعي اليه هذه الدول . ومن أجله قامت بآثار الثورات والحروب . ليست المسألة مسألة إصلاح الدولة وإنما هي مصالح دول . وهذه بالطبع تتصادم مع أطماع هذه الدول وتكاد أن تشعل الحرب بينهم وحول أطماعهم في الدولة العثمانية .

وعلى أية حال ففي سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م رأت روسيا اعداد الاجابات على المنشور الذي أرسلته الى الدول من قبل . فأصبح موقف الدول أمامها غامضا فهي لا تدري ماتنوي هذه الدول اجراؤه . وأنها اذا لم تبادر باشعال نار الحرب فقد تضيع منها الفرصة بعد أن تجشمت الخسائر في المال والرجال لكي تقتطع ولايات عثمانية لحسابها . غير أن الدولة العثمانية كانت قد أتمت الصلح

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ص ٤٥ .

مع الصرب ، وربما عقدت قريبا الصلح مع الجبل الأسود فتسود السكينة ولا يعود  
لروسيا وجه في المداخله ، ولا سيما عما قليل سيصبح مسيحيو الدولة راضين عنها  
بسبب مساواتهم مع المسلمين ، بمقتضى القانون الاساسي<sup>(١)</sup> .

لذلك بدأت روسيا في خلق المشاكل والأزمات وتصعيدها مستهدفة  
الحرب مع الدولة العثمانية . وفي الوقت نفسه كانت روسيا تبذل مجهودها  
دبلوماسية مكثفة لتضمن حياد الدول الأوروبية الكبرى إذا لم تتعاون معها في  
الدولة في حروبها المقبلة<sup>(٢)</sup> .

لذلك حرر الأمير غورشاكوف الى سفيرة في لندن في ١٢٩٤ م / ١٨٧٧  
اجابة نهائية لتضمن شروط خطة الاعلان الذي تقدمت به  
عليها فاذا صادقت على تلك الشروط فعليه ان يعرض على  
بلدن<sup>(٣)</sup> .

وأوفد بهذه المهمة أيضا اغناطييف الى العراق حيث انزل  
عاصمة ، ولقي فيها كل ترحيب ، وحصل عليه حاكم العراق  
روسيا في تدخلاتها ضد الدولة العثمانية<sup>(٤)</sup> .

وفي لندن توجهت جهود اغناطييف بأن يجد مقبولين  
الروسية ثم اجتمع بقية سفراء الدول على مؤتمر الساطرن في ١٨٧٦ م / ١٨٧٦

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

، اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحار ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) عبدالعزيز التسوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية ص ١٠٠ .

(٣) محمد فرد بك : المصدر السابق ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ .

، اسماعيل سرهك : المصدر السابق ، ص ٧٣٦ .

(٤) عبدالعزيز التسوي : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

/ ١٢٩٤ هـ بوزارة خارجية بريطانيا ماعدا سفير الدولة العثمانية بطبيعة الحال ،  
 ووقعوا بالموافقة على ماراوه من الشروط <sup>(١)</sup> ، و صدر عن هذا المؤتمر اتفاقيات  
 عرفت باسم " بروتوكول لندن " في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ م / ١٢٩٤ هـ وهو  
 عبارة عن ائذار من الدول الست <sup>(٢)</sup> بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا  
 والنمسا موجه الى الدولة العثمانية <sup>(٣)</sup> .

ومن أهم نصوص هذه الاتفاقية :

-- عقد معاهدة الصلح مع الجبل الأسود على أساس منح هذا الاقليم  
 اضافات اقليمية كان يطالب بها كما سبق بحجة ان لغتهم سلافية ودينهم  
 نصراني .

-- انقاص عدد الجيش العثماني ، وتحسين احوال الرعايا المسيحيين في الدولة  
 تحت مراقبة السفراء لتأمين وصول تلك الاصلاحات .

وقد ابلغت الدول الباب العالي بهذه الشروط مع تهديد الدولة العثمانية  
 بالحرب اذا خالفت ذلك <sup>(٤)</sup> .

ولكن بريطانيا ابلغت سفيرها في اسطنبول سرا بأن يخبر الباب العالي بأن  
 تصديقها على هذه الاتفاقية أو البروتوكول هو المحافظة على السلم في أوروبا

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ٦٢٠ .

. اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار . ج ١ . ص ٧٣٢ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفرى عليها . ج ٢ . ص ١٠٧٢ .

(٣) اسماعيل سرهك : المصدر السابق . ص ٧٣٢ .

(٤) اسماعيل سرهك : المصدر السابق . ص ٧٣٢ .

. محمد فريد بك : المصدر السابق . ص ٦٢٠ .

. عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق . ص ١٠٧١-١٠٧٢ .

. يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان . ج ٢ . ص ١٦٢-١٦٣ .

. روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . ( مجلة الهلال . ج ٣ . ص ١٧ . ١٩٠٨ م ) ص

فقط ، ويعني ذلك أن بريطانيا تشجع الدولة في الاستمرار في رفضها <sup>(١)</sup> .  
وفي هذه الأثناء أصدر السلطان عبدالحميد الثاني المرسوم السلطاني الذي  
يقضي بانتخاب مجلس " المبعوثين " لانفاذ احكام القانون الأساسي عندما رأى  
اصرار الدول الأوروبية على هذا الاصلاح . فافتتح المجلس في ١٢٩٥/٣/٤ هـ  
الموافق ١٨٧٧/١/١٩ م في ( طوله بغجه ) بحلة بشكطاش ، افتتحه السلطان  
عبدالحميد الثاني بالخطاب الآتي : <sup>(٢)</sup>

" هيئة الأعيان

السادة المبعوثين

لقد سررت باعلان الانضمام للمجلس العمومي المجتمع المصونة الأكبر من  
دولتنا العلية ، وليكن في علم الجميع أن العدل أساس الجاه والسلطان يورثه الله  
أدى الى نهوض الأمة ، ومرجع عدم وجود خلل في العقيدة والتدين في  
التصريحات التي أصدرها أجدادنا العظماء السلطان محمد خان القاسمي في  
العرش لضمان حرية الدين والعقيدة وتأمين الحريات ورعايته العدل والحق  
الحق والمنافع ، وقد سار أسلافنا العظماء على نهجهم في الحكمة والعدل  
منذ بداية ظهور دولتنا العلية .

ومنذ مايقارب من ستمائة عام كان الحفاظ على العقيدة والتدين والتدين  
نتيجة طبيعية عادلة غير قابلة للانكار والرفض ، فتبدلت الصورة من  
الى التأخير الحضاري الذي سببه عدم التمسك بالعنوانين المطروحين في

(١) اسماعيل سرهك : حقائق الاحبار عن دول البحر ، ج ١ ، ص ٧٢٢

عبدالعزيز السدوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مشعري غلبة

(٢) يوسف اصف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٢٢

روحي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ، ج ٣ ، ص ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠



بالشرع الشريف الذي كان فيما سبق سببا في رقي وسعادة الدولة وثناء الوطن  
وحماية العدل لكافة القوانين في ذلك الوقت ...<sup>(١)</sup> .

هذا الدستور أعلنه السلطان عقب نفي مدحت باشا<sup>(٢)</sup> ، وعين أحمد وفاق  
رئيسا لمجلس المبعوثين ، وانعقدت الجلسة الأولى تحت رئاسته ، فدارت فيها مناقشة  
وضع المذكرة الواجب تقديمها جوابا على النطق السلطاني فتحررت مسودة  
الجواب وصادق عليها الجميع<sup>(٣)</sup> .

عند ذلك أحال السلطان الشروط التي وصلت له من الدول الأوربية الى  
ناظر الخارجية العثمانية الذي قدم هذه الشروط الى مجلس المبعوثين المنعقد هناك ،  
وشرح لهم ما تحتويه هذه المذكرة ، وبين لهم أحوال السياسة الخارجية ، وأفهمهم  
بأن رفض التسليم بما جاء في تلك المذكرة معناه الحرب مع روسيا ، وأظهر لهم  
اضطراب الأحوال المالية والضائقة المالية التي تمر بها الدولة من جراء ذلك لتأمين  
المؤن الحربية والغذائية للجنود .

وقد اعترض أكثر أعضاء مجلس المبعوثين ورفضوا هذه الشروط وأظهروا  
الحماس والغيرة الوطنية سواء في هذا المسلمون والمسيحيون ، وترفع الجميع عن  
قبول مثل هذه الشروط<sup>(٤)</sup> .

فأصدر السلطان منشورا الى سفراء الدول المشتركة في الاتفاق لتبليغه الى  
دولهم بعبارة صريحة هي عدم قبول هذه الشروط او عدم الالتزام به — اذ من

(١) Osmanli Arsivi, Yildiz Esas Evraki, Zarf. No. 313.

(٢) يوسف اصاف : تاريخ سلاطين ال عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

، روحى الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ، ج ٣ ن ١٧ ، ١٩٠٨ ) ص

١٤٠ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٦٣١ .

(٤) يوسف اصاف : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

المستحيل أن توافق عليها أي دولة تغار على شرفها ووجود دهنها من العنصر السياسي<sup>(١)</sup>.

وكمثال لذلك فقد قام ممثل حلب ( مانوك الأرميني ) فحطبت فستانها في روسيا لم تقم في أي وقت من الأوقات بحماية المسيحيين ، فكان المسيحيون في حلب في حاجة إلى مثل هذه الحماية . علما بأن مسيحيي تركيا كانوا يترددون في حكومة تحول تلبية مطالبهم ، التي مسيحيي أرميني وأرمنيون آخرين في ولاية ولايتي بأننا غير محتاجين إلى حماية روسيا ، إذ أنهم من قبل كانوا يترددون في روسيا ومستعدون لأن نضحى بأنفسنا وأموالنا في سبيل وطناهم ودينهم . وكان الروسي<sup>(٢)</sup> واليهود ومن كان على شاكلتهم من حزب الأحرار في تركيا يريدون الحرب مع روسيا لأغراض دفينه في الشرق الأوسط . تعاقبت صدق ذلك . وأن تأييدهم لاستخدامنا الرصاص في الحرب والتضليل بالدولة . وقد ظهر ذلك النشاق بملء صوته في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية بعد حوالي شهرين من رفضنا طلبنا من روسيا في مساعدة صادقة للروس في حربهم في آسيا ضد الدولة العثمانية . ابتلعت شرائح اقليمية من بلاد الأرمين سواء من بلاد الأرمين أو من بلاد الروسية دون الالتفات إلى مسألة تحريرهم<sup>(٣)</sup> . وكان القيصر أراد أن يتفادى الحرب مع الدولة العثمانية بشرطه الأولى وتقدم بعرض آخر للدولة العثمانية طالب فيها بفتح فقط من الجبل الأسود . إلا أن هذا العرض المخطوف ، لأنه لم يوافق عليه

(١) يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٦١-١٦٣ .

(٣) عبدالعزيز التساوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية منقرى عليها ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

أدهم باشا بحجة عدم اتفاه مع الدستور ، وانقطع آخر بارقة أمل ، وكان لابد من الحرب ، وهكذا بدأت روسيا باعلان الحرب على الدولة (١) .

ولهذا أمر السلطان عبدالحميد الثاني بانعقاد مجلس المبعوثين بصفة مستمرة حتى انقضاء الحرب مع روسيا (٢) لدراسة المستجدات ورفع التقارير اللازمة والمشاورات في الأوضاع الأمنية والحربية . ودخلت روسيا الحرب والى جانبها الجبل الأسود ، ثم انضمت اليها رومانيا ( البغدان والافلاق ) وقد اتخذت هذه الحرب شكلا دينيا بين الدولة العثمانية الاسلامية والمسيحية السلافية . ولذلك كانت في نظر الفريقين جهادا مقدسا حياة أو موت (٣) .

وقد تمكن العثمانيون في بادئ الأمر من صد هجمات الروس ، ونتيجة لقلّة التجهيزات العسكرية - نظرا لفراغ الخزينة العثمانية من المال - اتيح النصر للروس حتى تجاوزت جيوشهم نهر الطونة وجبال البلقان ، واستولوا على قارس ، وحاصروا ارضروم من جهة الأناضول (٤) فاحتشد الجيش العثماني في مدينة (بلغنة) ، واستحكموا في حصونها لصد الغزو الروسي ، وبدأ الروس حصار هذه المدينة ، وقد كلف الروس هذا الحصار ضحايا جسيمة لاستبسال الجنود العثمانيين وعلى رأسهم القائد العظيم عثمان باشا للدفاع بشجاعة عن تلك المدينة مما جعل الروس يستدعون جنود الاحتياط لديهم لمواجهة هذه الحرب .

وبقيت هذه الحملة العثمانية في الاستحكامات ثلاثة أشهر حتى نفذ الطعام من عندهم ، فاضطر قائدها عثمان باشا الى الخروج والهجوم على الجيش الروسي .

(١) عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٢٦ .

. أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد : محمد حرب عبدالحميد ، ص ٥٠ .

(٣) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٤) عابدين حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

. يوسف اصاف : تاريخ سلاطين ال عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

غير أن كثرة الجيش الروسي أرغمته على الاستسلام . فأبلى عثمان وجنوده بلاءنا حسنا اندهشت له أوروبا تقديرا لشجاعة هذا القائد . وعلى أثر ذلك استولت الجنود الروسية على بلقته . ثم واصلوا تقدمهم نحو اسطنبول وكانت حربيها قد تمكنت من تنظيم نفسها . فعادت وأعلنت الحرب ثانية على الدولة العثمانية ونقضت الصلح معها . ووقفت بجانب الروس الألمان .

هذا انعقد مجلس المبعوثين الدائم تحت رئاسة حسن فهدى الأندلسي ودارياك المناقشات حول حرب الروس مع الدولة . واتخذوا الخطوات المناهضة والاعتراضية على الجدل بشأن محاكمة المرتكبين . وقطع داهر الموثقين وحمدين الموثقين الجدل . قال أحد المبعوثين ان الجنود في الولايات تنهب الأهل والأشياء والارواح البشرية ابطال الحق . وغير ذلك من الفساد المنتشر في بلاد العثمانيين . فقد كانت هناك نعمة أخرى هي بحماية المسترلين من جنود

التي انتهت بالهزيمة . فاتفق أعضاء مجلس المبعوثين على كتابة خطاب يوجه جميع المسئولين من مدنيين وعسكريين ويختم عليهم المسؤولية التاريخية في أسلوب يوحى بأن السلطان نفسه يتحمل المسؤولية الأولية . من هذا الخطاب بين الأعضاء . فهذا يطالب بارجاع المنفيين السياسيين . أما وزير الخارجية الأعضاء يريدون عودة مدحت باشا . وهذا نائب يشكو من أن السلطان آراء النواب في أمور الحرب <sup>(١)</sup> . وقد نسي الجميع ان المسئولين الذين بين الدولة وروسيا سببه مجلس المبعوثين وإصراره على الحرب .

الدول .

(١) عدلين حمده تاريخ الشرق والعرب . ص ٢٧

يوسف اصاف تاريخ سلاطين ان عثمان ص ١٦٢

(٢) يوسف اصاف . المرجع السابق ص ١٦٤

(٣) أورحان محمد علي . السلطان عبد حميد . ص ١٣٦

لذلك أخذ المجلس يعطي انطبعا فوضويا ، وكمثل علي ذلك أنه عندما بدأت الدعوات القومية تظهر وتعلن عن نفسها في وسط المجلس بكل جرأة بدأ لكل عين بصيرة أن كل هذه الحركات تسعى لتفتيت الدولة العثمانية (١) .

وفي تلك الفترة كان الروس يتابعون زحفهم على ممتلكات الدولة حتى استولوا على أدرنه وماجاورها (٢) ، فخشيت بريطانيا أن يستولي الروس على اسطنبول ، لذلك نراها ترسل أسطولا الى مضيق البوسفور لحماية الدولة ، ولكن الجنود الروس تقدموا حتى سان ستيفانو (٣) ، وهناك وقفوا ولم يجرؤوا على الدخول الى العاصمة اسطنبول ، خوفا من وقوع الحرب بينهم وبين بريطانيا (٤) .

لذلك استغل السلطان عبد الحميد الثاني وقوع الخلافات في مجلس الأعيان ووروع الخلاف أيضا بين الدول حول هذه الحرب واستغنى عن مشورة مجلس المبعوثين وشكّل بدلا عنه في ١٠/٢/١٢٩٥هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٨٧٨م مجلسا عاليا من وكلاء الدولة وأعيانها ، وهذا المجلس استدعى اليه خمسة أشخاص من مجلس المبعوثين وهم الرئيس وو كيلاه وأحد مبعوثي اسطنبول وآخر يهودي للمداولة معهم في الحالة الحاضرة في أحداث الساعة ، وأصدر ارادته السنية في ١٣/٢/١٢٩٥هـ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨م بتعطيل مجلس المبعوثين لأجل غير مسمى (٥) .

وقد قال بسمارك حول تعطيل السلطان للدستور ، عندما زار المشير علي

(١) أورهان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٣٦ .

(٢) يوسف اصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٣) سان ستيفانو : ضاحية من صواحي العاصمة اسطنبول في ذلك الوقت .

— عابدين حماده ، تاريخ الشرق والعرب ، ص ٣٧ .

(٤) عابدين حماده ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٥) يوسف اصاف ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

باشا ألمانيا : " لقد أحسنتم صنعا بتعطيلكم المجلس ، ذلك لأن أية دولة عندما تكون متكونة من قوميات فان ضرر النظام البرلماني فيها يكون أكثر من فائدته"<sup>(١)</sup> .  
 وإذا كانت الظروف السياسية قد حتمت على السلطان قبول هذا الدستور أو المشروطة ، فان ظروف الحرب مع روسيا أيضا ساعدته على التعجيل من هذه المشروطة بعد مرور سنتين من إعلانها ، ونفسي وإبعاد البارزين من المبعوثين<sup>(٢)</sup> . ونادى بالجامعة الإسلامية ، وتلك هي الحركة التي نشأت في عهد الكلب بالانقلاب الحميدي<sup>(٣)</sup> .

وعندما كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى ان الظروف السياسية في الدولة العثمانية دائمة ومستمرة لا تنقطع ، وهذه هي الحالة التي كانت عليها الصليبية السابقة حتى ولو أخذت أشكالاً سرية جديدة ، لذلك كان ينادي بالاسلام - على توحيد العناصر المتعددة في الدولة العثمانية من الأتراك وغيرهم في صف واحد لكي يتمكن الصمود أمام القوى الأجنبية . وكان يرى ضرورة امتداد تأثير الوحدة الإسلامية إلى كل مكان في العالم أيضا ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين المسلمين في الصين والهند وأواسط آسيا وأفريقيا وغيرهم من البلدان الإسلامية ايران . وفي هذا يقول : ( ان عدم وجود تفاهم من الإيرانيين مع المسلمين في بلادنا أردنا أن نفوت الفرصة على الانجليز وعلى الروس كما نفوتها تقارب اسلامي في هذا الأمر )<sup>(٤)</sup> .

- (١) أورهان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ١٢٧ .  
 (٢) محمد قربان بياز ملا : السلطان عبد الحميد الثاني ، (الطبعة الأولى) ص ٥٥ .  
 (٣) محمد عبداللطيف البحرأوي : التاريخ المعاصر وعلاقاته العنصرية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ٢ ، السنة ١٧ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٨٣ .  
 (٤) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : محمد حرب عبد الحميد ، ص ٧ .

هذا هو هدف السلطان عبدالحميد من الجامعة الاسلامية التي كان يرى أنها هي السبيل الأفضل لتوحيد صف المسلمين قلبا وقلبا ضد أعداء الاسلام وخاصة السلافية التي ينادي بها الروس، ومحاولة الانجليز استغلال الدول الاسلامية وهدم أركان الاسلام بتصدير الأفكار الهدامة ودون أن يعرف أحد سياسة عبدالحميد وأهدافه السامية من قيام الجامعة الاسلامية، فالغزو الفكري سيطر على عقول الأحرار الذين يريدون دستورا غربيا دون فهم نصوصه بل مستوردا لا ينطبق على المسلمين .

ولهذا رأينا السلطان يتخذ من خط سكة حديد الحجاز وسيلة لتنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية، معارضا في ذلك القومية الطورانية وغيرها من الأمور التي تدعو الى الخروج عن التعاليم الاسلامية، فيقول " المهم هو اتمام خط السكة الحديدية بين دمشق ومكة في أسرع وقت ... ففي هذا تقوية للرابطة بين المسلمين، كما أن فيه أيضا اتخاذ هذه الرابطة - بعد تقويتها - صخرة صلبة تتحطم عليها الخيانات والخدع الانجليزية "

وقد استعان السلطان في مجال الجامعة الاسلامية بجمال الدين الأفغاني الذي كان ينادي بهذه الجامعة وقربه منه لنشر هذه الأفكار بين العالم الاسلامي للتضامن حول هذه الجامعة (١)

وهكذا فقد هددت روسيا الدولة العثمانية بعد أن وصلت الى مشارف اسطنبول باحتلال اسطنبول . الا أن بريطانيا دخلت بأسطولها الحربي لمواجهة الروس في بحر مرمره، وورست به . ولوحت باستعدادها للدخول في حرب مع الروس لو حاولت التقدم الى اسطنبول (٢) . ولكن روسيا أجبرت الدولة العثمانية

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني : محمد حرب عبدالحميد . ص ٧-٨

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني . ص ١٢٨ .

على توقيع معاهدة سان ستيفانو ( Sanstefano ) في ٢٨ من صفر سنة ١٢٩٥هـ الموافق ٣ من مارس سنة ١٨٧٨م (١) . فقدت بموجبها الدولة العثمانية المناطق التالية :

رومانيا وصربيا والجبل الأسود والتي نالت استقلالها .  
كما قامت دولة بلغارية كبرى تمتد من الدانوب حتى أدرنه ومن سلانيك حتى البحر الأسود ( وهي في الظاهر مستقلة ولكنها تخضع لروسيا ) .  
وأعطت الدولة روسيا مقاطعة بساريا التي كانت خسرتها على إثر انكسارها في حرب القرم .

ثم اعترف السلطان بالاستقلال الداخلي لمقاطعتي البوسنة والهرسك (٢) .  
وقد أثارت هذه المعاهدة الرأي العام الأوربي والحكومات الأوربية .  
السلطان عبد الحميد بكل الطرق الدبلوماسية ابطال هذه المعاهدة من أجل هذا التدمير الأوربي . وأخيرا اتفق مع بريطانيا سرا على اعطائهم حقوقهم مقابل ابطال معاهدة سان ستيفانو ، والدفاع المسلح عن شرق الأناضول من الروس اذا دعت الحاجة (٣) .

هذا أرغمت بريطانيا روسيا على إعادة النظر في معاهدة سان ستيفانو .  
ولهذه الغاية عقد مؤتمر برلين في سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م وفيه أقيمت التعديلات على معاهدة سان ستيفانو حيث أدخل عليها بعض التعديلات ومن أهمها .

(١) محمد عبداللطيف الحراري : التاريخ المعاصر وعلاقتة العصرية ، الجزء الثاني ، ص ٨٣ .

(٢) Osmani Arsivi, Yildiz Tansuifincisi : Muahede Nama, Namarasi,

No.: 19, 1878.

(٣) عابدين حمادة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٢٩ .



المادة ( ١ ) أصبحت بلغاريا دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي تابعة للسلطان ولها حكومة مسيحية ، ومليشيا قومية .

المادة ( ١٣ ) اقتطعت منها الروملي الشرقية والحقت بالدولة ، على أن تحكم بواسطة حاكم مسيحي ، وتتمتع بإدارة خاصة ، كما اقتطعت منها مقدونيا وألحقت بالدولة بدون قيد أو شرط .

المادة ( ٢٥ ) وضعت مقاطعتا البونسة والهرسك تحت الإدارة النمساوية على أن تبقىا تابعتين اسما للسلطان العثماني .

المادة ( ٥٣ ) أيد المؤتمر مانصت عليه معاهدة سان ستيفانو من استقلال رومانيا و صربيا والجبل الأسود استقلالاً تاماً (١) .

أما النتائج التي ترتبت على هذا المؤتمر فقد قضي على السيطرة الروسية في البلقان ، وأوقفت المطامع السلافية (٢) . كما نرى ذلك في البنود التالية :

المادة ( ٦٢ ) أوضح الباب العالي تطوعه بحفظ مبدأ الحرية الدينية وسجلت الأطراف المجتمعة هذا التصريح العفوى : بأن الباب العالي لن يعوق الاختلافات الدينية بين الأشخاص في أي مكان من الدولة العثمانية في الوظائف أو ممارسة المهن والصناعات المختلفة ، والجميع سوف يقبلون للشهادة أمام المحاكم بدون تفرقة دينية ، كما أن حرية العبادات وممارستها الخارجية مكفولة للجميع ... رجال الكنيسة والحجاج والرهبان من كل الجنسيات الذين ينتقلون في مناطق الدول الأوربية أو الآسيوية يتمتعون بتلك الحقوق والمميزات والحماية الرسمية المعترف بها

(١) Osmanli Arsivi , Yildiz, Tansnifncinsi : Muahede Nama, Numarasi, (١) No.:171.

(٢) عابدين حمادة : تاريخ العرب والشرق ، ص ٢٩ .

للدبلوماسيين وقناصل الدول في تركيا العثمانية ، وحفظ مؤسسات رعاية الدول الدينية والجمعيات الخيرية ( الماسونية وغيرها ) مكفولة في البلاد العثمانية ، وخاصة ما كان منها في الأماكن المقدسة ( فلسطين )<sup>(١)</sup> . ولكن الدولة في هذا الوقت طبقت هذه المادة التي نصت على المساواة رسمياً بين المسلمين والنصارى في كافة الحقوق والمزايا حتى الشهادة تقبل من المسيحي على المسلم دون التقييد بنصوص الشريعة الإسلامية في هذا البند ، وقد قبلت الدولة تطوعاً هذه الشروط . وقد أشار البند رقم ( ٦١ ) الى تعهد الباب العالي بسدون ثغور الدولة من جهة الاصلاحات او التحسينات التي تتطلبها المقاطعات التي يقطنها الأتراك من جهة الشراكسة والأكراد وسوف تخطر الدول التي ستشرف على تلك المقاطعات من جهة الاصلاح<sup>(٢)</sup> .

معنى هذا أن الدولة العثمانية أصبحت تلتزم بمبدأ المساواة بين المسلمين وغيرهم تحت مظلتها توقع على ما يملئ عليها . ونعود الى موضوع الغاء المشروطية الأولى من قبل الدولة العثمانية الثاني والتي اعتبرها الاحرار اهانة لهم بعد فرضها عليهم في المشروطية بأقلامهم<sup>(٣)</sup> وفي ندواتهم داخل الدولة وحدثت في ذلك الوقت الدولة بالأزمات المتكررة والمتوالية هي التي جعلت بعض النصارى يترددوا الى الحل هو اقامة حكومة على النسق الأوربي وخلق نوع من الديمقراطية في دولهم في الدولة لتجنب تدخل الدول الأوربية . وهذا هو المبدأ الذي

(١) "Osmanlı Anayasası ve Kanunları: Muahede Nama, Numarasi, No. 171.

(٢) Ibid.

(٣) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . مجلة الهلال ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٩١٨ .

لاحبا في الدستور في حد ذاته ، ولكنهم رأوا فيه حلا لأزمات الدولة الخارجية .  
وترتبط هذه التطورات التاريخية في هذه الفترة بالطورانية أو القومية  
التركية وتركيا الفتاة<sup>(١)</sup> ، التي أعادت المشروطة الثانية في سنة  
١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

ولهذا الغرض فقد شكلت سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م جماعة من طلبة المدرسة  
الطبية العسكرية في اسطنبول جمعية سرية هدفها الواضح عزل السلطان عبدالحميد  
الثاني .

فكان تكوين هذه الجماعة معناه تحديد البداية الحقيقية لحركة تركيا الفتاة،  
وكان المحرك الرئيسي لهذه الحركة طالب الباني ماسوني اسمه ابراهيم تيمو او ادهم  
كما كان يدعي ذلك أحيانا .

لقد قضى تيمو في هذه المدرسة بضع سنوات طالبا ، فتوفرت له فرصة  
كافية للتعرف على عدد من الطلاب الذين يفكرون على شاكلته<sup>(٢)</sup> .

ففي ٢١ من مارس سنة ١٨٨٩م المصادف سنة ١٣٠٧هـ ناقش تيمو  
ثلاثة طلاب من أصدقائه ، وقد تعرف على آرائهم وهم اسحق سكوتي من ديار  
بكر ، وعبدالله جودت من قونية ، ومحمد أمين من فوقاسية<sup>(٣)</sup> ، وطرح عليهم

---

(١) محمد عبداللطيف البحرأوي: التاريخ المعاصر وعلاقته بالازمنة الحديثة (مجلة الدارة، العدد(٢)  
السنة ١٧ . ١٤٠٦هـ) ص ٨٣ .

(٢) أريست أ. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م . ترجمة صالح العلي . (بيروت . نشر فرنكلين  
المساهمة للطباعة والنشر . ١٩٦٠م) ص ٤٩-٥٠ .

(٣) أريست أ. رامزور : المصدر السابق . ص ٥٠ .

الا أن يوسف اصاف : يصف على ذلك طالب رابع اسمه " حكمت أمين من قونية " .  
- تاريخ سلاطين آل عثمان، ص ١٦٦ .

فكرة تشكيل جمعية وطنية سرية ، وقد أصبح هؤلاء الطلاب الأربعة هم النواة للجمعية الأولى لتركية الفتاة والتي كانت تدعى " التزقي والاتحاد " لا " الاتحاد والتزقي " والذي اتخذته اسما لها واشتهرت به فيما بعد (١) .

وقد رفعت هذه الجمعية شعاراتها المطالبة بالاصلاحيات الدستورية ، ومنها اعادة الدستور ، والعمل بالمشروطية للمساواة بين اجناس الرعية ، والخصم والحرية في القول والعمل ، وسلامة الأرواح والأموال ، وتقييد سلطة السلطان بالقوانين (٢) . فانضم الى هذه الجمعية بعض تلاميذ المدارس وأرباب الأعيان وذلك خلال مدة وجيزة من تأسيسها أمثال شرف الدين مغومسي ، قاسم شافيق ، وجودت عثمان ، وكريم سيباحي ، ومكالي محسوي ، وسلاطين شافيق ، وأساف درويش ، وعلى رشدي ، ومحمد غوريبا ، وحسين زاهداني ، ودارغا ، وطلعت بك وشطين كقوصو الي ابراهيم ، وقد كان هؤلاء من الأوائل لهذه الجمعية (٣) .

وكان تنظيم أو بناء هيكل هذه الجمعية على طراز التنظيم الايطالية التي تشكلت في القسم الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ، ففهي الإيطالية التي سبقت تشكيل هذه الجمعية توقف تيمو في مدينة برنديزي في ايطاليا في سنة ١٧٧٦ بلاده البانية . وزار خلال اقامته في برنديزي ونابولي عهلا داندو الذي كان من أصدقائه ، وتعلم تعليما كافيا عن دور الكاربوناري في التاريخ الايطالي (٤) .

(١) أرسنت أبرامزور : تركية الفتاة وتوردة ١٩٠٨ء . ص ٥٠ .

(٢) يوسف اصناف : تاريخ سلاطين آل عثمان . ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٣) أرسنت أبرامزور : المصدر السابق . ص ٥٠ .

(٤) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني . ص ٢٧١ .

تأثر بتنظيماتها الماسونية فيما بعد ، حين قرر أن ينشئ في تركيا جمعية سرية تشبهها<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن ابراهيم تيمو قد تدرب جيدا على أيدي الماسون الايطاليين ولهذا اتبع الطريقة الماسونية هو وزملاؤه عند عقد اجتماعاتهم واجراء مراسيم قبول عضوية هذه الجمعية<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ يوسف آصاف : " اتخذوا في قبول الأعضاء وادخالهم في هذه الجمعية طرقا تشبه الطرق الماسونية وزادوا عليها أسلوبا غريبا بأن يأمن الداخل كشف أمره وحتى بين اخوانه أعضاء الجمعية بحيث أن العضو المرحله لا يعرف من سائر الأعضاء ولو كانوا ألوف إلا اثنين العضو الذي أدخله والعضو الذي توسط لإدخاله<sup>(٣)</sup> .

أما صاحب كتاب تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ فيقول : " كان أثر الكبريت توري فيها واضحا من حيث أن المفروض في اعضائها ان يعرف بعضهم بعضا بأرقام كسرية ، وتتكون هذه الأرقام الكسرية من ترقيم كل خلية جديدة في المنظمة ، ثم باعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة فكان رقم الخلية أو الفرع هو المقام ورقم العضو البسط . ولتوضيح ذلك نقول أن العضو الخامس في الخلية السابقة كان يدخل في قائمة الجمعية برقم (٧/٥) وكان رقم ابراهيم تيمو منشئ الحركة (٩/٩)<sup>(٤)</sup> .

وقد انتشرت أفكار هذه الجمعية وسرت بن طلاب المدارس العسكرية ذلك لأن التعليم العسكري كان على اتصال بالثقافة الأوروبية . ووعندما افتضح سر

(١) أرنست زامروور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ . ص ٥٠ .

(٢) أورحان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني . ص ٢٧١ .

(٣) تاريخ سلاطين ال عثمان . ج ٢ . ص ١٦٦ .

(٤) أرنست أ. المصدر السابق . ص ٥٠-٥١ .

الجمعية عن طريق ثلاثة طلاب ، قدموا الى القصر السلطاني تقريراً يبينون فيه نشاط هذه الجمعية في سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م غادر بعض أعضائها البلاد الى باريس خوفاً من أن يقبض عليهم السلطان عبدالحميد الثاني لنشاطهم المعادي للدولة ، ولاستكمال دراستهم ، ومنهم خليل غانم العربي المسيحي الذي أصدر في جنيف جريدة " الهلال " ثم جريدة ( تركيا الفتاة ) في باريس وأيضاً سلانكلي ناظم الذي استطاع أن يكمل تحصيله في الطب بفرنسا في الوقت الذي كان يعارض أفكار السلطان عبدالحميد الثاني<sup>(١)</sup> . وخلال تلك الفترة كان في فرنسا أحمد رضا بحجة زيارة معرض باريس حيث ألقى هذا المعرض في باريس الاتحاد والترقي كما سيأتي .

ومن باريس بدأ يرسل الى السلطان عبدالحميد الثاني في ١٢٠٠٠  
الأوضاع ، ويبدى فيها رأيه في كيفية الإصلاح في الدولة . وقد حضر  
باريس عرضوا عليه أن يمثل الجمعية في باريس . بدأ يرسل الى السلطان  
وهناك تبدل اسم الجمعية الى " جمعية الاتحاد والترقي " .  
وبعد وصول سلانكلي ناظم الى باريس ، اتصل بالشيخ رشيد رضا  
الاتحاد والترقي ، واقترح عليه أن يكون مديراً للجمعية .  
اللسان الرسمي للجمعية ، وبدأوا بالعمل مع خليل غانم في باريس  
صحيفة " مشورت " التي كانت تصدر مرتين في الشهر . وكان  
فقط ، لأنها كانت تستهدف القراء داخل الدولة العثمانية .  
بها ملحقا بالفرنسية .

(١) أريست أبرامزور : تركيا الفتاة وتورة ١٩٠٨-١٩١٠م ، ص ١١٩-١٢٠ .  
محمود صالح ميسي : حركة اليقظة العربية ، دار الثقافة للطبع والنشر ، دار الفكر  
العربي ، ١٩٧٨م) ص ١١٨-١١٩ .

وكانت " مشورت " الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي ويذكر رامزور أنه : " ... في كانون الأول - ديسمبر ١٩٨٥م نشرت " مشورت " مقالا بنت فيه أهداف الجمعية وقدمتها الى قرانها ... وكان عنوان المقال "منهاجنا" وجاء تحتته :

ان لجنة الاتحاد والترقي العثمانية أنشأت في باريس صحيفة " مشورت " رغبة منها في اظهار وجودها ، ونظرا لأن الطباعة مقيدة في تركيا كما هو معروف " والملحق الفرنسي سيجعل القراء الاجانب على اتصال دائم بيمول حزب تركيا الفتاة ورغباته .. اننا نرغب العمل لا لخلع الأسرة الحاكمة التي نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم . ولكن لنشر فكرة التقدم التي نريد لها نصرا سليما . ولما كان شعارنا هو " النظام والترقي " فاننا نطالب بالاصلاحات ولا نقصرها على هذه الولاية أو تلك ، بل نطلبها للامبراطورية كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة ، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهودا او نصارى أو مسلمين . اننا نريد أن نتقدم في مضممار المدنية ، ولكننا نعمل بعزم أننا لانريد أن نتقدم الا بالطريق الذي فيه تدعيم العنصر العثماني واحترام ظروف وجوده الخاصة .

اننا مصممون على رعاية أصالة حضارتنا الشرقية ، ولهذا السبب لانأخذ من الغرب الا النتائج العامة لتطوره العلمي والأشياء التي يمكن هضمها حقا وهي ضرورية لتوجيه الشعب في سرية نحو الحرية ... " (١) . " اننا نعارض احوال التدخل المباشر للدول الغربية محل السلطنة العثمانية وهذا ليس ناجما عن التعصب لأن المسألة الدينية عندنا أمر خاص ، ولكنه منبعث من العاطفة المشروعة للكرامة المدنية والقومية " .

(١) أرست. رامزور : تركيا الفتاة وتورة ١٩٠٨ م . ص ٥٦-٥٧ .

. يوسف اصاف : تاريخ سلاطين ال عثمان . ج ٢ . ص ١٦٧ .

ومن الواضح ان هذا المنهاج هو عمل أحمد رضا رئيس جمعية الاتحاد والترقي لاتفاقه مع أنصاره على نقطة واحدة وهي التريك والأخذ عن أوروبا وقد ظلت هذه النعمة هي الأساس الذي تغلغل في منهاج أعضاء تركية الفتاة المتأخرين على الرغم من الآراء المعارضة لها في بعض الأحزاب الاسلامية كما سيأتي الحاديث عنه . ففي هذه اللحظة كانت الجمعية تدبر انقلابا في اسطنبول<sup>(١)</sup> لابرار مهمتها الى حيز العمل عندما أخذت تنتشر بسرعة الأمر الذي كان يشير الدولة وخاصة عندما قررت خلع السلطان عبدالحميد واعادة السلطان مراد أو تفصيص ولي العهد ( محمد رشاد ) مكانه وأسندوا تنفيذ هذه المهمة الى ( علي كاظم باشا ) قائده الفيلق الأول في اسطنبول . وعندما كانوا يتحفظون للعمل لتنفيذ المؤامرة ادقهم نجيب باشا سفير تركيا في مدريد سابقا واعترض على ذلك لأن الثورة التي كانت تحت يد كاظم باشا غير كافية لتنفيذ هذه المهمة . فأخروا تنفيذ هذا القرار الى وقت لاحق . هذا التأخير أفسد العمل كله وحدث لأجل ذلك ضجة بين أعضاء الجمعية حتى أن نادر بك سكرتير الجمعية المركزية في اسطنبول اعترض على ذلك بصوت جهوري قائلا : " يا صديقي اني آسف لعنادك لأن التأجيل الى النهاية سيؤدي وويل للذين لا يكونون معنا " ووقعت كلماته في أذن أحد رجال السلطان فساقوه به الى المابين فساقوه الى السلطان . وبعد التحقيق اعترف بأسماء الجمهوريين من الأعضاء . فأرسل السلطان قواته للقبض على عدد من أعضاء الجمعية الأصليين ومنهم عبدا لله جودت ، واسحاق سكوتي ، وشرف الميرزا مشهور

(١) أرست ابرامور : تركيا الفتة وتورة ١٩٠٨ . ص ٥٧-٥٨

(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . مجلة الهلال . ج ١ . ص ١٧-١٨-١٩-٢٠

١٩-٢٠ .

يوسف اصف : تاريخ سلاطين ال عثمان . ج ٢ . ص ١٦٧ .



و كريمة سيباطي ، حيث تم نفيهم . كما تم القبض على وتشروكسولا ، وأحمد بك وهو مدرس في المدرسة الحربية ، فنفيها الى رودوس غير أنهما استطاعا أن يصلوا الى باريس . وأما عبد الله جودت فقد أرسل الى طرابلس الغرب ، فاستطاع أن يعبر الحدود الى تونس ثم انتهى به المطاف الى باريس في صيف سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م أما ابراهيم تيمو فقد خرج من البلاد قبل أن يقبض عليه ، وذهب الى رومانية حيث نظم فرعا للجمعية ، ونشر صحيفة لتركيا الفتاة (١) .

ومن الملاحظ أن السلطان عبد الحميد في كل مرة يقبض على رجال الاتحاد والترقي كان يخفف عنهم الحكم ، اما بالنفي أو بالسجن لفترة ثم يطلق سراحهم . يالاهيحب .. يريدون قلب حكومته وهو يعاملهم باللين وفي هذه المرة نراه يكتفي بنفي هؤلاء الذين ارادوا خلعه الى خارج البلاد !

ولقد قال السلطان عبد الحميد الثاني ذات مرة : " انهم يدفعونني لكي أسلك الشدة والعنف ، ولكنني لا أستطيع ذلك لأنني لا أملك نفس المزاج العنيف الذي كان يملكه جدي السلطان محمود الثاني " (٢) .

الا أن مراد بك الداغستاني رفع الى السلطان قائمة بالاصلاحيات التي اعتبرها ضرورية لاصلاح الدولة ، ومراد هذا معلم للتاريخ في الكلية المدنية باسطنبول انضم الى جمعية الاتحاد والترقي ، وخلال الاحداث السابقة تطوع برفع هذه القائمة ، وقد ارتأى ما كان يدعو اليه أحمد رضا رئيس الجمعية في باريس ، فرأى السلطان نفيه فاختر مصر حيث أسس جريدته " الميزان " التي أخذت تتسرب خفية الى أيدي الثوار من الماسونيين في اسطنبول (٣) .

(١) أريست أ. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م . ص ٥٨ .

(٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني . ص ٧٣ .

(٣) أريست أ. رامزور : المصدر السابق . ص ٥٩ .

، محمود منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٩ .

وبهذا النفي والهرب زاد عدد الأتراك في المنفى من الخارجين على سلطة الدولة والشريعة الإسلامية ومن تأثروا بالماسونية وتثقفوا بالثقافة الأوروبية وخاصة بعد افتتاح أمر المؤامرة التي دبرت للاطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني في سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م ، وقد تركز نشاط حزب الاتحاد والترقي أو تركيا الفتاة في تلك الفترة في باريس<sup>(١)</sup> .

أما مراد الداغستاني فقد أشارت عليه جمعية الاتحاد والترقي أنه ينتقل إلى جنيف ، ووضعت له بعض الشروط والتنظيمات ومن أهمها عدم نشر مقالاته في جريدتي ( ميزان ومشورت ) إلا بعد مصادقة شعبة الاتحاد والترقي في جنيف . وكان مراد بك الداغستاني رئيسها ، ورضا بك عضوا فيها .

إضافة إلى ذلك فقد اجتهد مراد بك لإعادة مركز جمعية الاتحاد والترقي إلى اسطنبول ، فأنشأ فرعين في مدرسة بانقة العسكرية باستئجاره لعضو في اسطنبول باسم حسين عوني ، والثاني عرف باسم سليمان . وقد انشأ مراد بك فرعا في اسطنبول بطلاب كلية الطب لاجراء مظاهرة صاحبة حول قصر بستان بستان في ١٢/١٠/١٣١٤م الدستور أو المشروطية ، فقبض الجيش على زعيم هذه المظاهرة الثوريين الثانيين معه ، فقبض عليهم وحوكموا في طائش فشملته أحكام بالسجن . فحكم عليهم وأعدم بعضهم وحبس بعضهم على نفقة الأتراك . وقد حاول السلطان عبدالحميد الثاني معرفة نشاط المظاهرة في اسطنبول بالتدخل الدبلوماسي ، وباستخدام الوسطاء حتى نجح في اقناع مراد بك بالعودة إلى اسطنبول بالتخلي عن نشاطه الثوري والعودة إلى اسطنبول<sup>(٢)</sup> .

(١) محمود منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ١١٦ .

(٢) روجي الخالدي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال ) ج ١ ، ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ .

(٣) روجي الخالدي : المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٤) محمود منسي : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

وتفصيل ذلك أن السلطان رأى أن اتباع سياسة الشدة لاتفيد في القضاء على جمعية "الاتحاد والترقي" فعمد الى الدبلوماسية في استرضائهم، فأرسل الى مراد بك ، وأحمد جلال الدين باشا ، فأبلغه أن السلطان يوافق الثوار على الاصلاحات المطلوبة ، ولكنه يسألم هدية يتمكن خلالها من وضع خطة متكاملة للاصلاح . وقد دعا زعماء الحزب في اسطنبول ، وعرض عليهم استبقاء حياتهم والأنعام عليهم اذا أذعنوا، ورجعوا ، واذا أبوا زادهم اضطهادا وقتلا ، فوافق الثوار على الشروط التالية :

- ١ - يوافقون على الهدنة ولكنهم لايتزعون سلاحهم .
  - ٢ - يرفضون كل انعام أو مكافأة شخصية .
  - ٣ - ان مراد بك مندوب الثوار يصل أولا بمفرده تحت رعاية الدولة فيعرض نفسه لهذا الخطر رغبة في المصلحة العامة .
  - ٤ - يتعهد السلطان بالاصلاحات المطلوبة ، ويعفو عفوا عاما عن جميع أعضاء الثورة .
  - ٥ - أحمد رضا بك يبقى على رئاسة الحزب الى أن تنجز الوعود .
- فبعث جلال الدين مندوب السلطان تلغرافا الى السلطان بهذه الشروط ، فجاء الجواب بالايجاب وبالعفو العام عن الثوار العثمانيين سواء كانوا في السجون أو في المنفى ، وبناء على ذلك انحلت جمعية الاتحاد والترقي<sup>(١)</sup> . الا أن هناك بعض المتمسكين الذين لايزالون يطالبون بالاصلاح لم يوافقوا على الهدنة التي وافق عليها السلطان ومراد بك ، بل ظلوا باقين على آرائهم ، وعلى رأسهم رئيس جمعية الاتحاد والترقي أحمد رضا ، ولكنهم استسلموا للهدنة فيما بعد مضطرين .

(١) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ، (مجلة الهلال ، ج ١ ، س ١٧ ، ١٩٠٨م) ص ٢٣

وفي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ظهرت الجمعية في ثوب جديد وذلك عندما هرب الى باريس الداماد محمود باشا صهر السلطان عبدالحميد الثاني وزوج شقيقته ومعه ولداه صباح الدين ولطف الله ، وكان هروبهم الى باريس خفية ودون علم السلطة بعد أن استطاعوا الإفلات من الرقابة ، حيث انضموا الى التوار الأتراك في باريس<sup>(١)</sup> ، وبعد وصول محمود باشا الى باريس أول ما فكر فيه هو احياء جمعية الاتحاد والترقي التي كان يرجو فيها صلاح الدولة ، وذلك لاختلافه مع السلطان لحكمه الاستبدادي كما يقول . لذلك مال الى الحركة الدستورية لقلب الحكم ، فكتب الداماد محمود باشا الى أحمد رضا مدير جريدة (التحرير) يدعو الى الظهور وتأييد أفكاره فأجابته لطلبه وحقق رغبته ، ثم كتب الداماد السلطان في ٢١ من يناير سنة ١٩٠٠ الموافقة لسنة ١٣١٨هـ ، كتب السلطان في ذكر فيه الأسباب التي حملته على الخروج وضمن هذا الكتاب بياناً في الأسباب والتجريح للسلطان ودولته .

فأذن السلطان عبدالحميد لرجال الدولة ومدراء الصحف ان يخرجوا بالصلح بينه وبين صهره في باريس لاسترضائه . ولكنه أصبح دائم التردد في الإصلاح والعودة الى الدستور الوضعي والعمل على تحقيق الإصلاحات التي كان غير أنه لم يلبث أن أصيب بمرض مات على اثره في ١٨ من يناير سنة ١٩٠١ الموافقة لسنة ١٣٢١هـ<sup>(٢)</sup> . فانضم ولداه صباح الدين ولطف الله الى التوار الأتراك في باريس ، وكان مطلبهما الوحيد هو حروب السلطان من داخل الدولة والقضاء على حكمه ، ولكنهما اختلفا حول طريقة الإدارة الدوائية التي كانا يريها . كان أحمد رضا وأنصاره يصرون على قيام حكم مركزي في الدولة كالتالي

(١) محمود مسي ، حركة النقطة العربية ، ص ١١٦

(٢) روجي الخالدي : الانقلاب العثماني (مجلة الهلال) ج ١٧ ، ص ١٧ ، ١٩٠٨م ، ص ٢٤-٢٥ .

كل السلطات ، أما صباح الدين وزملاؤه فقد كانوا يريدون تطبيق اللامركزية وتوسيع صلاحيات الولايات ، ويدعون الى تكوين اتحاد عثماني يكون فيه التمثيل لمختلف قوميات الدولة (١) .

لهذا تفرغ الأمير صباح الدين لنصرة الثوار فجمع المشتتين منهم في أوروبا وغيرهم فبلغ عددهم حوالي سبعة وأربعين فردا من أمم شتى فيهم العربي واليوناني والكردي والألباني والشركسي واليهودي والأرمني والتركي اجتمعوا من مصر وبلنغاريا وجنيف وباريس . فتألف منهم جمعية تحت رئاسة صباح الدين فألقى فيهم خطبا يشجعهم وأحيا آمالهم ، وحثهم على الثبات ، وجمع كلمتهم المختلفة تحت اسم الثوار الأتراك بلا تمييز في المذهب أو الجنس ، وحث على الوحدة بين الطوائف التركية في الدولة .

ثم طالب الدول الأوروبية بمساعدته ماليا وعسكريا ومعنويا ، ووضع برنامجا نظريا للجمعية وافق عليه الثوار الا أنصار احمد رضا الذين شق عليهم تدخل الدول الأوروبية . لأن هذا مما يناهى هدفهم المعلن . وكتب زعيمهم في جريدته " مشورت " فصولا عديدة عن ذلك التحرك (٢) .

وعلى اثر ذلك عادت جمعية الاتحاد والترقي في الظهور من جديد في باريس للعمل ، وتألقت لجنتها من جديد للبحث في تفاصيل الاصلاح اللازمة للدولة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليم وغير ذلك من الأمور .

كما أوصى أعضاء الجمعية بنشر الجمعيات والشعب في أنحاء المملكة العثمانية توصلا الى هذه الغاية . فتعددت الجمعيات والشعب في الدولة العثمانية

(١) أرنست رامروز . تركي القدة وتورة ١٩٠٨ م . ص ٩٩ .

محمود مكي . حركة اليقظة العربية . ص ١١٦ .

(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني . ( مجلة الهلال . ج ١ . ص ١٧ . ١٩٠٨ م ) . ص

وخاصة في أواسط آسيا الصغرى .

أما صباح الدين فقد أنشأ صحيفة في سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م سماها "ترقي" لمخاطبة مختلف الطوائف داخل تركيا وخارجها ، وسعى الى التقريب بين العناصر المختلفة في الدولة ، وخاطب الأرمن على وجه الخصوص بكتاب مفتوح حضهم فيه على الوفاق ، وقال لهم : " انكم تطلبون توسط أوروبا في انقاذكم فهنا مطلب الأتراك أيضا ، فمصلحتنا في هذا الشأن مشتركة ، فليسمح لنا في هذا السبيل وأوروبا ترحب بنا ، وتدعم مسيرتنا لأننا نقاوم الظلم والظلال " . وقد أدت خطبة صباح الدين الى جمع كلمة الثوار من الطوائف المختلفة على قاعدة سعيهم الاتحاد بين العناصر والمذاهب والأسمعاته وانسجامها على هدف وعلى هذا المنهج والهدف قامت جمعية صباح الدين والجمعية التي أسسها في ١٩٠٨ وهو إعادة الدستور<sup>(١)</sup> بالتعاون مع جمعية الإثبات والذين أسسوا في ١٩٠٧ وعندما كانت حركة الاتحاد والترقي أو تركيا الفتاة في بدايتها في الدولة العثمانية كان أحمد رضا وصباح الدين يمارسون في عهده تزداد عددا بين فترة وأخرى بالهاربين من الحكم العثماني الى أوروبا المشروطية.

وبينما كان صباح الدين يكسب انتشارا من قبل الأتراك تجذبهم القومية التركية الصريحة التي يدعو اليها الأتراك والترقي ( أكثر مما تجلبهم دعوى عصبة صباح الدين واللاتحادية والتمرد والمبادرة الخاصة<sup>(٢)</sup> .

(١) روجي الخالدي المقدسي ( الاقليات القومية في رتقاء العثمانيين ) ص ٢٦٦ - ٢٧٠

(٢) أرسط أبرامزور : تركيا الفتاة ونهضة ١٩٠٨-١٩١٨ ص ١٣٦

وكان قصر يلدز قد كشف في سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م عن حركات ومؤامرة لاثنين من الأتراك هما سزاني بك والطبيب بهاء الدين شاکر ، فهربا قبل القبض عليهما من اسطنبول الى باريس لماذا؟ لأنهما كانا ينويان احياء جمعية الاتحاد والترقي داخل اسطنبول ، ولذلك اتصلا بأحمد رضا واتفقا معه على أن يعملوا سويا معا ، حيث استمر أحمد رضا في اصدار جريدته " مشورت " بالفرنسية ، فظهرت الى جانبها صحيفة جديدة باسم " شوراي امت " (شوري الأمة ) محررها سزاني بك ، فتوسعت الجمعية ، وازدادت قوتها لدرجة كبيرة فلم يعد الأمر كفاح رجل وعدد قليل ، بل لم يعد أحمد رضا وحده صوت الجمعية الذي يناقش وقد استمرت الصحيفتان تصدران جنبا الى جنب وتصلان الى الدولة والى مراكز الثوار في كل مكان <sup>(١)</sup> . حتى انه في أواخر سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م تم التفاوض بين الجماعتين بعد عقد عدة مؤتمرات لتقارب وجهات النظر بين أحمد رضا رئيس جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العثمانية ( اللامركزية ) تحت رئاسة صباح الدين ، وكانت الأخيرة ليس في باها الا الاطاحة بالحكومة القائمة في تركيا بالقوة . الا أن أحمد رضا كان يستنكر دائما استعمال القوة لتحقيق الغايات التي ينشدها ، ويبدو أنه في النهاية اقتنع بالتضحية بمبادئه من أجل الوحدة ، ولمكانة الأمير صباح الدين تم المزج بين الجمعيتين ، ثم أسهم في البرنامج الذي أقره المؤتمر الثاني في عام ١٩٠٧م وهذا البرنامج يدعو الى تبديل الحكومة في الدولة العثمانية بالقوة اذا اقتضت الضرورة .

وتقرر أيضا أن يطلق على الجمعيتين الاسم المشهور وهو " جمعية الاتحاد والترقي العثمانية " عثمانلي ترقى واتحادى جمعيتي " <sup>(٢)</sup> ليتحدوا يدا واحدة ضد

(١) أرسنت أرامزور : تركيا الفتاة والنورة . ص ١٣٦ .

(٢) روجي الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني (مجلة الهلال ، ج ١، ص ١٧، ١٩٠٨) ص ٢٨ .

السلطان عبدالحميد الثاني حول اعادة المشروطة أو تغيير الحكومة لنشر هذا الدستور . اضافة الى ذلك كانت هناك قوة أخرى تساندهم تتمثل في اليهود الذين انتشروا في كافة أقطار الدولة العثمانية ، وتجنسوا بالجنسيات الأجنبية للاستفادة من الامتيازات الممنوحة للأجانب يتحينون الفرص لمساعدة الجمعيات السرية في البلاد العثمانية . مع أن الدولة سمحت لهم بالدخول الى أراضيها ، وعاملتهم معاملة حسنة . إلا أن هؤلاء اليهود كانوا يتحينون الفرصة للوصول الى فلسطين واحتلالها سواء كان ذلك بالطرق المشروعة أو الملتوية كما سئرى . مع أنهم عاشوا في أرغد عيش في البلاد العربية : في بيروت ، وفي سلانيك ، وفي بلاد السروه ، وفي الأناضول . وكانوا هم السماسرة والأغنياء ، وعاشوا حياة مزفة ومزيفة في الممالك العثمانية واعتبروا الأتراك أكبر أعدائهم وعلمى رأسهم السلطان عبدالحميد<sup>(١)</sup> .

وفي هذا الصدد يذكر لنا مصطفى طوران معاصر هذه الأحداث أن هذا الصدد في ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م عقد مؤتمر للصهيونية العالمية في مدينة زيوريخ بسويسرا، واشترك فيه (٢٠٤) من الأعضاء الصهاينة ، وبعد مناقشة طويلة توصلوا الى قرار حول تأمين وطن لليهود العالم . وتقرر في هذا المؤتمر أن يترك اليهود الوطن في الأرجنتين أو أوغندة . إلا أن تيودور هرتزل أصغر علمى الصهيونية هذا الوطن في فلسطين . فوافقته الأغلبية الساحقة . فآخذ القرار الثاني من هرتزل نجاح هذه القضية ، ولو اقتضت صرف الملايين ، وقد أعطيت الصلاحيات لتيودور هرتزل لقاء تعهده بالوصول الى هذه الغاية<sup>(٢)</sup> .

وكان يهود روسيا في هذه الفترة يهاجرون الى تركيا ، وكانوا يهاجرون الى

(١) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني . ص ١٣-١٤ .

(٢) مصطفى طوران : المرجع السابق . ص ١٥ .



الوصول الى فلسطين هربا من اضطهاد روسيا ومن رومانيا<sup>(١)</sup> . وفي سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م علم تيودور هرتزل أن امبراطور ألمانيا ويليم الثاني وصل الى اسطنبول بدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني فاستغل تيودور هرتزل هذه الفرصة واتجه مسرعا الى اسطنبول لمحاولة الاتصال بالأحزاب هنا ومعرفة خططهم . الا أن زيارة الامبراطور ويليم لاسطنبول كانت قد انتهت وبدأ زيارته للقدس ، فلحقه هرتزل هناك وتمكن بعد أن توسط برئيس الوزراء الألماني (فون بولوف) من مقابلة الامبراطور ويليم حيث طلب مساعدته في تسهيل هجرة يهود العالم الى فلسطين . فرد الامبراطور عليه قائلا : انه يمكنه المساعدة ولكن بشرط عدم المساس بحق حكم السلطان العثماني . فقبل هرتزل ذلك وطلب منه التوسط في مقابلة السلطان . وقد بذل الامبراطور وساطته ، وفعلا عاد هرتزل الى اسطنبول يحدوه الأمل ، ويرافقه قراصو زعيم الأقلية اليهودية التركية والحاخام ليفي موشيه حاخام اليهود بعد أن بذل ويليم امبراطور ألمانيا وساطته ، وتمكن هرتزل من مقابلة السلطان عبدالحميد الثاني في قصره بيلدز بعد أن مهدت سفارة ألمانيا لهذه المقابلة . فقدم هرتزل الى السلطان عبدالحميد الرشوة قائلا : مولانا صاحب الشوكة جلاله السلطان لقد وكلنا عبيدكم اليهود وهم يقبلون التراب الذي تدوسون عليه ويستعطفونكم للهجرة الى فلسطين المقدسة . ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية .

وكان السلطان عبدالحميد على علم بقرار مؤتمرهم في سويسرا وعلى علم بوصول المهاجرين اليهود من روسيا الى الدولة لذا كان يعرف ما يقصد هذا اليهودي من هديته<sup>(٢)</sup> .

(١) F.O.:424/222. Mr.Marling to Sir Eduard Grey.No.(2),3-1-1910.

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني . ص ١٦-١٧ .

وبعد أن استمع السلطان الى هذا العرض بكل هدوء أمر الحرس بطردهم من القصر ، وأصدر على الفور أوامره بمنع هجرة اليهود الى فلسطين ، ووضع كل العقبات في طريقها <sup>(١)</sup> .

لكن اليهود لم يرتدعوا ، فتراهم يعودون مرة ثانية تدفعهم الى ذلك من انقرة الدولة المالية التي كانت تمر بها لعلها تكون المدخل الذي يستطيعون منه التورق موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لهم بالهجرة الى فلسطين ، فحاولوا محاولة أخرى بمقابلة السلطان ، ولما تمت لهم هذه المقابلة عرض هرتزل على السلطان مبلغاً ضخماً تحت شعار تقديم العون للدولة العثمانية ، مقابل السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين ، وما كاد هرتزل ينهي كلامه حتى قال السلطان غاضباً : " لو كنت أعلم أنك جئت اليهود بطلب مني مارفضت اجازات اليهود الى فلسطين لما سمحت لك بالدخول ، واعلم يا هرتزل ان فلسطين جزء من ارض اجدادنا ، والاسلام لا يتباع بالذهب والدراهم ، ولقد حصلنا على كل شبر من ارض اجدادنا ، ولن نفرط بشبر منها قبل أن نبدل كل دماننا دفاً ، وفي سنة ١٢١٠ هـ المقدسة مهما كلفنا الأمر " <sup>(٢)</sup> .

لذلك ناصب هرتزل العداة للسلطان عبد الحميد الثاني ، فاستمر في الوصول الى أهدافهم عن طريق خلع السلطان بالوسائل السياسية الثورية التي فشلت المساعي الصهيونية في انتزاع ارض فلسطين . لذلك نراه في كتابه الماسونية، والماسونية كما سبق الحديث عنها في الفصل الثالث ماهي الا وسائل واجهات الصهيونية . لذلك قررت الماسونية التخلص من السلطان عبد الحميد

(١) 100.174/222. Mr. Marling to Grey, No.:(2),3-1-1910.

(٢) زياد أبو غيمة : جواب مصينة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٤٥-٤٦ .

(٣) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ١٧ .

جمعية الاتحاد والترقي لتبعث فيها الحياة ، وقد أدركت الماسونية أن دور وجههـ  
بضعة أشخاص هاربين من الدولة العثمانية لن يكون مجديا على الاطلاق ، وأن  
الأسلوب المؤثر والفعال هو التسرب بين صفوف الجيش ، واصطياد ضباط من  
الشباب باستخدام كل أنواع المغريات للاخراط في سلك الماسونية . وكان الجيش  
الثالث هو الأنسب لهم فهو بعيد عن مركز الدولة أو في اقليم مضطرب مشحون  
بالفتن والحركات السرية (١) .

وفي الوقت الذي استمر فيه حزب الاتحاد والترقي يزاول نشاطه في باريس  
والصقليين بعد اتحاده مع أحزاب أخرى تشكلت منظمة سرية بين ضباط الجيش  
الثالث في مناسبر وقوصوره وسلايك غايتها اسقاط حكم السلطان عبدالحميد  
وتبني الدستور وعهد المشروعية ، والتمسك بالدولة العثمانية ، وعدم التفريق بين  
المؤمنين في الدين أو العرق ، وتقوية السلطة وجعل الجيش سندا للثورة .

وفي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م قام طلعت بك موزع البريد مع سبعة ممن  
استقانه بتشكيل جمعية للاتحاد والترقي في سلايك ، وعندما سمع أحمد رضا رئيس  
فرع الاتحاد والترقي في باريس بالخبر أرسل الطيب ناظم الى سلايك للاتصال  
بالنظير الجديد وتأييده ، فاتصل هذا الطيب بطلعت بك ، وبعد المشاورات التي  
دارت بينهما تقرر أن يكون للجمعية فرع في باريس أطلق عليه اسم التنظيم  
البارجي لجمعية الاتحاد والترقي (٢) .

ومن هنا نرى أنه في هذه الأثناء سرت شرارة صغيرة من هذه الحركة الى  
الجيش الثالث في مدينة سلايك مركز يهود الدوثة الماسونيين فوجدت مرتعا خصبا  
لها . يقول أحد الاتحاديين : " كان الجيش الثالث يتمتع بنوع من الحرية العسكرية

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني ... ص ٢٨١ .

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٤٩ - ٥٠ .

ذلك لأن تدخل الدول العظمى في أحداث الروملي ساعد على اكتساب هذا الجيش نوعاً من الاستقلال لم تتمتع بها الجيوش الأخرى ، مما عمل على تهيئة تربة جيدة لفكر الحرية لنشاط هؤلاء هناك<sup>(١)</sup> . فأحس المحفل الماسوني في سلانيك بأن طلعت سيكون له مستقبل كبير في الدولة العثمانية ، فاتصلوا به ، وسجلوه في قائمة الماسونيين ورفق طلعت إلى عدة درجات في المحفل الماسوني ، وأصبح يتقاضى منه راتباً شهرياً مقداره عشر ليرات إنجليزية .

وقد كان الرأس المدبر في سلانيك هو عثمانوغل قرا حسن اليهودي ، وقد استطاع أن يتحتضن طلعت ويقربه منه<sup>(٢)</sup> .

ولكن السلطان عبد الحميد الثاني بلغه ما يجري في اسطنبول فاستدعى السلطان سلانيك عن طريق عيونته التي كان يثق بها السلطان في كل ما كان يعرفه بالباطن من أعمال أركان دولته . وفي هذه اللحظة قدم طلعت وأقربه إلى السلطان وأقرب من أعمال التنظيم بجمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول ، فألقى القبض عليه وأمر بإبعاده إلى لجنة خاصة شكلت بقصر يلدز بصورة مستعجلة ، وقد استطاع أن يهرب من اللجنة وينفذ نفسه وينفذ معه طلعت إذ قال : نحن ماسونيون الأكلان ، لا نعلم من أعضاء في جمعية سرية فاقتنعت اللجنة بكلامه<sup>(٣)</sup> .

لهذا نرى أن الجمعيات التي تأسست في داخل اسطنبول في تلك الفترة لم يكن لها أهدافها حسبما خطط لها ، وذلك بسبب صرامة المراقبة من الملاك العثماني والجمعيات ، ولكن اختيار رجال جمعيات الاتحاد والترقي سألزيمان في مقاربتهم مركزاً لنشاطهم يعود إلى أنها كانت أكثر المناطق اتصالاً بالعالم الأوروبي ، وبأنها جانب ضعف قبضة السلطان عبد الحميد نسبيّاً عليها ، الشيء الذي ساعد على

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٢) مصطفى طوران ، أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٤٩-٥٠ .

(٣) مصطفى طوران ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

قوميات البلقان في المنطقة دفع الدولة الى حشد قوات عسكرية بها ، ونظرا  
لاضطراب هذه المنطقة فقد أنشئت ادارة دولية خاصة تحت اشراف خمس دول  
أوروبية<sup>(١)</sup> وهي إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا<sup>(٢)</sup> . لهذا وجد الجيش  
العثماني الثالث نفسه في قلب دائرة التدخل الأجنبي<sup>(٣)</sup> .

ففي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م اتسعت جمعية الاتحاد والترقي وتفاقم  
خطرها خاصة بعد دخول اليهود في عضويتها ودخول يهود الدونمة خاصة  
المستترين ( Grpricjew ) والمقيمين في سلانيك .

وتعتبر هذه المدينة هي المركز الرئيسي لدسانسهم ومؤامراتهم لأن هذه  
المدينة كانت تضم أكبر عدد من اليهود في تركيا ، معظمهم من اليهود الدونمة ،  
ورأى الاتحاديون أن نهاية السلطان باتت وشيكة الوقوع<sup>(٤)</sup> وخاصة عندما علموا  
في سالونيك بأجتماع ( ريشال ) بين نيقولا الثاني قيصر روسيا وادوارد السابع  
ملك بريطانيا في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م فانتابهم المخاوف من احتمال فرض  
تضحيات جديدة على الدولة العثمانية ، وصار أعضاء الاتحاد والترقي يخشون أن  
تتنازل بريطانيا عن معارضتها التقليدية للأطماع الروسية ، وذلك معناه زوال  
الحكم التركي العثماني من أوروبا<sup>(٥)</sup> .

لهذا قرر أعضاء الجمعية البدء بهذه الثورة والقيام بها يوم ذكرى مقتل

(١) ساطع الحصري ، بلاد عربية والدولة العثمانية ، ص ٩٣-٩٤ .

، محمود مسمي ، حركة اليقظة العربية ، ص ١١٧-١١٨ .

(٢) ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٣) محمود مسمي ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٤) حسام علي حلاق ، دور اليهود والقوى الدولية في حلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ،

ص ٥٠ .

(٥) محمود مسمي ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

السلطان عبدالعزيز ، غير أن الظروف حالت دون تنفيذ ذلك فتأجلت من ٥ يونيو ١٩٠٨م الى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٠٨م<sup>(١)</sup> .

ويذكر القائد التركي جواد رفعت اتلخان المعاصر للسلطان عبدالحميد الثاني بعض الدوافع التي عجلت بشورة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فيقول : " ان الصهيونية تريد تجريد السلطان عبدالحميد الثاني من سلطنته وثروته وأملانه انتقاما منه لعدم افساح المجال له للقيام ضدهم ثانية . ويهود الدوثة المرتدون كانوا في سلانيك يريدون ازاحة عبدالحميد من امامهم ليصفي الجور لهم . ووجهة الترقى والتزقي كانت بحاجة الى المال .. "

ويضيف قائلا : " اليهود هم الذين نشروا الفوضى في السلطنة ونظموا القوة المناهضة للحكم العثماني بقصد تعطيل الدولة العثمانية من ايداع اعضاء تركيا الفتاة في الخارج ، ونظموا صفوفهم ، وأهروا حيلهم ، ونظموا عصابات السلافية في البلقان . "

وكان المحفل الماسوني قد شارك في هذه النشاطات التي افرقت السلطنة ، ان هذا كان في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م عندما حصل اليهود في اوروبا لعقد اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي في ميونخ ، ويهتفون بالارهاب في هذه الجمعية من الماسونيين<sup>(٢)</sup> .

وعلى أية حال فانه لما بلغ السلطان العثماني اكبر السن والضعف والموظفين في جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك اخاء يستغلهم في ارضائهم بحجة النقل والترقية ، فخاف سائر الأعضاء من العثلي كما استغلوا

(١) حسان علي حلاق . دور اليهود والقوى السوفيتية في حياج السلطان عبدالعزيز . ص ٥٠ .

(٢) حسان علي حلاق . المرحع السابق . نقلا عن جواد رفعت اتلخان . الخطر الاسلامي في المشرق . ص ١٥١-١٥٢ .

## على القيام بالثورة ( ١ ) .

فانفجر الموقف بالشرارة الأولى من سلانيك مقر قيادة الجيش الثالث وحدث أن اغتيل قائد الجيش الأول ، وكانت هذه الحادثة سببا في اضطراب الدولة فقام القائد نيازي بك بالسيطرة على مركز البريد في ( رسنة ) ، وأرسل من هناك برقية الى السلطان عبد الحميد يخبره فيها بأنه سيعلم الثورة والدستور ويطلبه بقبول ذلك دون قيد أو شرط والا فالمسئولية الكاملة تقع عليه . وكان نيازي يعتمد على الجيش الثاني والثالث المعسكر في سلانيك ومناسر وعلى الفيلق الرابع في ارضروم<sup>(١)</sup> .

فمظم طلب هذا الاصلاح على السلطان عبد الحميد ، فأمر فرقة كانت تنهب على الحدود للدفاع عن الدولة باخماد هذه الثورة فما كان من هذه الفرقة إلا أن انضمت هي الأخرى الى الثوار مطالبة بالدستور<sup>(٢)</sup> . وكان الألبان يعاضدون هذه الثورة ، فأخذت البرقيات تنهال على السلطان من جميع فرق الجيش مطالبة باعادة الدستور<sup>(٣)</sup> . فخشي السلطان من تفاقم الأزمة ورآى أن من الحكمة أن يمنح الجمعية مطالبها حقنا للدماء ، وأعلن قبول الدستور في سنة ١٢٩٦هـ / ١٩٠٨م<sup>(٤)</sup> .

ولما تمرد الجيش الثالث في مقدونيا وخاصة في ولاية سلانيك وأعلن أحمد

(١) مصطفى طوزان : أسرار الانقلاب العثماني . ص ٥٢ .

(٢) زوحى الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني ( مجلة الهلال . ج ١ . ص ١٧ . ١٩٠٨م ) . ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) زوحى الخالدي المقدسي : المصدر السابق . ص ٣٠ .

عبدى حمادة : تاريخ الغرب والشرق . ص ٢٩ .

(٤) عبدى حمادة : المرجع السابق . ص ٣٥ .

(٥) زوحى الخالدي المقدسي : المصدر السابق . ص ٣١ .

نيازي الثورة وهدد بالتقدم نحو العاصمة اسطنبول (١) اذا لم يعلن الدستور أمر السلطان عبد الحميد الثاني باستدعاء أنور و نيازي أبرز زعماء هذه الحركة إلى اسطنبول . فلما تجاهل الاثنان هذا الأمر أمر السلطان بإرسال الجنود لقمع الثورة لاجتثاث هذه الثورة . ولكن جنود الأناضول وهم جنود الأسيرونيون لم يوافقوا على إطلاق النار على اخوانهم وزاد في حيرته أن القوات كلها انضمت إلى الثورة " الثورة والمساواة والتقدم " بدلا من قتل مرده في هذا النداء . فقام السلطان

أن يعقد مجلس الدولة في ٢٣ من يولييه سنة ١٣٠٥ هـ . في ١٤ من اكتوبر سنة ١٩١٤ م فاجتمع بالورراء ودام هذا الاجتماع من الصباح الباكر إلى المساء في ١٥ من الشهر

الذمينة ليلا تمام بالتوقيف الفوري . وجرى في المجلس مناقشة في ١٦ من الشهر انقسم فيه المجلس إلى فرقتين : فرقة تقيد قبول الثورة والفرقة التي

رضد برشد . والأخرى ضمت علي رفقة رؤسائها . وقررت ان تطلب من السلطان مطالب بالتمكين بهؤلاء المتمردين على الاماكن التي هم فيها

تحتفظ وتتوالت لضرب الفئة الأخرى . ويقول السلطان في هذا الصدد ان

المؤامرات السياسية الإنجليزية وهي التي اقروا عليها في الدستور . واتظاهر باتباع الانجليز . فهذا ثورة الطريز امير

وغدا سيفهم المعجبون بأفكارهم الثورية إلى أي الظلم الذي كانوا الافكار .

أمل أن يتحد جميع العثمانيون ولو في الأمر الخطأ . والسير على هدي دستورهم المقدس ( القرآن الكريم )

(١) توتسكي تاريخ الاقطر العربية . ص ٤٩٦ - ٤٩٧  
 (٢) الدوتل عبد الحميد ظل الله على الأرض . ترجمة راسم . تسمى . مطبعة دار الفكر ١٩٧٧  
 (٣) مصطفى طوران . أسرار الانقلاب العثماني . ص ٥٤ - ٥٥



والألمعير الأسود ينتظرنا حين تتأهب الدول النصرانية لتمزيق أشلائنا وتقاسم  
الممالك العثمانية فيما بعد" (١) .

لذلك تأخرت الصحف في موعدها، فبدأ الناس يقلقون ، يريدون أخبار  
هذا الاجتماع ، ويسألون عن أسباب تأخير الصحف ؟ ومن هو السبب في  
تأخيرها؟ ولماذا لا تصدر كعادتها ؟ في حين أن الثورة قد أعلنت في مناسر وسلايك  
وقوصوه في ولايات مقدونيا ، وأطلقت المدافع في كل مكان لهذا الحدث .

وبعد تأخر الجراند عدة ساعات عن موعدها الرسمي صدرت معلنة أن  
الملك سيكون مقيدا في كافة أقطار وممالك الدولة العثمانية وأن الأمر السلطاني  
سيصدر بهذا الشأن ، وبعد بضع ساعات سمعت أصوات المدافع حول اسطنبول .  
لذلك تهاق القساوسة بالمشايخ واليهود والنصارى بالمسلمين وأعلنت الثورة  
بشعاراتها الثلاثة : الحرية - العدالة - المساواة " وزاد عليها "الأخوة" في  
١٧١٩/٢٩/١٣٢٧هـ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨م .

وتلى ذلك ان استقبلت اسطنبول جمعية الاتحاد والترقي (٢) .

وكانت طريقة عبدالحميد في قبول الدستور تكشف عن مواهبه كسياسي  
قد . فقد أعلن عن استعداده ليرأس جمعية الاتحاد والترقي ، ولكنه أقنع بقبول  
العضوية العادية عندما أشار عليه أعضاء اللجنة المركزية للحزب بأن الأعضاء  
كلهم متساوون ، بل ذهب أكبر من ذلك فقد شكر رجال تركيا الفتاة ، لأنهم  
"فتحوا عينه" على أن الوقت قد نضج ، وتبرع بنصف مليون جنيه من جيبه الخاص  
لصندوق الجمعية ، ووهب لهم أحد قصوره ليكون مقرا للبرلمان القادم . واستطاع

(١) السلطان عبدالحميد الثاني : مذكراتي السياسية ، ص ١٠٧ .

(٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٥٤ .

السلطان بخبرته أن يمتص حماس الشباب ويحولها الى أوربا (١) .  
 وفي هذا الصدد يقول السلطان عبدالحميد : " ان الأتراك يقومون في اليوم  
 فاعلان الدستور ، وتشكيل حكومة نيابية في بلادنا يعني حدوث الفوضى والاضطراب  
 الناس الى شيع وأحزاب يقاتل بعضهم بعضا . ويؤدي بالدولة العثمانية الى الخراب  
 وتعاطف الانجليز مع الأتراك الشباب يلفت انتباهنا فهم يشجعون هؤلاء الشباب  
 على المطالبة باعلان الدستور ، ويرفضونه لأنفسهم في الهند المستعمرة من قبل  
 الانكليز ، مع أن أوضاع الهند تشبه أوضاع بلادنا حيث نعيش في  
 متجانسة من المسلمين والنصارى والبوذيين والبراهمة ومن الضعفاء منهم من  
 واحد (٢) .

وفي يوم ٢ من جمادى الثانية سنة ١٢٩٦هـ الموافق ١٩٠٨م صدر السلطان مرسوما  
 سلطانيا بعد مجلس الأعيان في ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م ، وعهد وزير الداخلية  
 القانون الأساسي في سنة ١٢٩٣هـ ، ١٨٧٦م ، وعهد وزير الداخلية  
 من سعيد باشا للصدارة ، وعمر رشدي للمحررين ، أما بقية المناصب  
 مناصبهم (٣) .

وقد افتتح السلطان مجلس المبعوثين في ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٢٩٦هـ  
 الموافق ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٠٨م في سراي طوله بغيره بمسجد السلطان  
 تفضل السلطان بالنطق الآتي :  
 "الأعيان المبعوثين ..

في وقت جلوسي فقد وضعت القانون الأساسي لتركيا الحاضرة  
 مشكلات في هذا الزمان ، وبناء على اللزوم الذي ظهر من أوضاعنا

(١) الماوتلن : عبدالحميد ظل الله على الأرض ، ص ١٨٨ .

(٢) السلطان عبدالحميد الثاني : مذكراتي السياسية ، ص ١٠٥ .

(٣) يوسف اصاف : تاريخ سلاطين ال عثمان ، ص ١٦٩ .

فقد أصبح تعطيل مجلس المبعوثين مؤقتا ، وقد أصبح تأخير توجيه وغرض القانون المذكور حتى قابلية الأهالي للدرجة المطلوبة بترقية المعارف في مملكتي السلطانية . وقد أصبح الاهتمام بترقية المعارف بتأسيس المكاتب في كل طرف في الممالك السلطانية بالتعليم وبالحث على تكرار اجتماع مجلس المبعوثين ، ليكن الشكر . فقد علت الاستعدادات لتسوية صفوف أهاليينا في ظل انتشار المعارف للحصول على هذا المقصد .

وقد أردت الدعوة لاجتماع مجلس المبعوثين باجراء انتخابات جديدة وأعلنت عملي رأسها القانون الأساسي بلا تردد رغما عن الموجودين للمطالبة ومخالفة رأيهم من اطمئنانني لما حدث بموجب سعادة الحال والمستقبل حصول دولتي ومملكتي هذه الرغبة ...<sup>(١)</sup> .

وبعد فترة من اعادة المشروطة الثانية حدثت محاولة ثورة مضادة في استنبول للقضاء على ثورة ١٩٠٨م اتهم فيها السلطان عبد الحميد الثاني . ولكن جيش مقدونيا بقيادة شوكت باشا زحف على العاصمة وضرب الحصار على قصر السلطان بيلدز ، بعد أن خلص الدولة من هذه الثورة وعقد المجلسان مجلس النواب ومجلس الأعيان جلسة صوت فيها أعضاؤه على خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتسليم العرش الى أخيه محمد رشاد الذي أصبح يلقب بالسلطان محمد الخامس . وبلغ السلطان عبد الحميد بقرار الخلع عن طريق وفد يضم اليهودي قراصو . ثم نفي السلطان الى سلانيك ترافقه حاشيته ، وسجنوا

(١)

Osmanli Arsivi Yildiz :Esas ,Evrak Zarf. No.:314.

، Faik resit Unot:ikinci Mascutiyyetin ilani va

otuzbir Mart Hadisesi, II. Abdu Lhamid in son Mabeyn

Baskatibi Ali Cevat Bey in Fezlekesi, (Turk Tarih Kurumu,

Ankara , 1985), 5. 28-29.

جميعاً في فلا الاتينت ( Alatini ) ضاحية من ضواحي سلاتيك نفسها (١) وسيأتي  
تفصيل ذلك في الفصل التالي حول مقاومة الحزب الاسلامي للمشروطة الثانية  
داخل الدولة والولايات الأخرى ان شاء الله تعالى .

...

---

(١) رين نور الدين زين - الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان - ص ٥٥ .



## الفصل الخامس

### مواجهة الغزو الفكري في الدولة الإسلامية

أ- مقاومة الشرطية الخارجية في الدولة الإسلامية

الأخرى .

ب - دعوة التوحيد والاحمدية

١- أمييننا في مواجهة الفكر

٢- استمرارها في أديانها

٣- تقديم نموذج للدولة الإسلامية

٤- صد التدهور عن التوحيد

ج - تأثير حركات الإصلاح في الدولة الإسلامية



## أ - مقاومة المشروطية الثانية في تركيا والولايات العثمانية الأخرى :

أشرنا فيما سبق الى كيفية إعادة المشروطية الثانية ، ولكن عندما انتخب البرلمان الجديد كان فيه حزب الأحرار الذي يدعو الى "اللامركزية" وكان يشهد هذا الحزب الأمير صباح الدين بن محمود باشا صهر السلطان عبدالمجيد الثاني . كان عدد من زعمائه من المسيحيين الذين سمح لهم بدخول البرلمان ، وكانوا على رأسهم ذلك قام حزب الاتحاد الاسلامي الذي كان يترى في المشروطية شروطا لعودة الشريعة الاسلامية (١) .

وكان قيام حزب الاتحاد الاسلامي من أخطر الصدمات التي أصابت النظام العهد الجديد او رجال المشروطية ، فلقد قام هذا الحزب في ١٢ مارس ١٩٠٨ في الأحرار ودعاة المشروطية . وفي ٣١ مارس ١٩٠٨ في الأحرار ودعاة المشروطية . وفي ٣١ مارس ١٩٠٨ في عاصمة المولد ، وأول اجتماع له في التاسع (٢) .

هذه الثورة المضادة ، ظهرت ، المقاومة التي كانت في الأحرار ودعاة المشروطية ، وتزعم هذه الانتفاضة دعاة الجهادية الذين كانوا في خطر ، وطالبوا بعودة أحكامها خاصة في الأحرار ودعاة المشروطية . وفي الوقت نفسه قام مجموعة من الجهاديين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس العسكرية ذات الطابع الإسلامي في هذا التمرد الى سخط قام به الجنود العاديون في ١٣ مارس ١٩٠٨ .

(١) محمد عبداللطيف البحراني : التاريخ المعاصر وعلاقتهم بالثورة العثمانية ، ص ٨٣ .

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .



الموافقة لسنة ١٣٢٧ هـ . ولم يشترك في هذا التمرد سوى عدد قليل من الضباط<sup>(١)</sup> .  
وهتفوا : نريد الشريعة ، فأرسل السلطان اليهم رئيس كتابه حال سماعه النبا  
ليخبرهم بأن الشريعة بخير وأنه لا أحد يستطيع أن يمسه بسوء<sup>(٢)</sup> . ولكن  
هؤلاء الجنود هاجموا مجلس المبعوثين والباب العالي ، وطالبوا باسقاط الحكومة التي  
أقامتها لجنة الاتحاد والترقي ، وفض مجلس المبعوثين ، والغاء الدستور ( المشروطة )  
والإعلان سيادة الشريعة الإسلامية<sup>(٣)</sup> ، وتغيير الصدر الأعظم حسين حلمي باشا  
وزعيم الحربة علي رضا باشا ، وقائد الفرقة الأولى محمود مختار باشا ، ورئيس  
مجلس المبعوثين أحمد رضا ، ونفي الاتحاديين من البلد ، وإعادة ضباط ( الأيلي )<sup>(٤)</sup> إلى  
الخدمة العسكرية ، والعفو عن جميع المشتركين في هذا التحرك لأنهم لا يقصدون  
سوءاً ، إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يبحثون عن رئيس مجلس المبعوثان أحمد رضا  
بات وعين الصحفي حسين ياجين لشيوع عداوتهما للإسلام . غير أنهم لم يعثروا  
عليهما ، فقتل شرباً ، واختفيا عن الأنظار ، ولكن الجنود قتلوا وزير العدل ناظم  
باشا ، منيهم أنه هو أحمد رضا ، كما ألحقوا به نائب وفد اللاذقية بحسبونه أنه  
الصحفي الهادي للإسلام حسين ياجين ، كما قتلوا عدداً من الجنود من حريجي

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التريخ العثماني ، ص ٢٧٢ .

، ساطع الخصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٧ .

(٢) أوزجان محمد ، علي السلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٣٢٢ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

، ساطع الخصري : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) كان الضباط في الدولة العثمانية على نوعين : الضباط من حريجي الكلية الحربية ويطلق عليهم

"مكتلي" أي حريجي المدارس ، والضباط الذين تدرجوا في الرتب العسكرية بطول الممارسة أو  
دخولهم من رتبة حدي حتى رتبة الضباط ( الأيلي ) . وقد بدأ الاتحاديون بإخراج هؤلاء من الجيش  
وإحالتهم إلى التقاعد ، وقد تدمر في الجيش تكررة عدد هؤلاء الضباط ، وكان أحد أسباب هذا  
التمرد .

- أوزجان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ خاضية رقم (٣٧٥) .

الكلية والمعهد الخربية . فلقد كان المتوردون يستوفون الضابطا ويسألونه هل أنت ضابط متخرج من المدارس أم ضابط خدمة ر الأباسي ، لا فذا لا يزال الجواب انه من خريجي الكلية قتلوه

وكان زعيم هذه الثورة يسمى درويش وعسكسي ، المسمى الحسيني الذي كان زعيم عليه ، وادنى شأن التسروعية بخليفة للشريعة الإسلامية . وكان المسمى عبد الحميد الذي كان زعيم هذه الثورة . وأن الخليفة قد تم تحريك الضابط بالكلية فلو علم المسمى بالمشي بعدة مقومات الأسماء في الخليلات التي كانت في ذلك الوقت ولتهدئة الأحوال التي كانت تسببها من قبل الضابطين في ذلك الوقت وتطبيق ما تم كسبه من خبرات في ريادة المظاهرات الثورية التي كانت تجري في ذلك الوقت ورغبة في النهاء حركة تصورية في تلك الفترة

وهو تقتصر حركة التمرد على مستعمرة بغداد في ذلك الوقت في الولايات العثمانية ، وخاصة في الأقاليم التي كانت تابعة لها . وفيها بالاشتراك مع عدد من الأرمين والأشراك المراتب التي كانت موجودة في هذه الحركة أيضا التي تشمل التمدد في هذه الحركة في الولايات المذكورة في سنة ١٩٠٩

الإسلامية من المسمورات في ١٥ من أبريل سنة ١٩٠٩ في بغداد . والى المسؤولين العثمانيين يطلبون منهم المحافظة على أصول الشريعة

- ١ - مدغ حضري بلاد عربية ودولة عثمانية ، ص ٩٧
- ٢ - أورجان محمد علي سلطان عبد الحميد ثانيا ، ص ٢٢٣
- ٣ - مدغ حضري مرجع مدغ ، ص ٩٧
- ٤ - أورجان محمد علي مرجع مدغ ، ص ٢٢٣
- ٥ - حمد عبد رحيم مصطفى في أصول تاريخ حضري ص ١١٢ - ١١٣
- ٦ - حمد عزيز مندوي دولة عثمانية دولة إسلامية الحضري عبد رحيم ص ١١٣ - ١١٤
- ٧ - حمد عزيز مندوي مرجع مدغ ، ص ١١٣ - ١١٤

وعلى الرغم من سيطرة دعاة الجامعة الإسلامية على العاصمة فلم يكن لهم برنامج سياسي<sup>(١)</sup> أو هدف واضح إلا إلغاء هذه المشروطية ، ونفي أصحابها ، وعودة السلطان الى ادارة دفة الحكم بصلابة وحكمة دون تدخل من الدستوريين . وما كان من السلطان عبدالحميد الا أن استجاب لرغباتهم معلنا الغاء المشروطية ، وألف حكومة جديدة لتنفيذ ذلك . وبما أنه كانت المدافع قد أطلقت اعوام وعشرين طلقة عند إعلان المشروطية فإن معارضي المشروطية طلبوا من السلطان أن يتم الاحتفال بإعلان الشريعة وإلغاء المشروطية باطلاق مائة طلقة . ثم انطلقت أفواج الجيش تطوف بشوارع المدينة الرئيسية والجنود يطلقون رصاصا ينادقهم ابتهاجا بالنصر الذي أحرزوه ويهتفون بأصواتهم " باشاسون شريعة محمدية" ويعني ذلك " فلتعش الشريعة الإسلامية " <sup>(٢)</sup> . يتزعم ذلك أئمة المساجد وفريق من علماء الدين الإسلامي والدرأويش وطلبة المعاهد الدينية وضباط الجيش ( الأيلى ) - وهم الضباط الذين نشأوا وتقدموا من بين صفوف الجنود - بناء على الأقدمية وخدماتهم العسكرية حتى وصلوا الى رتبة ملازم دون دراسة في المدارس العسكرية <sup>(٣)</sup> .

هذه الثورة ضد أنصار المشروطية والدستور ساندتها الجيش المحتشد في العاصمة ، أما الجيوش في الولايات البلقانية في مقدونيا ( مناستر ، وقوصوه ، وسلانيك ) وخاصة سلانيك التي مهدت للمشروطية الثانية فقد كانت على ولانها لما يسمى بالعهد الجديد او الدستور المتأثر بالنظم الأوربية ، ولذلك بادرت هذه الجيوش الموالية للنظام الدستوري بالزحف على العاصمة بقيادة محمود

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٧٣ .

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٨ .

(٣) عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ص ١٠٠٦ .

شوكت من سلانيك، وهذا الجيش عرف باسم "جيش الحركة" حركة  
أوردوسو (1) ، وذلك لتسكين الفلاح وتأييد الدستور وثبوتها في اسطنبول ،  
فحاصروا الدارين على المشروعية ، واحتلوا مواقعهم في ٢٣ من ابريل ١٩٠٩ هـ  
موافقة ١٣٢٧ هـ.

وفي يوم السبت ٢٤ من ابريل سنة ١٩٠٩ هـ الموافقة لسنة ١٣٢٧ هـ ،  
ستيفظ لندس على ذوي المدافع من جهة يندرا إلى السلطان كمد يؤخذون الحصار  
على المقومة ، فحاصروا السراي ، وبعد ذلك ارسل قائد الاحتلال محمد بك وشوكت  
إلى جواد بك قائد جنود يندس السراي بالامتنان ، فاستسلم جواد بك وشوكت  
بعض الجنود بداخل السراي ، فقبضوا على الامير الفوج بسيفه ويزن الامير فقتلوا  
معركة حامية الوطيس تمكن بعدهم النصر المشروعية فوثقوا من المظالم التي

أمر السلطان فقد سمع وعظم سخطه بأمره ونقل إلى السراي

المصير المحتوم.

عند ذلك أعلن محمود شوكت المشروعية الثانية ، وقررت  
في اسطنبول ، وطلب من مجلس النواب الاحتجاج ، فقامت  
ستيفانو إحدى ضواحي اسطنبول لتقرير مصير السلطان  
وقد اتهم دعاة المشروعية السلطان عبد الحميد الثاني

المضادة ، وان كان يحتمل ذلك ، فان دوره لا يتعدى مساهمة  
له أنها قوية بحيث تمكنه من استعادة سلطته المطلقة

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٨

، أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني

، عبدالعزيز الشادي : الدولة العثمانية دولة من امية سافري فليبي ، ص ١٧١

(٢) يوسف أصف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ج ٢ ، ص ١٧٠-١٧١

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣

المبعوثين اختفي في ٣١ من مارس سنة ١٩٠٩م / ١٣٢٧هـ وقد بقي القليل من أعضائه مختبئين في اسطنبول ، أما معظمهم ففر الى الولايات الثلاث المذكورة للاحتماء بها (١) .

ماذا يريد هؤلاء الأحرار أو الأشرار - ان صح هذا التعبير - من السلطان عبدالحميد أن يعمل والناس تطلب منه الغاء المشروعية والدستور ؟ وهذا مطلب قيم يجب على كل مسلم غير على الإسلام أن يسانده ، ذلك لأن المشروعية أريد بها هذه الشريعة الإسلامية والإسلام ، ومعروف أن السلطان عبدالحميد الثاني رجل مسلم ، تنازل لجمعية الاتحاد والترقي على مضض وهو يعرف من كان يساندهم وهم الأنجليز . وقد سبق أن صرح بذلك أكثر من مرة . كما أنه من الواضح أن الأنجليز يريدون من خلال هذه المشروعية هدم الشريعة الإسلامية واحلال القانون الوضعي عوضا عنها . وبالتالي هدم الدولة الإسلامية بتمكين حزب الاتحاد والترقي الذي تربي أعضاؤه في أحضان الماسونية في سلانيك ، ونحن نعرف ارتباط الماسونية بالصهيونية لأنهما وجهان لعملة واحدة ، وكلاهما يسعى لإنجاد وطن قومي لليهود في فلسطين . ومن أجل ذلك خططت هذه الفئة الباغية لخلع السلطان عبدالحميد الذي وقف حجر عثرة أمام آماهم ورفض جميع عروضهم المالية المغربية . ورأوا أنه في سبيل تحقيق أهدافهم ومخططاتهم لا بد من تسليم زمام السلطة في الدولة للفئة التي قاموا بترتيبها وتدريبها على العمل على معاداة الشريعة الإسلامية . وقد تحققت ظنون السلطان بذلك عندما استلمت هذه الفئة الباغية الحكم من بعده . وعملوا على تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين دون قيد أو شرط .

وهذا ما أثبتتها الوثائق والتقارير البريطانية ، وقد أحدثت هذه التحركات

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص ٩٩ .

في الدولة العثمانية تغييرا ملانما للتوقعات ، فقد كثرت المستوطنات اليهودية في فلسطين أكثر من ذي قبل . وقد كان للدور الذي قام به اليهود وخاصة اليهود الأتراك ( الدومنه ) في سلانيك في الثورة الحديثة أثرٌ مميّزٌ مما أعطاهم الفرصة في الحصول على تأثير خاص في المجالس النيابية التركية .

وقد كان السلطان عبد الحميد معارضا لمثل هذه المقترحات وخاصة ما يتعلق منها في إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين ، وقد أصر هو نفسه على أن استياء اليهود وخاصة اليهود الأتراك الذين كان معظمهم من دعاة التشريع وأعداء الشريعة الإسلامية ومن يملكون شعورا قويا بالانتماء إلى الوطن الإسلامي يعتبرون من أصحاب الاستثمارات الكبيرة في منطقة بلاد الشام . وقد ساءلوا الثورة ضدهم قاموا بتقليل مساعداتهم المادية لتركيا ، وقد ساءلوا السلطان وعلى رأسهم قراصو الاطحة بحكم السلطان عبد الحميد ، وقد ساءلوا أعضاء الوفد الذي قام بتبليغ السلطان قرار الخلع عند سائسهم ، وهناك نود أن نقول ما هو رأي بعض المؤرخين الذين كتبوا تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني بعد اعلانه الدستور

الدستوريين أنه أصبح دستوريا أكثر منهم . وأنواع ذلك سيرا على نهجهم تأليف جمعية باسم " الجمعية الإسلامية " على مبدأ الشريعة الإسلامية التي تولى على الدخول فيها . وفي مدة وجيزة انتشرت في جميع الولايات العثمانية وأول أعمالها يوم ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٢٧ هـ ( ١٩٠٩ م ) حيث تجمع عدد كبير من عليّة الناس يطالبون باعادة الشريعة الإسلامية في جميع الولايات العثمانية .

(١) F.O. 243/222, Mr. Marting to Sir Eduard Grey, No.: (2), 3-1-1910.

## الاتحاديين (١)

والآن نعود الى اجتماع المبعوثين مع أعضاء مجلس الأعيان في سان ستيفانو حيث عقدوا جلسة رسمية قرروا فيها خلع السلطان عبدالحميد ، بعد أن استصدروا فتوى الخلع ، في يوم الثلاثاء ٢٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ٢٧ من ابريل سنة ١٩٠٩ م واجلاس ولي العهد محمد رشاد على العرش باسم السلطان محمد الخامس . وكان هذا السلطان في الرابعة والستين من عمره يستجيب لما يؤمر به (٢)

أما كيف تم إبلاغ السلطان عبدالحميد الثاني بقرار مجلس النواب ؟ فقد اختار النواب هذه المهمة وفدا لن ينسأه المسلمون ولن ينسأه التاريخ أبدا ، لأنه وقد يندي لذكره الجبين . لقد ضم الوفد : ارم افندي ، وعمانونيل قرا صو المذكر اليهودي ونائب سلانيك والعدو الأول للاسلام ورفيق درب هرتزل . ومدير المكابد للقضاء على الدولة العثمانية ، وأسعد طوبطاني الأرثووطني . وعارف حكمت باشا . قدم هذا الوفد الى السلطان فوجدوه واقفا فلما قرأ عارف حكمت الفتوى التي أصدرها شيخ الاسلام ضياء الدين أفندي أجاب السلطان جواب المؤمن : " ذلك تقدير العزيز العليم " . وأعقب ذلك أسعد طوبطاني قانلا : لقد عزلتكم الأمة ، فغضب عبدالحميد وقال : تقصد أن الأمة خلعتني ، لا بأس ، ولكن لماذا جنتم بهذا اليهودي الى مقام الخلافة ؟ (٣) ويعنى السلطان بهذا القول قرا صو .

(١) يوسف اصف تاريخ سلاطين ال عثمان ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

ساطع الخصري : البلاد العربية والدولة العتمية ، ص ٩٧ .

عبيد حمدة : تاريخ الغرب والشرق ، ص ٣٦٠ .

وعبر هؤلاء من المؤرخين كثيرون قد طرقوا هذا المسج .

(٢) ساطع الخصري : المرجع السابق ، ص ٩٩ . يوسف اصف : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٣) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٩٩-١٠٠ .

ولهذا يذكر المؤرخ التركي أورخان محمد علي قول السلطان عبد الحميد  
 حيث يقول : " ان أشد ما آلتني هو تبليغي قسوار الخلع من قبال خانات اليهود  
 الماسوي ، فانا لا أستطيع نسيان " عثمانونيل قبرا صمو " من بين رؤساء اليهود  
 (النواب) الذين جاءوا الى بلدز . لقد كان هذا اهانة لانهم الاشد بؤسا من  
 ملدي الحقد الذي يكنه اليهودي الاسلام منذ زمن الروم والبيزنطيين  
 وسلم<sup>(١)</sup>

ويضيف السلطان فيقول : " وعندما كنت على فراشي في ليلة  
 أحد الأيام "تيودور هرتزل" مؤسس المنظمة العنصرية من بين الخانات  
 أجل غاية صهيونية ... فكان طلبهم هو وطن لليهود في فلسطين  
 لذلك ، حتى أن تيودور هرتزل قال بلاشعير ان " اليهوديين  
 مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها منذ آسرة الفيلسوف  
 صرخت بهم قائلا : اخرجوا من هنا ... ان الزمان قد  
 الوقت ناصبي اليهود العدا ... وكل ما أحتاجه منكم  
 اعطاني وطنا لليهود<sup>(٢)</sup> "

والى الشئ نفسه يشير السلطان في كتابه "الملك  
 شيخه محمود أفندي أبي الشامات في منة بلادك" في  
 والتسليم والتحية لشيخه ماياي :

(... أعرض لرشادتكم والى امثالكم أمجادكم ...  
 المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ ...  
 لسبب ما ، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء القسرة ...

(١) محمد حرب عبد الحميد ، السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٨٨-٢٨٩

(٢) محمد حرب عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ٢٨٨-٢٨٩



ترك ) وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة الإسلامية .

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصرروا وأصروا علي بأن أصادق علي تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ( فلسطين ) ورغم اصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، واخيرا وعدوا بتقديم ( ١٥٠ ) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا وأجبتهم بالجواب القطعي التالي : ( انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فضلا عن ( ١٥٠ ) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين أباني وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا . وبعد جوابي القطعي اتفقوا علي خلعي وأبلغوني انهم سيبدونني الي سلاطنتك فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة " فلسطين " وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فاني أكرر الحمد والثناء علي الله تعالى ، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع ، المهم وبه اختتم رسالتي هذه . أتم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تفضلوا بقبول احترامي وسلامي الي جميع الاخوان والأصدقاء .

يا أستاذي المعظم . لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني هذه الاطالة أن نحيط سماحتكم علما ونحيط جماعتكم بذلك أيضا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢٢ ايلول ١٣٢٩ هـ

خادم المسلمين : عبد الحميد عبد المجيد (١)

(١) أوزجان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ . عبد الكريم مشهدي :

العلمانية واترها علي الأوصاف الإسلامية في تركيا . ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

وهكذا بعد أن أزيح السلطان عن سدة الحكم أرسل في ١٧٠٧ هـ / ١٧٢٧ م الموافق ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٩ م مع نسائه وأولاده : عبدالرحيم ، وعبدالله ، وعقابته وبناته : شادية ، وعائشة ، ورافعة ، وبعض الخدم إلى سلانك ، ووضع في حراسة الاتيني الصيفي كند سبق ، تحت حراسة فدائيني الأتعداد والمترقي ، أثناء الحرب حرب السلطان جرى نقله مع حاشيته إلى قصر بكتريونكي في اسطنبول ، ثم إلى عديقه القديسه الأمبراطور ويليم الثاني ، وقبض أثناء مساره القصر في ١٩٠٩ م ، القصر

وإن هو جدير بالذكر أن السمانان قصر بكتريونكي في اسطنبول الذي ذكره المؤلف ذكره ، وقد أكد السلطان في مذكراته أنه لم يكن في القصر بكتريونكي تصدد يقول : "أريد أن يكون معجزة جريدة التي كان في القصر بكتريونكي ولا من قريب بالأحداث التي تمجرت في القصر بكتريونكي في ١٩٠٩ م ، هؤلاء الذين كانوا سبب في هذه الحوادث ، وتحريرهم من القصر بكتريونكي وفعلاً لقد ثبتت من التحريات التي أجريت في القصر بكتريونكي ، ثم دبرت بمساعدة يد أجنبية ، فقد تبين في تلك الحوادث ، ولأنه للإنجليز النسخ الأصلية لكل القوائم والبيانات التي كانت في جريدة البركان السرية ، وقد سلمت هذه النسخة إلى القصر بكتريونكي ، العرفية ولكنهم سكتوا عن هذا الموضوع ، ولم يردوا على هذا الموضوع المشورات بكلمة واحدة ، فثبت مما لا يخفى القصة التي ذكرها المؤلف

١ - مصطفى محمود - أسرار الانقلاب المصري - ص ١٠١

٢ - محمد حرب عبد الحميد - مذكرات السلطان عبد الحميد - ص ١٠٢

الانجليزية وراء هذه المؤامرة<sup>(١)</sup> .

ونتيجة لذلك فقد خلا الجو لرجال الاتحاد والترقي وحولوا جمعيتهم من منظمة سرية الى حزب سياسي علني في شهر ابريل سنة ١٩٠٩م الموافق سنة ١٣٢٧هـ . وذلك في بيان اذاعته الجمعية في الصحف . وانفردوا بالحكم اذ سمح لهم السلطان محمد الخامس ان يحكموا البلاد باسمه<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

فريدنا في الفصل الثاني جهود المستشرقين والمنصرين في المدارس والجمعيات والمؤسسات العلمية والخيرية للسعي الى زعزعة عقيدة المسلمين المذاهب التي تمهيدا لثورة فلوله النافذة بأساليبهم المختلفة لقبول النفوذ الغربي تمهيدا لتدمير الأوربي .

وقبل ان نعرض لافعالنا الى حقيقة حيث إنه مهما تشعبت هذه المؤسسات وهي بالذات من انحاء وشعارات فانها تلتقي أهدافها عند غاية واحدة هي السيطرة الثقافية والدينية والسياسية الغربية على المشرق العربي الاسلامي . وقد اتضح لأمر حجب هذه المؤسسات أن المسلمين كانوا أصلب عودا في تقبل النفوذ الأجنبي . فراحوا يوجهون جهودهم للاستعانة بغير المسلمين من المستشرقين في البلاد العربية<sup>(٣)</sup> مع الاهتمام والتركيز الخاص على المسلمين ، فنجحوا في استمالتهم عن طريق المدارس والمستشفيات والمؤسسات الخيرية ، التي مهدت لبسط النفوذ

(١) مصطفى طوزان . أسرار الانقلاب العثماني ، ص ٩٦ .

(٢) ساطع الحصري : انبلاء العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٩ .

، يوسف اصف : ترويح سلاطين ال عثمانى ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٣) مصطفى خالد وعمر فروخ : التثوير والاستعمار ، ص ٥-٦ .

الأجنبي باعتبارها من وسائل التنصير. لذا أخذ العثمانيون يقاومون هذا الغزو  
الفكري في بلاد الشام وفي العاصمة العثمانية نفسها كما مر بنا.  
فتوالت الكوارث بتضافر القوى اليهودية والصليبية للقضاء على الخلافة  
العثمانية باعتبارها التجسيد الحي للأمة الإسلامية في ذلك الوقت ، فأخذت القوي  
المستعمر يفتطمع أجزاءها . وأخذت روسيا تفتطمع منذ عهد كاترين ( ١٧٦٦ -  
١٢١١هـ / ١٧٦٢ - ١٧٩٦م ) بعض الأراضي والولايات العثمانية . كما هاجم  
نابليون مصر في سنة ١٢٣١هـ / ١٧٩٨م ، ثم حرض الروس ويهودهم على  
الأوربية البلقان على الثورة منذ عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ، وأمدوهي بأسلحة  
حتى انفصلت عن الدولة العثمانية . كما حرض اليهود على طرد المسلمين  
عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م حتى استقلت عن تركيا في عام ١٨٤٨م .  
كما سبق .

ثم توالت الحملات العسكرية الاستعمارية . فاحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م .  
وتونس في سنة ١٨٨١م ، ومراكش في سنة ١٩١٢م .  
إيطاليا ليبيا في سنة ١٩١١م<sup>(١)</sup> .  
أما الأطماع الاستعمارية الأخرى فقد كانت العارول التي  
اقتسام ميراث الدولة العثمانية عند زوالها من الوجود . فطامع بريطانيا  
بترول الموصل مع ضمان انشاء خط ثان بري للهند يمتد من بترول الموصل  
العربي . لأنها كانت قد استولت على الهند من قبل ، وانتهت بهزيمة  
سيادة المسلمين للاستيلاء على ثرواتها الاقتصادية ، ثم لم تأمل أن  
سنة ١٨٣٩م ، وبسطت حمايتها على لحج والمحميات من بلاد العرب .

(١) مصطفى صبري : الأسرار الخفية وراء الغناء الخلافة العثمانية . تقديم مصطفى صبري . الطبعة  
الأولى . الاسكندرية . دار الدعوة . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ص ٢٦ - ٢٧ .

الى شرق الجزيرة العربية . ثم استولت على مصر في سنة ١٨٨٢ م ، والسودان في سنة ١٨٩٨ م ، وكانت فرنسا تجاهر بأنها ستصيب استقلالها الاقتصادي بما تجنيه من القطن في حلب ، ومن الحرير في لبنان ، والصوف في سوريا ، وكانت ايطاليا مقتنعة بالاستيلاء على القسم الغربي من الأناضول ، أما روسيا فكانت تطمع في قسم من تراقية واسطنبول وأرمينيا وكرديستان ، واستولت هولندا على جزر الهند الشرقية . وحوصرت أفغانستان تحت الضغط الانجليزي والروسي ، كما حوصرت ايران (١) . واستكمالا لهذا المخطط ، فقد شجع المنصرون والاستعمار العرب على الانفصال عن الدولة العثمانية تحت شعار جديد لا يعرفه الاسلام وهو " القومية العربية " لاجبا في العرب ومصالحتهم . ولكنه من أجل القضاء على الرابطة الاسلامية بين المجتمع الاسلامي .

اضافة الى ذلك فقد بدأت مهمة السفارات والقنصليات تعمل عملها في الأقطار الاسلامية . لحرب الوحدة الاسلامية ، وبث الروح القومية بين المسلمين . وقد برزت أعمالها بشكل واضح في اسطنبول وبيروت والقاهرة ودمشق واتخذت لها مركزين . الأول في اسطنبول لضرب الدولة الاسلامية في عاصمتها ، والثاني في بيروت لضرب الدولة الاسلامية في قلبها العربي (٢) . ويلاحظ ذلك في نشوء الحركة القومية العربية ، فان المسيحيين قد لعبوا دورا كبيرا في اثاره الوعي القومي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد عددا من رواد الأدباء والمفكرين العرب الذين حملوا لواء النهضة الأدبية والفكرية . وقد برز منهم نصيف اليازجي ، وبطرس البستاني ، فاليازجي

(١) مصطفى صبري . الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية . ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) مصطفى محمد رمضان : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر . ص ١٤٤ - ١٤٦ .

استعان به الأمريكيون في تأليف الكتب التي تدرس بمدارسهم ، وأخذ يدعو العرب المسلمين والمسيحيين الى احياء الأدب العربي القديم . وأما البستاني فقد استعان به الأمريكيون أيضا في تدريس اللغة العربية في كلية المعلمين بعباي ، وفي تأليف الكتب واشترك مع ايلي سمت في ترجمة الانجيل ، ثم وضع سفره ، قاموس المحيط المحيط " . ومختصره " قطر المحيط " ، ثم موسوعته العربية ( دائرة المعارف ) . وقد تردد هذا النشاط الثقافي (١) على شكل جمعيات مثل " جمعية الفنون والعلوم " التي أنشأتها البعثة التنصيرية الأمريكية في سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م ، والتي تولى رعايتها العميلان الانجليزيان " بطرس البستاني ، وناصيف اليازجي " واشترك كثير من رعايتهما طائفة من أعضاء البعثة التنصيرية الأمريكية ، ولم يدخلوا في رعايتها المسلمين . وان ظهرت هذه الجمعية بمظهر نشر العلوم والفنون راجعاً الى العربية وآدابها ، الا أن الغرض الصحيح من انشائها هو إثارة التيارات الفكرية والحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية .

ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة التقبل فيها النشاط الى يد الرهبان الذين من نصارى ومسلمين ، وذلك عندما نشأت سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣٠م جمعية علمية سورية ، وأدى هذا النشاط المتزايد الصليبي الى مفارقتهم سنة ١٨٦٠م . بين الدروز والموارنة في الشام كما سبق وألفه في كتابه (٢) الفتنة الى تقسيم الشام الى طوائف متحاربة ، وتسببت في وقتها في مفارقتهم مؤقتا وهجرة بعض رجائها الى مصر ليقظة الدولة العثمانية . إلا أن نشاطها بقوة ، وأخذت تجند أكثر الشخصيات العربية من الذين هجروا على السواء من اسطنبول والقاهرة وبيروت والشام وغير ذلك من بلادها

(١) محمود صالح ميسي - حركة اليقظة العربية ، ص ٦٤ - ٦٥

(٢) مصطفى محمد رمضان - العلم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٤٦ - ١٤٧

هذه الأحداث دفعت البستاني الى محاولة تهدئة النفوس والقضاء على التعصب ، فأصدر في بيروت عام ١٨٦٠م (نفي سوريا ) أسبوعيا وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل الدعوة الى الوحدة ونبذ التعصب .

وبعد ثلاث سنوات أنشأ ( المدرسة الوطنية ) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قومي ، وفي عام ١٨٧٠م أصدر (الجنان ) وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية كان هدفها - كنفير سوريا - محاربة التعصب ، والدعوى الى التفاهم والوحدة من أجل خير الوطن ، وكان شعارها : الوطنية من الايمان، ويعني ذلك أن اللغة العربية وآدابها وجدت مجالا حيويا لدى الارساليات التنصيرية المسيحية ، حيث كان التعليم في مدارسها يجري باللغة العربية ، وهكذا أتيح للمسيحيين فرصة الاطلاع والبحث في تاريخ العرب ولغتهم وآدابهم<sup>(١)</sup> . عن طريق نصارى العرب في بلاد الشام أمثال هؤلاء البستاني واليازجي .

فكانت أول جمعية أخذت شكل التنظيم السياسي هي : " جمعية بيروت السرية " هذه الجمعية تأسست عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م وقامت على أساس فكرة القومية العربية، وكانت في الظاهر تعمل للعرب والعروبة وتثير العداء للدولة العثمانية ، ولكنها في الواقع كانت تعمل على فصل الدين عن الدولة ، وجعل القومية العربية هي الأساس ، وتحويل الولاء عن العقيدة الاسلامية ليكون للأقليات المسيحية واليهودية في البلاد العربية وجود بل دول في المنطقة<sup>(٢)</sup> ، وهكذا بدأت الحركة القومية كحركة أدبية تعمل على احياء اللغة العربية وآدابها، ثم تحولت الى دور العمل السياسي<sup>(٣)</sup> . وهذا ما كان يخطط له في أروقة بريطانيا

(١) محمود صالح مسي - حركة اليقظة العربية . ص ٦٤-٦٦ .

(٢) مصطفى محمد رمضان - العلم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر . ص ١٤٧ .

(٣) محمود صالح مسي : المرجع السابق . ص ٦٧ .

فعلا وقد نفذ فيما بعد بصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م لاقامة وطن يهودي في فلسطين . ففي تلك الفترة ظهرت دعوة جديدة تقول باقامة خلافة عربية في الشام الخلافة العثمانية نادى بها عبدالرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢م) في كتابه في القرن الذي صدر في سنة ١٣١٦هـ . حيث تناول مسألة الخلافة والقرن باثني عشر في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء للمسلمين ، وأوضح ان الحق في الخلافة الأساسية تذكّر بين شروط الخلافة "النسب القرشي" ودعا الى ان يكون الخليفة الامتراك . وتلا ذلك ان انشا نجيب عازوري "عصبة الولايات العربية" في سنة ١٩٠٥م في عربي نصراني - بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم العثماني في "عصبة العصابة حوالي حسين بداء موجّهة الى العرب في العراق والجزيرة العربية" نشر عام ١٩٠٥م كتابا بالفرنسية هو "يقظة العرب" الذي دعا الى ان تكون الولايات العربية عن الدولة العثمانية على ان تكون لها استقلالها وتكون العراق والشام والعراق دولة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية . في هذا الوقت كانت جمعية الاتحاد والترقي قد قامت في اسقاط حكومة السلطان عبدالحميد الثاني في سنة ١٩٠٨م في اوكار الصهيونية والماسونية التي انتشرت في جميع ارجاء الدولة للمحن والكوارث والثورات داخل البلاد حتى انشأت في تركيا والعربي الشقيقين<sup>(١)</sup> .

وبعد اعلان المشروطية الثانية في سنة ١٩٠٩م ،

القومية في الدولة العثمانية ، فالتصوير لم يرض ان يرقى الى رتبة القومية ولكنه اراد ان يحولها الى خدمة اهدافه<sup>(٢)</sup> ، عندما انشأت في سنة ١٩١٢م

(١) على الخافطة : الاجتهاد الفكري عند العرب ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٣ .

(٣) مصطفى خالد وعمر فروح : التبشر والاستعمار ، ص ١٧٢ .



من شعوب الدولة العثمانية الدستور العثماني بفرح وسرور وحماسة ، فاندفعوا وراء جمعية الاتحاد والترقي التي تضم عددا كبيرا من كبار الضباط العرب . إلا أنه بعد انقلاب سنة ١٩٠٩م رأى الاتحاديون في العرب خطرا على سيادة العنصر التركي ، فسلكوا فيهم طريق الشدة والعنف في معاملتهم . فأصيب العرب بخيبة أمل ازاء هذا الموقف من الاتحادين ، فلجأ العرب الى انشاء الجمعيات السرية ، وكان من أهدافها أن تحول الدولة العثمانية الى مملكة ثنائية من العرب والترك ، وأن تؤلف الولايات العربية مملكة لها برلمانها وحكومتها ولغتها العربية ، وأن تؤلف مع الدولة العثمانية دولة عربية تركية . لكن عقب الحرب العالمية الأولى أصبح العرب يسعون الى تحرير البلاد العربية من الحكم التركي واستقلالها التام<sup>(١)</sup> .

لذلك شجع أهل العرب الحركات الانفصالية داخل الدولة بين الترك والعرب وحركوا الثورة العربية بواسطة عملاتها لورنس العرب وجلوب حين أثاروا فتنة القوميات العربية بغرض تقويض أركان الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد يحدد لورنس العرب أهداف إنجلترا ودول أوروبا في تقرير سري رفعه الى المخابرات البريطانية في شهر كانون الثاني ١٩١٦م بعنوان " سياسة مكة " وهي أهداف بريطانيا الرئيسية والغرب نحو المسلمين ، فيقول فيه : " أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها... "<sup>(٣)</sup> . وفي هذا العام قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين للتخلص من

(١) علي الخفظة : الاتحاديون والفكرية عند العرب ، ص ١٣٥، ١٣٩، ١٤٢ .

(٢) مصطفى صري : الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) زهدى الفاتح : لورنس العرب ، (الطبعة الأولى ، بيروت ، دار النوائس ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

حكم الأتراك ، واستقلال البلاد العربية ، وكانت تدفعها أطماع بريطانيا وحلفاؤها ، وكانت هذه الثورة وبالا على العرب والأتراك لصدور وعد بلفور في سنة ١٩١٧ م . حول منح اليهود حق النشاء وطن قومي لهم في فلسطين . لذلك نجح الاستعمار الشرقي والغربي بالغزو الفكري في التوسيع الجغرافي الواحد أو التضامن الإسلامي ، وحوله إلى دول ودويلات لكل منها دعاها وعلمها ونشيد وحدود جغرافية مصطنعة ، ونزاعها بالأفكار القومية والوطنية ، فالتصديق لولاء الأمة أم للأشخاص الرعساء ، أو القيادة ورجال الحكم والمجاهدين ، للأفكار والمذاهب والفلسفات الواردة ، وبذلك حولت الشعوب الإسلامية من الولاء الوحيد الذي ينبغي أن تخضع له دون سواه ، وهو الولاء لله الواحد القريب ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم (أ) إلى الولاء للأشخاص ، والولاء لمطالبين بما أمرهم به سبحانه وتعالي في قوله : ﴿ فَمَنْ حَبِطَ أُخْرُجُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَهُوَ لَعِينٌ مُؤْتَمِرٌ مِمَّا يُكْفَرُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] ، وأمرهم بالمعروف ونهون عن المنكر وتؤمنون بالله واليومئذ ، وعلى الرغم من أن الغزو الفكري الذي عم أرجاء الدولة العثمانية في الدولة السعودية قامت على أسس إسلامية سليمة ، مكنتها من أن تتقدم من شبه الجزيرة العربية ، حيث ظهرت الدعوة السلفية في نجد واليهود العربية بأكملها ، ثم انطلقت خارجها نحو شمالها وجنوبها إلى السودان والصومال وسومطرة وشمال أفريقيا وخاصة بعد أن ضم الإمام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة سنة ١٢١٨ هـ إلى الدولة السعودية ، فانتشرت هذه الدعوة في الدول الإسلامية المجاورة عن طريق الحجاج الذين رأوا في الزيارتين وليست دعوة جديدة كما روج ضدها أعداؤها كما سيأتي .

(١) مصطفى صبري ، الأسرار الخفية ، ص ٢٩ - ٣٠

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم (١١٠)

## ب - دعوة التوحيد والاصلاح في الجزيرة العربية :

منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية . نتيجة لفساد الكثير من الأنظمة الداخلية ، وبالتالي أحدث هذا خللا في السياسة الخارجية أيضا ، رافق ذلك كثرة الطرود التي شنتها كل من روسيا والنمسا ضدها ، وذلك بغية تصفية ممتلكاتها في أوروبا أولا ، ثم القضاء عليها ثانية ، وقد انعكس هذا الضعف على البلاد العربية المنظمة للحكم العثماني .

فأعسى الحجاز بصورة عامة ونجد والاحساء بصورة خاصة من جملة تلك المناطق والأقطار التي لم تجد من الدولة العثمانية الحماية والعناية المطلوبة ، حتى أن ذلك دفع الاحساء فريسة للاستعمار الأوربي المترص بها والطامع في موقعها الإستراتيجي الهام .

وإذا كانت دعوة التوحيد والاصلاح في شبه الجزيرة العربية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان الباعث الأول من قيامها هو ما وصل اليه العالم الإسلامي في عصره من تدهور وفساد على كافة الأصعدة الدينية والسياسية ، والسياسية والاقتصادية<sup>(١)</sup> ، وما بهما هو الوضع الديني والسياسي .

وعلى أية حال فقد كان هذا امام الضعف الذي سيطر على الدولة العثمانية ، وعجزها عن دفع الضرر عن رعاياها وبلادهم<sup>(٢)</sup> ، حيث بدأت تتجه

(١) عبد العظيم عبد الله بن دهب : أحوال شبه الجزيرة قبل قيام الدولة السعودية الأولى ، (مجلة العرب ، الرياض) ، دار الخدمة للبحث والترجمة والنشر ، ج ١ ، ص ١١ ، رحب وشعبان ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٢ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٢٨٤ .

(٢) محمد عبد الله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، النبعة السلفية ومكتبتها ، ١٤٠١ هـ) ، ص ٧ .

(٣) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢١١ .

الى أوربا لتستمد منها قوتها ظنا منها أنها تستطيع النهوض بدولتها وشعبها  
اذا ماقلدت الغرب في أنظمتها ، صارفة النظر عن الدين وتعاليمه فانقسم الشعب  
الى فئتين فئنة تادي بالرجوع الى الشريعة الاسلامية ، والفئنة الأخرى تدعو للاعتناق  
المبادئ الأوربية . وفات الفريق الثاني أنهم جهلوا الحقيقة وهي أن الأحوال في  
الغرب كانت غير الأحوال في البلاد الاسلامية سياسيا ودينيا واجتماعيا . وانه  
ليس كل ما يصلح للغربيين في نهضاتهم يصلح للمسلمين ويساعدهم .

ولهذا نشأت حركات الاصلاح ، هدفها الأساسي احياء تعاليم الشريعة  
الاسلامية التي أصبحت نسيا منسيا للتخلص من الاستعمار . وكانوا في أوربا  
الدعوات كما ذكرنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التي انبثقت  
تعتبر أول حركة اصلاحية سلفية في العصر الحديث ، وأولى الحركات الإصلاحية  
التي ظهرت في الدولة العثمانية <sup>(١)</sup> تدعو الى نقاء العقيدة الاسلامية من الخرافات  
والخرافات والرجوع الى أصول الاسلام الصحيح <sup>(٢)</sup> .

لذلك عملت دعوة التوحيد والاصلاح نوعا من الاصلاح الفكري  
الفكري الذي تسرب الى داخل الدولة العثمانية وعاصمتها . فبدأت  
قادتها الى سياسة العزلة . وعملوا على عدم ادخال أي اصلاحات جديدة  
مع التعاليم الاسلامية سياسية كانت أو دينية ، مما أدى الى قيود كثيرة  
تساندها عناصر غير اسلامية من اليهود وأحزابهم تطالب بغيره من الإصلاحات  
واصلاحات بعيدة في معظمها عن الروح الاسلامية . وقد ساعد ذلك على  
مركز السلطان الذي أصبح العوبة في هذه الفئات المتطرفة . وقد ساعد ذلك  
أيضا قبضة الدولة على السلطة في داخل العاصمة والولايات التي كانت تابعة

(١) عمر عبدالعزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢١١ .

(٢) محمد بن ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٣٩ .

والبلاد العربية ، ونتيجة لذلك طمع الغرب المستعمر رويدا رويدا في البلاد والبحار العربية من أجل حماية مصالحه وتجارته القادمة من الشرق ، فاستغل الامتيازات التي حصل عليها في الدولة العثمانية ، وزاد عليها معاهدات أخرى تجارية ودينية واسعة ، كما زادت أيضا في الوقت نفسه البعثات التنصيرية الى البلاد العربية وخاصة في بلاد الشام .

كما استبدت الولاة وكثرت البدع والخرافات ، وابتعد الناس عن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه الظروف السياسية والدينية المتدهورة أصبحت شبه الجزيرة العربية في حالة سينة من الناحية الدينية والسياسية <sup>(١)</sup> .

فلقد تنازع الحكام فيما بينهم على السلطة ، فتعددت السلطات وعمت البدع والخرافات ، ولكن شاءت ارادة الله أن ينقذ دينه وينصر من ينصره فظهر في منطقة نجد المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبدالوهاب خاصة بعد أن نسي الناس الطريق الصحيح ، وتعاهد مع الامام محمد بن سعود على توحيد الأمة ، والعمل على تحكيم كتاب الله والسنة النبوية المطهرة ومحاربة البدع والخرافات <sup>(٢)</sup> .

فكانت هذه الدعوة فكريا مضادا لحركة الغزو الفكري التي عمّت الدولة العثمانية في تلك الفترة .

أولا : ان قيام قيادة سياسية واعية مؤمنة بهذه الدعوة ومبادئها ومرتبطة بها وحارسة لقيمها ومدافعة عنها بدلا من الفرقة والتمزق الذي كانت تعيشه منطقة نجد وماجاورها في قلب شبه جزيرة العرب واشعارها بمسؤوليتها عن هذه العقيدة ومقتضياتها ، كل هذا الأمر يجعل الدولة العثمانية تخشى من أن تتحول

(١) محمد بن ماضي : الهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) حسين بن غناء : تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، ( الطبعة الثالثة ، الرياض ، مطابع شركة

الصحاح الذهبية ، ١٤٠٣ هـ ) ج ١ ، ص ١٠ .

بعض الولايات والأقاليم التابعة لحكمها والمجاورة لهذه الدولة الجديدة الى هذه الدولة . وخاصة أن الدولة العثمانية بدأت تنحرف من خلال الفساد الذي عمها ، والذي كان من أهم أسبابه الغزو الفكري للدولة العثمانية .

ثانياً : أن الغزو الفكري قد ساعد على انتشار المبادئ الهدامة والعقائد الفاسدة التي تصرف الناس عن جوهر دينهم ، كما ساعد على فساد الأخلاق ، بينما ساعدت الدولة السعودية على ابطال البدع والخرافات بمختلف مظاهرها في العقيدة والسلوك والأخلاق والآداب والمعاملات واحلال القيم الصحيحة والأصول السليمة والآداب الاسلامية محلها ، وعلى هذا فدولة قائمة على هذه القيم والمبادئ ستمنع من دخول الفساد والاحراف في الدين والأخلاق ، وبالتالي لايمكن الغزو الفكري بسمومه ومبادئه الهدامة من التأثير على هذه الدولة ، والذي يخشى منه هو أن يمتد نفوذ هذه الدولة او الدعوة السلفية الى الأرجاء التي تقع تحت حكم الدولة العثمانية والتي أصبحت بواسطة الغزو مرتعاً لهذا الانحلال والاحراف وبالتالي توجهت الدولة العثمانية لمحاربتها .

ثالثاً : ان انتشار الدعوة السلفية كما أسلفنا في كثير من البلدان الغربية للحكومة العثمانية قد أدى الى شعور هذه الدولة بأن هذه الدعوة قد أتت من تفكيك هذا الحكم فلا بد من محاربتها في موطنها الأصلي ، والشعور بأن هذه الدعوة قد تؤدي الى تفكيك هذا الحكم مرده الى المبادئ الفكرية الوافدة عليه من الاسلام .

رابعاً : ان الغزو الفكري بما حمله من ثقافات مختلفة أثر في كثير من دولها مع الأسف وخاصة في الدين لم يتمكن الاسلام في قلوبهم ، فالتأثير الذي أحدثته فيهم بها ، وذهلوا بما فيها ، وخاصة المستغربين من حكماهم وأمراء الدولة العثمانية لما دفعهم الى محاربة الدولة السعودية التي تحتضن الدولة السلفية لأنها ستكون في نظرهم ضد استمرارهم في النشوة التي يعيشونها مع هذه الثقافات الوافدة .

أما كيف كان ظهور الدعوة السلفية ، فقد كانت الحالة الدينية عند فئة كبيرة من عامة الناس خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري الموافق لأوائل القرن الثامن عشر الميلادي . قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انصرفت عن طريق الحق ليس رغبة في ذلك وإنما لجهلهم بأمر دينهم ودنياهم . وقللة الدعاء لإرشادهم إلى الطريق السليم . والنهج القويم وضعف السلطات الحاكمة في المنطقة من شيوخ القبائل وأمراء المدن . وتنازعهم مع بعضهم حتى كثرت البدع والخرافات . وحكمت العادات والتقاليد مكان الشرع الحكيم . حتى أصبح بعض أولئك العامة يرون في الجمادات كالأحجار والأشجار القدرة على تقديم النفع ودفع الضرر . وقد زين لهم الشيطان أنهم ينالون بهذا العمل ثوابا يفريه من الله تعالى . فعظموا أهل القبور . وصرفوا النذور إليهم والابتهاال بالدعاء لهم وجعلوا لغيره عز وجل مالا يجوز صرفه إلا إليه سبحانه وتعالى .

ولم يكن هذا الأمر مقصوراً على نجد وحدها . بل إن هذا كان هو حال معظم ديار المسلمين<sup>(١)</sup> معنى ذلك أن الضلالات والبدع والخرافات والأساطير حلت محل القيم الإسلامية الصحيحة . واضمحلت في نفوس معظم الناس تعاليم الإسلام وتنظيماته الحكيمة . ولكن ليس بالصورة المبالغ فيها حسب التعميم الصادر من حسين بن غنام ومن بعده عثمان بن بشر عن سوء الحالة الدينية في تلك الفترة . لأن شبه الجزيرة العربية كانت خلال القرن الثاني عشر الهجري تعج بالعلماء الذين تحلوا بالصفات الحميدة والعلم الوفير . وكانت لهم مؤلفاتهم في كثير من العلوم . وبخاصة في علوم القرآن ، والحديث ، والفقه والتوحيد ، وعلم الآله ، والسيرة النبوية . والتاريخ الإسلامي . وكانت المساجد تؤدي دورها في التعليم والإرشاد وخاصة المسجد الحرام في مكة المكرمة ، والمسجد النبوي

(١) حسين بن غنام : تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٠ .

الشريف في المدينة المنورة ، وبعض المساجد في المدينه المنورة ، وحائل

أما البيعة التي عاش فيها المسيح فمما كان من بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، علمية محافظة ، تتميز بالجلد والاعتماد ، وانها من البيعات المشرفة والشايفة عليها ، وقد كانت الحجة التي ينادي بها في بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الأولى من الفنون الثمينة التي كان ينادي بها في بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي قبيل دعوة المسيح بظلاله ، كما ينادي بها في بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الاستقرار بعد الانهيار الذي كان ينادي به

فالتسوية والتفاهة التي كان ينادي بها في بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، المنطقية من أمراء مكة ، وهي في بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظهور الدعوة الإسلامية في مكة ، وكانت مكة في تلك الفترة من بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت مكة في تلك الفترة من بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن الأخرى بعد كسب أمير مكة ، وهو أمير مكة

- ١- إمارة آل سعود في السعودية
- ٢- إمارة آل دواس في الكويت
- ٣- إمارة آل دعمر في العمرة
- ٤- إمارة آل علي في حائل
- ٥- إمارة آل حجيلان في القصيم

- (١) عبداللطيف عبد الله بن دحيش ، العون عبد الله بن دحيش ، مجلة العرب ، الرياض ، دار المدينة ، العدد ١٠٠ ، سنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٧
- (٢) عبد الله بن سعد الرويشد ، الأندلس ، الرياض ، دار المدينة ، العدد ١٠٠ ، سنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٧
- (٣) عبداللطيف عبد الله بن دحيش ، الرياض ، دار المدينة ، العدد ١٠٠ ، سنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٧



٦ - امارة آل شبيب في شمال نجد وجنوب العراق .

٧ - امارة آل زامل في الخرج .

بجانب شيوخ القبائل الذين هم السلطة على قبائلهم المنتشرة في ربوع الجزيرة العربية . وكثيرا ما كانت الحروب والخصومات والفتن تشتعل بين أمراء المدن وشيوخ القبائل على أتفه الأسباب (١) .

وليس هناك قانون ولا شريعة يحكم بها هؤلاء الأمراء ، الا ما قضت به أهواء الأمراء وعمائمهم وليس على حسب أحكام الشريعة الاسلامية .

أما كيف يصل هذا الحاكم الى سدة الحكم ، فهناك طرق مختلفة منها ما كان سلميا ، ومنها ما كان عن طريق القوة ، وكثيرا ما كانت الامارة وراثية الا اذا حدث خلاف داخل الأسرة ذاتها (٢) . فزعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية . لاتصافه بالكرم والشجاعة والحلم وسداد الرأي من قبل عشيرته بكم من بطونها (٣) .

والجدير بالذكر أن الصراع حول السلطة ، واللجوء الى القوة أحيانا لحل النزاعات ليسا من الأمور الخاصة بنجد خلال تلك الفترة ، وانما هما أمران لم يخل منهما تاريخ أية أمة على مختلف العصور والأزمان (٤) .

وكان معظم الناس متفرقين ليس فيهم ملك أو امام ، ولا يسودهم شرع

(١) عبدالله بن سعد الرويتي : الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ص ٣ .

(٢) عبدالله الصاغ العتيبي . الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره . ص ١٤ ، ١٥ .

(٣) عبداللطيف بن دهيش : أحوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى ( مجلة العرب

الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ج ١ ، ص ٢٢ ، رجب وشعبان ١٤٠٧ هـ )

ص ١٦

(٤) عبدالله الصاغ العتيبي : المرجع السابق . ص ١٥ .

يقتل بعضهم بعضا، ويأكل قلوبهم ضعيفهم، لا ينهاون عن منكر فعلوه، ولا يفرطون  
 تركوه، ولذلك كان لابد من ظهور عالم يجدد هذه الأمة معالم دينها ويوقظها من  
 أدران البدع والخرافات التي انغمسوا فيها (١).

لأن البلوى قد أعمت قلوب بعض عامة الناس فأنحرفوا عن التمسك  
 المستقيم، واتبعوا بعض الأمور التي من أعظمها الأشراك بالله بالفرقة التي  
 وسواهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتطهير حجج الكافرين، والقدرة  
 عليها إلا رب السموات والأرض، وكذلك التقرب إليهم، والتأثر بهم، والتمسك  
 والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من الأمور التي  
 التي لا تصح إلا لله.

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله العز وجل، فإني أرى  
 الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان لله، ولا يقبل  
 من فاعله إلا الله مخلصا له الدين إلا الله المدين الخالق والمدين المدين  
 مانعهم إلا يقربونا إلى الله زلفى إن الله بكل عمل عاين، ولا يقبل  
 لا يهدي من هو كاذب كفار (٢).

فافتتن بعض عامة الناس بهذه الأمور والخرافات، وطمعوا في  
 والعباد بالله (٣)، حتى قبض الله لذلك العالم الجليل الخليل عليه السلام  
 عبد الوهاب، الذي نادى بالتوجه إلى الله في كل مكان، والتمسك  
 المعاملات والعبادات (٤) ونبت البدع والخرافات.

(١) محمد عبد الله بن عبد المحسن عبد القادر الإسماعيلي، رسالة التمسك بالدين، ص ١٢٤-١٢٥  
 مطبعة الرياض، ١٣٧٩ هـ، ص ١٢٤-١٢٥  
 (٢) سورة الرمز: آية ٢-٣  
 (٣) عبدالعزيز ريد الرومي وأخرون، أسرار التمسك بالله، ص ١١٣-١١٤  
 التخصية، (طبع جمعة الأمة محمد بن سعود، ص ١١٣-١١٤)  
 (٤) محمد عبد الله بن عبد المحسن الإسماعيلي، المرجع السابق، ص ١٢٥

ولقد ولد ونشأ صاحب هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة في بلاد نجد شمال الرياض سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م . فتزعرع في كنف والده عبدالوهاب بن سليمان ، الذي كان يعمل قاضيا لامارة العيينة ، فقرأ الشيخ رحمه الله على يد أبيه القرآن الكريم وتعلم الكتابة حتى حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة ثم أخذ في قراءة كتب الحديث والتفسير وتبع من خلالها كلام العلماء في أصل الإسلام<sup>(١)</sup> .

فشرح الله تعالى صدره لمعرفة التوحيد ومعرفة نواقضه المضله عن الطريق في رقبته كانت فيه الضلالات قد فشت وانتشرت في نجد وغيرها من البلدان المجاورة ، حيث كثر الاعتقاد في الأحجار والأشجار والقبور فأخذ الشيخ محمد يدرسه وينكر على من نهج هذا المنهج من الضلالة والبدعة من أهل نجد<sup>(٢)</sup> .

فضاق صدره ذرعا من هذه الأفعال ، لذلك استأذن والده وسافر من بلده العيينة إلى الحج لبيت الله الحرام ، وكان ذلك في حوالي عام ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م . فسافر كذلك في طلب العلم ، فالتقى مع العلماء في مكة المكرمة أثناء موسم الحج وأدى مشاعره وقام بمناسكه ، وأخذ عنهم<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني أنه درس في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ولكن عدم ذكر المصادر لأي عالم درس عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مكة المكرمة يرجح أنه لم يدرس فيها مدة

(١) السيد محمود شكوي الأنوسي : تاريخ نجد ، تحقيق بهجت الأثري ( القاهرة ، المطبعة السلفية ) ، ص ١٠٦ .

(٢) عثمان بن عبيد الله بن بشر : عنوان الحمد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن عبداللّه آل الشيخ ، ( الطبعة الرابعة ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ ) ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) عبداللّه بن سعد الرويشد : الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج ١ ، ص ١٨ .



التي تمت بينه وبين أصحاب البدع والضلالات خصوصا ما كان منها في العقيدة (١)  
بعض الخلاف .

ولما أعلن الشيخ أنكاره الشديد لتلك الضلالات والبدع ضاق به أهل  
البصرة ، فأذوه وأخرجوه في وقت الهجرة من البصرة . فقصده بلدة الزبير ، ولما  
توسط الشيخ الطريق ما بين البصرة والزبير ، سقط في الطريق مغميا عليه وكاد أن  
يهلك من العطش لشدة الحر ، ولأنه قطع تلك المسافة مشيا على الأقدام ، ولكن  
مشيئة الله ، شاءت أن يدركه رجل من أهل الزبير فسقاه وحمله على دابته الى بلد  
الزبير (٢) . وبعد ذلك قرر الشيخ أن يغادر الزبير ويتجه الى نجد ، فاتجه في طريق  
عزرة من البصرة الى صوب الاحساء ، ونزل في الاحساء عند الشيخ عبد الله بن  
عبد اللطيف الشافعي الاحساني فاستفاد من علمه الواسع ، ومن الاحساء اتجه الى  
بلدة حريملاء ، التي كان أبوه قد انتقل اليها من العيينة في سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م .  
نتيجة لوفاء أميرها عبد الله بن معمر ، فتولى بعده ابن ابنه محمد بن حمد الملقب  
بخر فاش ، فوقع بينه وبين عبد الوهاب خصومة عزل عن القضاء على أثرها فانتقل  
بعدها الى حريملاء .

ولما وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى حريملاء ، حيث والده ، واستقر  
بها ، أخذ يقرأ على والده ، ويدعو الناس الى اخلاص العبادة لله وحده في الأقوال  
والأفعال في عقائدهم وكل أعمالهم حتى حصل بينه وبين عامة الناس في بلد

(١) أمين الريحدي : تاريخ نجد ( الطبعة الأولى . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

١٩٨٠م . ج ٥ . ص ٣٧ .

(٢) الالوسي : تاريخ نجد . ص ١٠٧ .

ابن بتر . عنوان نجد في تاريخ نجد . ج ١ . ص ٣٥-٣٦ .

عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ( الطبعة الثانية . جدة . دار الشروق . ١٣٩٤هـ ) . ص ٦٣ .

حريملاء كلام كثير حول هذه المسائل واستمر هذا النقاش لمدة سنتين<sup>(١)</sup> . وقد تدخل والده ينصحه بترك هذه الدعوة والعدول عنها خوفا عليه من عامة الناس . الذين كانوا يهددونه وبعد أن شكوه مرارا الى والده ، فتزداد التصريح محمد احتراماً لوالده حتى توفي في سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م<sup>(٢)</sup> . ولكن حريملاء العثيمين يؤكد أن وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الاحساء كان في عامي (١١٤٧-١١٤٨هـ) ولم تطل اقامته بالاحساء حيث غادرها الى والده في حريملاء التي وصلها في عام ١١٤٩هـ<sup>(٣)</sup> . والباحث يوجه هذا القول الى غير المعقول أن يحكى الشيخ في حريملاء نحو ما (١٤) . لذلك يذهب الى سنة ١١٥٣هـ . للذكر ابن بشر أنه بقي مع والده في حريملاء حتى سنة ١١٥٣هـ وحين توفي أبو سنة ١١٥٣هـ . أما ابن الشيخ فيقول في التي تدعو في مضمونها الى العودة الى توحيد الله بالعبادة التي قد اندرس من أصول الملة ، وقواعده الشريعة التي قد اندرس ودعا الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الذي هو الكتاب والسنة السلف الصالح والأئمة الأربعة<sup>(٥)</sup> .

- (١) ابن بشر - عنوان نجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
- (٢) الأيوبي - تاريخ نجد ، ص ١٠٧ .
- (٣) أمين سعيد - تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٠٠ .
- (٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، ص ٣٤ .
- (٥) عبد الله الصالح العثيمين - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، ص ٣٧ .
- (٦) عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن الشيخ - حياته وفكره ، ص ١٠٠ .
- (٧) الهداية للحج والعمرة ، ص ٣٧٢ .

فتبعه من حريملاء أناس وعارضه آخرون ، وكان في حريملاء قبيلتان من أصل واحد تتنازعان على الإمارة ، والكل منهما يدعي الإمارة لنفسه وليس لأحد على الآخر من سلطان ، وليس هناك سلطة أو حاكم قوي يوحدهما .

وكان لإحدى القبيلتين عبيد يسمون آل حمين من أهل الفساد والضلال فأراد الشيخ أن ينصحهم ويمنعهم عن هذا الفساد ، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر والفساد ، فأضمرُوا له شراً وعزموا أن يفتكوا به خفية فلما جنح الظلام ، تسوروا عليه جداره ، يريدون قتله ، فشعر بهم بعض المجاورين فصاحوا عليه فهربوا إلى الأمان .

وبعد هذه الحادثة خاف الشيخ على نفسه فغادر حريملاء إلى العيينة مسقط رأسه ، وكان رئيسها في ذلك الوقت عثمان بن معمر بن حمد بن معمر فتلقاه بالقبول الحسن ، لأنه يميل إلى دعوة الشيخ ، وزوجه عمته الجوهرة ابنة عبد الله بن معمر ، وشكاه الشيخ بشرح دعوته الإصلاحية القائمة على الأسس الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة المطهرة للامير عثمان بن معمر الذي شرح الله صدره لهذه الدعوة وقام في الحال بمساندتها وأعلن الشيخ دعوته إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشدد في التذكير على من خالف كلمة لا اله الا الله ، فأخذ رحمه الله في بلاد العيينة ، يعيد إقامة الحدود المعطلة ، وكان الأمير عثمان بن معمر يعاونه في كل الأمور لإعادة هذه الحدود<sup>(١)</sup> .

وكان في العيينة وما حولها بعض الأشجار والأحجار التي يعظمونها

(١) ابن عمير : تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٧٧-٧٨ .

ابن بشر : عنوان نجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٧-٣٨ .

الألبوسي : تاريخ نجد ، ص ١٠٨ .

محمد عبد الله بن عبد القادر الاحساني : تاريخ الاحساء ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن بشر : عنوان نجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٨-٣٩ .

ويتبركون بها كشجرة قريوه ، وكذلك يوجد بها قبة علي قبر الصحابي الجليل  
 زيد بن الخطاب رضي الله عنه في بلد الجبيلة ، فخرج الشيخ ومعنه عثمان بن عمرو  
 وكثير من أتباعه الى تلك الأماكن بالمعاول ، فقطعوا الأشجار ، وهلموا القباب  
 علي قبر زيد بن الخطاب وسويت النصب التي وضعت علي بعض القباب  
 عملاً بالنسبة الحمادية والتوجيهات الإسلامية

وهكذا أقام الشيخ الحدود وأزال تكبرك الناس من الدين والسياسة

والصلوات احياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاد  
 الراشدين (٢)

ولم يزل مقيماً في العينه يأمر بأمره وينهى عن نهيه

دينهم ويزيل البدع ويقيم الحدود ، حتى جهده في القضاء

أن عرف أنها محصنة ، وتكرر منها الأضرار ، فاستأجر

العقل ، فحاول درء الحد عنها ، عندما قرأ في

بما يوجب الرجم ، فأمر برجمها ، فرجمت

أنصاره ، وفشي التوحيد في المجتمع النجدية ، فاستأجر

أمره وخاصة بعد رجم الزانية ، وانتهى الأمر ب

الاحساء وبني خالد ، حيث شوه الرواة ذمته

العينه وأيده أميرها عثمان بن معمر ، وتذكر

الأخبار مبدئين أن انتصار هذه الدعوة معناه القضاء

إثارة الناس عليه لتبديد ملكه ، وأنه يسعى إلى تفتيح

من القبائل والتجار ، لأنها من الأمور المنافية للمسلمين

(١) ابن عديم تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٦٨-١٦٩

(٢) حسين حلف الشيخ حرره ، تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ١٦٨-١٦٩

الأولى ، بيروت ، مطبع دار الكتب ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٨-١٦٩



الزكاة لبيت مال المسلمين وحددت موارد الدولة وطرق الانفاق منها .

لهذا ضاق صدر سليمان بن محمد ، وأرسل كتابا في الحال يهدد فيه عثمان بن معمر أمير العيينة لمناصرته لدعوة التوحيد ويأمره بقتل الشيخ أو على الأقل اخراجه من العيينة . والا اضطر الى الاستيلاء على ريع بساتين ابن معمر التي في الاحساء والاستيلاء على تلك الأملاك كما أنه سوف يمتنع عن تقديم أي مساعدة لعثمان بن معمر .

فعمد علي عثمان بن معمر مخالفة سليمان بن محمد رئيس بني خالد والاحساء . ويظهر أنه فضل الناحية المادية على مناصرة الدين . وغاب عن ذهنه نظمة رب العالمين وأن الله سوف ينصر من ينصره . ومما يؤسف له أن عثمان بن معمر رضح التهديدات حاكم الاحساء فاستدعى الشيخ وأخبره بكتاب رئيس بني خالد . وأمره بالخروج من العيينة . ولم يفد فيه وعظ الشيخ ونصحه ، بأنه لا بد للداعي والمصلح أن يناله الأذى وفي النهاية تكون العاقبة للمتقين . ولمن يحمي دينه من التمكنين في البلاد والعباد ولكنه أعرض عن ذلك كله (١) .

وقال عليك أن تترك العيينة وتختار أي بلد شنت سنة أو سنتين حتى نرى ماذا يفعل الله ثم ان مرجعكم الينا (٢) . فقال الشيخ : أريد الدرعية . فأمر ابن معمر فارسا يقال له الفريد الظفيري وخياله معه لمرافقة الشيخ الى الدرعية فسار معه الفرسان حتى وصلا الى الدرعية (٣) . فنزل الشيخ ضيفا عند عبد الله ابن سويلم وكان ذلك في أواخر عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م ثم انتقل بعد ذلك في اليوم التالي الى تلميذه أحمد بن سويلم . الذي خاف على نفسه من الأمير محمد بن سعود

(١) أحمد بن حجر بن بوطامي الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ( الطبعة الثالثة . الرياض . شركة مطابع

الخيرية ) . ص ٢٨

(٢) حسين حلف حرجل . المرجع السابق . ص ١٤٢ .

(٣) ابن سويلم . عنوان المحادي تاريخ نجد . ج ١ . ص ٤١ .

أمير الدرعية . لأنه كان يعلم حال الناس والمعارضين لهذه الدعوة الذين لا يقبلون على ما أتى به هذا العالم ، فخاف خوفا شديدا ، وضافت عليه داره ، ولكن الشيخ هدأ من روعه وسكن جاشه ووعظه بأن الله سيجعل لنا ولكم مخرجاً ، فعلم بالشيخ بعض الخواص من أهل الدرعية فرأوه خفية ، فشرح لهم معنى التوحيد ، ولكن الأمير محمد كان له اخوان ( مشاري وثنيان ) وكانا علي صلة بالشيخ ، وهما في العيبة وقد اتفقا معه في هذه بعض القبور والقباب ، إضافة إلى أن زيارته الأمير محمد كانت امرأة ، فالتقيا في الأخوين لأخييهما ، وبسألتهما عن ذلك ، فحدث الأمير ، علي أن الشيخ محمد ، أرسل ضيفاً عند تلميذ أحمد بن سويل ، وهو الرجل غنيمة قد ساء له الرضا ، فالتقى عند الخطيب ، الذي كان في بيت ابن سويل ، الشيخ في بيت ابن سويل .

فسار محمد بن سعود إليه ، فرحبه به وقتل ابن سويل ، وبات في بيته ، وبالغز والمنعة قال الشيخ : وأن أشرك بالعلم والتدبير والمسير إلى بلاد نجد ، جميع بلاد نجد . وهذه كلمة لا اله إلا الله هي ثم ما يليه وهو قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعيت إليه التوحيد ، وأخرهم .

وبتركها ترى نجد كلها واقطارها ، أطلقت هي التوحيد ، وباتت في بيته ، والخلافات الدائمة ، وقتل بعضهم بعضاً جوراً وعدواناً ، رؤى الناس في ذلك ، والله أن تكون اماماً يجمع عليك المسلمون وعلي ذريتك من بيتك .

(١) أحمد بن حجر ال عسقي . الشيخ محمد بن عبدالم هادي ، ص ٤٩

(٢) ابن بشر . عموك أحمد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٤٢

أحمد عبدالمعز عطر . محمد بن عبدالم هادي ، مطبعة المدينة ، ج ١ ، ص ٤٩

١٣٩٢ هـ ، ص ٦١-٦٢

الألوسي . تاريخ نجد ، ص ١٠٩-١٠٠

ولما تحقق للامام محمد بن سعود صدق قول الشيخ محمد وشرح الله صدره  
لهذا القول قال له : يا أيها الشيخ ان هذا دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم  
الذي لا شك فيه . فأبشر بالنصرة لما أردت وبجهد من خالف هذا الدين فتمت  
المبايعة على ذلك (١) .

وهذا اعتبر بعض المؤرخين وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى الدرعية  
في أواخر عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م . وعقد هذا الاتفاق مع أميرها محمد بن سعود  
هو تاريخ نشأة الدولة السعودية الأولى ويوم ظهور ميلادها حتى يومنا الحاضر (٢) .

...

---

(١) ابن بشر: المصدر السابق ، ص ٤٢ .  
(٢) ابن سعيد : تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ج ١ ، ص ٤١ .

## ١ - أهميتها في مواجهة الغزو :

ومن هنا بدأ الشيخ والأمير محمد بن سعود يعدان العدة التي سوف يهاجمون بها  
الى خارج حدود الدرعية الى الامارات النجدية ثم الى بكرة أريحا ثم الى بلاد  
العربية، سائرين بكل جد لنشر هذه الدعوة السلفية ، علم انسبها الى سلفه  
كانت عليه في عهد الرعيل الأول من السلف الصالح ، ذريته الأئمة الذين  
الى أصولها الأولى (١) الى الدين الصحيح ، ونبذوا الفسوق والفساد  
والأشجار والقباب والأولياء ، وجعلوا شمس الأمان في جوارهم ، فاستقامت  
ومواجهت كل غزو وافتد الى شبه الجزيرة العربية وتجاهلوا كل غزو  
فالحالة الدينية في العالم الإسلامي ، حاله في ذلك الوقت ، فاستقامت  
ومدى تمسكهم الصحيح بها . ولما كان الإسلام قد اضمحل في بلاد  
دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، في تلك الفترة ، فاستقامت  
عندما انتشرت الفوضى والجهل والاضلال في بلاد العرب ، فاستقامت  
النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري في بلاد العرب ، فاستقامت  
وخاصة عندما دخلت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني  
الحالة الدينية سوءا بين المسلمين وذلك بحسب ما ذكره في كتابه  
للاصلاح السائر على أسس اسلامية وفتح بلاد الاسلام ، فاستقامت  
لكل عصر فامتنعوا عن ايجاد أي اصلاح في بلادهم ، فاستقامت  
أصحاب السلطة في تلك الفترة ، لمعارضه الأدب العربي في تلك الفترة  
وكثيرا ما يعدون صاحبه كافرا ، كما انهم يعدون من يعارضه

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حينما علموا انهم كانوا في

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : النبوة - النبوة الأولى ، دار الفقه والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

الكتاب الجامعي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٨٥ .

الدين<sup>(١)</sup> . واتهموها بالوهابية ، في الوقت الذي أطلق فيه أصحاب السلطة العثمانية العنان لأهل البدع المتصوفين البلهاء حتى علا شأنهم عند العامة ، واعتقدوا فيهم الولاية ، حتى كان لأصحاب الطرق الصوفية عند الناس منزلة عظيمة فنشروا بدعهم بين الناس ، ومن البدع التي أصابت عقيدة التوحيد وانتشرت في البلاد الإسلامية المختلفة الاعتقاد الأعمى في القبور والأولياء والصالحين ، فبنيت عليهم القباب ، وقدمت لهم الهدايا والقرابين فصرفوا أنواعا من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله وحده كالدعاء والاستعانة والذبح والنذر والشفاعة إلى غير ذلك من الأمور الباطلة التي انتشرت في كل بقاع العالم الإسلامي .

وهنا نرى كيف ضاعت عناية السلطة العثمانية بدين الإسلام في هذه الأندور من البدع دون اهتمام الدولة بها ، أو النصح في عدم اتباعها<sup>(٢)</sup> .

وقد بدأ الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة لترجيح الأمة فأرسلوا الرسل من العلماء إلى المدن والقرى المجاورة لدعوتهم لتأييد هذه الدعوة الإصلاحية وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك دعوة شيوخ القبائل إلى الانضمام لوحدة الأمة ونظرا لأن أبناء نجد قد سنموا من حالة الفوضى التي كانوا يعيشونها فانهم لم يترددوا في اتباع الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والإمام محمد بن سعود بتأييدها ونصرتها بالمال والسلاح<sup>(٣)</sup> فزاد عدد أنصار الدعوة وأعلن الكثير من حكام المدن والقرى وشيوخ القبائل انضمامهم للوحدة السياسية التي دعا إليها الإمام محمد بن سعود كما أيدوا تطبيق الأحكام الشرعية على الفسقة والجناة ومحاربة البدع والخرافات وأطلق على الأمير محمد بن سعود لقب الإمام لاتساع امارته

(١) محمد كمال جمع : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤-١٨ .

(٢) محمد عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٢-١٦ .

(٣) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ج ١ ، ص ٤٢ .

حتى أصبحت تضم معظم بلدان نجد خلال أربعين سنة من انطلاق الدعوة الماركة من قاعدتها الأولى الدرعية .

ويمكن القول أن هناك قاعدة تاريخية وهي أن مبادئ الدعوة السلفية كانت تسبق الجيوش السعودية وتمهد لها مما ساعدها على ضم هذه الامارة بمساعدة أنصار الدعوة في تلك الامارات فأصبحوا عوناً للدعوة وأهلها .

وهكذا قامت الدعوة السلفية واتسع نطاقها وأنصارها ، وفي سنة ١١٧٩ هـ توفي الامام محمد بن سعود فخلفه ابنه الامام عبدالعزيز الذي تمسك بالبركة بأكملها لدولته ، واخذ يتطلع لضم الاحساء لأنها المنفذ الوحيد الذي يربط بين

اقليم الاحساء يشكل اقليم خصبا يحقق لنجاح الاكتفاء الذاتي ويعطي للمواطنين هو الخليج العربي فضلا عن انها نافذة تطل منها على دول الخليج العربي .

الحركة الدانية والمصايد التي تشكل موردا كبيرا للفراخ والطيور والصيد في الوقت وبهذا يتوفر للدولة موردا جديدا من موارد التمرد والتمرد في

اضافة الى ذلك فان ضم الاحساء سيجعل من نجد دولة عريضة تطل على

سعودية برية وبحرية تنطلق منها الجيوش السعودية في اتجاهات الشرق وال

السلفية دعوة التوحيد والإصلاح .

هذا شن الامام عبدالعزيز بن محمد هجومه الحاسم على الاحساء سنة ١١٧٩ هـ

والاحساء للدولة السعودية وذلك منذ عام ١١٧٩ هـ .

والحقيقة أن الدولة العثمانية وقفت منذ بداية حكمها على

ضد هذه التطورات والأحداث في الدولة السعودية الأولى .

(١) محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، دار مكتبات الخليل ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ص ٣١-٣٢ .

(٢) محمد عبدالله آل عبدالقادر الاحمداني : تاريخ الاحساء ، ص ١٣٥ .

مثلة في واليها سليمان باشا ، حين رأت هجوم الدولة السعودية الحافظ على الاحساء تهيدا لضمه الى نجد ، فساعدت كل تحرك يهدف الى تدمير الدولة السعودية في مهدها ، ومن ذلك مساعدتها لبني خالد في تحركاتهم الهجومية على نجد . كما ان الدولة العثمانية سعت على تحريض المواليين للدولة السعودية على نقض ولائهم لها ، الا ان الدولة العثمانية لم تهتم بادئ ذي بدء اهتماما كبيرا بهذه الدولة الناشئة ، حينما كانت مجرد امارة داخلية ، ولكن حينما قامت هذه الدولة بتطويع الياض الى ضم الاحساء ، رأت الدولة العثمانية ان هذا يعد تهيدا لها ، ومن تلك الياض بدأت تحس بوجود الدرعية (١) .

واذ ان كانت السلطنة في جنوب العراق في تلك الفترة في ايدي امراء القبائل فكانت الدولة العثمانية تسامح هذه القبيلة خوفا من تعدد غاراتهم في وقت السلم ، الخلل قد تسرب الى جسم الدولة العثمانية وكان رئيسهم هو ثويني بن شيبان ، ان شيبان يتخوف ايضا من انتشار الدعوة السلفية في جنوب العراق بين البدو والقبائل من خطرهما . فاستمالته الدولة العثمانية وجعلته في جانبها ، وأخفت هذه مستكنه له من عدا ، وأثارت مخاوفه من توسع الحكم السعودي . عند ذلك أظهرت له الدولة العثمانية استعدادها ومساعدتها في حربه مع أهل الدرعية ، وبمده بالمال والسلاح (٢) .

وعندما ضم آل سعود الاحساء أثار هذا العمل الدولة العثمانية وتجسم الميهم خطر قوة آل سعود بشكل مثير (٣) . لأنها أصبحت بضمها هذا الجزء دولة خليجية تطل على الخليج العربي ، ولم تكن كما كانت دولة داخلية ، وكذلك تسمية أمرانها بلقب امام المسلمين أثار غضب خلفاء الدولة العثمانية واعتبروه

(١) حلف دلال النوديني . الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري . ص ٣٥٠ .

(٢) حسين حلف حزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ٣٣٠ .

(٣) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود . ص ١٧٩-١٨٠ .

تحدياً لسلطتهم لأن السلطان العثماني كان يعتبر نفسه خليفة الأديان السماوية  
وهذا ما أزعج الدولة العثمانية حتى بدأتوا بقتلوا الميراثيين في العراق  
للسلطة العثمانية ، وزوال حمايتهم للحجاز ، لذلك خرج الزيدية من  
الدولة السعودية الأولى ، ففتحوا جبهة العراق التي كانت تابعة  
للأتقاب والتغافر بها دون النظر الى هناك إلا الدولة العثمانية  
والولايات التابعة لها وخاصة في شبه الجزيرة العربية التي كانت  
تسعى لوضع يدها عليها وأيديها بالمال ، وألقت القبض على  
وضعت أمام عينها البحث عن الأتقاب من العراق والذين  
والسلطان مسؤول أمام الله قبل كل شيء ، فبدأت الدولة  
العثمانية الى تجريد حملة توييني بزعماء الزيدية في  
أجل تفتيت وحدة تلك الشعوب ، حيث كان  
أن يستعيد السلطان لقبه ، وهكذا خرجت  
البصرة واتجه صوب الأحساء بحرية الى  
كل العناصر المناوئة للدولة " محتمل زعماء  
ونزل به ، وكان في جيشه عبيد من الزيدية  
السلفية يسمى " طعيس " ، فبدأت جيشه يهاجم  
وخاصته منشغلين عنه في بناء مخيمهم ، ثم بدأوا  
وكان معه حربة يخفيها ، فاستطاع في حالة الخوف  
في صدره ، فلقى توييني مصرعه في تلك المنطقة من

(١) محمود شكري السحري (الطبعة الثانية) - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٤

(٢) خلف دلال الوديعي - الأحساء في الزمان - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٥



يوم ٤/١/١٢١٢هـ الموافق ١٧٩٧م . وقتل العبد في الحال <sup>(١)</sup> فاضطربت قوات  
ثويني بموت قائدها ، وتراجعت عن تحقيق هدفها ، وانهزمت مولية الأدبار الى  
البصرة <sup>(٢)</sup> . وذلك لأن القوات السعودية التي أرسلها الامام عبدالعزيز قد وصلت  
الى الموقع فتبعت فلول قوات ثويني فولت هاربة الى داخل الأراضي العراقية  
فأصبحت أسلحة ومدافع وذخائر قوات ثويني غنيمة للقوات السعودية <sup>(٣)</sup> ففشلت  
بذلك حملة ثويني بموته .

وقد كانت نتيجة فشل معركة ثويني وموته صدمة شديدة على سليمان  
باشا والي العراق دون أن يحقق مايرجوه . وكان أمير مكة الشريف غالب بن  
مسعود قد فتح هو الآخر جبهة أخرى ضد آل سعود للقضاء على حكومة الدرعية  
وعلي الدعوة السلفية . وقد جرد لهذه المهمة عدة حملات ، وكانت أولى هذه  
الحميلات في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م <sup>(٤)</sup> .

لكن هذه الحملة فشلت . وهكذا لم يتوف الشيخ محمد بن عبدالوهاب الا  
وقد شهد من علامات قوة الدولة التي قامت على دعوة التوحيد بدء رجحان  
كفتها على كفة أمراء الحجاز .

---

(١) ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ( الرياض ) . من مشورات دار  
البيامة للطبع والنشر ، ص ١٩ .

حلف دبلان الوديعي : الاحساء في القرن الثاني عشر . ص ٣٦٠ .

(٢) حلف دبلان الوديعي : المرجع السابق . ص ٣٦٠ .

(٣) محمد بن عمر الناحري : الاحبار الجديدة . تحقيق عبدالله يوسف الشبل . ( الرياض ) . من  
مطبوعات جامعة الامم محمد بن سعود . ص ١٢٨ .

ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد . ص ١٢٩ .

(٤) صلاح الدين المحتار : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها ( بيروت ) . مشورات  
مكتبة الحياة . ج ١ . ص ٥٢ .

حسين حلف حزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ص ٣٨٠ .

ومن المعروف أن الدولة السعودية استمرت في توسعها بعهد وفياة الشيخ

سنة ١٢٠٦هـ (١)

ومهما يكن فقد توالى حملات الشريف غالب على الدرعية في ١٧٩٧م

١٢١١هـ ١٧٩٥-١٧٩٦م . فكان الامام يتصدى فسطح الحملات المتعددة

الاشراف الفجدة حتى دانت لآل سعود معظم المدان والشمال الشبهري

أدركت حقيقة الدعوة الإصلاحية السلفية في عذرية الينسج وقرانها

الشريعة الإسلامية على الفسقة واجنفة . فدخل في الأمانة الرضا

العتيبي وجماعته . ومن معه من قبائل أهل الحجاز . وقد اختلفت

وحققتها ربية وبيتة (٢)

ففي سنة ١٢١٣هـ ١٧٩٨م . استعمل أمير مكة

استعمل الامام عبدالعزيز وابنه الأمير سعود في تحرير مكة

طاعته وطن أنه سيلحق بالدرعية المنذر . المنذر بأسماء

الدرعية حتى نزل الخرمة . فدارت المعركة بين الثورات

قرمله والشريف غالب بن مساعد . الهزء عظمى

وعداى بلاده . فجنح بعد هذه المعركة الى الصلح بين الشريف

بالوفود الى الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة

كان سليمان باشا الوالي العثماني في بغداد يتبرهن

ولما سمع بالصلح بين الشريف غالب بن مساعد

الدولة السعودية لم يرق له بل . وهو ما يزال يئن من

- (١) عبد الله صالح عتيبي . شيوخ محمد بن عبد الوهاب . ص ١٤٠
- (٢) صلاح الدين المنذر . تاريخ المملكة العربية السعودية . ص ١٤٠
- (٣) حسين حلف حردن . تاريخ الحجاز . ص ١٤٠
- (٤) صلاح الدين المنذر . المرجع السابق . ص ١٤٠

باعداد حملة من الجنود النظامية في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م لمحاربة واخراج الدولة  
السعودية من الاحساء ، فأوكل قيادتها الى نائبه علي باشا كخيا ، وسانده في هذه  
الحملة فرسان بني المنتفق تحت رئاسة حمود بن ثامر الشيب ، فاجتمعت له قوة  
هائلة تفوق حملة تويحي بن عبد الله فزار علي كخيا بهذه الجموع وقصد  
بها الاحساء ، فأخذ في حرب أهلها حتى انضم اليه أهل المبرز والخفوف ، وأهل  
القرين الشرقية نتيجة للقوة الكبيرة والاستعداد العظيم الذي كان مع علي كخيا  
وأهل قصر المبرز ( صاهود ) وحصن الخفوف ، امتنعوا عن التسليم للقائد علي كخي  
فحصرت القوات العثمانية الى كوت المبرز لحصاره ، فحاصره ستين يوماً ، وقد وجه  
علي كخي رسالة الى ابنه ابراهيم ، لذلك عمده علي كخيا الى كل حيلة للاستيلاء  
على كوت المبرز ، فكل محاولاته باءت بالفشل طوال هذه المدة ، ولما طال المقام علي علي  
الاحساء وغرقت فيه الدماء والخوف في نفوسهم فارتحلوا من الاحساء الى العراق ، ونزلوا  
بشمال العراق المعروف بقرب تاج في طريقه الى بلاده .

و بعد ذلك عاد علي الامير عبدالعزيز بتقديم القوات العثمانية للاحساء جهز قوة  
كبيرة وارسلها بقيادة ابنه الامير سعود الذي سار بأهل نجد وقصد ناحية الاحساء  
لتجديدها ، ونزل ماء تاج بين الاحساء والبصرة .

فبدأ اجتماع الجيشين علي غير موعد ، والتقى الفريقان ، ودارت  
بينهما مناوشات ومناوشات لعدة أيام ، ثم أرب علي كخيا ، ووجد أنه واقع وقواته  
لاحساء في قبضة القوات السعودية ، فلجأ الى طلب الصلح علي أن ترجع قوات  
الطرفين الى مواقعها دون قتال ، وألا يتعرض علي كخيا لأحد من رعايا الدولة  
السعودية ، فقبل الأمير سعود بذلك وعاد علي كخيا الى بلاده ، كما عاد الأمير  
سعود الى الاحساء لضبطها وشكر أصحاب الحصون وقام بترميمها (١) .

(١) حلف بن دبلان الوديعي الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٢٦٤-٢٦٦ .

ولما رأت الدولة العثمانية فشل بغداد ، أوكلت المهمة الى والي الشام  
الذي لم يكن بأفضل حال من زميله والي العراق (١) .  
وفي عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣ م دخل الامام سعود بن عبدالعزيز مكة  
المكرمة بعد أن قام الشريف غالب بنقض العهد الذي قطعه علي أمير مكة  
عبدالعزیز وعندما دخل مكة كتب رسالة الى السلطان سليم الثالث طالباً  
من سعود بن عبدالعزيز الى سليم  
أما بعد . فقد دخلت مكة المكرمة في اليوم الرابع من شهر ربيع الثاني  
وأمنت أهلها وأرواحهم وأموالهم بعدما ضللت مائة الف من أهلها  
الضرائب الا ما كان منها حقاً . وأثبت القاضي الذي رافقني في مكة  
فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القنطرة والي حماة والي  
والرمور الى هذا البلد المقدس ، فان ذلك ليس من العدل ولا  
الله وبركاته . الواثق بالله المعبود - سعود بن عبدالعزيز  
ويظهر أن السلطان لم يصحح للبلاد من قبله ما كان عليه  
خرج عبد الله العظم والي الشام باشاها والي الشام والي الشام  
السعوديين . وقد قام الامام سعود بن عبدالعزيز في الثاني عشر  
والي الشام من ادخال الحمل الى مناطق الحج ، فخلد في مكة  
والطبول . لتحذيره في السنة السابقة . ولم يخرج الامام سعود بن  
الحج (٣)

- (١) أحمد عسك : معجزة فوق الرملا . (الطبعة الثانية) لبنان - مطبعة دار الفکر - بيروت  
٢١ .  
(٢) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد السلطان عبدالعزیز . (الطبعة الثانية) بيروت  
١٣٩٧هـ) . ج ١ . ص ٣٧-٣٨ .  
(٣) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث . ج ٥ . ص ٧١ .

وانما منع الامام سعود بن عبدالعزيز أن يغزو أرض الحرمين ما صاحب الحج من البدع التي افتن فيها العثمانيون بالأفانين فيما تتعلق بالمحمل وجمال المحمل ، وطقوس المحمل ، تسير خلفها قوافل الحجيج القادمة من مصر أو الشام أو العراق . وكل ذلك بدعة في الاسلام . وكان حكام الولايات العثمانية يحتفلون رسميا ودينيا بوداع المحمل وباستقباله . كما أن الأشخاص الذين لم يحجوا يقومون بلمس بدن " جمال المحمل " ويتبركون به أما القوة العسكرية التي تصاحب الحجيج فهي اعلان عثماني عن سلطان " حامي الحرمين " في البلد الآمن الذي يجب أن تبتعد الجيوش عنه (١) .

وعلى الرغم من أوامر السلطان وتكرارها لعبدالله العظم أو خلفه يوسف كنج بالقيام بحرب آل سعود ، فإن هذه الأوامر لم تجد أذنا صاغية ، وقد انصرف يوسف كنج لجمع المال . كعادة الولاة العثمانيين في ذلك العصر ، واكتفى برده على السلطان سليم الثالث . بارسال الخطط الحربية لكيفية القضاء على الدولة السعودية ثم اقترح تظافر جهود مصر والعراق لتحقيق هذا الهدف ، فأخذ يماطل الدولة العثمانية حوالي أربعة أعوام (٢) . وفي خلال هذه الأعوام قام الامام سعود بن عبدالعزيز في سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م بجمع جنوده وقصد بلاد الشام لاختاد تحركات بعض قبائل أهل الشام وعربانته ، الذين كانوا يتحرشون بحدود الدولة السعودية الشامية ، وقد تمكنت القوات السعودية من هزيمتهم ففروا الى داخل الشام ، وطاردهم الامام الى عمق الأراضي الشامية ونتيجة لذلك قام

(١) عبدخليم الخدي : الامام محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٦٧ .

(٢) دار الوثائق القومية ، القاهرة ، اقترحات يوسف كنج الخاصة بحرب آل سعود ، محفظة (١) بحرياً

وتيقة (٨) بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٢٢٣هـ - ١٦ ابريل سنة ١٨٠٨م .

نقلا عن (عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ج ١ ، ص ٥٧٤) .

السلطان سليم الثالث بعزل يوسف كنج والي الشام واسناد الولاية الى صاحب  
عكا سليمان باشا (١).

فكانت هزائم والي العراق وعجز والي الشام مظهرين من مظاهر التسلل  
الذي أصاب الدولة العثمانية منذ فترة طويلة .

ومن هنا وقع الشك في مقدرة السلطان العثماني سليم الثالث على  
الاضطلاع بمهمة حامي الحرمين الشريفين تلك التي كانت تفرض احترام الدولة  
العثمانية بين الشعوب والممالك الاسلامية . وبهما لقب السلاطان العثماني بحامي  
حرمي الحرمين الشريفين (٢).

ومما زاد في غضب سلطان الدولة العثمانية هو اغتيال امير الولاية في  
آل سعود منذ عهد الامام محمد بن سعود (٣).

وما علموا أن الدولة السعودية منذ تملكها الشيخ الفهد بن عبدالعزيز  
تخرش الشريف غالب بالدولة السعودية ورعيها وتسييرها الى

وقيامه بعد ذلك بمنع رعايا الدولة السعودية في نجد والامارات  
أحد أركان الاسلام . وهذا العمل أثار غضب مكاتب الديار

أخجاز في تلك الفترة كاد أن يتعرض للغزو العثماني الذي  
واستولى على مصر في عام ١٢١٢هـ - ١٧٩٨م وروى ان

وسلطانها حماية مصر من ذلك الغزو . كما أنها لم تستطع  
عكا ضد حملة نابليون حتى كادت الشه أن تقع أيديها في

الفرنسي مما أثار غيرة الامام عبدالعزيز آل سعود تجاه الامارة  
عكا.

(١) عبدالرحمن الوافي - عصر محمد علي - ص ١١٤  
صلاح الدين المحدث - تاريخ المملكة العربية السعودية - ص ١٠٠

(٢) محمد عبدالله آل عبدالقادر الاحمدي - تاريخ الاحساء - ص ١٤٤

(٣) خير الدين الزركلي - شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز - ص ٣٥

المكـرمة والمدينة المنورة وخشيته من وقوعها في يد الغزاة الصليبيين ، مع علمه بضعف الشريف غالب وعدم مقدرته على حماية تلك الأماكن من الغزو الصليبي ، ولذلك قام بضم الحجاز للدولة السعودية لكن سلاطين الدولة العثمانية بالرغم من ذلك كانوا قد أصرروا على محاربة الدولة السعودية بحثا عن الألقاب وليس لإسعاد أهلها، فأوكلت هذه المهمة الى محمد علي الأرنؤوطي فأصدر الباب العالي أوامره الى محمد علي والي مصر ، بأن يتولى حرب آل سعود ، وكان ذلك في سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م ، فامثل محمد علي والي مصر لأمر سلطانه ، وجهاز حملة عسكرية كبيرة وأسند قيادتها الى ابنه طوسون ، فسار بها في سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، بعد الحاح من السلطان محمود الثاني ، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل الذريع أمام قوات الدولة السعودية ، وقد انكسر الجيش العثماني عدة مرات ، وخرج طوسون الى الصلح بعد عشره أمام القوات السعودية سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م ، على الشروط التالية : ان يرفع العثمانيون أيديهم عن نجد ، ويرفع السعوديون أيديهم عن الحرمين وكل منهم يحج آمنا<sup>(١)</sup> .

ولكن لم يلبث محمد علي أن نقض العهد أو الصلح من أجل مطامع شخصية له ، ولتنفيذ أوامر سلطانه بوقف نمو الدولة السعودية السلفية الفتية ، جهز حملة بربرية ، وأسند مهمتها في هذه المرة الى ابنه ابراهيم للقضاء على الدولة السعودية حسب أوامر السلطان محمود الثاني<sup>(٢)</sup> .

واستطاع بعد عدة معارك قاوم فيها السعوديون مقاومة الأبطال أن يصل الى الدرعية في سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م ، فضرب عليها الحصار ، حينها فوجئت

(١) ابن بشر : عنوان نجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

، احمد بن حجر ال بوطامي : الشيخ محمد بن عبدلوهاب ، ص ٦٣-٦٤ .

(٢) الفاخري : الاخبار النجدية ، ص ١٤٧ .

، ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٤٢-١٤٣ .

القوات السعودية بالسلاح الحديث المتطور الذي زود به الجيش العثماني والكنهيا في  
تأبه به فقد رتب الامام عبدا لله بن سعود الدفاع عن الدرعية من قبل جهات  
واستمرت الدرعية في المقاومة ضد جيوش ابراهيم . وبعد انتصار ابراهيم في  
أبلى فيه أهل الدرعية وعلى رأسهم امامهم عبدا لله بن سعود وبالاعتماد على  
فيه على حرب ابراهيم حتى الموت ، ولكن لما رأى الزمان شره في حروب  
الغازين استجاب للمصلح مع ابراهيم بن محمد علي ، ووافق على ما  
الدرعية في ذي القعدة سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨ / ١٨٠٤ م .  
الثاني أراد حرب الدولة السعودية وذلك لانه في سنة ١٢٢٣ هـ  
وانتشار الدعوة السلفية بمثابة تهديد خطير ، ولما رأى ان  
السلفية التي تدعو الى العودة الصريحة الى اصول الدين  
وسلم ، وبناء البدع والخرافات التي كالتفكير في  
الدعوة شكلت تهديدا خطيرا للدولة العثمانية ،  
في سنة ١٢١٨ هـ ، وخاصة عندما اجتمع في  
العالم الاسلامي .

وقد تأثر بالدعوة السلفية كثير من علماء الدولة العثمانية  
ماهدد النظام العام للدولة كلها (١) وكان من نتائج  
لاعادة النظر في أنظمة الدولة العثمانية ، فقامت  
بالخلافة العربية .

اضافة الى ذلك فان هناك عامل سياسي آخر  
كان يرى أن انتصار الدعوة السلفية بقيادة الشيخ

(١) عبدالرحمن الراجحي : عصر محمد علي ، ص ٥٩ .  
محمد عبدا لله بن عبدالقادر الاحمدي ، توزيع المصنفين ، ص ١٠٠ .  
(٢) خلف بن دبلان الوديعي ، الاحساء في القرون العشرة ، ص ١٠٠ .



الخليفة ، وانفصال عن الدولة العثمانية ، في الوقت الذي كان يرى في محمد علي انفصالياً آخر ، لعله قد يضعف الدولة العثمانية حتى يستقل بمصر ، ثم يغزو الشام والعراق . فوجد السلطان نفسه أمام خصمين : السعوديين ومحمد علي ، فاستطاع السلطان أن يضرب بعضهما ببعض حتى يتخلص من أحدهما أو من كليهما ، وكان يريد هزيمة محمد علي أكثر من هزيمة السعوديين ، لهذا اقتنع محمد علي بالسير للقضاء على الدرعية<sup>(١)</sup> ، ولانسى مطامع محمد علي وحلمه في بناء دولة مستقلة تشمل معظم البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية .

لذلك يجدر بنا أن نقول أن اليقظة الإسلامية دعوة التوحيد والاصلاح واجهت تحديين خطيرين :

التحدي الأول : العسكري الذي وجهته الدولة العثمانية اليها فقضى علي نهضتها الأولى كما رأينا .

التحدي الثاني : الغزو الفكري والاستعمار عن طريق المستشرقين وأعوانهم المنصرين ، وكذلك عملاء الغرب من المسلمين الذين شوهوها فوصفوها بأنها حركة رجعية للعودة الى الحياة البدائية ، فقاموا بخلق حركة موازية لها هي حركة التجديد الغربي الذي أخذ رجاله يحملون لواء الخصومة الواضحة للفكر الإسلامي ومقوماته وأسسهِ . واثارة الشبهات للانتقاص من اللغة العربية والاسلام والتاريخ والتراث الإسلامي ، وكان هذا التحدي هو أخطر ما واجهته الدعوة نظراً لأن الاستعمار والمستشرقين أعطاهمـا امكانية الذبوع والانتشار بفضل وسائل اعلامهم لبذر الخلافات المذهبية والعرقية بين المسلمين لهدم الخلافة الإسلامية تمهيداً لاستعمارها<sup>(٢)</sup> . وهذا ما كان يخطط له نابليون منذ احتلاله لمصر والشام .

(١) رئيس التحرير . الوثائق تتكلم ( العدد الثاني . السنة الأولى . دار الملك عبدالعزيز . ١٣٩٥ هـ ) ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) مصطفى محمد رمضان : العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر . ص ١٦٥-١٦٦ .

## ٢- استمرارها في أدوار السعودية الثلاث :

ولئن كانت الدولة السعودية قد عرض لها ما عرض فقد بقيت الدعوة السلفية شعلة تضيء داخل شبه الجزيرة العربية على الرغم من اشتداد حلقة الظلمات ، بل تجاوزت اشعاع هذه الدعوة وانتشرت في خارج شبه الجزيرة العربية<sup>(١)</sup> . والتي مازالت ماثلة في أذهان الناس داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وظل المجتمع يكن الولاء للأسرة السعودية<sup>(٢)</sup> .

فبعد أن قضى ابراهيم بن محمد علي على الدولة السعودية الأولى في سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م . عاد الى مصر في سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م . وترك الخادمات من الجيش المصري التركي في الرس وشقرا وبريدة وعنيزة تحت أمره بعض قوادس وقد ساءت الأحوال في نجد وغيرها وعاد القتل والنهب فاضطرب الأمن واستمر الفوضى ذلك لأن القادة الأتراك لم يقوموا بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على الفسقة والجناة ، بل شجعوهم على الجريمة رغبة منهم في نشر الفوضى والفساد فاستنجد أهل نجد بالامام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي كان موجودا في جنوب نجد فاستجاب الامام تركي لرغبة سكان نجد ، وتقصدت اليه في سنة ١٢٤٠هـ واستولى عليها ، واتخذها عاصمة للدولة السعودية ، وذلك لتهدم الامم السابقة صلاحيتها لأن تكون عاصمة للدولة السعودية ، ومنذ عام ١٢٤٠هـ استمرت الدولة السعودية من جديد في دورها الثاني .

(١) عبدالله الحفيل : الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات ( مقال منشور في المجلة العربية للدراسات

طبع مركز الوثائق التاريخية ، الحلقة السابعة ، المائة ، ١٤٠٤هـ ) ص ١٢٥ .

(٢) مديحة درويش : تاريخ السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين (الطبعة الثانية ، جدة ، دار

الشروق ، ١٤٠٣هـ) . ص ٥٧ .

وقد واصل ابنه الامام فيصل بن تركي السير على نهج والده في حكم الدولة السعودية خلالها لفترتين لم تخل كل فترة منهما من المناوشات والحروب مع أعداء الدولة أو الخارجين عن طاعتها (١).

ولكن بعد وفاة الامام فيصل بن تركي دب الشقاق في البيت السعودي بين الاخوة والأعمام ، وتنازعوا على السلطة ، فثار سعود بن فيصل على أخيه عبدا لله بن فيصل ، ودارت بينهما حرب طاحنة كانت سجالا بين الطرفين ، وانتهت تلك المعارك بخروج آل سعود من نجد الى الكويت واستيلاء محمد بن رشيد على السلطة في حائل ونجد .

وفي عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١ م استطاع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود استرداد الرياض مبتدئا بذلك أول خطواته نحو حكم مملكته المترامية الأطراف (٢) ، وإعادة بناء الدولة السعودية في دورها الثالث ، وقد خيل للناس قبل ذلك أن الدور السعودي في حمل رسالة الدعوة السلفية قد انتهى برحيل الامام عبدالرحمن الفيصل واحتلال ابن الرشيد للرياض ، ولكن التاريخ يعيد نفسه من جديد بأن آل سعود لا يزالون يعون دورهم القيادي والريادي التاريخي المهم في احتضان الدعوة السلفية والعمل على نشرها .

وهذا بالفعل ما حدث عندما كرر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحاولات لاسترداد الرياض حتى تمكن في سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١ م من استردادها وانتزاعها

(١) محمد جلال كاشك : السعوديون والحل الاسلامي ( الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ) ، ص ٢١١ .

(٢) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين ( الطبعة الأولى ،

الدمام ، مطبعة شركة مطابع المطوع ، ١٤٠٢هـ ) ص ٣١ ، ٣٥٤ .

من يد آل الرشيد<sup>(١)</sup> ، ومن الرياض انطلق نحو بناء دولة موحدة واضعاً أمامه تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ومحاربة البدع والخرافات .

وقد استطاع الملك عبدالعزيز ضم القصيم والاحساء والقطيف الى امارته ، ثم تمكن من ضم حائل والمناطق الجنوبية والشمالية وقامت بينه وبين حكام الحجاز حروب طويلة استطاع ضم الحجاز ، وبهذا تمت خريطة المملكة على الصورة التي هي عليها اليوم ، وعرفت باسم المملكة العربية السعودية منذ أن أطلق عليها مؤسسها الملك عبدالعزيز هذا الاسم في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م<sup>(٢)</sup> .

وهكذا فاننا نلمس صدق استمرار هذه الدعوة السلفية في أحوار الدولة السعودية الثلاث ، كما أننا رأينا خلال ذلك تصميم آل سعود على توطيد الشريعة الإسلامية والتعمق في تأصيلها لتكون القاعدة التي تسيّر وتطابق فيها سياسة الدولة ونظمها ، كما لاحظنا حرص الملك عبدالعزيز على السير في النهج الذي سار عليه أسلافه من آل سعود بانتصاره وتأييد الدعوة السلفية التي نادى بالعودة الى التوحيد والالتزام بالعقيدة الصافية وما كان عليه المسلمون الأوائل من تحكيم لكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> .

(١) ابراهيم جمعه : الأطلنس التاريخي للدولة السعودية ، ( من مطبوعات دار البحوث والدراسات الإسلامية ) ، ص ١٢٢-١٢٨ .

(٢) أحمد القطان وآخرون : امام التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، ( الطبعة الأولى ، الكويت ، مكتبة

السندس ، ١٤٠٧هـ ) ص ٧٣ .

(٣) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١١٠ .

### ٣- تقديم نموذج للدولة الإسلامية العصرية :

بدأ الملك عبدالعزيز منذ استرجاعه لمدينة الرياض يفكر في بناء دولة إسلامية عصرية ، خاصة وهو يعلم بتناحر القبائل وخلافاتها ومطامعها ، فكيف السبيل الى جمع هؤلاء وتضامنهم . لهذا قام الملك عبدالعزيز بغرس وتعميق الشريعة الإسلامية وتطبيقها وبتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحاربة البدع والخرافات وارشاد الناس الى العودة الى الدين الصحيح وأدرك أنه لن يساعده في تحقيق ذلك وهو قيام الدولة النموذجية الا تكوين مجتمع موحد يؤمن بالله ربنا وبالإسلام ديننا ، يسوده الأمن والعدل ، وان أهم ما يجب عليه عمله هو أن يحول العربي البدوي الذي يهوى الترحال وعدم الاستقرار الى شخص مستقر داخل مستقرات أطلق عليها اسم الهجر ، وهي دليل هجر هؤلاء البادية حياة التقبل والاعتناء على الغير الى حياة الاستقرار مع تعميق الإيمان الصحيح في نفوسهم<sup>(١)</sup> .

وطلب منهم أن يتحولوا من رعاة الى مزارعين يقومون بزراعة مايمكن زراعته داخل تلك الهجر ويكون ذلك مورداً ثابتاً لرزقهم وأولادهم ، كما يعملوا على استصلاح الأرض الى جانب المحافظة على مواشيتهم ، والاعتماد في كسب رزقهم على أنفسهم ، مع العمل على تأصيل العقيدة الصحيحة في نفوسهم .

وقد أدرك الملك أن تلك الهجر حينما يتم تأسيسها بصورة جيدة فانها ستوجد لدى سكانها كل الأسباب التي تجعلهم يؤيدون حكومة قوية ثابتة ، وبهذه الطريقة يمكن للحكومة القضاء على الفوضى التي كانت سائدة في تلك الحقبة .

وكان الملك عبدالعزيز يأمل أن يغرس الدعوة السلفية دعوة التوحيد والاصلاح في تلك الهجر حتى يرتبط سكانها برباط العقيدة الإسلامية الصحيحة .

(١) محمد المنيع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١١٠-١١١ .

وكانت لكل قبيلة موارد مياه تعتبرها ملكا خاصا بها . وقد شجع الامام زعماء هذه القبائل بالهبات والمنح لينوا بيوتا سكنية حول تلك الموارد، مما جعل رجال القبائل يقبلون ببناء تلك الهجر .

وكانت هجرة الأرتاوية أول تلك الهجر والتي تأسست في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وبعدها انتشرت الهجر في وسط شبه الجزيرة العربية وخاصة في نجد وتسمى من سكن هذه الهجر باسم الاخوان<sup>(١)</sup> . وكان الهدى من قضاة الحركة هو توحيد القبائل وجعلهم في خدمة الدولة ونشر الدعوة السلفية بينهم . وهكذا وجه الملك الطاقات القتالية عند القبائل العربية في دولته إلى خلافة الاسلام والدعوة السلفية ثم خدمة الملك والدولة الاسلامية وادعوا من آثار القبائل النهب والسلب . واتجهوا الى تنفيذ تعاليم الاسلام بتحسين في الله . فكانت قبائل القبائل العون للملك عبدالعزيز في حروبه<sup>(٢)</sup> في الاممستان والهند وباكستان والقصيم وحائل .

ولكن هؤلاء الاخوان بعد ان دانت للملك عبدالعزيز حكامهم اعترضوا على استخدام بعض الوسائل المدنية التي ادخلها الملك في حربه على حكومته ، فاضطر الملك عبدالعزيز الى عقد المؤتمر العام بالرياض في ١٤١٠هـ لبحث الأمور التي كانوا يظنون أنها حرام وبدعة . ونجح الملك عبدالعزيز في طمأنينة قلوبهم وتوضيحه لهم ، لأن الأغلبية الساحقة من الاخوان كانوا يؤمنون بدينهم وایمان الملك عبدالعزيز . وهم يعلمون أنه لا يأمر بمعصية كما امر الله في كتابه واخلاصه للعقيدة الاسلامية<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) محمد المنيع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ٢١٠-٢١١ .  
(٢) محمد جلال كشك . السعوديون والخل الاسلامي . ص ٥٥٩-٥٦٠ .  
(٣) عبدالله الحقييل : الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات ( مقال منشور في الكتبخانة الملك فهد مركز الوثائق التاريخية ، بدولة البحرين ، ١٤٠٤هـ ) . ص ١٢٧-١٢٨ .

وهكذا نرى المنهج السلفي يقيم الدولة العصرية ، وقد خطب الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة عند ضمها الى مملكته خطبة بين فيها ما هو مقبول من مدينة العصر وما هو مرفوض ، نقتطف منها مايلي :

( ان التمدين الذي فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا " مرحبا به وأهلا " وأما التمدين الذي يؤذينا في أدياننا وأعراضنا وشرفنا فوالله لن ندعن له ، ولن نعمل به ولو قطعت منا الرقاب ) .

وفي غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٧هـ الموافق ١١/٥/١٩٢٩م خطب الخديوي بحكة ليعلم التزامه بالمنهج السلفي ويحدد ابعاده فقال : ( يسموننا بالوهابيين ويسمون مذهبنا الوهابي باعتبار أنه مذهب خاص .. نحن لسنا اصحاب مذهب جديد او عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد فعقيدتنا هي " عقيدة السلف الصالح " التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونحن نحترم الأنمة الأربعة ، ولافرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، كلهم محترمون في نظرنا ، اننا لانبغي التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا... ) .

ومن خطبه أيضا تلك التي ألقاها في حجيج سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م أي بعد توحيد المملكة بسنة تقريبا قوله :

( وقد جعلنا الله مبشرين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، لانتقيد بمذهب دون آخر ، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا اليه وتمسكنا به ، أما اذا لم نجد دليلا قويا فناخذ بقول الإمام أحمد) .  
وكما صنع هذا الملك العظيم بالعقيدة السلفية - صنع بالمسلك السلفي الذي يهب للمسلم كل القوة ، اذ يدرك معنى الشهادة ومنطق العبادة ان الله

اكبر. وان من كان الله معه فهو منصور (١).

وهكذا أقام الملك عبدالعزيز وخلفاؤه بالمنهج السلفي الدولة العصرية على أسس الشريعة الإسلامية، مع الأخذ بوسائل المدنية التي لا تتنافى ولا تتعارض مع الدين الإسلامي القويم كما قالها بنفسه.

لذلك رأى العالم المسلم منهم وغير المسلم كيف قامت دولة عصرية متطورة تتوفر فيها كل وسائل الرخاء والأمن وكل متطلبات الحياة الحديثة دون أن يترك الناس ولو لحظة واحدة انتماءهم للشريعة الإسلامية التي تقوم على أساسها حياة الفرد على تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه في كل أمور الدين والدنيا ولا غرو في أن الدعوة السلفية التي نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ولا غرو في أن الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قد نجحت بإقامة دولة عصرية متطورة في نجد. اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين أمير الدرعية والرجال والنفس والنفيس والشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية.

(١) عبد الحليم الجدي : الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٨٢ .  
(٢) عبد الله الحيل : الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات ، مقال منشور في الكتاب الثالث بحسب الوثائق التاريخية بدولة البحرين ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٢٧-١٢٨ .



كان تاريخ ارساليات التبشير في شبه جزيرة العرب ، بوجه خاص هو تاريخ ارسالية التبشير العربية التي هي الابنة الممتازة لكنيسة الاصلاح الامريكية ولها فروع اربعة اقدمها عهدا " جمعية تبشير الكنيسة " التي تفرع عنها فرع آخر في فارس في سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢ م ، وقد استقلت هذه الجمعية بأعمالها باسم "جمعية التبشير العربية العثمانية " ولها في بغداد اربع ارساليات وفي الموصل واحدة . وفي سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥ م ذهب الى عدن " ايون كيث فالكونز " فأسس هناك ارسالية تبشير اسكوتلندية وهي مؤلفة من طبيين منصرين ، وتبعها " ارسالية التنصير العربية " التي أسست في سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩ م وهي تابعة لكنيسة الاصلاح الامريكية ، فانتشرت في البصرة والبحرين ولها في البحرين خمسة منصرين اثنان منهم طبيان واثنان امرأتان ، ولها في البصرة اربعة مبشرين أحدهم طبيب . فكان المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة الى مستشفيات المنصرين في الموصل ، وبغداد والبصرة والبحرين وعدن . فعندما يرحل المنصرون الأطباء يجوبون البلاد كانوا يفرسون في النفوس بذورا استطاع المنصرون بعد ذلك جني ثمرها سياسيا وتنمية غرسها ثقافيا ، فعني المنصرون بالتعليم المدرسي والتربية اللذين أسفرا عن نتائج مستهجنة وأثرا ثمرات ضارة في الأطفال والمراهقين على السواء ، فكانت المحاضرات التي يلقيها المنصرون حول ارتقاء الممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام ، فكان من نتائج ذلك أن اقتطفوا ثمرات أعمالهم في كل منطقة من مناطق التنصير باظهار التسامح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية<sup>(١)</sup> .

الا أن دعوة التوحيد والاصلاح قد لعبت دوراً مهماً في تجنيد الدولة

(١) ل . شاتليه : الغارة على العالم الاسلامي . ص ٣٥ ، ٣٦ .

السعودية الآثار المدمرة للغزو الفكري ، والتي اتضحت آثاره في محاولات التنصير للتخوم المجاورة للدولة في الشام ومسقط والبحرين وبغداد والموصل وفارس وعدن عن طريق التعليم والعلاج الطبي لتخفيف الآلام البشرية ، وخاصة عندما ضمت الدولة الاحساء وأصبحت نجد دولة خليجية وقاعدة سعودية برية وبحرية تنطلق منها جيوش الدعوة السلفية الى داخل بلدان الخليج لنشرها هناك .

ازدادت أهمية صد التدهور عندما ضم الامام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة في سنة ١٣١٨ هـ حين انتشرت هذه الدعوة الى الدول المجاورة خارج نجد . لذا هزت هذه الدعوة الركود الذي أصاب العالم الاسلامي ومهدت لظهور الدعوات الاصلاحية في البلدان المختلفة والمجاورة كما سيأتي .

مما تقدم يتضح لنا أن الدولة السعودية قد قامت على أسس انسانية سليمة، وعملت كل ما في وسعها من أجل رفعة هذا الدين وعلمه منه ذروة الذروة ذلك من الملحق بركب الحضارة في العصر الحديث .

اذا فقيام هذه الدولة الاسلامية على أسس سليمة ممكنة في ظل التدهور الذي عم أرحاء الدولة العثمانية ، وتمنع أي تسرب للمذاهب المنكوبة شبه الجزيرة العربية وخارجها لدورها الفعال في نشر النهج الاسلامي السليم في الأقطار المجاورة لشبه الجزيرة العربية ، وبث الصحوة الاسلامية بين ربوعها . سدا منيعا للأفكار الهدامة التي خيمت على بلدان وأقطار اسلامية كالمسلمة الدولة ودعوة أهلها الى الرجوع الى الله ونبيه كل بدعة وقول لا يندرج في تطبيق أحكام كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذه المبادئ الاسلامية لا تحل في مكان وتنتشر في مكان آخر . فلو أن شعوبها بالامن والاستقرار والعدل ، فلقد ظهرت الدعوات الساعية في شبه جزيرة العرب بكاملها ، ثم انطلقت الى شمالها وجنوبها الى السودان والهند وسومطرة ، وشمال أفريقيا ، ولقد تصدت هذه الدعوة لدفع التدهور عن أحوال

العالم الاسلامي التي كانت تتشابه في كل هذه الأقطار وقت ظهور الدعوة السلفية في قلب نجد الى حد بعيد من حيث اعتناق أهلها للخرافات والبدع وانصرافهم عن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية وتحديد موارد الدولة على أسس اسلامية .

وعلى كل حال فقد وجدت هذه الدعوة السلفية ميدانا للعمل واستطاع الدعاة المصلحون في كل تلك الأقطار أن يشعروا سكانها بحاجة الاصلاح الديني ، وبضرورة اتباع مبادئ الدعوة السلفية للنهوض ببلدانهم ضد الغزو الفكري ، والتيارات الاستعمارية المعادية للاسلام والمسلمين التي تريد غزو الاسلام في عقر داره لأحكام حدوده بعد أن كانت ممتدة في العمق الأوربي .

وبفضل من الله استطاعت هذه الدعوة ايقاظ العلماء فوقفوا أمام الهجوم الشرسي الذي جاء به الغزو الفكري للعالم الاسلامي .

...

## ج - تأثير حركات الإصلاح في العالم الاسلامي بها :

لم يقتصر أثر الحركة السلفية القائمة على دعوة التوحيد والابتنان في شبه الجزيرة العربية بل امتد هذا الأثر الى خارج حدودها وذلك عن طريق الحجاج الذين كانوا يفتدون الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ، وكانوا يفتدون القادمون من الخليج والعراق ويمرون في طريقهم على الدرعية فهاجسوا بالدين السلفية حيث يلقون الضيافة والاكرام من حكام الدرعية وتلقى الناس دروس في أصول الدعوة وأسسها لمدة ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>

وكان موسم الحج ميدانا صالحا ، وفرصة سانحة أمام الدعوة السلفية في حجاج بيت الله الحرام ، واستمالتهم لقبول مبادئ التوحيد والابتنان من الكتاب والسنة ، فاذا عادوا الى بلادهم سحروا الزعماء والفقهاء والسياسيين السعوديين الحجاز ودخلوا مكة المكرمة سنة ١١٧٠ هـ ، فانتشر في سائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية للتوحيد والابتنان ، فالتقوا بالعلماء وناقشواهم فيما يدعون اليه ، فاستمعوا لهم وواعظهم وارشاداتهم القيمة وتوجيهاتهم السليمة ، وبهذا الانطباع انتشرت الدعوة السلفية الاسلامية<sup>(٢)</sup> ، وتأثر بها بعض الحجاج لما رأوا في هذه الدعوة محمد بن عبد الوهاب أنها ليست دعوة جديدة كما ظنوا ، بل هي دعوة

(١) أحمد القطان وآخرون : امام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١١٠

(٢) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث (بيروت : المطبعة الحديثة ، ١٩٦٤)

(٣) محمد عبدالله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ١١٠

(٤) عبدالله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١١٠

، محمد عبدالله ماضي : المرجع السابق ، ص ٦٤

(٥) عبدالله بن سعد الرويشد : المرجع السابق ، ص ١١٦

تعتمد على أسس ثلاثة : الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، تحارب البدع والخرافات والخزعبلات الشائعة بين الناس من تبريك وتقديس الأحجار والأشجار والقبور والبناء عليها ، وبدعاء العلماء والأولياء والصالحين ، فأخذ كل منهم ينشر في بلاده التوحيد ويحارب هذه الخرافات الموجودة في بلاده (١) .

ومع مرور الزمان انتقلت أصول هذه الدعوة الإصلاحية الى كل من القواسم ، الذين جاهدوا في سبيل هذه الدعوة الانجليز في الخليج العربي ودانوا للدولة السعودية الأولى ، كما انتقلت الى السودان وسومطرة والهند والعراق والشام ومصر والجزائر وجاوه وعمان .

وكان هدف دعائها في كل مكان حلوا به هو محاربة البدع والفساد والقضاء عليها ، وتصحيح العقيدة بما علق فيها من أدراك الشرك للرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح في القرن الأول للهجرة (٢) .

لذلك قامت هذه الحركات الإصلاحية ، ودعاة الإصلاح ضد الأوضاع السائدة في البلاد (٣) .

ففي اليمن ظهرت مجموعة من العلماء تأثروا بالدعوة السلفية ، ودعوا الناس الى مبادئها ، وكان على رأسهم العالم الجليل محمد الشوكاني ، وصار لهم أتباع ووقعت بينهم وبين خصومهم من العلماء الآخرين مناقشات ومنازعات ولكن ذلك لم يتعد الحرب الكلامية (٤) .

(١) أحمد بن حجر ان بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ١٠٣ .

(٢) عبدالله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ١٧٦ .

أحمد بن حجر ان بوطامي : المرجع السابق . ص ١٠٣ .

(٣) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث . ص ٢١-٢٢ .

محمد عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ٨٣ .

(٤) عبدالله بن سعد الرويشد : المرجع السابق . ص ١٧٧ .

أما في السودان ، فقد قامت هذه الدعوة على يد الداعية الشيخ عثمان  
ابن فودي ، أحد أفراد قبيلة الفولا ، فانه بعد التقائه بعلماء الدعوة السلفية في  
موسم الحج ، اقتنع وأيد الدعوة السلفية التي دعا اليها الشيخ محمد بن طه  
العلماء في مكة المكرمة ، فعاد عثمان الى بلاده وأخذ يحارب البدع الضالقة من  
قومه وعشيرته ، ويعمل على القضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأوثان التي كانت  
لا تزال سائدة ويؤمن بها بعض أهل تلك الديار ، فاستطاع بهذه الدعوة أن يهدي  
حواله قبيلته في وحدة متمسكة مرتبطة برباط الماسين ، بعد أن كانت قد انقسمت الى  
عدة فرق وشيع ضعيفة متخاذلة.

لذلك بدأت حروب سنة ١٨١٨ - ١٨٢٠م ضد قبائل النوبة السودانية  
وقضى على ملكة جبير ، التي كانت تقع على نهر مجرى النوبة ،  
ولم تمض الا سنتان حتى أقام عثمان بن فودي ملكة ومملكة في  
السودان على أنقاض ملكة جبير ، على أساس دعوة التوحيد والأصولية  
الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي اهدت الى جميع الأفطار الواقعة بين السودان  
تشاد ، وبقيت هذه المملكة محافظة على استقلالها ووحدتها في ذلك العهد  
وكما عزت الدعوة السلفية منطقة السودان فقد نشطت في السودان  
عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي حركة الدعوة الوهابية

(١) محمد كمال محمد : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٠٠

محمد عبدالله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ١٠٦ - ١٠٧

لوتورب ستورارد : حصر العم الإسلامى ، ج ٣ ص ٢٢

(٢) محمد عبدالله ماضي : المرجع السابق ، ص ٦٦

أحمد بن حجر ال بوخاري : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٠٣ - ١٠٤

عبدالله سعد الرويشد : الامم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٧٧

لوتورب ستورارد : المرجع السابق ، ص ٢٣

بنشاط ملحوظ . حيث قام دعاة هذه المقاطعة من البنغال ينتقلون في البلدان المجاورة لتطهير البلاد من بقايا العقائد الهندوكية القديمة عن طريق الوعظ ليوقظوا الحماس الديني وينشروا العقيدة الاسلامية بين الناس هناك <sup>(١)</sup> ، كان ذلك بواسطة أحد الحجاج الهنود السيد أحمد . وكان هذا الرجل من أمراء الهند ذهب الى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الاسلام في سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م . وحين وفد الى مكة المكرمة التقى بدعاة الدعوة السلفية في مكة المكرمة واقتنع بصحة اصول الدعوة السلفية فأصبح من دعاة التوحيد . ولما عاد الى وطنه في سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٠م في الهند باقليم البنغال وجد صعيذا صالحا للدعوة بين سكان تلك المنطقة من الهنود المسلمين الذين اختلطت عقيدتهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس هناك . فبدأ بدعوته في مدينة ( بتين ) . ودعا أولا اخوانه المسلمين بترك البدع والعقائد الهندوسية التي كانت شائعة بين الناس ، واتباع مبادئ الاسلام الصحيحة . وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون أن يقيموا الدولة الاسلامية على اساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البنجاب وما حولها تحت حكم الداعية السيد أحمد <sup>(٢)</sup> ، فامتدت هذه الدولة في نفوذها حتى شملت منطقتي السند وبلوچستان وجزءا من أفغانستان ، ثم أعلن الشيخ السيد أحمد الجهاد الاسلامي على كل من خالف مذهبه السلفي . لكنه هزم قرب مدينة بيشاور ، اذ تعرض لمقاومة عنيفة من الانجليز والمتعاونين معهم في محاولة

(١) اربولد : الدعوة الى الاسلام . ص ٣١٥ .

(٢) عبد الله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ١٧٦-١٧٨ .

أحمد بن حجر ال بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ١٠٤-١٠٥ .

أحمد بن عبدالغفور العطار : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ٢٠٨ .

أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث . ص ٢١ .

للقضاء على الاسلام ، حتى استشهد في عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م (١) .

هذه الدعوة التي قامت على الأصول السلفية ، لازالت قائمة هناك على يد خلفاء السيد أحمد من بعده ، ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها شيئاً ، ولا يزال هناك الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالاسلام على المذهب السلفي متبعين في ذلك أصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي سومطرة ابتدأت الدعوة السلفية في سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م على يد أحد الحجاج من أجل اسعاد أهل الجزيرة ، والذي عاد من الحج في السنة نفسها بعد أن التقى بالدعاة السلفيين ، واطلع على ما كانوا يدعون اليه ، حتى عاد إلى بلده بصحته ، ولما عاد الى وطنه ابتداء بالدعوة ثم تطورت هذه الحركة في بلادها حتى أدت الى حروب طاحنة بين المسلمين السلفيين في سومطرة وبين غير المسلمين سكانها ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٢٤٧ (١٨٣٤) م تنهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هذا الذي نتج عن المناوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين المسلمين السلفيين الذين حوالي ست عشرة سنة انتهت بتغلب قوى الاستعمار على المسلمين السلفيين والحركة السلفية (٢) .

أما الحركة السنوسية فقد بدأت في الجزائر في أواسط القرن الثامن الهجري الموافق لأواسط القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم غزت طرابلس ثم انتشرت في شمال أفريقيا ، ثم مدت رواقها نحو الجنوب حيث تمكنت من

(١) محمد عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٨٥ .

(٢) محمد عبدالله ماضي : النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٦٨ .

، أحمد بن حجر آل بوطامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٦ .

، عبدالله بن سعد الرويشد : الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٨-١٧٩ .

، أحمد عبدالغفور عطار : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٠٩-٢١٠ .



فالحركة السنوسية قاومت وناهضت الاستعمار في كل مكان حلت به، والتي كانت ولا زالت مدرسة تربية وتهذيب للشعب السنوسي آنذاك، هذه الدعوة تأثرت بالدعوة السلفية، فالسيد محمد علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية كان في مكة يطلب العلم وقت ضم السعوديين لها، فتلمذ على علماء الدعوة السلفية الذين قدموا الى مكة المكرمة، وتأثر بمذهبهم، ثم عاد الى الجزائر. ونادى بحركته الاصلاحية على ضوء تعاليم الدعوة الاصلاحية الاسلامية السلفية التي أشعل ناراها في شبه الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبدالوهاب<sup>(١)</sup>.

وكما انتشرت هذه الدعوة بواسطة الدعاة السلفيين، فقد انتشرت هذه الدعوة المباركة في حضرموت، وجاوة بواسطة السيد رشيد رضا الذي قام بتأليف جمعية الارشاد في تلك البلاد لتطبيق مبادئ الدعوة السلفية دعوة التوحيد والاصلاح التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وللحقيقة فقد تأثر بهذه الدعوة كثيرون من أهل حضرموت، وعدن، وجاوة وبالجملية لقد كان لهذه الدعوة الأثر العظيم في العالم الاسلامي من نواحي مختلفة، وقد كانت هي الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله، حيث تأثر بها زعماء الإصلاح في سائر الأقطار الاسلامية.

لهذا تأثرت كل الحركات الاصلاحية بالدعوة السلفية. ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل هذه الحركات، اما عن طريق الاقتباس او المحاكاة أو مجرد التأثير<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، ص ٦٨.

عبدالله سعد الرويشد، الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص ١٧٩.

أحمد بن حجر ال بوطامي، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص ١٠٦.

(٢) أحمد بن حجر ال بوطامي، المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

عبدالله سعد الرويشد، المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

كما أن تأثير أي دعوة بالأخرى ، لا يعني الاتفاق في جميع مبادئها الأساسية والفرعية . إلا أن هذه الحركات الإصلاحية تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدعوة السلفية ، واتفقت معها في أهم المبادئ التي تدعو إلى إخلاص التوحيد لله . والدعوة إلى الاجتهاد ، أما المسائل الفرعية فقد كان هناك اختلاف معها (١) .

ولكن هدف هذه الدعوات من الإصلاح هو العمل لسيادة مبادئ الإسلام الصحيحة ، ثم بعد ذلك القضاء على البدع والخرافات ومحاولة بناء دولة إسلامية تحكم بتعاليم الإسلام وتطبق أحكامه في المعاملات والعقائد وإقامة العدل الشرعية . وهذا ما كانت تهدف إليه الدعوة السلفية في الدولة السعودية في مراحلها الثلاث باستمرار . وتحرص على ذلك وتؤكد عليه في كل مناسباتها التي يبحث على التمسك بالعقيدة السمحاء والعمل بها والحفاظ عليها . لذلك يتضح لنا الدور المهم الذي حققته دعوة التوحيد والإصلاح في الدولة السعودية في صد خطر الغزو الأوربي عن شبه الجزيرة العربية . وهذا يعني امتداد دور الدعوة وتأثير حركات الإصلاح في العالم الإسلامي بها . وهذا يعني امتداد دور الدعوة الفكري عن أقطار عديدة من العالم الإسلامي التابع للدولة العثمانية والبريطانية إلى الدول الإسلامية .

فانتقال تأثير دعوة التوحيد والإصلاح في بعض أقطار العالم الإسلامي إلى إحدى الركائز التي واجهت وصدت الغزو الفكري الأوربي في معظم القرون العثمانية والممالك الإسلامية الأخرى ، حيث حارب علماء تلك الممالك المناطق الاستعمارية الذي أخذ ينفث سمومه في الأراضي الإسلامية في تلك المناطق حلت به هذه الدعوة ، ويفرض نظمه الأوربية ، ويشجع حركة التنوير في البلاد

(١) محمد عبدالله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨١ .

الاسلامية عن طريق نشر المبادئ والأفكار الهدامة والتي تعتبر من مقومات حركة الغزو الفكري في العصر الحديث .

وهذا العمل كفيل بصد الغزو الفكري بمختلف ألوانه وتياراته لتبقى العقيدة سليمة وصالفة من كل الشوائب والمعتقدات الفاسدة الأخرى في مقابل نشر العقيدة الاسلامية في أنحاء الدول الأخرى تطبيقا عمليا في الأحكام والحدود والمعاملات كما كانت تطبق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين.

## الخاتمة والتأنيق

الدولة العثمانية والغزو الفكري من الموضوعات الكبيرة والهامة التي كان لها تأثيرها السياسي والحضاري على الأمة الاسلامية في العصور الحديثة ، ذلك لأن الحكم العثماني استمر فترة طويلة وشمل حكمه معظم البلاد الاسلامية في ثلاث قارات هي أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا وبذلك تأثرت الأمة الاسلامية بالتغيرات السياسية والحضارية التي عاصرت الدولة العثمانية .

وَمَا يلاحظ على تلك التغيرات السياسية والحضارية أن الدولة العثمانية كانت غامضة فكريا وسياسيا في عصرها الأول ، عندما طبقت النظم الاسلامية تطبيقا شاملا ، وهذا ما تعرضنا له في الفصل الأول . فتقدمت في فتوحاتها وأجبرت أعداءها على احترامها في عصر استقرار نظامها الذي ترتب على صلاح عناصرها القيادية التي ارتكزت عليها الدولة في عصرها الأول وهي : السلطان والشيخ والجندي ، وقد وصلت الدولة بهذه العناصر الى قوة ضاربة أرهبت بها أوروبا ، وشقت طريقها داخل أوروبا لنشر الاسلام والحضارة الاسلامية في ربوعها ، فلقد نشأت الدولة العثمانية من امارة صغيرة على أنقاض دولة السلاجقة الروم بعد وفاة آخر ملوكهم السلطان علاء الدين في عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م والذي هزم على يد المغول .

ولاحظنا ما صاحب نشأة هذه الامارة وجهادها ضد البيزنطيين لايقاف الحركات الصليبية ضد البلاد والأمة الاسلامية وكانت قوتها التي تحركها هي روح الجهاد الاسلامي في الأجزاء الغربية من بيزنطة ، كما كان جند الدولة يسحقون الأحلاف التي تقف ضدهم من النصارى ، حتى تم لهم فتح أهم المدن البيزنطية النصرانية في آسيا الصغرى وشرق وجنوب أوروبا ، وقد اتصف آل عثمان بالتسامح ، فعندما أراد عثمان بن أرطغرل نشر الاسلام بين المسيحيين البيزنطيين في آسيا كان يخيرهم بين الاسلام أو الجزية أو الحرب . وذلك قبل حربه معهم كما كان يفعل الرعييل الأول في الاسلام .

فكان بعضهم يختار الاسلام طوعا . أما الفئة الثانية فقد اختارت دفع الجزية . الا أن القسم الآخر قد امتنع ورفع راية العصيان رغبة في القتال . مما دفع العثمانيين الى خوض هذه الحرب المقدسة واعتبار ذلك العمل كجزء من واجبهن الاسلامي نحو الجهاد في سبيل الله . لاحبا في القتال ولكن لنشر الدين واعلاء كلمة الحق .

وهكذا تدرجت هذه الامارة في النمو والانتساع . وافتتح بروسية امبيعتات دولة وزاد تعمقها في اوروبا حين فتح السلطان مراد الأول ادرنة . فأصبحت الدولة بعد ذلك آسيوية اوروبية .

وفي مقابل ذلك كانت اوروبا تتمكث في شكل ائتلاف ضالين من الامم العثمانية في مراحلها الأولى لضربها وسحقها قهرا . وقد حاربوا اهل الاراضي التي فتحها الدولة العثمانية في اوروبا . وقد حاربوا اهل الاراضي العربية والخامسة كانت في عهد مراد الثاني . الا أن محاولاتهم بدماء كثيرة لم تقو قوة وصلابة ووحدة الدولة العثمانية وتسليح رباطها بالايمان وامتدادها في الشهادة والجهاد في سبيل الله واخلاصهم في الدفاع عن راية الاسلام . يعلمون أن هذه التجمعات والتكتلات يدفعها الحقد الصليبي اللدني من اجل صلاح الدين منهم بيت المقدس . فكانت هذه الأتلاف والتجمعات التي كانت الصليبي للدولة العثمانية انما هو امتداد للحملات الصليبية السابقة في ارض الوسطى .

ولذلك كان الهدف من وراء هذه الحملات هو اخراج المسلمين منها كلها . ثم من آسيا ليستمروا في الزحف حتى يصلوا الى بيت المقدس الذي هو الهدف وهو الهدف الذي رسمت من أجله هذه الحملات . بل انه أهم أهدافها . يضاهي اليه العامل الاقتصادي الذي لا يقل أهمية عن الهدف الأول .

ويظهر لنا من هذه الدراسة حماس الدولة العثمانية في الجهاد ونشر الدعوة الى الله نحو الغرب دار الحرب . وهو العامل الأساسي الذي كان يدفع الدولة منذ بدايتها .

وقد أكدت الدراسات أن العثمانيين أمة حرب وقاتل من أجل خدمة الإسلام ونشره . وقد اعترف ببسالتهم الهجومية والدفاعية الأعداء قبل الأصدقاء . لذلك انطلقت الدولة في جميع حروبها مع أوروبا من منطلق اسلامي بحت . وتحت راية الجهاد الاسلامي . ولما يدل على ذلك المنطلق وصايا عثمان لابنه أورخان ، وهو علي فراش الموت . حيث أوصاه بنشر الاسلام . وهداية الناس لهذا الدين مع الالتزام بحماية أعراض المسلمين وأموالهم . وقد حثه على الجهاد لنشر الاسلام وعدم تركه وتحكيم شريعة الله . والتقرب من العلماء وتقريبهم واستشارتهم في الأفعال والأعمال التي يقومون بها .

لذلك اعتبر العثمانيون أن نشر الاسلام في الأرض وهداية الناس به هو من أهم أعمالهم وأزكاها عند الله . ومن واجباتهم الأساسية التي نشأت الدولة العثمانية من أجلها . وبالإضافة الى تلك العوامل والمقومات نرى العثمانيين يفتحون قلوبهم لمن اعتنق الاسلام في أوروبا . ومن أشهرهم الأمير خوسيه ميخائيل الذي أسلم في زمن عثمان بن أرطغرل . فأصبح هذا المسلم من خيرة المسلمين وارتقى بهذا الاسلام حتى كان من قادة المسلمين المرموقين في الدولة العثمانية . ثم القائد افرينوس حاكم بروسه . وغيرهم من الشخصيات الأوربية الذين أسلموا وحسن إسلامهم . فأخلصوا والتزموا في إسلامهم . فخدموا الاسلام والمسلمين ضد أوروبا النصرانية .

فاتضح لنا أمانة التزام السلاطين أنفسهم بهذه النظم الاسلامية التي كانوا يطبقونها في عصر الدولة الأول على أهل الذمة . كما كانت تطبق في عهد الخلافة الراشدة من حسن معاملة صادقة . وهذا مما أدى الى انتشار الاسلام بين الدول

الأوربية ، اذ أسلم بعضهم ، ودفع بعضهم الجزية مقابل حمايتهم ، وبعضهم  
المسيحيين أسلموا نتيجة لتسامح المسلمين ، وبإسلامهم سقطت عنهم الجزية .  
الا أننا يجب أن لا ننسى دور الانكشارية في بناء هذه الدولة ، وقد كان  
للحصانة الفكرية التي تربوا عليها الدور الواضح في حروبهم تحت قيادة  
السلطانين ، وخاصة في عصر الدولة الأول لتشييع الجندي الانكشاري بالروح  
الجهادية واخلاصه لعقيدته أولا ثم لوطنه ثانيا ، فكانوا يؤمنون بالاسلام عزيمة  
ومنهجا .

لذلك كان الانكشاريون كتلة واحدة نشعر بواجبها الانساني الذي  
وبالمهمة التي أعدوا من أجلها ، وهي أن السيف واللاهية في اسبيل نشر  
الاسلام ، ودعوة الحق شعارهم ، والرحمة والشفقة عملاً لأوربيون وعلماء  
دينهم والسلطان ولي أمرهم ، قد أصبحت هذه العقيدة التي انبثقت من  
حتى صار السلطان لا يعول إلا عليها ، ولذا كانت الانكشارية من القوى  
الدولة وامتدادها حيث رافق هذا الجيش تكوين المذهب السني في  
الاسلام وتقدمه في أوربا خلال عصر عظمة الدولة

ومنذ أن فتحت القوات العثمانية القسطنطينية سنة 1453م ،  
أصبح اسمها اسطنبول كما أصبحت عاصمة الدولة العثمانية ، وكان  
محمد الفاتح على آمال ومستقبل أوربا التي كانت تهادن اسلافه في  
المدينة انطلق فاتحها لمواصلة الجهاد لنشر الاسلام في الدول الأوروبية  
أما موقف أوربا ، فقد انتابها الخوف والقلق من قوة المسلمين  
الإسلام ، وما كانت البابوية لتهدأ أو يخلو لها مجال بالروحانية  
المذهبي للأرثوذكس في القسطنطينية . فهي لا تملك من بعض المسلمين  
الامبراطورية البيزنطية . ولكن قوة المسلمين في ذلك الوقت اوقفت أوربا عاجزة  
لاستطيع أن تقدم يد العون الى القسطنطينية خوفاً منهم الشديد من العثمانيين لأنهم



لازالوا يتذكرون معركة نيكوبلي ( نيكوبوليس ) الشهيرة التي أذهلت ملوك أوروبا وشعوبها نتيجة للفشل الذريع الذي حل بالجيش المسيحي الأوربي ، فلم يعد من السهل استثارة الأوربيين للدولة العثمانية ، وقد أنهت هذه المعركة الحملات الصليبية كحركات صليبية منظمة ضد الاسلام كما مر بنا في الفصول السابقة .

ومن ذلك الوقت سجلت أوروبا تراجعا عكسيا ، خصوصا عقب سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين ، فتوقف نهائيا التهديد الصليبي بغزو المقدسات الاسلامية في البلاد العربية ، وركز الأوربيون الطاقات الدفاعية عن مقر البابوية في روما ، خوفا من سقوطها في يد المسلمين العثمانيين كما سقطت أياصوفيا مقر البابوية الشرقية وأعظم معقل الديانة المسيحية الأرثوذكسية . وزاد السلطان محمد الفاتح أوروبا ارتباكا وحيرة عندما أقسم أن يربط فرسه في كنيسة القديس بطرس في روما ، لذلك أصبحت روما تحت التهديد العثماني، وظن الناس أنها لامحالة ستسقط كما سقط المعقل الشرقي الأرثوذكسي . فhez هذا القول أوروبا وارتعدت خوفا أمام القوة الاسلامية التي تطبق الاسلام بكامل حدوده وشعائره .

وحين عزم السلطان محمد الفاتح على ذلك جهز قواته وسار بها نحو شرق أوروبا طلبا للجهاد في سبيل الله ، فاما النصر أو الشهادة ، ونتيجة لذلك أصبحت الامارات الأوربية البلقانية تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى وهو سائر في طريقه الى روما تحف به عناية الله وتوفيقه .

وحين رأت أوروبا تصميمه على ذلك قررت التخلص منه عن طريق طبيبه اليهودي الذي اعتنق الاسلام على مذهب يهود الدونمة ، فدس له السم في الطعام تدريجيا حتى قضى عليه غمدا كما هي عادة اليهود ، وبموته زال الخطر عن أوروبا حيث عبرت عنه باقامة الأفراح في كل مكان، ولكن كان ذلك الفرحة مؤقتا حيث واصل خلفاؤه من بعده السير على خطاه في الجهاد ونشر الاسلام

ولذلك اعتبرت أوروبا أن فتح الدولة العثمانية للقسطنطينية هو مولد المسألة الشرقية التي أشغلت أوروبا منذ ذلك الوقت . ولا تزال قائمة تشغلها واضعة أمامها الأسئلة التالية : كيف تستطيع أوروبا إيقاف تقدم الاسلام ونشره في الأقطار والممالك الأوروبية ؟ وكيف تعمل أوروبا من أجل تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ؟ ولماذا عاد الاسلام مرة أخرى ينطلق من الديار الشرقية ؟ ولم تستطع أوروبا أن تحقق مآربها أو أن تصل لغاياتها العدوانية ضد الأمة الاسلامية . وذلك لأن الدولة العثمانية كانت قوية ذات مركز عال مهابة الجانب ، والسر في ذلك أنها كانت تطبق شرائع الاسلام قولا وعملا كما أن جندها كانوا متشبعين بروح الجهاد في سبيل نشر الاسلام . ومن أجل ذلك تحقق للدولة العثمانية كل أمنيتها وأيدها الله بنصره لأن الله تعهد بأن ينصر من ينصره .

وهكذا اتسعت رقعة الدولة العثمانية حتى وصلت إلى أقصى اتساعها ثم جعل ملوك أوروبا يطلبون ود الدولة العثمانية . ويستنجدون بها على أيدي القسطنطينية . ومن ذلك قيام فرانسوا الأول ملك فرنسا بالاستعانة بسليطان المماليك السلطان سليمان الأول لمساعدته ضد شارل كان ملك النمسا الذي كان يهدد أوروبا بأملأكه كالسوار بالمعصم . وقد حالفه السلطان سليمان علي ذلك بالبيعة ورضي الظلم عنه .

ونتيجة للانتصارات العظيمة التي حققتها جيوش الدولة العثمانية في تلك الفترة من النصرى دخل في الاسلام تطوعا ، فانضموا إلى الجيش الانكشاري . فتم ضم البوسنة دخل أكثر شبابها الاسلام ، وقد ساهموا مع الجيش العثماني في فتح المدن الأوروبية الأخرى . وهذا يعود لسماحة السلاطين وتطيقهم . ومن خلال استعراضنا للأحداث التاريخية خلال العصر العثماني الأول نجد أن الدولة العثمانية كانت غازية فكريا ودينيا كما أنها كانت ملتزمة بالاسلام قلبا وقالبا . فطبقت النظم الاسلامية تطبيقا شاملا مما لا يختلف فيه اثنان .

وحين انتقلنا الى الفصل الثاني تحدثنا عن الدولة في عصرها الثاني فقد  
 كانت غير ذلك ، فاتساع رقعة البلاد وامتدادها على القارات الثلاث ، أوجد لها  
 مشكلات غير عادية في مجال الدفاع الخارجي والتنظيم والتماسك الداخلي ،  
 أوصلت الدولة الى عوائق ، وكان من الواجب على سلاطين الدولة الذين جاءوا  
 بعد السلطان سليمان الأول العمل على اجتياز تلك المشاكل الداخلية  
 والخارجية. وإيجاد الحلول الكفيلة لها ، ولكنهم تقاعسوا عن ذلك وتقايس معهم  
 العلماء والقادة ، فانصرفوا الى حياة الترف واللهو مما زاد من تفاقم المشاكل  
 الداخلية والخارجية ، وعندما أرادوا ادخال بعض التعديلات و الاصلاحات في  
 النظم الداخلية لجأوا الى محاكاة الغرب المسيحي في تنظيماته، فانصرفوا عن الاسلام،  
 فاضلوا الطريق ، وأصبحوا ألعوبة في يد بلدان الغرب يعقدون معهم المعاهدات  
 والاتفاقيات ويمنحونهم الامتيازات داخل أراضي الدولة العثمانية . وقد نتج عن  
 ذلك الانحلال من سلاطين الدولة زيادة المشاكل وصعوبة حلها مما أثر على وحدة  
 الدولة وتماسكها، وفتح الطريق أمام تسرب الخلل في جميع أجهزة الدولة ، وقد أدى  
 وجود قوميات وأديان متعددة في الدولة الى اضطراب كيانها فكثرت الثورات  
 الداخلية ، فانتشرت أعمال الفوضى ، واضطرب الأمن ومنيت الجيوش العثمانية  
 بهزائم كبيرة ، فكان هذا مبررا لتدخل الدول الأوروبية في شئون الدولة العثمانية  
 بحجة رعاية القوميات والأقليات الدينية في الدولة . ومن أجل تفاقم ذلك الخطر  
 فإن الدول الأوروبية لم تتردد في تقديم المعونات المالية والعسكرية بل والبشرية  
 لاشعال تلك الثورات وتشجيعها على المطالبة بالانفصال حتى ينتهي بها الأمر الى  
 الانفصال عن كيان الدولة الكبير أو حصول الدول الأوروبية على معاهدات  
 وامتيازات لرعاية تلك القوميات والديانات. وهذا كله ناتج عن انغماس أغلب  
 سلاطين الدولة في حياة اللهو والمجون والاسراف وتفشي سوء الادارة وقبول

الرشوة بين حاشية السلطان وعماله حتى أصبح ذلك شريعة سائدة في جميع أرجاء الدولة وأقطارها .

كان ذلك بعد الانتصارات الباهرة التي أحرزها العثمانيون عندما حملوا راية الاسلام وساروا بفتوحاتهم صوب الغرب . ولما داخلهم الغرور جنحوا إلى الكسل . وتهاونوا في تطبيق أصول الاسلام الداعية للعمل والجهاد وتطويع النظر الاسلامية بكل معانيها . فانشغلهم تبعاً لشهواتهم شغلهم عن الغرباء وغفلوا عن هدم الملة الاسلامية . فاستغل الغرب هذه الغفلة وأخذ يخطط لافتراسها من الناحية التجارية والسياسية والدينية في المنطقة . فكان ذلك عن طريق الغزو التجاري لحملة نابليون تنفيذاً لوصية لويس التاسع ملك فرنسا ورواندا في سنة 1801م والذي كاد أن يذهب ضحية الحملة الثامنة لولا عجزه على القيام بها . فاستغل ذلك لفككه من الأسر . وهكذا تحولت المعركة من ميدان القتال إلى ميدان الفكر والعقيدة والفكر بهدف تشويه عقيدة المسلمين التي كسلوا عنها أهم عوامل الغزو الفكري حركة التنصير . وقد استغل الغرب هذه العوامل خلال الهجمة الصليبية على الدولة العثمانية التي نشأت في بداية القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي . فواصل سفراء تلك الدول الأوروبية ، ومن خلال سفراء تلك الدول التنصيرية المدعومة من الدول والجمعيات المسيحية واليهودية ، العمل على التعليمية والعلاحة في اسطنبول وبلاد الشام وأصبحت تلك الدول تعمل على الزعامة لحماية الأماكن المقدسة في فلسطين .

وعن طريق هذه الخدمات استطاعت هذه الدول أن تنجح في جعلها حاضراً في الفكر الاسلامي فكرياً ودينياً وسياسياً وتعمل ما تريد من أجل تشويه عقيدة المسلمين وتشكك المسلمين في دينهم وعلمانهم ، وبالتالي يتبعون الغرباء ويصدقونهم في كسل ما يقول . وكان الغزو الفكري من العوامل المهمة التي ساعدت على تفتت الدولة

الاسلامية لأنه غرر بشعبها المسلم عندما شككه في دينه وعلمانه الأفاضل . وأصبح مغرما بتفاهات الغرب وحضارتهم المادية ، ثم أطلق الغرب على الدولة العثمانية تعبيرا لا يليق بدولة كبرى خدمت الاسلام والمسلمين وهو تسميتها (بالرجل المريض).

وقد لاحظنا في الفصل الثالث نشأة حركة الغزو الفكري الأوربي حيث نشأت معها الأفكار العلمانية والقومية والحركة الدستورية ، وتسربت هذه الأفكار عن طريق الثورة الفرنسية التي استطاعت أن تخترق الحياة السياسية والدينية وأن تؤثر في أوروبا ، وتعمل على تغيير النظم القديمة في أوروبا . فشجعت تلك الأفكار اليونان على المطالبة بالاستقلال . كذلك شجعت من ثار بعدهم على طلب الاستقلال لبلادهم سواء ضد النظم القديمة الأوربية أو الانفصال عن الدولة العثمانية ، ويعني ذلك أن هذه الأفكار تسربت الى ممالك الدولة العثمانية الأوربية وكان أثر ذلك أن فقدت الدولة اليونان .

والدولة العثمانية نفسها لم تنج من تسرب هذه الأفكار اليها ، فأصابته هذه الأفكار كثيرا من هيئات المجتمع العثماني ، ولئن كان التأثير في بادئ الأمر ضعيفا إلا أنه أصاب الطبقات المسيحية التي تعيش داخل الدولة أكثر من غيرهم ، وكان ذلك تمهيدا للحركة الدستورية التي اضطرت بأفكارها دول البلقان والصرب والافلاق والبغدان والجبل الأسود التابعة للدولة العثمانية طلبا للاستقلال ، فأخذت الدولة العثمانية تتصارع معها ، وأخذت روسيا تساند هذه الثورات وتحث القلاقل حتى نالت هذه الدول استقلالها في معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ م .

وكان لتطورات التاريخ الأوربي الحديث الأثر الكبير على المناطق والشعوب في تغيير فكر المجتمعات الى علمانية وقومية جديدة ، ثم لم تلبث أوروبا أن نشرت هذا الفكر في المدن الاسلامية، وكان شعارها المعلن (العدل والاخاء

والمساواة) وهي نفس الشعارات التي تدعو لها الماسونية ورددتها أتباعهم ، ويؤكد ذلك ارتباط العلمانية بالماسونية . كما أن ذلك يعني القاعدة التي تنطلق منها هذان المذاهب الهدامة ، وان اختلفت في الأسماء والمسميات ، فهي في الحقيقة مؤسسات سرية يهودية أريد بها هدم الإسلام وتفتيت الأمة الإسلامية ، وبهذه الشعارات والدعوات والمذاهب الهدامة تغفل سلطان اليهود ، وأخذت سماته تبرز للعيان منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي ، وساعد في انتشار هذه الأفكار أكثر تطور الثورة الصناعية واتساعها وتوسعها ، وساعدت المواصلات في العالم ، مما أتاح لهذه الجمعيات والمؤسسات إمكانات الانتشار الواسع والانتشار بأعضائها من مكان إلى آخر لنشر مبادئهم وتعاليمهم التي تكملهم بأهدافهم وأمانيتهم وأطماعهم ، والعمل على توجيه أبناء المجتمعات والبرامج الفرعية التي تسيطر عليها لتحقيق الهدف الذي تعبر عنه الحزبات التي تتولى هذه المؤسسات السرية العالمية المنتشرة في جميع بلدان العالم والتي تتولى إدارة ماسوني في خدمة الأطماع اليهودية ، فالأفكار المستقلة السرية الماسونية في العالم الماسونية . كانت تتعرض دائما للنقد اللاذع والبعداء من قبل الناس الذين كانوا يترددون كثيرا ما استخدم هؤلاء التصفية الجسدية كما هي عاداتهم طالما لم يتبين أهدافهم ومخططاتهم وأهدافهم العدوانية .

ولقد أدت حياة الركود والتراجع التي كانت تعيشها الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر من غير موقفها من الهجوم إلى موقف الدفاع عن النفس ، ولم تقم أوروبا في ذلك الوقت على الحد بل بدأت الدولة تفقد في كل حرب مع أوروبا أو روسيا وإيطاليا في القرن التاسع عشر الأخرى ، لذلك بدأت الدولة في محاولات الإصلاح التي لم تكن ناجحة في البداية والسياسية والثقافية وحتى النفسية . في الوقت الذي كانت فيه أوروبا الأوروبية تسيطر على الطرق العالمية الكبرى ، ولكن عندما أثر السلاطين سياسة العزلة والانصراف عن مواجهة المشاكل والانكفاء خلف شهواتهم التمهتت المشككة .

فانتهزت الانكشارية يساندهم في ذلك العلماء هذه الفرصة، وقامت بقتل كل فكرة اصلاحية جديدة حتى ولو لم تتعارض مع الشريعة الاسلامية، مما زاد في طمع الغرب، ففكر في تقسيم ممتلكات الدولة أكثر من مرة، ولكن خوفهم من الخلاف فيما بينهم على تقسيم الدولة واشتعال الحرب فيما بينهم جعلهم يوجلون هذا الأمر. ويرسمون الخطط لنشر الفوضى والاضطرابات داخل ولايات الدولة ومدنها الكبرى.

وحين انتقلنا الى الفصل الرابع بينا فيه الاضطرابات ودعوات الاصلاح في الدولة حتى اتجهت الى الاصلاح العسكري أولا وقد واجه تحقيق ذلك سلسلة طويلة من العراقيل نتيجة للضعف الذي أصاب السلاطين والعلماء والانكشارية والتدهور الشامل في سياسة الدولة الداخلية والخارجية، والتهاون في ادارة الدولة حتى بدأ سلاطين آل عثمان يتطلعون الى معرفة أسباب ضعف دولتهم وايجاد الحلول لذلك الضعف. فقام السلطان سليم الثالث ( ١٢٠٤ - ١٢٢٢هـ / ١٧٨٩ - ١٨٠٧م) وبدأ الاصلاح في الدولة.

ولكن الانكشاريين لم يمهلوه، فقد عارضوه، وكان ضحية هذا الاصلاح بعد أن وضعوا مكانه السلطان مصطفى الرابع الذي كان يميل لهذه الفنة ولكن القائد مصطفى علمدار في روسجك الذي كان يؤيد الاصلاح ومن مؤيدي السلطان سليم الثالث استطاع أن يقضي على السلطان مصطفى الرابع بجيشه وأن يولي محمود الثاني عرش الدولة العثمانية، هذه الأحداث تعكس بجلاء ضعف الدولة وانهارها وسوء ادارتها مما مهد الطريق لعوامل الغزو والفكري أن يتسرب داخل البلاد. وعندما تسلم السلطان محمود الثاني السلطنة بعد ثورة دموية أدرك أنه لا سبيل الى الاصلاح الا بالتخلص من الانكشارية. ولكن كيف يتم ذلك؟ ففكر وراح يخطط للوصول الى كيفية يتخلص بها من هذه الفنة الباغية والخارجة عن طاعة ولي الأمر. وخاصة أنه عقب حرب اليونان اتضح لديه عدم جدوى الجنود

الانكشارية ، وأعجبه تنظيم الجيش المصري على الطريقة الحديثة وانتصاراتهم الباهرة التي حققها ابراهيم بن محمد علي في المورة ، كما كانت محل اعجاب أوروبا نفسها ، لذا زاد من اصراره على القضاء على الانكشارية ، ولكنه في هذه المرة قبل البدء استحصل على فتوى شرعية تنص على وجوب التخلص من هذه القوة . ويظهر لنا من هذه الفتوى أنه استطاع اقناع العلماء وجعلهم الى جانبه بعد أن شرح لهم مشاكل الانكشارية ، وأنها أصبحت من أسباب ضعف الدولة العثمانية ، بعد أن كانت قبل ذلك إحدى عوامل بناء الدولة وقوتها . فأعلن ذلك للأوروبيين وسعى الى إيجاد انقسام بين صفوف الانكشارية فأحدث هذا المبدأ عملاً في تشكيلات الانكشارية صدى في جميع أنحاء العالم كما خصصت من الميزانية جزءاً من عناوين كبيرة لهذا الحدث . وسمى الأتراك العثمانيون هذا المبدأ بالانكشارية الخيرية .

لهذا اعتبر المؤرخون أن السلطان سليم الثالث كان من أكثر السلاطين اهتماماً بالعلم وهي في مهدها . أما السلطان محمود الثاني فيعتبر مبدأ الانكشارية الأساس للإصلاح العسكري في الدولة . ولذلك شرع في تكوين فرق من الطراز الأوربي واستدعى لتدريبه ضباط ومهندسين فرنسيين . وأما في عهد العمل أن الاستغراب قد زاد في عهد السلطان وتوسيع خبرته في الانكشارية .

ومن استعراضنا للأحداث التي كانت تمر بهذا خزانة الانكشارية القوة العسكرية كانت أولى عناصر الإصلاح التي اهتمت بهذا المبدأ . ذلك دخل الاستغراب الى أنظمة الدولة العسكرية وبالتالي في أوروبا والفنيين الذين تم استقدامهم من أوروبا ، وكان هدف الدولة من ذلك هو جعلها قوي تستطيع الدفاع به عن نفسها ، ومن ثم تسترجع ما فقدته من ممتلكات .



ومن أجل ذلك سعى السلطان محمود الثاني الى زيادة عدد الطلاب المتبعثين الى المعاهد والمعسكرات الأوروبية للدراسة والتدريب هناك حتى بلغ عددهم الآلاف ، وقد تأثر هؤلاء المتبعثون من خلال دراستهم بما كان يروج في أوروبا من أفكار ثورية ، مما أدى الى ظهور طائفة جديدة من أبناء المسلمين في الدولة العثمانية لم يستطع المجتمع العثماني تقبلهم لتأثرهم بالأفكار الهدامة ، وقد أطلق عليهم "الشبيبة العثمانية" تشكل منهم عناصر استوطنوا بعض المدن الأوروبية ليقوموا بدور المعارضة بأفكارهم المخالفة للشريعة الإسلامية .

وهنا تجدر الإشارة الى أنه عندما توفي السلطان محمود الثاني في سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م كانت الدولة العثمانية على مشارف السقوط عقب الأزمة مع محمد علي . وقد توفي السلطان قبل أن يعرف هزيمة جيشه من قبل قوات محمد علي باشا بجوالي ثمانية أيام تقريبا ، ولكن خوف دول أوروبا من محمد علي على مصالحها بعد أن عرفت قوته في حرب المورة جعلتهم وخاصة الانجليز وعلى رأسهم بالمرستون يدبرون له المكائد لحماية اسطنبول .

وكان بالمرستون يعرف أطماع محمد علي وأحلامه في اقامة دولة عربية من مصر الى الخليج العربي ، وهناك سبب آخر أيضا وهو تحالفه مع فرنسا ، مما يعني بالنسبة للانجليز تعرض مصالحها في الهند للأخطار .

وعقب وفاة السلطان محمود الثاني تولى من بعده السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ، فقام بعدة تنظيمات مما يعتبر خروجاً عن الأصول الأولى التي سارت عليها الدولة خلال عصرها الأول . وأهم ذلك استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية حيث بدأت الدولة في طور غريب تتبع فيه التنظيمات الغربية في الحياة والتقنين . وفي قيام المؤسسات على أنماط غربية . ويبدو لنا أن صغر سن السلطان عبدالمجيد جعله يخضع لتأثير وزيره رشيد باشا ، الذي قضى معظم حياته في الغرب بين باريس ولندن ، والذي وجد في الغرب مثله الأعلى وفي الماسونية فلسفته المثلى ،

لذلك استطاع جر الدولة الى هذا المنزلق الخطير طول فترة حكم السلطان  
عبدالمجيد.

مع العلم أن السلطان عبدالمجيد عقب توليه للسلطة أراد تسوية الأزممة مع  
محمد علي ودياً دون تدخل الدول . وقد وافق محمد علي . الا أن روسيا وانجلترا  
والنمسا وغيرها من الدول لم تترك هذه المسألة دون حلها تحت نظرهم لذلك  
تدخلت هذه الدول اجبارياً للتسوية بين محمد علي والسلطان عبدالمجيد ففقررت  
بالاجماع دون فرنسا الزام محمد علي بمعاهدة لندن سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م .  
والتي كان من أهم شروطها:

- ١ - يمنح محمد علي مصر وراثية وولاية عكا طوال حياته .
  - ٢ - ترسل الدول أساطيلها للدفاع عن اسطنبول ان هددتها محمد علي .
  - ٣ - اذا رفض محمد علي هذه الشروط في ظرف عشرة أيام تسحب منه ولاية  
عكا . ويبقى له مصر فقط . واذا رفض ذلك في مدة عشرة أيام المصري  
ينظر السلطان في الأمر من جديد مع استشارة الخلفاء .
- وقد كلفت الدول الأوربية الانجليز بتنفيذ هذه المهمة .  
وعندما علم محمد علي بالاتفاقية رفضها واستدعى قواته من شبه الجزيرة  
العربية لمواجهة هذا الخلف . ولكن المعركة بينه وبين الانجليز انتهت بعطائه فقط  
وراثه مصر . لذلك أصدر السلطان عبدالمجيد مرسوماً سلطانياً ينظم اختيار حاكم  
القطر المصري . وينظم وراثه محمد علي بمصادقة الدول الأوربية فتوجه محمد علي  
الى اسطنبول لعرض طاعته وتقديم خدماته للسلطان .

وبهذا المرسوم أسدل الستار على أحداث محمد علي . ورجعنا الى المعاهدة  
السلطان كما كان سابقاً لاحول له ولا قوة . مرغماً .

وهنا السؤال الذي يفرض نفسه ماذا كسب محمد علي من هذه الحرب  
ضد السلطان محمود الثاني ؟ حتى أزهق الدولة العثمانية بشأن مطامعه ؟ وماذا

فعلت له فرنسا ؟ التي دفعته لحرب الشام . وهانحن نراها تتخلى عنه في أول أزمة يمر بها ، ولم تعمل على مسانדתه كما وعدته ، وكما هي عاداتها فقد تحالف فرانسوا ملك فرنسا من قبل مع السلطان سليمان الأول ضد النمسا وعند التنفيذ أدخل بوعده .

ومن خلال هذا البحث يمكن أن نقول انه لايمكن أن يتحالف نصراني مع مسلم ضد نصراني على دينه ومذهبه مهما ضحى المسلم ونفذ أوامر حليفه ولو كان على حساب دينه كما فعل محمد علي ، نرى هذا الحليف يتخلى عنه، اذا كان هذا العمل ضد مصالحه ومصالح بني جلدته كما فعلت فرنسا مع محمد علي .

أما السلطان فقد أخذ في مواصلة تنظيماته عقب أزمة محمد علي فأصدر أول مرسوم من مراسيم التنظيمات خط كلخانه سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مستهلا حكمه وعقب هذا الخط أصدر الخط الهمايوني عندما افتعلت الروس الأسباب لحربها ضدالدولة العثمانية في سنة ١٢٧٠-١٢٧٢هـ / ١٨٥٣-١٨٥٥م ، من أجل كسب أراض جديدة وإيقاف حركة الإصلاحات التي بدأت تخشى منها روسيا، والتأكيد على قضية الامتيازات التي حصل عليها قساوسة الكاثوليك بموجب الامتيازات التي منحت لفرنسا في عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) وهذه الامتيازات هي التي خولت للفرنسيين امتلاك الكنائس في فلسطين ، وكان الروس يسعون جاهدين لبسط نفوذهم على تلك الكنائس كما هو معروف وسلب فرنسا تلك الامتيازات واعطائها للأرثوذكس الموالين لهم لتتولى الزعامة بسبب حمايتها لهذا المذهب ، ولأجل نشر نفوذها في الدولة العثمانية عن طريق تحريك رعاياهم لهذا المذهب لضرب الدولة بهم . ونتيجة لانشغال فرنسا في حروبها مع نابليون فقد سيطر الروس على مركز النفوذ الذي كان لفرنسا ، وعندما حاول نابليون إعادة هذا النفوذ اختلف مع روسيا ، ولفض هذا الأمر تحاكموا الى الدولة صاحبة الأمر ، فقررت أولوية النفوذ للكاثوليك ، فعارض الروس في هذا القرار .

وهددوا الدولة العثمانية بالحرب لو صممت على هذا القرار فكانت الحرب الروسية العثمانية التي انتهت بتوقيع معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م . ونتيجة لهذه المعاهدة التي أعقبت الحرب بين الدولتين فقد وقعت الدول الأوروبية الدولة العثمانية في المنزلق الخطير واجبار الدولة على المزيد من التنظيمات . وأصدر الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م عقب حرب القرم . وجاء هذان الخطان خط كلخانة والخط الهمايوني نتيجة لتدخل الدول الأوروبية مما أدى الى انحراف مسيرة الدولة العثمانية عن الطريق الصحيح والخروج عن جادة الشريعة الاسلامية من أجل ارضاء الدول الأوروبية بحجة تحسين احوال رعاياها في الدولة العثمانية .

والحقيقة أن معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م كان من بين شروطها ما مهد لتمزيق الدولة العثمانية حيث أدخلتها هذه المعاهدة تحت كنف الحماية الأوروبية ، والتدخل في شئونها بقصد حماية رعاياها مستغلين في ذلك الوقت ضعف الدولة الممنوحة لهذه الأقليات غير المسلمة داخل الدولة العثمانية والتي كانت تتعرض لروسيا وغيرها من الدول الأخرى ، وأهم بنود هذه المعاهدة هو إلغاء الحماية التي ي accorded بعد المسيحيين بحرية ليس لها حدود ولا ضوابط ، والغريب أن الدول الأوروبية والنمسا هما أول من تنبه الى خطورة هذا البند أكثر من مندوبيهم الذين كانوا يترأسون نفسها ، لأنهم خشوا من سريان هذه الحرية الفوضوية الى بلادهم . ونتيجة لذلك أدخلت الدولة أيضا تحت كفالة الدول الأوروبية ويمكن للتقارير التي تقدمت الى الدول الأوروبية ان يكون ذلك ؟ فنقول : ان تعدد القوميات داخل الدولة ككفالة الدول الأوروبية بهدف تفتيت الدولة العثمانية من الداخل مستغلة الأقليات غير المسلمة في الدولة واليهودية . وهذه من السياسات الخطيرة التي فرضتها معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م . ونتيجة لذلك تنبه لها الدولة العثمانية ، ولكن الذي حدث بعد هذه المعاهدة أن الدولة العثمانية أصبحت في حالة الدفاع عن النفس .

ونتيجة لذلك تم انشاء المحاكم المختلفة والمحاكم التجارية ، وكانت هذه التنظيمات التي أدخلت في نظام أو بنية الدولة هي بداية انهيار التشريع الاسلامي في الدولة فظهرت المدارس والمعاهد والارساليات التنصيرية علنا في الدولة العثمانية.

وكان هذان الخطان أيضا ارهاصات ومقدمات لمحاولة تطبيق الدستور في عهد السلطان عبدالعزيز من قبل مدحت باشا وزملائه من الأشرار والمغرورين الذين رأوا أن الدولة لا يخرجها من أزمتها هذه الا تطبيق الدساتير الوضعية الأوروبية، ونسوا أو غفلوا أن تطبيق الشريعة الاسلامية هو العلاج الناجح لاصلاح الدولة اذا أرادوا اصلاحا . ولذلك حاول السلطان عبدالعزيز رفض ذلك، وصرح بأن هذه الأمور لاتصلح أن تطبق على المجتمع الاسلامي ، فأصدر مجلة الأحكام العدلية المعروفة ، فكان ذلك ردا على مدحت باشا وزملائه الذين لم يرق لهم الرجوع الى تطبيق النظم الاسلامية ، لذلك دبوا المكيدة لخلعه ثم قتله ، بتخطيط وتحريض من الانجليز الذين ساندوا هذه الفنة لاحلال الدستور محل الشريعة الاسلامية ، فكان هذا السلطان ضحية مدحت باشا وزملائه لعدم تطبيق المشروطة . ولما يوسف له أن السلطان عبدالحميد الثاني قام بتطبيق المشروطة ربما لارضاء مدحت باشا وزملائه حيث أعلن المشروطة .

ومن خلال هذه التطورات عين السلطان مدحت باشا صدرا أعظم للدولة ولكنه لم يلبث الا شهورا حتى عزله السلطان عبدالحميد الثاني لعدم كفاءته لأنه أقحم وأربك الدولة العثمانية في حربها مع الروس سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٨م ، هذه الحرب التي تبلورت فيها مرتكزات الغزو الفكري وأطماع الدول الأوروبية وخاصة روسيا التي اتضح في مسلكها بانها لايهمها اعلان الدستور أو تعطيله بقدر ما يهمها الحصول على أكبر مساحة ممكنة من أراضي الدولة العثمانية المجاورة لها. ويبدو واضحا أن اتجاه روسيا الى هذه الحرب هو عدم تحقيق آمالها ومقاصدها التي لم

تتحقق في حرب القرم الماضية ، لهذا نراها تسعى الى التحرش بالدولة العثمانية لتقودها للحرب معها ولو لأتفه الأسباب .

ولقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الدولة العثمانية ووصول الروس الى مشارف العاصمة اسطنبول ، ولولا تدخل الدول الأوروبية لدخلت روسيا اسطنبول فتوقفت الحرب . وفي الوقت نفسه أرغمت الدولة العثمانية على توقيع معاهدة سان ستيفانو في سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م بالشروط التي أملتها روسيا منفردة دون تدخل الدول الأوروبية الأخرى . الا أن الدول الأوروبية ثارت ثائرتها ، لأنها لانفس سياسة روسيا التوسعية ، فأجبرت روسيا على الغاء معاهدة سان ستيفانو في معاهدة برلين سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م . وتعديل شروطها حتى تتفق مع مصالحها وانتهت هذه المعاهدة بتفتيت وتقسيم الدولة بين الدول الأوروبية الاستعمارية ، فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا .

ولما رأى السلطان عبدالحميد الثاني عدم جدوى إعلان الدستور وأنها عديم الفائدة لأن تطبيقه لم يمنع من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة الداخلية والخارجية ولم يمنع مطامعها ، وأن المسألة ليست كما يدعون وهي التمسك بالدستور للشعب بل المسألة تعدت ذلك ، وأصبحت مسألة أمن الدولة .

الأسباب قام السلطان عبدالحميد الثاني بالغاء الدستور لعدم التناجح في العمل على توحيد الأمة غير اسلامية على بلد اسلامي . وأعلن الجامعة الاسلامية وأقال جهته الى توحيد العالم الاسلامي تحت مظلة الشريعة الاسلامية لتوحيد العالم الاسلامي .

الهجمة الاستعمارية الشرسة التي كان همها ابتلاع العالم الاسلامي .

الاسلامية . منذ معاهدة باريس سنة ٢٧٣هـ / ١٨٥٦م .

وبعد الغاء الدستور أو المشروعية تمت في الدستور في مؤتمر الصلوات الأوروبية . فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي في باريس ثم في سلانيك وفي اخر المطاف توحدت هاتان الجمعيتان للعمل على اعادة الدستور متحدتين . وكانت الأنشطة

الماسونية آنذاك تقوم ببعض التحركات السرية ، حيث بدأوا أنشطتهم في كل الجهات لتقويض أركان الدولة العثمانية ومن تلك النشاطات ما قامت به الصهيونية بقيادة هرتزل الذي حاول استعطف واغراء السلطان عبدالحميد لايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين ولكن السلطان عبدالحميد الثاني وقف موقفا مشرفا نبيلاً ازاء نشاط الصهيونية فرفض مطالبهم وأصدر أوامره بايقاف هجرة اليهود الى فلسطين. لذلك ومنذ تلك اللحظة ناصب اليهود السلطان عبدالحميدالعداء ، فقرروا الوصول الى أهدافهم عن طريق خلعه بالوسائل السياسية والمكاند الدولية .

لذلك نرى اليهود يستخدمون الماسونية . والماسونية ماهي الا واجهة من واجهات الصهيونية وجدت لخدمتها وخدمة اليهودية ، وهذه المسميات وجوه لعملة واحدة ، فالصهيونية الاسم الجديد لليهودية ، والماسونية أيضا صارت اسما جديدا للصهيونية ، فقد تتغير الأسماء لكن الهدف لايزال واحدا هو خدمة اليهود في كل مكان . ولذلك اندس الماسون في صفوف الدستوريين لتوحيد مساعيهم ، وتنظيم حركتهم في سلانيك حيث المركز الرئيسي للماسونية التي يتزأسها قراصو اليهودي . وقد عقدوا هناك عدة مؤتمرات تحت رئاسة قراصو رفيق درب هرتزل، والذي فوضه اليهود للاطاحة بالسلطان عبدالحميد . فاتفق الدستوريون والماسونيون في هدف واحد وهو خلع السلطان عبدالحميد واعادة الدستور ، وقد تم لهم ذلك بالتعاون مع الماسونية والجيش الثالث في سلانيك ، فعادت المشروعية الثانية في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م التي قبلها وأعلنها السلطان على مضض ، بقصد احباط السياسة الانجليزية التي تساند حزب الاتحاد والترقي منذ نشأته لاحلال الدستور الوضعي محل الشريعة الاسلامية ، لأن بريطانيا احدى الدول المعادية للاسلام ، فالغزو الفكري يعني محاربة الشريعة الاسلامية ومحاولة تنصير أهلها كما هو معروف .

وبهذا نقول نجاح الغزو الفكري في تهينة أنصار له من أبناء الدولة العثمانية المسلمة ، سواء كانوا يعلمون أو يجهلون ذلك الغزو ، حتى انتهت الدولة بخلع السلطان في سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ونفيه الى سلانيك بحجة اشتراكه مع الحزب الاسلامي الذي رأى في المشروطية خروجاً عن الشريعة الاسلامية ، فثار لمقاومتها ، وخصوصاً عندما اجتمع البرلمان الجديد ، وبجانبهم حزب الأحرار أو الاشرار الذي يدعو الى اللامركزية ويترأسه صباح الدين ابن محمود باشا والذي كان أكثر أعضائه من المسيحيين .

وبتأييد من الانجليز دخل اليهود الى هذه الجمعيات واندسوا داخلها فزادوها اشتعالا ، واتهموا السلطان بتدبيرها للتمهيد لخلعه كما سبق حتى يخلى لهم الجو فيما بعد ، ويتمكنوا من تطبيق النظم والدساتير وتحقيق أهدافهم ومطالبهم في فلسطين ، وجعل الدولة تسير على خطى العلمانية .

وهكذا يمكن أن نجيب على الشق الثاني من السؤال الذي فرضناه وهو أن الدولة العثمانية كانت غازية فكرياً في عصرها الأول ذلك العصر الذي طُبقت فيها الدولة النظم الاسلامية تطبيقاً شاملاً ، ولكنها كانت في عصرها الثاني غير ذلك لأنها تهاونت في تطبيق النظم كما رأينا . وهذه نتيجة حتمية لمن سار على خطى سبيل الطريق ، وأصبحت حقلاً للغزو الفكري الأوربي حتى انتهى بها المطاف الى العلمانية .

وقد أدرك الكثير من العلماء صعوبة تطبيق حكم نيبابي أو حكومتهم في ظل السلطة كما هو واضح عبر عصور التاريخ الاسلامية . وهذه الصعوبة التي عجزت عنها استحالة قيام نظام دستوري وضعي في دار الاسلام . وان أخذنا بالاعتبار السياسي عناصر من حضارة غير اسلامية وفرضه على مجتمع اسلامي أمر خطير ولا يمكن قبوله .

والحقيقة المرة أنه عندما شكل الحكم البرلماني في اسطنبول كانت تدبيره وتسندة أقلية وهي حزب الاتحاد والترقي الذي لم يتنبه الى انغماسه في اللعبة



اليهودية التي استخدمت الماسونية لتعمل في الخفاء من خلال تدخلها في الأحزاب والبرامج الدبلوماسية لفرض الدستور الوضعي . وكان الشعب المسلم يراقب بخيبة أمل تلك الأحداث والتي كان من نتائجها قيام نظام غريب لاصلة له بماض أو حاضر الاسلام والدولة العثمانية الاسلامية . لهذا كان الغرب صانعا وموردا لهذا النظام الذي نفذته الشباب المغرور من الأشرار الذين لا يعرفون أنهم يتم تحريكهم بواسطة اليهودية العالمية .

ونعود للقول بأن اللجنة التي خلعت السلطان عبدالحميد الثاني كان قراصو اليهودي الماسوني هو رئيسها الذي أبلغ السلطان بخلعه وهو رفيق درب هرتزل في طلب وطن قومي لليهود في فلسطين . وكان لسان حاله يقول : هانحن وصلنا الى مانريد، وهانحن أيضا خالعوك ، ولهذا غضب السلطان لما سمع قرار الخلع من أسعد طوبطاني عندما قال : ان الأمة خلعتك ، وقال تقصد أن الامة هي التي خلعتني ، لا بأس ولكن لماذا جنتم بهذا اليهودي الى مقام الخلافة . يعني ذلك أن اختيار هذا اليهودي ضمن الوفد اهانة للسلطان كما ذكرنا .

وبهذا الخلع اقتربت الدولة العثمانية من نهايتها وأصبحت ألعوبة في يد الاتحاديين .

ولقد برهنت الحوادث على أن الاتحاديين لم يفعلوا شيئا سوى اضافة مصائب جديدة على مصائب الدولة . فقد كان مطلعهم شوما على الاسلام والمسلمين وعلى الدولة اذ أنهم منذ ثورتهم الأولى في مقدونيا سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م فقدت الدولة نهانيا البوسنة والهرسك وبلغاريا .

أما البوسنة والهرسك فقد وضعهما مؤتمر برلين في سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م تحت الادارة النمسوية ، على أن تبقى هاتان المقاطعتان تابعتين اسما للسلطان العثماني . ولما نشبت ثورة الاتحاديين ضد الدولة رأت النمسا أن الفرصة سانحة لانشغال الدولة عنها ، فقامت بضم المقاطعتين بصورة نهائية في سنة

١٣٢٦هـ/١٩٠٨م لأن النمسا كانت ترسم سياستها تحقيقا لأطماعها المترامية مع أطماع الدول الأوروبية .

أما بلغاريا فقد جزأها مؤتمر برلين هي الأخرى الى ثلاثة أجزاء بلغاريا الأصلية التي تمتعت بالاستقلال الداخلي ، والروملي الشرقية التي أعيدت الى السلطان على أن يحكمها حاكم نصراني وتمتع بإدارة خاصة ومقدونيا التي ألحقت بالدولة العثمانية في مؤتمر برلين بدون قيد ولا شرط .

ومنذ ذلك الوقت وبلغاريا تسعى لتوحيد المقاطعتين الروملي الشرقية ومقدونيا كما كانت في معاهدة سان ستيفانو ، وقد نجحت في ذلك عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م في ضم الروملي الشرقية ، ولكنهم لازالوا تابعين للمعظمين فأخذوا يتطلعون الى الاستقلال ، وقد أتتهم هذه الفرصة اثر ثورة الإنكشاريين في ١٣٠٤هـ أعلن ملكهم ( فرديناند ) استقلالهم ودعا نفسه باسم ( قيصر البلقان ) وفي ذلك في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م أيضا .

وبتفاقم الغزو الفكري سقطت الدولة العثمانية في أعقابها في القرنين الأولي وتحقق وعد بلفور بإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين . وفي سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م وهذا ما كان يسعون اليه . وبمشيئة الله استعززت الدولة العثمانية قريبا من هذا العدو الغاشم المحتل على يد اخوانهم الجهاديين المسلمين بالجزيرة العربية من المسلمين .

لذلك أخذت مظاهر الغزو الفكري تتفاقم حتى سقطت الدولة العثمانية في ذلك . أن أعيت أوروبا الحلول العسكرية بسبب القوة والتماسك اللذين أكتسبتهما الدولة العثمانية .

أما الفصل الخامس والأخير فقد استعرضنا فيه دعوة التوحيد والاصلاح ومقاومتها لصد هذا الغزو عن شبه الجزيرة العربية ، والتي قامت وانطلقت من قلب نجد ، والتي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذه الدعوة حثت الناس

على العودة الى الدين الصحيح والى العقيدة الصافية التي أطلقها الشيخ بعد رحلاته العلمية من حريملاء وبعد أن ضيق أهلها عليه غادرها الى العيينة . وفي العيينة أقام الحدود . وهدم القبور بمساندة أميرها عثمان بن معمر . فشاع ذكره بعد رجم الزانية ، حتى وصلت الأنباء الى سليمان بن محمد حاكم الاحساء آنذاك فهدد أمير العيينة بحبس ربيع مزارعه عنه والتي كانت في الاحساء اذا لم يقتل هذا الشيخ أو يخرج . فاستقر الرأي على خروج الشيخ لخوف عثمان بن معمر من تهديدات حاكم الاحساء . فخرج الشيخ وقصد الدرعية . حيث تم الاتفاق المشهور في سنة ١١٥٧ هـ على نصره هذا لدين مع الامام محمد بن سعود . وباتفاقهما نشأت الدلة السعودية الأولى ، قامت على أساس الكتاب والسنة المطهرة والدعوة للتوحيد وانطلقت هذه الدعوة حتى وحدت امارات نجد تحت لواء الدرعية ، وكان ينظر اليها الولاة العثمانيون في أول الأمر على أنها حركة داخلية ، وبعد أن ضمت الاحساء أهاج هذا العمل الدولة العثمانية . وترتب على ذلك نمو الدولة السعودية الأولى . فأصبحت دولة خليجية تطل على الخليج العربي ، ولكن بعد ضمها للحجاز هاجت الدولة العثمانية ، ورأت أن مركزها في اسطنبول قد اهتز مما جعلها تكلف ولايتها في العراق والشام بصد توسعها . لكن تلك الجبهتين لم تستطعا فعل شيء أمام الدولة السعودية التي تدعو الى الاصلاح والرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح وتحكيم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

لهذا اتجهت الدولة العثمانية الى واليها على مصر محمد علي ، وأسندت اليه حرب الدولة السعودية الأولى ، فأخذ محمد علي يعد العدة ويستعد استعدادا عظيما ، فأرسل ابنه طوسون بجيش جرار للقضاء على الزحف السعودي ولكن هذه الحملة باءت بالفشل أمام القوات السعودية ، وأرسل له والده حملة أخرى مددا للأولى فاستطاعت القوات السعودية احباط قوات طوسون بعد عدة معارك .

فجرح طوسون بعدها للصلح مع الإمام عبد الله بن سعود . ولكن هذا الصلح نقص  
 لأسباب دينية وأخرى سياسية . وكانت هذه الحرب التي وجهت للدولة السعودية  
 الدولة الإسلامية كانت في الواقع تنفيذا لأوامر السلطان محمود الثاني آنذاك الذي  
 كان يشك في نوايا محمد علي وولائه للدولة ، لهذا كان هدف السلطان محمود  
 بتلك الحرب ضرب القوتين السعودية وقوات محمد علي بعضهما بعضا لينهك  
 بعضها بعضا ، وكان كما قيل انه يريد انتصار الدولة السعودية لبعدها عن  
 الأراضي التركية ، ولكن العكس حدث ، وكما توقع السلطان محمود حدث ما كان  
 في باله . فقد طالب محمد علي السلطان بعد حرب البصرة مباشرة بإعطائه ولاية  
 وحدث ما حدث في حرب الشام الأولى والثانية التي انتهت بولاية محمد علي  
 وحصر محمد علي في ولاية مصر فقط وجعلها وراثية ، وكان المسلمون في  
 كله دول أوربا التي سيطرت بنفوذها على الدولة العثمانية ، والدولة السعودية  
 الحروب في شئونها الداخلية والخارجية .

وقد انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المسلمين في  
 من العالم الإسلامي ، وقد تأثر بها بعض علماء الأقطار وتجارها الذين  
 هذا الى يقظة العالم الإسلامي ، لهذا خاف السلطان محمود من  
 ودعوتها على أملاكه في آسيا وتآليب العالم الإسلامي ضد الدولة العثمانية  
 وهناك من كان ينادي بأن الخلافة لا بد أن تكون للعثمانيين ، وكانوا  
 وتخوفه من تزعم الدولة السعودية هذه الفكرة الهادفة إلى تحويل الخلافة  
 سير جيوشه على الرغم من أن الامام عبد الله قد أرسل حلفاءه إلى  
 طاعته ؟ ولكن اصرار العثمانيين على إنهاء هذه الدولة التي  
 ولهذا فقد سير محمد علي ابنه ابراهيم للقضاء على الدولة الحميرية  
 فأخذ يهاجم المدن النجدية الواحدة تلو الأخرى حتى تم له حصار الدرعية خلال  
 ستة شهور ، وقد ضرب أهلها أروع الأمثلة في البسالة والبطولة حينما دافعوا عن

الدرعية ، وكان على رأسهم إمامهم الإمام عبدا لله بن سعود الذي أبلى بلاء حسنا مع أهلها أمام أسلحة فرنسية متطورة من مدافع وقنابل مع خبراء فرنسيين ومشورة فرنسية يبدو أنها تدفعه الى شبه الجزيرة العربية لتحقيق حلمه في إقامة دولة عربية من مصر الى الخليج العربي .

وبالرغم من هزيمة الدرعية عسكريا فانها قد ظلت قاعدة الدعوة السلفية في العصور الحديثة، وسوف تظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد أشرت في هذا البحث الى قوة واستمرار هذه الدعوة في أدوار السعودية الثلاثة لحرص آل سعود على استمرارها والحفاظ عليها .

وقد استطاع الامام تركي بن عبدا لله أن يعيد بناء الدولة السعودية الثانية ولكن في هذه المرة جعل عاصمتها الرياض حيث استمرت معها الدعوة السلفية التي أخذت تنتشر أيضا في عهد الامام تركي ثم من بعده ابنه الأمير فيصل بن تركي حتى وصلت الى الخليج العربي ، ولكن كان هناك فاصلة ، فبعد موت الامام فيصل بن تركي دب الخلاف بين الأسرة السعودية وقد استغل ابن الرشيد هذه الفرصة واستولى على الرياض ، ورحل الامام عبدالرحمن بن فيصل وابنه عبدالعزيز ، وظن الناس أن حكم آل سعود قد انتهى ولم يلبث الحق أن عاد الى أصحابه . فقد استعاد عبدالعزيز بن عبدالرحمن في سنة ١٣١٩ هـ حكم الرياض من ابن الرشيد ، وقام بتوحيد شبه الجزيرة العربية باسم المملكة العربية السعودية ، وكون دولته الاسلامية الحديثة على دعائم الدعوة السلفية التي تدعو الى الرجوع الى الكتاب والسنة وآثار علماء السلف الصالح ، وكان منهجه واضحا منذ دخوله مكة المكرمة .

وقد صدت هذه الدعوة الغزو الفكري عن شبه الجزيرة العربية فانتشر الأمن والأمان والاسلام في ربوع مملكة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حيث اتبع خلفاؤه الميامين سيرته العطرة متمسكين بهذه الدعوة المباركة التي تدعو الى :

- (١) الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .
- (٢) محاربة البدع والخرافات . ومعاقبة الجناة وقطاع الطرق في اقامة الحدود .
- (٣) تحديد موارد الدولة المالية وجعلها تدير حسب الأسس الشرعية كالزكاة والخراج طبقا للنظم الاسلامية .

وهنا بدورنا نتساءل : ماذا كسب محمد علي وماهي الفائدة التي جناها للسلطان محمود الثاني في حروبه داخل شبه الجزيرة العربية ضد الدولة الممشرقية الأولى ؟ وماهو المبرر في ذلك؟ وماهي الحاجة التي تدعو الى محاربة ومضارعة جيوش أخرى مسلمة واهدار الطاقات الاسلامية ؟ كان من الأمور أن تبرز هذه القوة ضد أعداء الاسلام والمسلمين بدلا من انهاء قواها كما أسس الى انقضاء المجال أمام بريطانيا لزيادة أطماعها ونفوذها في منطقة الخليج العربي والهند الذي كان فيه المسلمون يتصارعون فيما بينهم لأنفسهم الأعداء ، والذين كان منهم من كل جانب ويتربص بهم للانقضاض عليهم ، والآن في ظل هذه الممالك الاسلامية ، فرنسا تدفع محمد علي والسلاطنة العثمانية الى التعاون وكان من الأصح أن يتعاون المسلمون ويصبحوا يدوا واحدة لصد الغزاة من الاستعماري والفكري عن ديار الاسلام الذي يهدد المصير الحضاري للمسلمين لا للقضاء على الدول الاسلامية كما فعل محمد علي ، بل في القضاء على من يبرر به هذا الخطأ الجسيم وهو ضرب الدعوية الاسلامية التي هي الدعوية السعودية الأولى .

هذا الخطأ ترتب عليه أخطاء أخرى وهو أنه عندما سعى محمد علي الى القضاء على الدولة العثمانية نفسها ساعد بحروبه هذه في القضاء على الدولة العثمانية نفسها سائغة للاستعمار .

وفي النهاية ماذا فعلت معه حليفته فرنسا . لقد تخلت عنه في أحلك الأمور ، ورضخ لأوامر أوربا وخاصة إنجلترا التي تعرف مظامعه . لقد قامت هي

الأخرى بسحب البساط من تحت قدميه في الوقت المناسب وقلبت له ظهر الحجر ، وأرغمته كما أسلفنا بحصر وراثته على مصر فقط وسحبت قواته من شبه الجزيرة العربية في سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م ، فذهب الى السلطان عبدالمجيد يقدم له فروض الطاعة بعد أن كاد يستولى على عاصمة بلاده ، وظل عبدالمجيد هو الآخر العوبة في يد أوروبا ، وأرغموه على اصدار خط كلخانه لتحسين أحوال المسيحيين من رعاياه ، وبهذا الخط - كما سبق الحديث عنه - انزلت الدولة في التنظيمات التي كانت ضد دينها وتقاليدها حتى سقطت في أحضان أنصار الماسونية التي قادتھا الى النهاية .

أما كان من الأولى أن يوحد محمد علي طاقاته القتالية والتكتيكية مع الدولة العثمانية للحرب في اليونان حينما طلب منه ذلك ضد دول البلقان الثائرة على الدولة العثمانية لطلب استقلالها التي تساعدها في ذلك الروس ، وخاصة أن محمد علي كان يملك قوة هائلة أزعجت أوروبا في ذلك الوقت ، ولكنه للأسف سخرها دون أن يدري في خدمة أوروبا لانهاك الدولة العثمانية بدلا من الوقوف بهذه القوات الى جانب السلطان . ولو حصل ذلك أعتقد أنه كان سيغير مجرى التاريخ لصالح الدولة العثمانية . وفي هذا الوقت نرى السلطان محمود يعد العدة لحرب محمد علي لاخراجه من الشام ، ويوجه قواته الى أرض الاسلام بدلا من توجيهها الى أوروبا كما كان يفعل أسلافه ، ولكنه محق لو أمعنا النظر قليلا لأنه يريد أن يرد أملاكه التي استولى عليها محمد علي بالقوة في حرب الشام الأولى . فمحمود الثاني هو الذي أثار حرب الشام الثانية ، والتي كادت أن تقضي على عاصمته بموته وهزيمة جيشه لولا لطف الله ثم تدخل الدول الأوروبية .

كما كان موقف محمد علي والسلطان محمود مع الدولة السعودية الأولى موقفا خاطئا كما أسلفنا ، ولو تركاها الى حين تكملة مشوارها في صراعها متحدة مع القواسم السلفية ضد شركة الهند الشرقية الانجليزية وغيرها من الشركات

الآخري لكان للتاريخ شأن آخر ، ولو أتحدت الدولة العثمانية مع الدولة السعودية والقواسم التابعين للدولة السعودية في ذلك الحين لكان أجدر بالمسلمين أن يكونوا يدا واحدة ضد الاستعمار ، بدلا من ضياع جهودهم وهدر طاقاتهم دون جدوى ولافائدة تذكر ، فقد أضعفوا بصرايحهم قوتهم المالية والمعنوية حتى صاروا لقصة سائفة لأوروبا كلها ، مع العلم بأن الدولة السعودية عادت كما كانت . وحلت الخسارة الفادحة بالدولة العثمانية التي كان الأجدى بها أن توجه هذا الجيش إلى أوروبا وإلى الصليبية والماسونية ، وأن تطلب من السعوديين المساعدة ضد العدو المشترك واعتقد أنها لن تتخلى عنها وإنما سترسل إليها المدد لجهادها ضد الكفر لأن نجد أو شبه الجزيرة العربية لم تشهد غزوا فكريا ، فدعوة التوحيد والإصلاح صدت هذه التيارات المعادية بفضل من الله ، ثم بحكمة أئمة آل سعود الذين أشركوا دولتهم على أسسها ، فانطلقوا بها حتى عمست أرجاء شبه الجزيرة العربية والحدود الإسلامية المجاورة ، ولازالت الدولة السعودية حصنا من الحصون التي كانت تحمي الإسلام تيار فكري يقصد به هدم هذا الدين القويم بكل جهودها ومساكنها لتبني العقيدة المتينة التي تنطلق منها الدعوة السلفية إلى أنحاء العالم .

وفي ختام موضوعي هذا أؤكد أن الدولة العثمانية كانت قوية بضميرها والدين والنظم الإسلامية تطبيقا كاملا في عصرها الأول .

ولكنها حين تساهلت في أمر هذا الدين في عصرها الثاني رأيت الدولة الفكرية يتغلغل كما لمسناه أثناء دراستنا لموضوع الدولة العثمانية والغزوات الإسلامية ، وهو المعول الذي هدم الدولة العثمانية وفتت ممتلكاتها الإسلامية في أوروبا والصراية ، وهذا يعود لتنازل الدولة عن الخط القويم الذي كان يحميها من التوسيع الدستوري الشرعي المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية بتحويلها إلى الدستور الوضعي الذي طبق فأصبح من أسباب انهيار وانزلاق الدولة عن مسارها الأول



لتسقط في الحرب العالمية الأولى وهي متخنة بجراحها لتفارق الغزو الفكري  
وانحدارها في هاوية العلمانية .

وإذا كانت أوربا في يوم من الأيام قد تخلت عن الروح الصليبية والحل  
العسكري واتجهت الى الغزو الفكري فان العالم الاسلامي في أزماته المعاصرة ينبغي  
أن يركز على غزو فكري اسلامي مضاد ، وفتح عقلي بكل الوسائل التي يتيحها  
التقدم الصناعي والتقني ، وأن تسير الرغبة والمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ،  
كحركة داخلية جنباً الى جنب مع الفتوحات الفكرية والغزوات العقلية كجهد  
خارجي مبعثه العقيدة الاسلامية .

•••

الملاحق



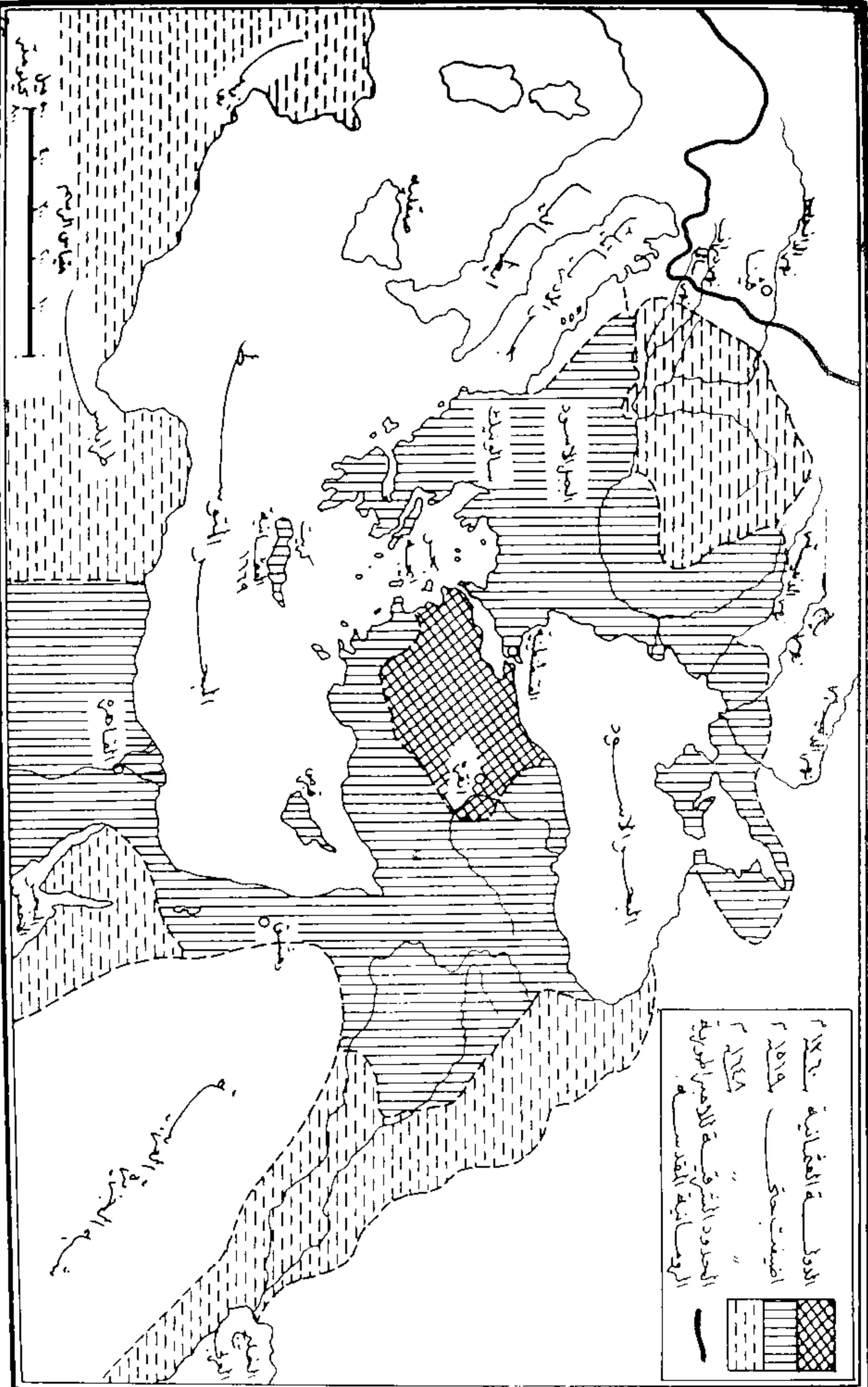
## فهرس الملاحق

<u>رقم الملاحق</u>	<u>بيان الملاحق</u>
١	خريطة تبين مراحل توسع الدولة العثمانية
٢	خريطة تبين فتح القسطنطينية " اسطنبول "
٣	خريطة تبين توسع الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وقارة أوروبا
٤	توسع الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية
٥	توسع الدولة في شمال أفريقيا
٦	الدولة العثمانية في أقصى اتساعها
٧	خريطة تبين ضعف الدولة العثمانية
٨	ترجمة وصية ( بطرس الكبير )

خريطة توضح مراحل توسع الملوكة الإسلامية الأولى

ملحق رقم ١١١

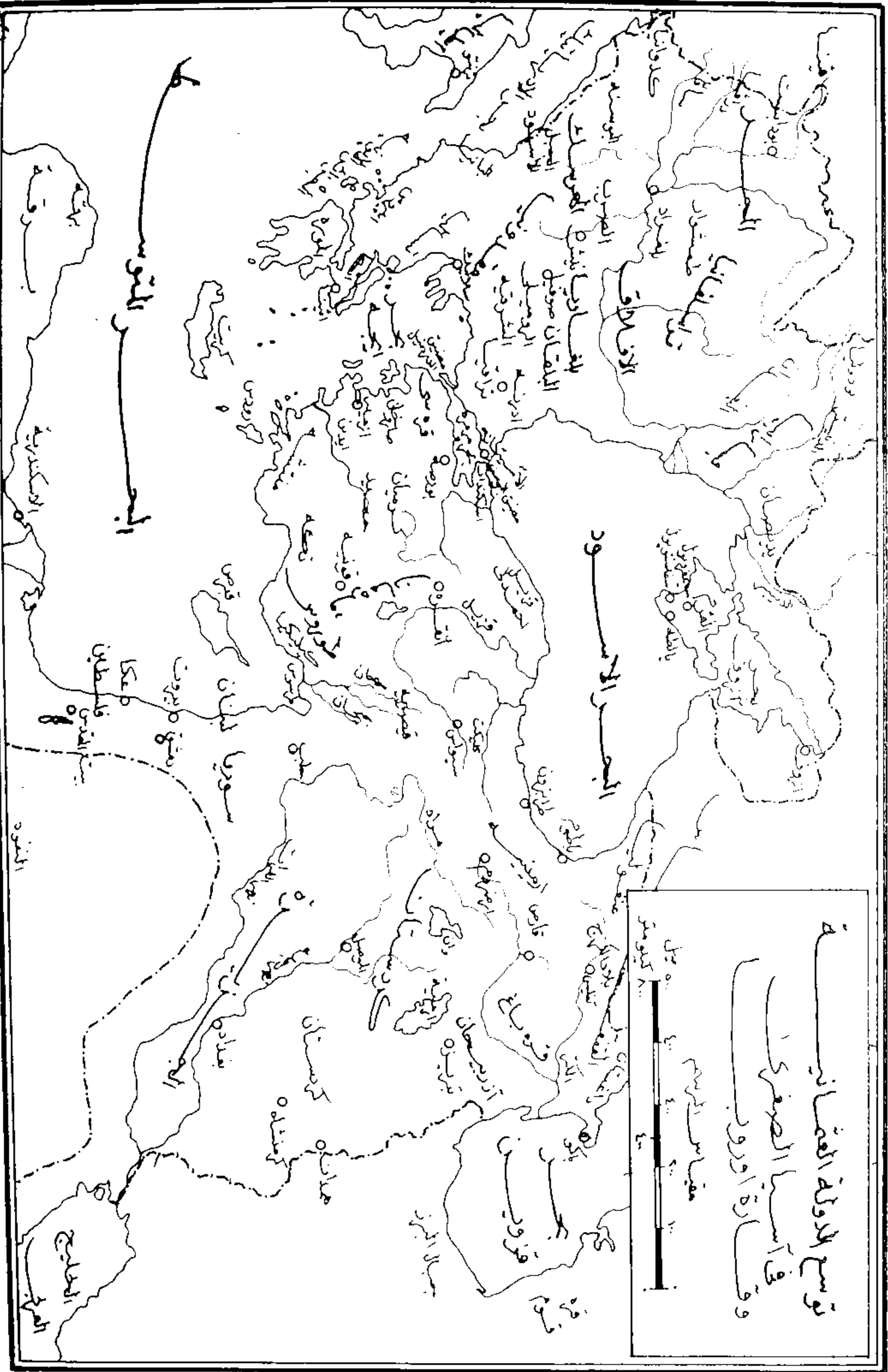
الأولى	العثمانية	١٤٤٢
أصبحت	حرة	١٥١٩
"	"	١٦٤٨
الحدود	المشرفة	للإمبراطورية
الرومانية	المقدونية	



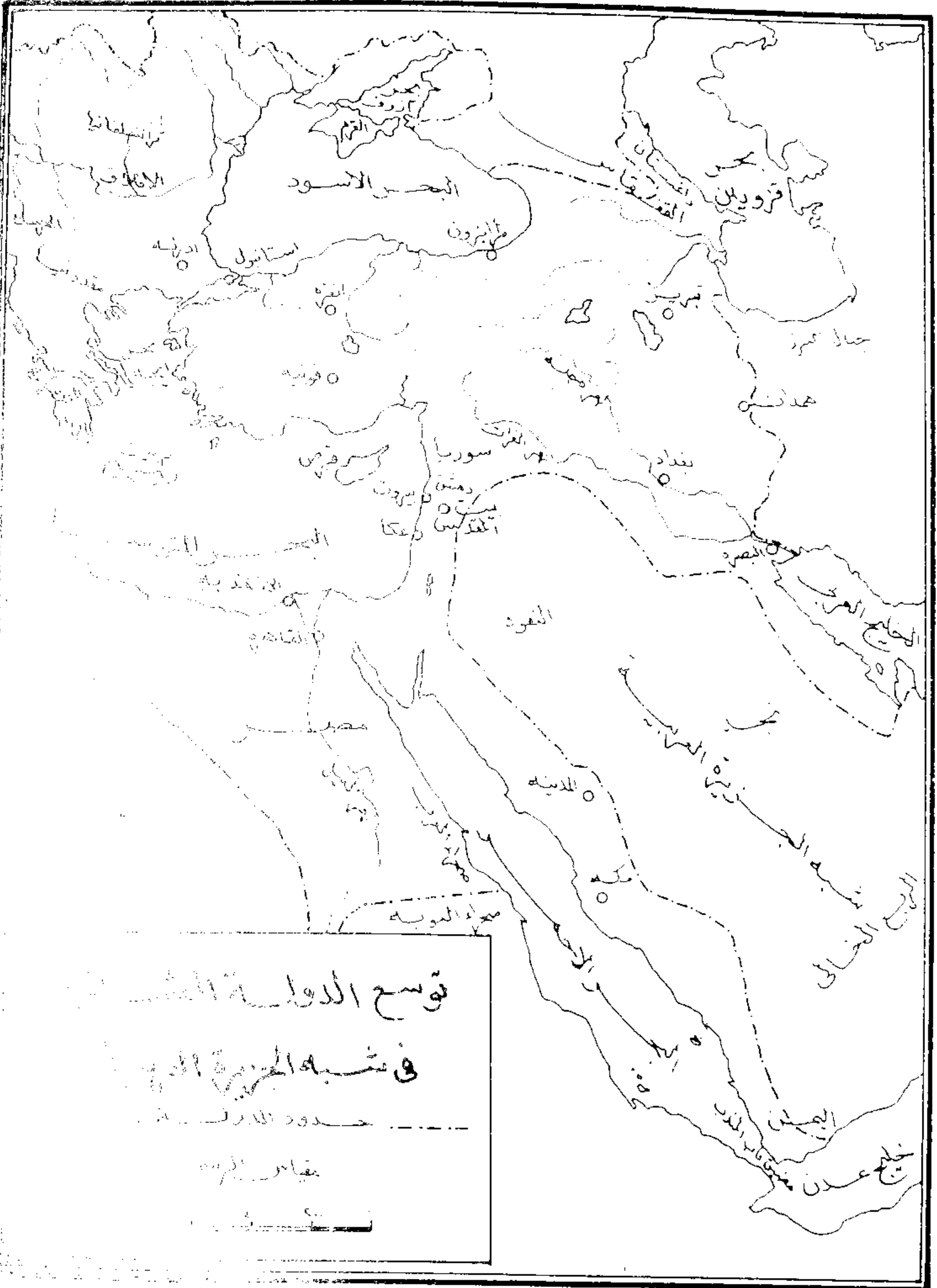
مصدر الرسم: مطبوع - قاموس التاريخ المعاصر - كل ١١١



# توسيع المادلة العثمانية في آسيا الصغرى وقارة أوروبا



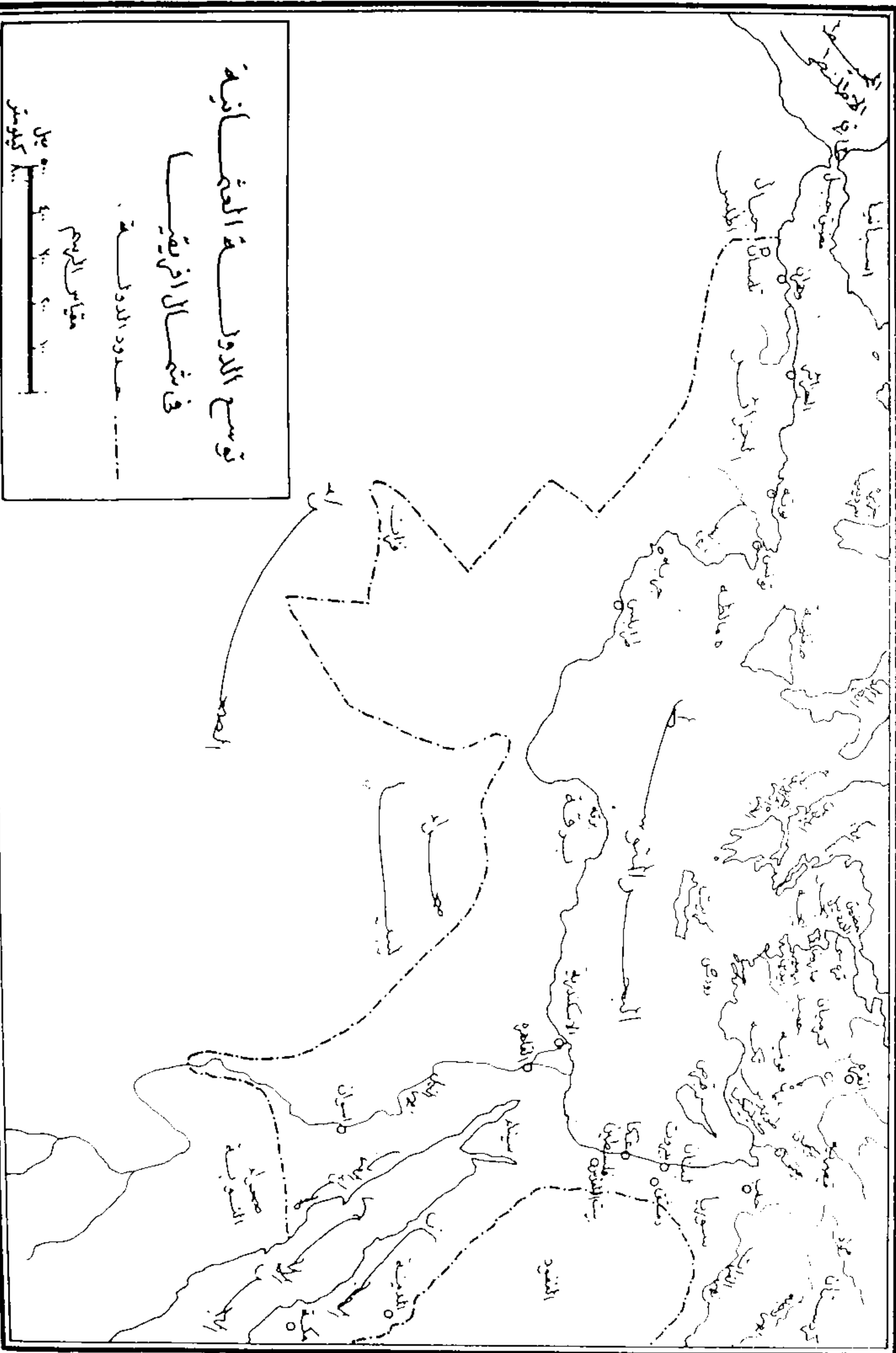
١- احمد عبدالرحيم مصطفى ... في اصول التاريخ الاسلامي



١- هارف وآفزون - اطلب التاريخ الاسدي

شكل (٤)



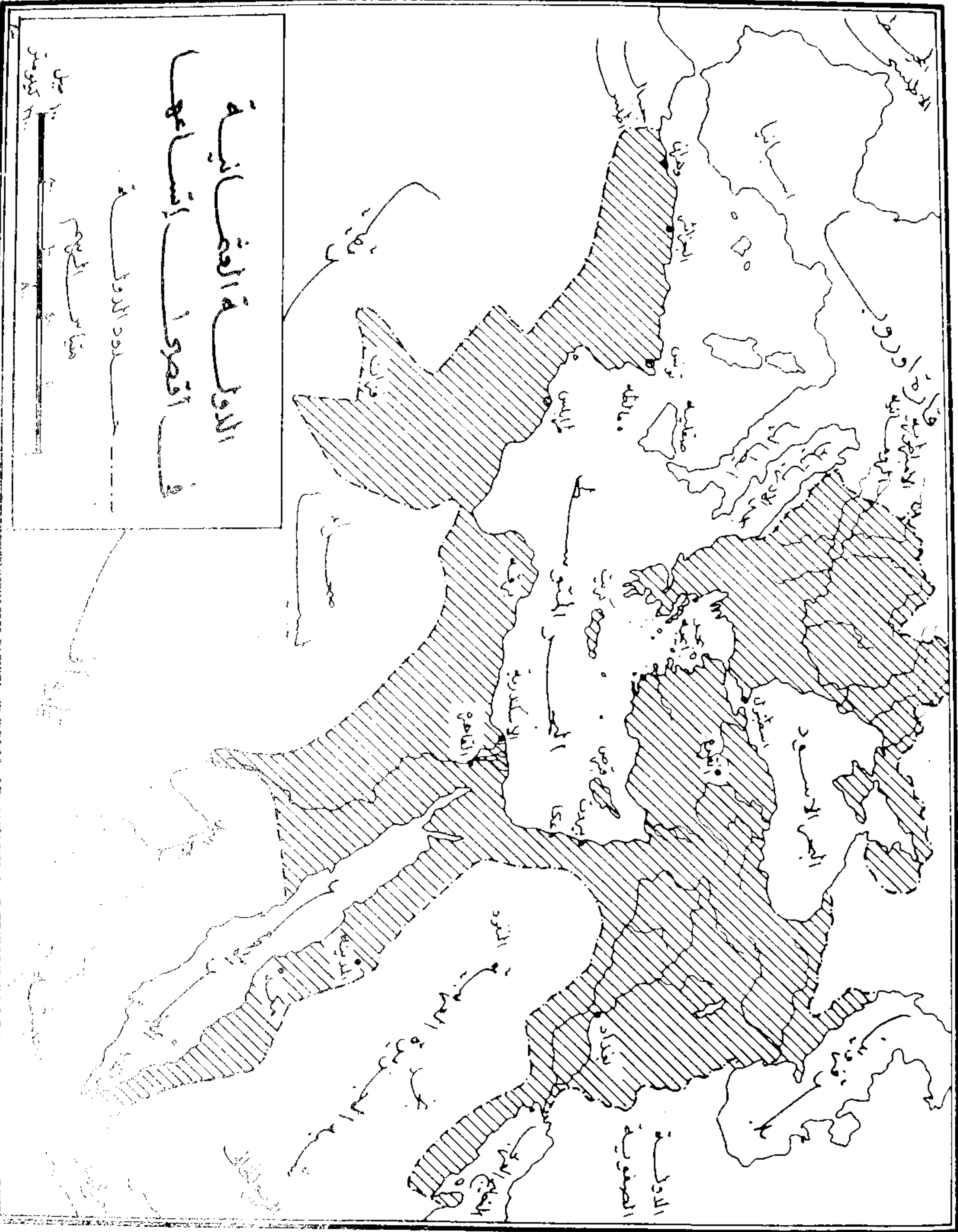


توسع المادول  
في شتال الفريقتي

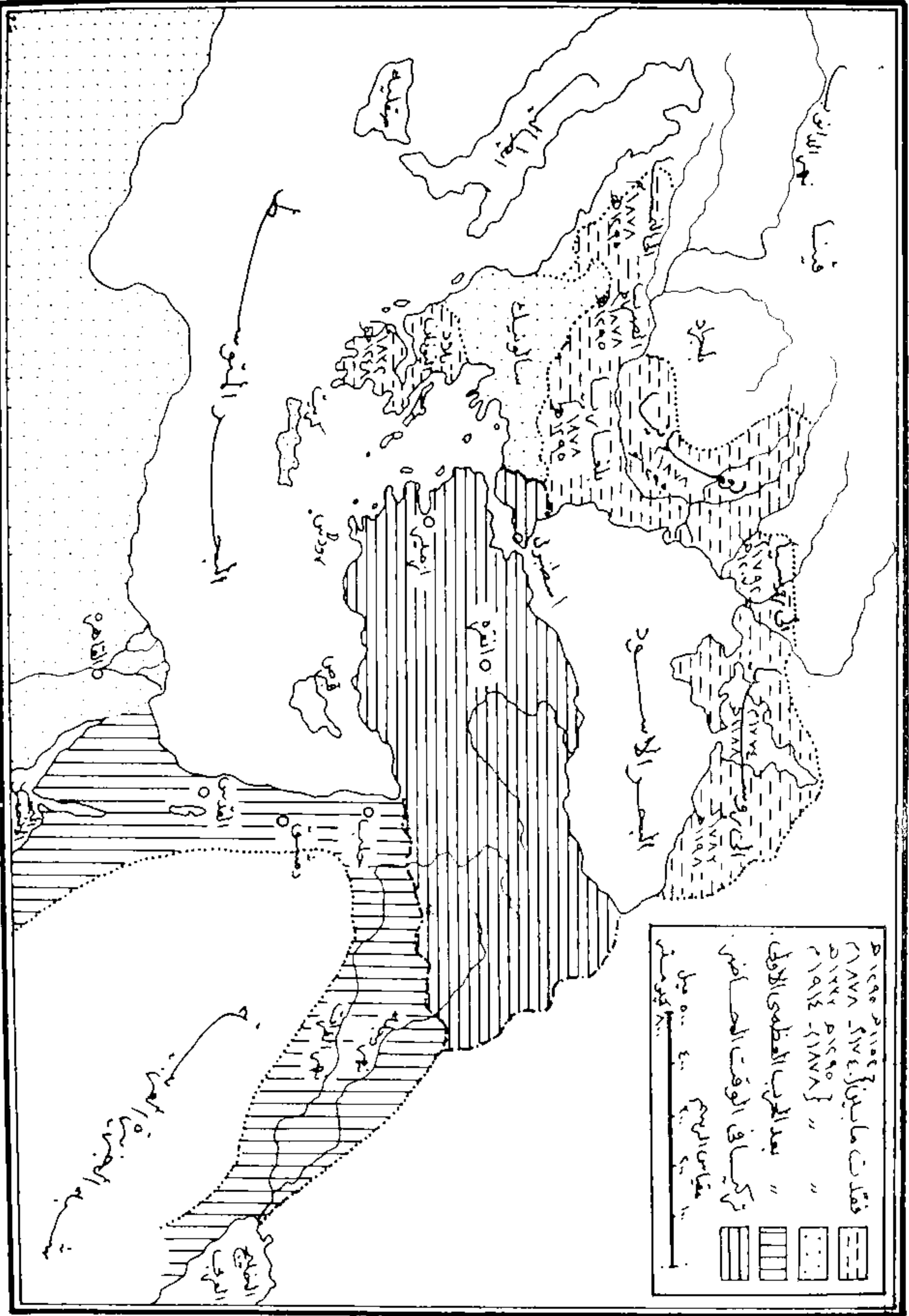
حدود المادول

مقياس الرسم

١٠٠ ٥٠ ٢٥ ٠ كيلومتر



ملحة رقم (٧) : خريطة تبين ضعف الملاوكة العظمى اذلة



ملحق رقم ( ٨ )

---

ترجمة وصية ( بطرس الاكبر )

نقلا من : ابراهيم بك حلیم : التحفة الحليمية  
في تاريخ الدولة العلية . ( من ص ٢٢٩ - ٣٤٣ )

---

﴿ ترجمة وصية بطرس الكبير ﴾

من بطرس الاول الخ الى كل من يخلفني على تحت الروسية التحية فان الله سبحانه  
وتعالى لم يرزل منذ بداية الابد في اعانتنا وأسدل فضله علينا بما جعلني على الاعتقاد  
بان الامة المسكوبية تتلظ ( لا قدر الله ) اذا شاء الله على الممالك الاورباوية  
والدليل على ذلك أن الامم الاورباوية قد هزم أكثرهم وأخذ البعض منهم

في الدولتين فاما ايركتك وروسيا فقامت فترتها لاشك انها انقلب على سائر الممالك  
لانها من شوكة الشهبه واعدى ال هجوم الامم الشماليه على اوروبا من  
الجناب واما كونه التي فتمت عودتها كما وقع سابقا عند هجوم الامم المذكورة  
عزى الى ان روسيا حين فاجتها بعد فتحها لها وانما حدثت روسيا حولا صغيرا  
من كبرتها الى كبرها العظمى من جافقى اصير عبرا عظيمها ينظر بعينه  
الى كبرها واما مرض سيلانه عزم من فحماي هذا الاعتقاد على ان ارضه  
وغيره من ارض من ارضها الى ذلك هذا القصد المتبروهي

﴿ ثانيا ﴾

على ما اشارت اليه من ان روسيا العظمى كانت كبرها في حال الترابه  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ ثانيا ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ ثانيا ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ ثانيا ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ ثانيا ﴾

ماخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه وتجعل بينهم وبين الدانيمرك عدوا دائما

﴿ ثانيا ﴾

لا يفرح أهل بيتنا الا بان ملك انايا لنا كيد المحبة بين روسيا وانايا وانكسر  
وسائل التواصل بينهما

﴿ ثانيا ﴾

يجب الاعتناء بحفظة الكثر انايا من الحاجة التي اشعرنا لضها ولما اشعرنا  
منها بغير اني اصلاح شأن انايا فضلا عن مائدة تبادل مانا من الخشب  
وغيره من السلع ذهب الكثر انايا من كثره التواصل بين انايا  
وغيره.

﴿ ثانيا ﴾

عند غدر الامكان من جهة انايا وعلى شواطئ البحر الاسود  
من جهة انايا وعلى شواطئ البحر الاسود

﴿ ثانيا ﴾

انما في تلك الظروف والظروف غدر الامكان من تلك الظروف والظروف  
انما في تلك الظروف والظروف غدر الامكان من تلك الظروف والظروف  
انما في تلك الظروف والظروف غدر الامكان من تلك الظروف والظروف

( ۲۱ )

﴿ عشرين ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ عشرين ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ عشرين ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ عشرين ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

﴿ عشرين ﴾

في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها  
وغيره من كبرها في الحروب الا ان صرح شاك الشايفه وبعده من كبرها

من اسرار مدقور فرنسا وانايا لاصحاب الامتلاء على اوروبا  
من اسرار مدقور فرنسا وانايا لاصحاب الامتلاء على اوروبا  
من اسرار مدقور فرنسا وانايا لاصحاب الامتلاء على اوروبا

من اسرار مدقور فرنسا وانايا لاصحاب الامتلاء على اوروبا  
من اسرار مدقور فرنسا وانايا لاصحاب الامتلاء على اوروبا





أولاً: الأرشيف العثماني في اسطنبول:

– الوثائق والمعاهدات :

**OSMANLI ARSIVI ISTANBUL:**

- 1- Osmanli Arsivi, Yildiz Esas, Evrākl, Zarf. No.313.  
( الخطاب السلطاني لاعلان المشروطة الأولى سنة ١٢٩٤هـ ) .
- 2- Osmanli Arsivi, Yildiz, Esas, Evrakl, Zarf, No.314.  
( الخطاب السلطاني في اعادة المشروطة الثانية ١٣٢٦هـ )
- 3- Osmanli Arsivi, Yildiz Tansnifnamesi, Muahede  
Name, Namarsi, No.19, 1878
- 4- Osmanli Arsivi, Yildiz Tansnifnamesi, Muahede Name,  
Namarsi, No. 171, 1878.

ثانياً: وثائق باللغة الانجليزية :

**GREAT BRITAIN PUBLIC RECORD:**

- 5- F.O.: 424/197. No. 91.  
Sir, N. O'coner to the Marquess of Salisbury, 24-12-1898.
- 6- F.O.: 424/198. No. 76.  
Sir N. O'coner to M. Salisbury, 25-4-1899.
- 7- F.O.: 424/199. No. 3/1  
From Consul General Drummond Hay to Sir, N. O'conor.,  
21-6-1899.
- 8- F.O.: 424/199. No. 3/2 .  
From Consul General Durmmond Hay to Sir.,N. O.conor.,  
15-5-1899.
- 9- F.O.: 424/200 No.:33 Consul Richards to Sir N.O'conor , 19-  
1-1900.
- 10- F.O.: 424/200. No. 55. Sir, N.O'conor to Marguess of  
Salisbury, 22-5-1900.
- 11- F.O.: 424/200 No. 55/2. Consul General Drummond Hay to N.  
O'conor, 1900.



- 12- F.O. : 424/200. No. 55/3. Consul General Drummond Hay to No. O'conor, 7-5-1900.
- 13- F.O.: 424/222. No. 2. Mrmarling to Sir. Eduard Grey, 3-1-1910.
- 14- F.O.: 78/374. No. 247. From Campbell to Palmersston, 21-3-1833.
- 15- F.O.: 424/37. No. 210. The Marguis of Salisbary to the Earl of Derdy, 13-1-1877.
- 16- F.O.: 424/39. No. 572. Sir., H., Elliot to the Earl of Derby, 20-11-1875.

ثالثا : الرسائل الجامعية :

- ١٧- رضوان : نبيل عبدالحى : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واستردادها. رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ، تحت الطبع . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٨- الروقي : عايض خزام : حروب محمد علي في الشام ، وأثرها في الجزيرة العربية ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، لم تنشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ١٩- الوديناني : خلف دبلان : الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، لم تنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

رابعاً: المصادر العربية :

- ٢٠- القرآن الكريم .
- ٢١- آصاف : يوسف . تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبدالوهاب الحابي ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، دار الطباعة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٢٢- ابن بشر: عثمان بن عبدالله . عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ ، الطبعة الرابعة ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٢٣- بك : محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق الحسنات عيسى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٢٤- التونسي : خير الدين . أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، الطبعة الثانية ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦م .
- ٢٥- التونسي : محمد بيرم الخامس ، صفوة الاعتبار بمشروع الألفية الأولى للهجرة ، بيروت ، دار صادر ، طبع بالطبعة الاعلامية ، ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م .
- ٢٦- الجبرتي : عبدالرحمن : تاريخ عجائب الآثار في الزمان والأخبار ، دار الجيل .
- ٢٧- جوهر : حسن محمد ، عمر دسوقي ، السيد ابراهيم بن محمد ، تاريخ مصر العربي ، القاهرة ، ج ٤ .
- ٢٨- حلیم : ابراهيم بك : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ، الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف ، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م .
- ٢٩- خانكي : عزيز بك : ترك وأتاتورك ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، القاهرة .
- ٣٠- ابن حنبل : أحمد : مسند الامام ، بيروت ، المكتب الاسلامي .

- ٣١- سر كيس : سليم : كتاب سر مملكة ، طبع مصر ، ١٨٩٥م .
- ٣٢- سر هنك : اسماعيل : حقائق الاخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢هـ .
- ٣٣- صبري : مصطفى : الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، تقديم مصطفى حلمي ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٣٤- طوسون : عمر : الجيش المصري ، مصر ، المستقبل ، الاسكندرية ، ١٣٥٥هـ .
- ٣٥- علي : محمد كرد : خطط الشام ، الطبعة الثانية ، بيروت .
- ٣٦- بن عيسى : ابراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، الرياض ، من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .
- ٣٧- بن غنام : حسين : تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مطابع شركة الصفحات الذهبية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- ٣٨- الفاخري : محمد بن عمر : الأخبار النجدية ، تحقيق عبد الله يوسف الشبل ، الرياض ، من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٣٩- لبيب : حسين : تاريخ الأتراك العثمانيين ، القاهرة ، مطبعة الواعظ بمصر ، ١٣٣٥هـ/١٩١٧م .
- ٤٠- المناوي : محمد المدعو بعبدالرزوف : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الطبعة الثانية ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

#### خامسا : المراجع العربية :

- ٤١- أحمد : ابراهيم خليل : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، الموصل ، مديرية مطبعة الجامعة .

- ٤٢- أنيس : محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٥ م.
- ٤٣- أمين : أحمد : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، بيروت ، الناشر : دار الكتاب العربي .
- ٤٤- البحراوي : محمد عبداللطيف : فتح العثمانيين عدن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ٤٥- البحراوي : محمد عبداللطيف : حركة الاصلاح العثماني في عصر محمود الثاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٤٦- البطريق : عبدالحميد : التيارات السياسية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ م.
- ٤٧- آل بوطامي : أحمد بن حجر : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة الثالثة ، الرياض ، شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٣ هـ.
- ٤٨- بيهم : محمد جميل : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، بيروت ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.
- ٤٩- بيهم : محمد جميل : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.
- ٥٠- التل : عبدالله : جذور البلاء ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتبة الاسلامي ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٥١- التونسي : محمد خليفة : الخطر اليهودي ، بروكولات صهيوني ، مكتبة دار التراث ، ١٩٥١ م.
- ٥٢- جريشة : علي محمد وآخرون : أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، دار الاعتصام .

- ٥٣- جمعه : ابراهيم : الأطلس التاريخي للدولة السعودية ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٥٤- جمعه : ابراهيم : جداول تحويل السنين الهجرية الى مايا قبلها من التواريخ الميلادية . مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٥٥- جمعه : محمد كمال : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٥٦- الجندي : عبدالحليم : الامام محمد بن عبدالوهاب ، القاهرة ، دار المعارف .
- ٥٧- الاحساني : محمد عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مطبعة الرياض ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٥٨- الحصري : ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٧م .
- ٥٩- حسن : ابراهيم شحاته : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، الاسكندرية ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨١م .
- ٦٠- حسون : علي : العثمانيون والروس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٦١- حسون : علي : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٦٢- حسون : علي : العثمانيون والبلقان ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٦٣- حمادة : عابدين : تاريخ الشرق والغرب ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، ١٩٥٧م .
- ٦٤- الحوالي : سفر عبدالرحمن : العلمانية ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م .

- ٦٥- حلاق : حسان علي : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، بيروت ، الناشر جامعة بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٦٦- حلاق : حسان علي : دور اليهود والقوى في خلع السلطان عبدالحميد عن العرش ، بيروت ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م .
- ٦٧- خالدي : مصطفى وفروخ : التبشر والاستعمار ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣م .
- ٦٨- خزعل : حسين خلف : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مطابع دار الكتاب ، ١٩٦٨م .
- ٦٩- الخطيب : عبدالكريم : الدعوة الوهابية ، الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ٧٠- دحلان : أحمد زيني : الفتوحات الاسلامية ، القاهرة ، الناشر دار الشروق ، ١٩٦٨م .
- ٧١- درويش : مديحه : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، الطبعة الثانية ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٧٢- الدسوقي : محمد كمال : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٦م .
- ٧٣- الدسوقي : محمد كمال : تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الجديدة .
- ٧٤- بن دهيش : عبداللطيف عبدا لله : قيام الدولة العثمانية ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ٧٥- الرافعي : عبدالرحمن : عصر محمد علي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ٧٦- رجب : عمر الفاروق السيد : دراسات جغرافية المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٧٧- رمضان : مصطفى محمد : العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
- ٧٨- الرومي : عبدالعزيز زيد وآخرون : أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخاص للرسائل الشخصية ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٧٩- الريحاني : أمين : تاريخ نجد ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م .
- ٨٠- الرئيس : محمد ضياء الدين : الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٦٥م .
- ٨١- الرويشد : عبدالله بن سعد : الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، القاهرة ، الناشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٨٢- الزركلي : خير الدين : شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٨٣- أبوزهرة : محمد : محاضرات في النصرانية ، الطبعة الرابعة ، الرياض ، طبع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٨٤- زيدان : جورجى : تاريخ الماسونية العام ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٤م .
- ٨٥- زين : زين نورالدين : نشوء القومية العربية ، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- ٨٦- زين : زين نور الدين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٧م .
- ٨٧- السبكي : آمال : أوروبا في القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، جدة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٨٨- سعيد : أمين : الثورة العربية الكبرى ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- ٨٩- سعيد : أمين : تاريخ الدولة السعودية ، الرياض ، من مطبوعات دار الملك عبدالعزيز .
- ٩٠- سعيد: عبدالستار فتح الله ، الغزو الفكري ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٩١- السلامان : محمد عبدالله : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م .
- ٩٢- سنقر : داود عبدالعفو : القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية ، الطبعة الأولى ، عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٩٣- سليمان : أحمد السعيد : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، القاهرة ، الناشر دار المعارف ، ١٩٧٢م .
- ٩٤- شاعر : محمود : التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٩٥- شاعر : محمود : البحرين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٩٦- الشناوي : عبدالعزيز محمد : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م .



- ٩٧- آل الشيخ : عبدالرحمن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- ٩٨- الصغير : محمدحسين : المستشرقون والدراسات القرآنية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مج . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- ٩٩- صفوت : محمد مصطفى : فتح القسطنطينية ، الرياض ، منشورات الفاخرية .
- ١٠٠- الصولي : أنيس : أسباب النهضة في القرن التاسع عشر ، حققه وقدم له : عبدا لله الطباع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار ابن زيدون ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ١٠١- عباس : ابراهيم فواد ، الماسونية تحت المجهر ، الطبعة الأولى ، جدة ، دار الرشاد ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٠٢- عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، الناشر دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ١٠٣- العبود : صالح بن عبدا لله بن عبدالرحمن : عقيدة الشيخ محمد بن عبدا لله الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي . الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ .
- ١٠٤- العثيمين : عبدا لله الصالح : الشيخ محمد بن عبدا لله الوهاب ، حياته . وفكره ، الرياض ، الناشر دار العلوم ، مطبعة نهضة مصر .
- ١٠٥- عسه : احمد : معجزة فوق الرمال ، الطبعة الثانية ، لبنان ، المطابع الأهلية اللبنانية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

- ١٠٦- عطار : عبدالغفور : محمد بن عبدالوهاب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، منشورات مكتبة العرفان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٠٧- عطا : زبيده : بلاد الترك في العصور الوسطى ، الناشر دار الفكر العربي .
- ١٠٨- عفيفي : نجيب : المستشرقون ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف .
- ١٠٩- عنان : محمد : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق ، دار البنين للنشر .
- ١١٠- علي : أورخان محمد : السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته ، وأحداث عهده ، الطبعة الأولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ١١١- عليان : محمد عبدالفتاح : أضواء على الاستشراق ، الطبعة الأولى ، الكويت ، الناشر دار النشر للطباعة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١١٢- عمر : عمر عبدالعزيز : تاريخ المشرق العربي ، بيروت ، دار الفکر العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١١٣- غربال : محمد شفيق : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في الأمة العربية على ما هي عليه اليوم ، القاهرة ، جامعة القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٦١م .
- ١١٤- غربال : محمد شفيق : محمد علي الكبير ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦١م .
- ١١٥- الغنام : سليمان محمد : قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية في مصر الأولى ، جدة ، منشورات تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١١٦- ابوغنيمه : زياد : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأوائل ، عمان ، دار العرفان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١١٧- أبوغنيمه : زياد : السلطان المجاهد الفاتح ، فاتح القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١١٨- الفاتح : زهدي : لورنس العرب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار النفائس ،  
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١١٩- فرج : السيد أحمد : جذور العلمانية ، الطبعة الثالثة ، دار الوفاء للطباعة  
والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢٠- فهمي : عبدالسلام عبدالعزيز : فتح القسطنطينية ، دار الكاتب العربي ،  
الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م.

١٢١- القطان: أحمد وآخرون : امام التوحيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ،  
الطبعة الأولى ، الكويت ، مكتبة السنديس ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢٢- قطب ، سيد : المستقبل لهذا الدين ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، دار الشروق  
، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢٣- قطب : محمد ، واقعنا المعاصر ، الطبعة الرابعة ، جدة ، الناشر: مؤسسة  
المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢٤- قطب : محمد علي : يهود الدوغة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار القلم ،  
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢٥- كشك : محمد جلال : الغزو الفكري ، الطبعة الرابعة ، المختار الاسلامي  
للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٢٦- كشك : محمد جلال : السعوديون والحل الاسلامي ، الطبعة الثانية ،  
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٢٧- كيلاني : اسماعيل : فصل الدين عن الدولة ، الطبعة الأولى ، بيروت ،  
المكتب الاسلامي ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٢٨- ماضي : محمد عبدالله : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، الطبعة الثانية  
، القاهرة ، الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ،  
١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

- ١٢٩- محمود : على عبدالحليم : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، عام ١٣٩٦ هـ . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ١٣٠- المختار : صلاح الدين : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة .
- ١٣١- مداح : أميرة : العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن ، الطبعة الأولى ، جدة ، من مطبوعات تهامة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٣٢- بن المرجه : موفق : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة صقر الخليج ، ١٩٨٤ م .
- ١٣٣- المسلم : محمد سعيد : ساحل الذهب الأسود ، الطبعة الثانية ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ م .
- ١٣٤- مشهداني : عبدالكريم : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتبة الدولية ، الرياض ، منشورات الخافقين ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ١٣٥- مصطفى : أحمد عبدالرحيم : في أصول التاريخ العثماني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٣٦- مكاربوس : شاهين : تاريخ الماسونية العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ م .
- ١٣٧- منسي : محمود صالح : حركة اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، منشورات دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ م .
- ١٣٨- المودودي : أبو الأعلى : نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- ١٣٩- مؤنس : حسين : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم .
- ١٤٠- ملا : محمد قربان نياز : السلطان عبدالحميد الثاني : الطبعة الأولى ، مكة . مكتبة المنارة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ١٤١- نخله : محمد عرابي : تاريخ الاحساء السياسي ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٤٢- الندوي : ابوالحسن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة الثالثة ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٤٣- النعيمي : احمد نوري : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٢م .
- ١٤٤- نعنعي : عبدالمجيد : أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م .
- ١٤٥- نوار : عبدالعزيز سليمان : الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣م .
- ١٤٦- نوار : عبدالعزيز سليمان ، وعبدالحميد نعنعي : التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٤٧- هريدي : محمد عبداللطيف : الحروب العثمانية الفارسية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ١٤٨- وحيد : صبحي : في أصول المسألة المصرية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م .
- ١٤٩- وجددي : محمد فريد : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة " تنظيمات " الناشر جهان .

سادسا : المصادر الأجنبية المترجمة :

- ١٥٠- اتلخان : جواد رفعت : أسرار الماسونية ، ترجمة نورالدين رضا الواعظ وآخرون . القاهرة ، الناشر مجلة الأزهر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٥١- ارنولد : سرتوماس . و . أ . الدعوة الى الاسلام : ترجمة حسن ابراهيم وآخرون . الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠م .
- ١٥٢- اوزتونا : يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود سليمان ، تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، ١٩٨٨م .
- ١٥٣- الثاني : السلطان عبدالحميد : مذكراتي السياسية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٥٤- مذكرات السلطان عبدالحميد : ترجمة محمد حرب عبدالحميد ، الطبعة الأولى ، الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٥٥- جودت باشا : أحمد : تاريخ جودت : ترجمة عبدالقادر أفسان ، بيروت ، طبع مطبعة جريدة بيروت ، ١٣٠٨هـ .
- ١٥٦- ستودارد : لوثر ، و ب : حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عبدالمجيد ، وتعليق شكيب ارسلان ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار الفكر ، والنشر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .
- ١٥٧- طوران : مصطفى : أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة كمال ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٥٨- المانع : محمد : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة المانع ، الصالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، الدمام ، طبع في شركة مطابع المطر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٥٩- مذكرات مدحت باشا : تعريب يوسف كمال بك حتاته ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة هندية بمصر ، ١٣٢١هـ / ١٩١٢م .

سابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة :

١٦٠- انطونيوس : جورج : يقظة العرب ، تعريب علي حيدر ، دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

١٦١- بروكلمان : كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م .

١٦٢- بوكاي موريس : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .

١٦٣- تونبي : أرنولد : تاريخ البشرية، نقله الى العربية نقولا زيادة ، بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م .

١٦٤- جب : هاملتون : المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .

١٦٥- جرانت : أ.ج. : وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ١٧٨٩م - ١٩٥٠م ، ترجمة بهاء فهمي ، مراجعة الدكتور احمد عزت عبدالكريم . القاهرة ، الناشر مؤسسة العرب ، ١٩٨٥م .

١٦٦- دوفرليه : موريس : دساتير فرنسا : ترجمة أحمد حسيب عباس ، القاهرة ، الناشر : مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، الحلمية الجديدة .

١٦٧- رامزور : ارنست . أ. : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م ، بيروت ، نيويورك ، نشر مع فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م .

- ١٦٨- شاتليه : أ.ل. : الغارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب الخطيب ومساعد الباقي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٦٩- شيني .ل.ج .: تاريخ العالم العربي ، ترجمة مجد الدين حنفي ناصف ، القاهرة ، الناشر دار النهضة العربية .
- ١٧٠- لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية ، ترجمة عفيفه البستاني ، موسكو ، دار التقدم .
- ١٧١- لويس : برنارد : استنبول ، تعريف سيد رضوان علي ، الطبعة الثانية ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٧٢- لويس : برنارد : الغرب والشرق الأوسط ، تعريف الدكتور نبيل صبحي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٧٣- عز الدين : نجلاء : العالم الغربي ، ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، الناشر دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢م .
- ١٧٤- وتلن : الما : عبد الحميد ظل الله على الأرض : ترجمة راسم الشامي ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
- ١٧٥- ولز: هـ.ج. : معالم تاريخ الانسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق حجازي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٧م .
- ١٧٦- هازارد : هاري وآخرون : أطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة ابراهيم خورشيد ، القاهرة ، مطبعة برنستون ومكتبة النهضة العربية ، ١٩٥٤م .



ثامنا : المصادر التركية :

أ- باللغة العثمانية :

١٧٧- باشا : كامل : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، تأسس دولت عليه دن جنتكمان سلطان عبد الحميد خانك او اخر سلطنته قدر كذران ايدت زمانه عاندر . مطبعة احمد احسان ، ١٣٢٨هـ .

١٧٨- راسم : احمد : رسمي و خريطة لي عثمانلي تاريخي . برنجي طبع استانبول ، وناشري اقبال كتبخانسي ، صاحبي حسين ، شمس مطبعة سي ، ١٣٢٨هـ .

١٧٩- هارد : أ.د. انكه : تركيا وتنظيمات دولت عثمانية نك تاريخ اصلاحاتي ١٨٨٢-١٨٢٦ مترجمي : على رشاد . طابع وناشري : صاحبي الياس . استنبول ١٣٢٨هـ .

ب - باللغة التركية :

- 180- GEVAT : ALI : İkinci Mesrutiyetin ilanı ve etuzbir mart Hadisesi Abolu ehamid in son mabeyn Baskatibi Ali cevabby'in Fezlekasi Yayina Hazi, Layay: Faikresit Turic Taria Kurumu Basimevi, Ankara, 1985.
- 181- Develliogla : Ferit: Osmanlica Turkee Ansiklopedik Lugat . مادة ( استانة ) .
- 182- SHAW : Stanford . J. Ezolkural Shaw. Osmanli Imparatorlligu ve mobern turkiye Stunkesi: Mehmet Har Mancı e yeyiular, I Baski, Istanbul . 1983.

تاسعا : " المصادر والمراجع باللغة الانجليزية :

- 183- Davison Roderic . H. : Turkey , A Short History , The Eother Press, Walkington , Beverley , England, 1981.
- 184- Davis : Willam Stearns : A Short History of the Near East .
- 185- Inalcin : Halil: The Ottman Empire. Weiben Fel and Nicolsor , Lonson .

- 186- Morely : John : The Life of Willim Ewart Glad Stone. Vol.1. 1809-1859, London , 1903.
- 187- Maxwell : Robert , Pergamon Worldatlas, Oxford, 1968.
- 188- Parry : V.J. A History of The Ottoman Empire , Cambridge University Press, Cambridge , London, New York , Mel Bourne.

عاشرا : الدوريات والمجلات العلمية :

- ١٨٩- البحر اوي : محمد عبداللطيف : التاريخ المعاصر وعلاقته العضوية بالأزمة ، مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ١٩٠- البحر اوي : محمد عبداللطيف : من خصائص تاريخ العثمانيين وحق - اراهم ، مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٩١- الحقييل : عبد الله : الدعوة الاصلاحية في مواجهة التحديات ، مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- ١٩٢- الدسوقي : محمد كمال : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ، السنة الثامنة عشر ، ١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ .
- ١٩٣- الدسوقي : محمد كمال : العثمانيون وقراصنة رودس ، مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ، السنة الثامنة عشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- ١٩٤- ابن دهب : عبداللطيف عبدالله : أحوال شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى ، مجلة العرب ، تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ج ١ ، ٢ ، س ٢٢ ، رجب / شعبان ١٤٠٧هـ .
- ١٩٥- رئيس التحرير : الوثائق تتكلم ، مجلة دار الملك عبدالعزيز ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ١٩٦- المقدسي : روجي بك الخالدي : الانقلاب العثماني ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء الثاني ، السنة السابعة عشر ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .
- ١٩٧- نورس : علاء موسى كاظم : مسنولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة التاسعة ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، ١٩٨٢م .
- ١٩٨- هيئة التحرير : تاريخ الجند العثماني ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء الثامن ، السنة السابعة عشرة ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م .
- ١٩٩- هيئة الأخبار : الرجل المريض دعاية يهودية ، مجلة التضامن الاسلامي ، السنة الرابعة والأربعون ، الجزء السادس ، ذي الحجة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٢٠٠- هيئة التحرير : سليمان الكبير ، مجلة الهلال ، القاهرة الجزء الثاني من السنة الأولى ، ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م .
- ٢٠١- هيئة التحرير : عبدالحميد الثاني في أول شبابه قبل توليه الملك ، القاهرة ، مجلة الهلال ، الجزء التاسع ، السنة السابعة عشر ، ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .
- ٢٠٢- هيئة التحرير : مجلة الدعوة السعودية ، العدد ٥٧٠ ، ٢٥ شوال سنة ١٤٩٦هـ / ١٩٧٦م .

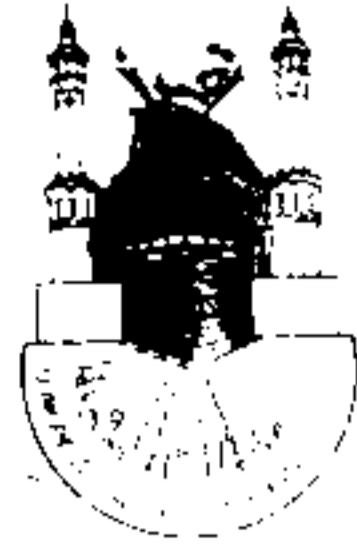
## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم الموضوع .....
١٧	المقدمة : طبيعة الدولة العثمانية : .....
١٩	أ - نشأة الدولة .....
٢٧	ب - الجهاد والفتح ونشر الاسلام .....
٧٩	الفصل الأول : الدولة في عصرها الأول :
٨٦	أ - تطبيق النظم الاسلامية . فضل الاسلام في قوة الدولة وتماسكها
٩٠	والحصانة الفكرية .....
٩٠	ب - الانكشارية والتربية الاسلامية .....
٩٢	ج - انتشار الاسلام في أوروبا في عصر عظمة الدولة :
٩٢	فتح القسطنطينية وتهديد روما .....
١١٥	الفصل الثاني : الدولة العثمانية في عصرها الثاني :
١٢٧	أ - اتساع الدولة وكثرة مشكلاتها : .....
١٢٧	ب - الخلل : السلاطين - العلماء - الانكشارية - الترقق
١٢٧	والركود .....
١٢٧	ج - الخطة الجديدة للعالم النصراني نحو الدولة : فقير الخطة
١٧٦	العسكرية الغزو الفكري . سياسة الرجل المريض .....

٢٢١	الفصل الثالث : عوامل الغزو الفكري الأوربي للدولة :
٢٢٣	أ - أثر الموقع الجغرافي .....
	ب - تطورات التاريخ الأوربي الحديث : العلمانية والقومية والحركة
٢٢٩	الدستورية .....
٢٣٥	ج - صدى الثورة الفرنسية .....
٢٤٩	د - أطماع الدولة الأوربية في ممتلكات الدولة الاسلامية .....
٢٧٠	هـ - أنشطة الماسونية والصهيونية .....
٢٨٩	الفصل الرابع : مظاهر الغزو الفكري في الدولة العثمانية
٢٩١	أ - الاستغراب : (اتجاه الدولة الى الاصلاح العسكري) .....
٣١٦	ب - عصر التنظيمات العثمانية .....
٣٧٠	ج - التغريب : مدحت باشا وزملاؤه .....
٣٩١	د - المشروطة الأولى والثانية .....
٤٦١	الفصل الخامس : مواجهة الغزو الفكري في الدولة العثمانية
٤٦٣	أ - في تركيا والولايات العثمانية الأخرى .....
٤٨٢	ب - دعوة التوحيد والاصلاح في شبه الجزيرة العربية .....
٤٩٩	١ - اهميتها في مواجهة الغزو .....
٥١٣	٢ - استمرارها في أدوار السعودية الثلاث .....
٥١٦	٣ - تقديم نموذج للدولة العصرية .....
٥٢٠	٤ - صد التدهور عن الجزيرة العربية .....
٥٢٣	ج - تأثير حركات الاصلاح في العالم الاسلامي بها .....
٥٣١	الخاتمة والنتائج .....
٥٦١	الملاحق .....
٥٧٥	المصادر والمراجع .....



سلسلة رسائل علمية لموصى بطبعها  
" ٢ "



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
سهل البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي  
مكة المكرمة

## الدولة العثمانية والغزو الفكري

حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م

دكتور

خلف بن دبلان بن خضر الوديناني  
الأستاذ المساعد في التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م